

التوحيد  
في المشهد الحسيني



التَّوْحِيدُ

فِي الْمَشْهَدِ الْحُسَيْنِيِّ

وَالْفَخْرِ الشَّرِيفِيِّ خَازِنِ رُؤْيَا الْعِصْرِ الْهَرَوِيِّ  
مَبَاحِثٌ فِي الْعَقِيدَةِ الْفَقْهِيَّةِ

مُحَاضِرَاتُ الْمُحَقِّقِ

أَيُّمُ اللَّهِ الشَّيْخِ مُحَمَّدِ بْنِ السَّنْدِ

بِقَلَمِ

الشَّيْخِ زُفَرِّ الْهَرَوِيِّ

مَرْكَزُ الدِّعْوَاتِ التَّحْضِيصِيَّةِ فِي النُّهْضَةِ الْحُسَيْنِيَّةِ  
قِسْمُ الشُّرُوفِ الْفِكْرِيَّةِ فِي الْعَيْتَةِ الْحُسَيْنِيَّةِ الْمُقَدَّسَةِ



جميع الحقوق محفوظة  
للعتبة الحسينية المقدسة

الطبعة الأولى

1436 هـ . 2014 م

إصدار

مركز الدراسات التخصصية في النهضة الحسينية

قسم الشؤون الفكرية





## مقدمة المركز

العلم والقراءة والكتابة بالقلم، قواعد المجدد، ومفاتيح التنزيل، وديباجة الوحي، ومشرق القرآن الكريم، بها يقوم الدين، وتُدوّن الشرائع، وتحبى الأمم، وتُبنى الحضارات، ويُكتب التاريخ، ويُرسم الحاضر والمستقبل، وبها تتمايز المجتمعات، وتختلف الثقافات، ويُوزن الإنسان، ويتفاضل الناس، ويزهو ويفتخر بعضهم على البعض الآخر.

في ضوء هذه القيم والمبادئ السامية، ومن منطلق الشعور بالمسؤولية، وبالتوكل على الله تبارك وتعالى، بذلت الأمانة العامة للعتبة الحسينية المقدّسة جهوداً كبيرة واهتمامات واسعة لدعم الحركة العلمية والفكرية والثقافية، وتطوير جوانب الكتابة والتأليف والتحقيق والمطالعة، وذلك عن طريق الاهتمام بالشؤون الفكرية، وافتتاح المؤسسات ومراكز الدراسات العلمية، وبناء المكتبات التخصصية، والتواصل مع الأساتذة والعلماء والمفكرين، وتشجيع النّخب والكفاءات والطاقات القادرة على بناء صروح العلم والمعرفة.

ويُعد مركز الدراسات التخصصية في النهضة الحسينية في النجف الأشرف وقم المقدسة، امتداداً لتلك الجهود المباركة، وقد عمل منذ تأسيسه وبأقسامه ووحداته المتنوّعة على إثراء الواقع العلمي والفكري، وذلك من خلال تدوين البحوث، وتأليف الكتب وتحقيقها ونشرها، وإصدار المجلات المتخصصة، والمشاركة الفاعلة مع شبكة التواصل العالمية، وإعداد الكوادر العلمية القادرة على مواصلة المسيرة.

ومن تلك الأمور المهمة التي تصدّى مركزنا المبارك للقيام بها وتفعيلها بشكل واسع، في إطار وحدة التأليف والتحقيق، هي الاهتمام بنشر التراث العلمي والتأليف الفكري والكتابات التخصصية للعلماء والمحققين والباحثين، وذلك بهدف فسح المجال وفتح الأبواب والنوافذ أمام قراء الفكر، وطلاب العلم والحقيقة.

ومن تلك النتاجات العلمية والقيّمة، هذا السفر الماثل بين يديك عزيزي القارئ، وهو كتاب (التوحيد في المشهد الحسيني) وهو عبارة عن بحوث لسماحة الفقيه المحقق آية الله الشيخ محمد السند، بقلم الشيخ رافد الزبيدي.

يعتبر هذا العمل من الأعمال المهمة في الأوساط العلمية؛ فقد تناول أبعاداً معرفية عميقة فيما يرتبط بعقيدة التوحيد من خلال المشهد الحسيني، كاشفاً بذلك زوايا جديدة لهذه النهضة المباركة. وتعد هذه الرؤية وهذه القراءة فريدة من نوعها حيث قامت على تحليل الحركة الحسينية تحليلاً كلامياً في سياق التوحيد، والمقصود من التوحيد جميع مظاهره التي تتجلى في مجمل العقائد الإلهية. وسيلمس هذا المعنى القارئ بوضوح إذا ما طالع الكتاب مطالعة فاحصة ودقيقة.

وفي الختام نتمنى دوام التوفيق لجميع خدمة الإمام الحسين عليه السلام وخدمة القضية الحسينية، ونسأل الله تعالى أن يبارك لنا في أعمالنا إنه سميع مجيب.

اللجنة العلمية

في مركز الدراسات التخصصية

في النهضة الحسينية



## مقدمة المقرر

الكثير كتب عن الإمام الحسين، والكثير قرأ الملحمة الحسينية، ومن الطبيعي أن تتفاوت القراءات؛ لتفاوت الأفهام، ومن الاعتيادي أن نجد الكثير من القراءات الغيبية للحركة الحسينية، كما لا نعدم وجود الكثير من القراءات السطحية الساذجة، في مقابل ذلك نجد القليل من القراءات العقائدية الصحيحة لحركة سيد الشهداء عليه السلام التي تتجاوز السطح وتغور في العمق الفكري والتحليلي، وأقل من ذلك القراءات التوحيدية لمسرح عاشوراء.

ولعل من باب الحمل على الصحة - لمن وقف على السطح ولم يتجاوزه - هو أنه توهم أن سبر الأغوار معرفياً في واقعة كربلاء يكون من الاجتهاد مقابل النص - أي: نص الحسين عليه السلام - لأنه عليه السلام صرح بسبب الخروج أمام الاستفهامات المتنوعة، وأسباب اصطحاب النساء والأطفال وغيرها، وما دام قد صرح فلماذا التحليل والتعليل؟! فالقضية تعبدية.

والناظر الفطن يرى ذلك أيضاً، ولكنه لا يختصر الفتحة المحمدية على يد الحسين عليه السلام بذلك البعد الواحد، فنجد أن مثل شيخنا الأستاذ المحقق محمد السند يرى أن بعض تلك الأجوبة تُبين بعض زوايا الحقيقة لا كلها، تتناسب مع مستوى إدراك السامع، ومن هنا أفاض شيخنا الأستاذ في أهمية الرؤية التوحيدية والقراءة المنظومية لواقعة كربلاء، بتحليل الحركة الحسينية من خلال قراءتها قراءة كلامية في سياق التوحيد، وهي تشكّل قراءة توحيدية

مبتكرة فيتناول واقعة كربلاء وحركة الحسين عليه السلام.

والتوحيد المقصود في هذا البحث، ليس التوحيد كيفما اتفق، بل هو التوحيد الذي يشكّل رأس الهرم للمعارف الدينية عموماً، ابتداءً من أصول الدين مروراً بالفضائل الأخلاقية وانتهاءً بفروع الدين - وهذا بحد ذاته يحتاج إلى شرح ليس هذا محله -.

ولذا؛ فإنه قد يستغرب القارئ الكريم لأنه عندما ينظر إلى عنوان الكتاب وهو (التوحيد في المشهد الحسيني) يتصور أن الحديث سيكون عن معاني التوحيد، وأن الحسين من خلال قتاله وشهادته وحّد الله، وبذلك ينبغي أن تكون العناوين تحمل عنوان التوحيد، أو ما هو قريب من هذا المعنى، وإذا بالقارئ يجد نفسه أمام مفردات وعناوين - كأنها - لا صلة لها بعنوان الكتاب، لأن عنوان الكتاب هو (التوحيد في المشهد الحسيني) وعناوين بحث الكتاب تتحدّث عن البداء، ولكن بعد القراءة والتأمل سيرى أن الإيمان بالبداء هو مظهر من مظاهر التوحيد، بل من أعظمها؛ لأن الحديث الشريف يقول: «ما عبّد الله بشيء مثل البداء»<sup>(١)</sup>، وكذلك: «ما عظم الله بمثل البداء»<sup>(٢)</sup>.

فإذا؛ البداء عبودية وتوحيد عملي واعتقادي، ثم إنه قد يبدو استغراب آخر وهو أن عناوين البحوث الرئيسة تتحدّث عن البداء، بينما نجد العناوين الفرعية تتحدّث عن القضاء والقدر، والجبر والتفويض، والاحتمية والتدبير،

---

(١) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ١، ص ١٤٦. الصدوق، محمد بن علي، التوحيد: ص ٣٣٢.

(٢) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ١، ص ١٤٦.

واليقظة والحذر، والمسؤولية والتفاؤل ... فما هو الربط والجامع لهذه العناوين؟

فنقول: إنّه بالنظر البسيط - وللهمة الأولى - يمكن أن يكون هناك تفرّق وتفكك في هذه العناوين، أمّا بالدقّة ليس هناك تفرّق، بل هناك كمال الألفة؛ فإنّ مثل التفاؤل وإن كان عنواناً أخلاقياً ومعنى باطنياً، إلاّ أنّه ينطوي على حسن الظنّ بالله والتوكّل عليه، فيمكن أن يرتبط بالبحث من جهتين، وهما: أن هذا المعنى الباطني الأخلاقي يمكن أن يكون عملاً ظاهرياً بدنياً؛ وبالتالي يمكن أن يرتبط (التفاؤل) بعناوين توحيدية عديدة، منها التوكّل الاعتقادي والعملي الصحيح، ومن جهة أخرى بمعنى وحقيقة التدبّر الصحيح الذي يرتبط بحقيقة الإيثار والإرادة لدى الفرد، وهذا يتصل بمعنى الجبر والاختيار.

وبالتالي؛ يرتسم بارتسامها معنى القضاء والقدر والبداء وتشكّل منها أطر التوحيد الصحيح، كذلك (التوكّل) فإنّ نفس معنى التوكّل بعنوانه الأخلاقي له حقيقة عليا وهي الإيثار بحسن التدبير وسعة القضاء والقدر الإلهيين، وله حقيقة أعلى وهي السعة الوجودية التي هي معنى البداء، والبداء الأعظم الذي هو مظهر لحقيقة التوحيد الأعظم.

وعلى هذا؛ يمكن للقارئ اللبيب أن يرجع كلّ العناوين لجذورها العقائدية وحقائقها التوحيدية، سواء كانت متمازجة أو منفصلة، ومن سرّ وأسرار هذه البحوث المعرفية التي بينها أهل البيت عليهم السلام - (ونحن نعيش على فئات موأندهم) - أنّها لو دُمجت بعضها مع البعض الآخر سوف تصل بها إلى التوحيد، ولو حلّلت التوحيد لوصلت إلى كلّ المعاني العقائدية والأخلاقية،

قوس صعود ونزول، يبدأ بنقطة ويرجع إلى نفس النقطة التي بدأ منها. وهذه نكتة وسرّ توحيدِي لم يكن ليظهر لولا بيانات أهل البيت عليهم السلام من الوحي، ويمكن للناس أن يفهموا وينهلوا منه إذا أحسنوا شكر النعم - شكراً عملياً- وأعظمها وأجلاها هي نعمة الولاية، قال تعالى - عَلَى لِسَانِ يَوْسُفَ عليه السلام -: ﴿ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾<sup>(١)</sup>، وجدير بهذه الرؤية أن يُقرأ سيد الشهداء عليه السلام في منجزه من خلالها.

ثمّ قد يبدو هناك استغراب ثالث: وهو ما علاقة (التوحيد في المشهد الحسيني) الذي هو عنوان هذا البحث بعنوان (السفياني بين الحتم والبداء) وعنوان (قواعد منهجية في النشاط...) وعنوان (قواعد الجهاد الدفاعي)؟! والعلاقة: أنّ التوحيد في المشهد الحسيني الذي هو البحث الأم - المحوري (المركزي) - يتحدّث عن مراتب البداء في مشهد الطف، وهذا البحث له كامل الصلة مع بحث (السفياني بين الحتم والبداء) لوجود عنصر البداء المشترك بينهما.

كما أنّ عنوان (قواعد منهجية في النشاط الديني والسياسي والاجتماعي) هي قواعد تُمنهج نشاط المؤمنين - وخصوصاً في الظرف الراهن - زمن غيبة الإمام عليه السلام.

وبالتالي؛ هي لها علاقة ببحث السفياني باعتبار أنّها تُبرمج وتنظّم عمل المؤمنين في كيفية مواجهة حركات الانحراف - التي منها حركة السفياني - كما أنّ قواعد الجهاد الدفاعي تبيّن نشاط المؤمنين في الجانب العسكري في كيفية

(١) يوسف: آية ٣٨.

مواجهة حركات الانحراف - عسكرياً- إذا وُجِدَت مبررات الجهاد العسكري.

فإذا؛ قواعد نشاط المؤمنين الوظيفي الديني السياسي والاجتماعي والعسكري لها أبعاد في مواجهة حركات الانحراف والفتن، وخصوصاً فتنه السفهاني. وكلّ هذه البحوث الثلاثة محورها مشهد الطفّ؛ لأنّ التوحيد في المشهد الحسيني عنوان كلّ مهيمن يمنهج كلّ نشاطات المؤمنين بشكل نظّم منظومي هيمني ترابطي.

وهنا أمور مهمّة تتصل بمنهج البحث ينبغي بيانها للقارئ الكريم وحاصلها:

أولاً: إنّ المنخ الأساس لهذا البحث هو جواب سؤال مفاده: إنّ الحسين عليه السلام كان يعلم بقتله، ومع ذلك نراه - كأنه - يتصرّف على عكس ما يعلم، حيث قاتل قتال الموعود بالنصر، ودبّر إدارة الأحداث تدبير المتطّلع للنصر القريب، وليس الموعود بالقتل، وكانت الأجوبة قد توزّعت على شكل مباحث.

ثانياً: إنّ هذا البحث عبارة عن خمس محاضرات ألقاها سماحة الأستاذ المحقّق آية الله الشّيخ محمد السّند في مجلس درسه المبارك في الصحن الحيدري الشريف في مسجد عمران بن شاهين، ابتداءً من ٢٥ ذي الحجّة لسنة ١٤٣٣ هـ لغاية ٢٩ منه، فبدأ تدوين البحث في محرّم لسنة ١٤٣٤ هـ، وتمّ الانتهاء منه في ربيع الآخر لسنة ١٤٣٥ هـ، وقد شكّلت المحاضرة الأولى منه مدخلاً للبحث.

ثالثاً: إنّ هذا البحث تقارير مباشرة لما أفاده الشّيخ الأستاذ في مجلس

درسه، وكان تبييض هذه التقارير يستدعي إعادة صياغة لمفردات البحث  
تقديماً وتأخيراً ونحوها؛ ضرورة الاختلاف بين الدرس الملقى والبحث  
المكتوب، مُضافاً إلى إحالة النصوص إلى مصادرها.  
وأيضاً نتيجة المراجعة المُستمرّة مع سماحة الأُستاذ المُحقّق (دام ظلّه) تمّ  
إضافة العديد من الأفكار والموضوعات إلى البحث الأساس.  
ولا أنسى أن أتقدّم بالشكر لأُستاذي (دام ظلّه) الذي منحني من وقته  
وجهدّه، وأيضاً أشكر كلّ من ساعدني في إخراج هذا الكتاب.  
هَذَا، وابتهل إلى العليّ القدير أن أكون قد وُفِّقت في تقرير دروس شيخنا  
الأُستاذ بالمستوى اللائق في بيان أفكاره، وإيصالها إلى القارئ الكريم مصونة  
عن كلّ لبس، وأن يعفو عن زلاتي وأخطائي، بحق مُحَمَّد وآل مُحَمَّد.

والحمد لله رب العالمين بدءاً وختاماً.

النجف الأشرف

ربيع الثاني / ١٤٣٥

رافد الزبيدي

## تمهيد

بحث التوحيد في المشهد الحسيني كان منبثقاً ومتولّداً من سؤال عن السبب الذي ولّد النشاط المتزايد للإمام الحسين عليه السلام في معركة الطفّ. وهناك ثلاثة أجوبة عبارة عن فصول ثلاثة تدور حول الإجابة عن السؤال، كلّ جواب في مبحث.

وجميع الأجوبة - الثلاثة - تُشير إلى سبب واحد هو الذي ولّد ذلك النشاط وهو (البداء)، ولكن الأجوبة اختلفت في مستوياتها تبعاً لاختلاف مستويات البداء، فالجواب الأول - الذي في الفصل الأول - يُشير إلى أنّ سبب النشاط المتزايد هو البداء الأعظم؛ لأنّ القتل لسيد الشهداء عليه السلام، وإن كان محتوماً، إلّا أنّ ذلك الحتم هو لما دون من العوالم، كلوح القضاء والقدر، أمّا عالم المشيئة فهو عالم أوسع يمكن من خلاله حدوث البداء المعروف، ولذا أسميناه بالبداء الأعظم.

أمّا الجواب الثاني - الذي في الفصل الثاني - فقد فسّر سبب النشاط الحسيني بالبداء، ولكن ليس البداء الأعظم، بل البداء في تفاصيل الواقعة - الجزئية - وتمّ توضيح الجواب من خلال شواهد من حياة المعصومين عليهم السلام؛ إذ كان فعل رسول الله صلى الله عليه وآله مع أصحابه وأعدائه في أحيان كثيرة بلحاظ سعيه لحصول البداء في مرتبته الجزئية، فقد كان يفعل ذلك مع الكفّار والمنافقين، وكان يربّي أصحابه على ذلك، وهو أدب إلهي وتربية إلهية قبل أن تكون تربية

نبويّة، كما حصل في فعل الله مع إبليس، وهكذا كان فعل أمير المؤمنين عليه السلام في حروبه - في مقارعتة للأبطال - وفي صبره حين غُصبت منه الخلافة.

كذلك تتّضح الإجابة أكثر في نشاط الإمام الصادق عليه السلام؛ فقد رسم لنا ضوابط في المعرفة الثاقبة بالقضاء والقدر، وقد تمّ من خلال ذلك معرفة الأمور التالية: أين تكمن موقعيّة النشاط؟ وأين هي موقعيّة الرضا والصبر؟ وأين ومتى يكون الإلحاح في الدعاء؟ ومتى يكون الرضا والسكون؟

وأيضاً يمكن تفسير النشاط الحسيني من خلال سلوك الإمام الغائب عليه السلام، بل وفي سلوك أنصاره ووزرائه - لكن بشكل معاكس لأنهم موعودون بالنصر وليس بالقتل - وكيف أنّهم خائفون (حاذرون) رغم حتميّة النصر، وأنّ شجاعتهم لا تنافي حذرهم، وأنّ شجاعتهم شجاعة تدبير لا شجاعة على المستوى الفردي، بل إنّ الأمر يصل إلى أهميّة ذلك التدبير في حياة المؤمن حين يأمره المعصوم عليه السلام أن يكون من أحلاس البيوت، فيظهر أنّ معنى الحلس هو كمال اليقظة والحذر مع الثبات في بيت المنهج والعقيدة، وبذلك نترجم فلسفة النشاط الحسيني في مشهد الطفّ من زاوية وجهة أخرى تختلف عن الأولى.

وبعد أن يتمّ توضيح الجواب الثاني تصل النوبة إلى الجواب الثالث، حيث لم يفسّر النشاط الحسيني بالبداء الأعظم، ولم يفسّره بالبداء في تفاصيل الواقعة، بل فسّره بالبداء في النتائج، حيث كان نشاطه - بهذا التفسير - لرسم أفضل النتائج غير المحسومة ولا المحتومة.

وفي هذا الجواب يتمّ استعراض نشاط المعصومين عليهم السلام مع أصحابهم بحثاً عن أفضل النتائج التي لا حسم ولا حتم فيها، ويتمّ استعراض القاعدة

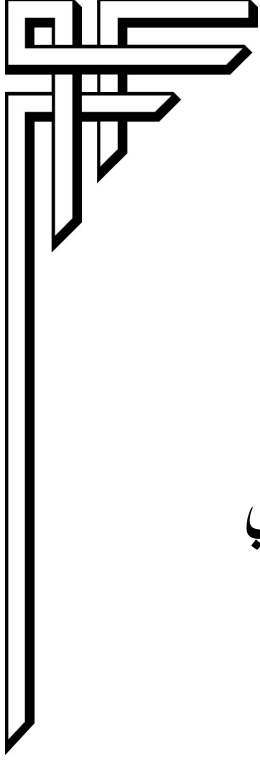


النبويّة العظيمة (تفاءلوا بالخير تجدوه)، وهي قاعدة عظيمة وواضحة في سلوك المعصومين عليهم السلام، بل هي عظيمة النتائج في حياة كلّ الناس لو أحسنوا فهمها وتطبيقها، وكيف أنّها تصنع المعجزات في حياة الأفراد والأُمم.

ثمّ نعرّج بعد ذلك على المضايق التي مرّت في الإسلام، والتي لولا تدبير النبيّ صلى الله عليه وآله والوصي عليه السلام - والأوصياء الاثني عشر عليهم السلام - لما بقي للإسلام اسم ولا رسم، وكيف أنّها حرصا بتدبير استنفاري متواصل رغم وعد الله بالنصر لهما ولدين الإسلام وأنّ الله سيُظهره على الدين كلّه.

كذلك في الجواب الثالث بيان توضيحي للمعلم الجبري اليهودي وللمعلم التفويضي، وكيف أنّ التوحيد في مشهد الطفّ كشف زيف كلا المنهجين، ثمّ كيف حوّل الهزيمة إلى نصر، والغصّة إلى فرصة، وكيف تحقّق له النصر في الابتلاء الإلهي بنجاحه في مراتب الابتلاء الإلهي، ثمّ في آخر البحث تسليط الضوء على الفتح الحسينيّ.

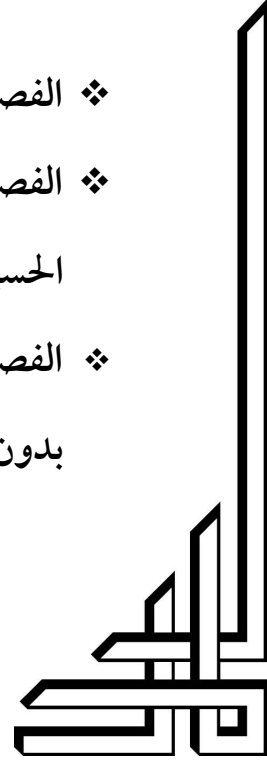




## القسم الأول التوحيد في المشهد الحسيني (مباحث في العقيدة)

وفيه ثلاثة فصول:

- ❖ الفصل الأوّل: البداء الأعظم.
- ❖ الفصل الثاني: حتمية القضاء والقدر في مفهوم النهضة الحسينية.
- ❖ الفصل الثالث: لا حسم سابق ولا حتم في التدايعات بدون إمكانية البداء.





## القضاء والقدر في المشهد الحسيني

### المدخل

انفتحت مباحث هذا الكتاب عن سؤال عن مشهد من مشاهد عاشوراء، والسؤال هو:

إننا نرى المعصوم سواء سيّد الأنبياء ﷺ أو أهل بيته ﷺ يتفاعل مع الحدث، وكأنّه ليس هناك من أمر محتوم، بل يسعى وكأنّ النتيجة غير محسومة وغير محتومة، فيما تُشير الأدلّة إلى أنّ الله أطلعهم على ما كان وما يكون من الأحداث التي تجري عليهم، فنجد أنّ فعلهم كأنّه فعل من لم يعلم أو يرجو غير ما علم.

ولذا يُقال: إنّ الله لا يُطلع الناس على مصائرهم؛ لأنّه يؤدّي بهم إلى الجمود والشلل إمّا بسبب الإياس؛ لأنّهم - بحسب الاطلاع المُشار إليه - سوف ينتهون إلى جهنّم، أو بسبب الفرح والبطر؛ لأنّهم سوف يذهبون إلى الجنّة.

القرآن الكريم يخبرنا عن بعض الأنبياء مثل (نوح عليه السلام، أو يونس عليه السلام، أو غيرهما)، أنّه أصابهم فتور نسبي بسيط في التدبير، وهو ما يُسمّى (ترك الأولى)، وليس هو من المعصية التي يرتكبها الناس؛ وذلك بسبب العلم بما سيكون، فيونس عليه السلام ترك الأولى، حيث كان الأولى أن لا يفعل ذلك رغم أنّه لم يرتكب محرّماً، كان الأولى أن لا يترك قومه بعد أن علّم وأخبر بوقوع

العذاب عليهم، كذلك نوح بَعَدَ أَنْ أَخْبَرَهُ اللَّهُ بِنَجَاتِهِ هُوَ وَأَهْلُهُ أَخَذَ يَطْلُبُ مِنْ اللَّهِ نَجَاةَ ابْنِهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ﴾<sup>(١)</sup>. أي: أَنْ وَعْدَكَ حَقٌّ لَا رَيْبَ فِيهِ، وَأَنْتَ وَعَدْتَنِي بِنَجَاةِ أَهْلِي، وَأَنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي، فَلِمَاذَا لَا يَنْجُو؟ فَآتَاهُ الْجَوَابُ: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾<sup>(٢)</sup> ﴿فَلَا تَسْأَلِنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾<sup>(٣)</sup>.

أَمَّا أَهْلُ الْبَيْتِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَالْأَمْرُ مُخْتَلَفٌ تَمَامًا، فَنَلَا حِظَّ سَلُوكًا مَعْرِفِيًّا سَطْرَهُ سَيِّدُ الشَّهَدَاءِ مِنْ خِلَالِ الطِّفْلِ، تَأْخُذُ مِنْهُ الْأَفْرَادُ وَالْمَجْتَمَعَاتُ وَالِدُولُ مَفْهُومًا تَوْحِيدِيًّا، وَهَكَذَا كُلُّ الْمَعْصُومِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَهَذَا سَيِّدُ الْأَوْصِيَاءِ فِي كُلِّ حَرَكَاتِهِ وَفِي كُلِّ حُرُوبِهِ، وَلَوْ نَظَرْتَهُ فِي مَعْرَكَةِ الْجَمَلِ - مَثَلًا - كَانَ يُقَاتِلُ مِنْ جِهَةِ الْحَيْطَةِ وَالْحِذْرِ قِتَالِ مَنْ لَا يَقِينُ لَهُ بِالنَّصْرِ رَغْمَ يَقِينِهِ بِالنَّصْرِ.

وَالْأَمْرُ أَوْضَحُ بِكَثِيرٍ فِي سِيرَةِ سَيِّدِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ حَيْثُ كَانَ يُجَاهِدُ وَيُكَابِدُ مُنْذُ بَدَأَ الدَّعْوَةَ إِلَى رَحِيلِهِ الْمُبَارَكِ، رَغْمَ الْبَشَارَاتِ الْكَثِيرَةِ الْكَثِيرَةِ بِالنَّصْرِ، كَمَا نَقَرْنَا - فِي زِيَارَتِهِ - : «السَّلَامُ عَلَى الْمَنْصُورِ الْمُؤَيَّدِ...»<sup>(٤)</sup>.

بَلْ هُوَ مَوْعُودٌ بِالْفَتْحِ وَإِظْهَارِ الدِّينِ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾<sup>(٥)</sup>، مَعَ ذَلِكَ نَرَاهُ يُجَاهِدُ وَيُكَابِدُ، وَكَأَنَّهُ لَمْ يُخْبَرَ

(١) هود: آية ٤٥.

(٢) هود: آية ٤٦.

(٣) هود: آية ٤٦.

(٤) المشهدي، محمد بن جعفر، المزار: ص ٢٠٦.

(٥) التوبة: آية ٣٣.

بشيء، فهل هذا تصنعٌ وتمظهر، أم ماذا؟

الجواب: إنَّ النشاط والحركة الدؤوبة التي أبدتها الحسين عليه السلام في معركة الطفّ - والتي أُخبر فيها من قبل جدّه رسول الله صلّى الله عليه وآله بأنّه مقتول في هذه المعركة - يعود إلى أمور عديدة، يمكن أن نجعلها أجوبة تفسيرية لنشاطه اللامتناهي وحيوية تحرّكه عنفوانياً، ومثابرتة عليه السلام المتوقّدة، والسطور القادمة تتكفّل عرض هذه الأجوبة.







الفصل الأول  
البداء الأعظم



## البَدَاءُ الأَعْظَمُ

إنَّ الإيَّانَ بالبَداءِ الأَعْظَمِ في أصلِ الشَّهادَةِ - وأصلِ  
الحدِّثِ والواقِعَةِ والنَّقْطَةِ المَرَكِزِيَّةِ وحُسنِ الظَّنِّ بسَعَةِ  
رَحْمَةِ اللهِ - هُوَ الَّذِي ولَّدَ النِّشَاطَ اللامْتِناهِيَ  
لِلْحَسَنِ عليه السلام في عَرِصَةِ كَرْبِلاءَ، فالإيَّانَ بالبَداءِ  
الأَعْظَمِ مَوْلِدٌ ومُفجِّرٌ لِعَنفوانِ الرِّجاءِ، ودافعٌ إلى  
الأَمَلِ بالخَيْرِ.

وهذه معرفة بالغة وقراءة نيِّرة للتوكُّلِ على اللهِ تعالى  
والرِّجاءِ لرحمته تفوق الإيَّانَ بالقضاءِ والقدرِ.

وَهذا الجوابُ إجماليٌّ، ولا بدَّ مِنْ بسطِ الكلامِ بشكلٍ تفصيليٍّ، ولكن  
قبلَ البسطِ، لا بدَّ مِنْ بيانٍ لمعنى البَداءِ.

البَداءُ في اللُّغَةِ: «بَدَأَ الشَّيْءُ بَدَؤاً وبَداءً أَي: ظَهَرَ ظَهوراً بَيِّناً، قالَ تعالى: ﴿وَبَدَأَ لَهُمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾»<sup>(١)</sup> «<sup>(٢)</sup>».

والبَداءُ في الاصطلاحِ له عِدَّةٌ معانٍ، منها: هُوَ ظَهورُ الشَّيْءِ مِنْ اللَّهِ  
تعالى لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ خَلْقِهِ بَعْدَ إِخْفائِهِ عَنْهُمْ - أَي: أُبَدِيَ اللهُ تعالى شَأْنَ أَوْ حَكَمَ

(١) الزمر: آية ٤٧.

(٢) الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد، المفردات في غريب القرآن: ص ٤٠، مادَّة  
(بَدَأ).

تبعاً لمصلحة العبد- ومنها: البدء معنى يساوق النسخ، فالبدء نسخ تكويني.  
ومنها: البدء بحسب ما نرى هُوَ السعة الوجودية، قال الله تعالى: ﴿وَكَانَ  
اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا﴾<sup>(١)</sup>، وَهُوَ عبارة عَنْ سعة قدرته وعلمه ورحمته وأفضاله.  
فعن أمير المؤمنين عليه السلام أَنَّهُ قَالَ: «لَوْ لَا آيَةٌ فِي كِتَابِ اللَّهِ لِأَخْبَرَ تَكْمِ بِهَا كَانَ  
وَبِمَا يَكُونُ وَمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَهِيَ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ  
وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾<sup>(٢)</sup>»<sup>(٣)</sup>.

وهناك آيات كثيرة تُشير إلى أنواع ومراتب البدء؛ لأنَّ بعضها يتحدث  
عَنْ بدء الخلق، قال تعالى: ﴿أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ  
شَيْئًا﴾<sup>(٤)</sup>، وكذلك قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾<sup>(٥)</sup>، ويقول:  
﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾<sup>(٦)</sup>، ويقول عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِن  
طِينٍ﴾<sup>(٧)</sup>. وَهُوَ نوع بَداء؛ لأنَّ مُطلق المخلوق أو الإنسان أو السماوات  
والأرض لم تُكْ تَمَّ كانت، وأما قوله تعالى: ﴿يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ﴾<sup>(٨)</sup>. فهنا  
البدء في الزيادة فإنَّ هناك خلق والله يبدو له في زيادته.

(١) النساء: آية ١٣٠.

(٢) الرعد: آية ٣٩.

(٣) الطبرسي، أحمد بن علي، الاحتجاج: ج ١، ص ٣٨٤. المجلسي، محمد باقر، بحار  
الأنوار: ج ٤، ص ٩٧.

(٤) مريم: آية ٦٧.

(٥) الروم: آية ٢٧.

(٦) البقرة: آية ١١٧.

(٧) السجدة: آية ٧.

(٨) فاطر: آية ١.

وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَخْرُونَ مُرْجُونَ لِأَمْرِ اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ﴾<sup>(١)</sup>، فَإِنَّ الْإِرْجَاءَ نَوْعٌ مِنَ الْبَدَاءِ وَمُرْتَبَةٌ مِنْهُ مُخْتَلِفَةٌ عَنِ الْمَرَاتِبِ الْأُخْرَى، فَهِيَ لَيْسَ فِي بَدءِ الْخَلْقِ وَلَا فِي الزِّيَادَةِ فِي الْخَلْقِ، بَلْ هِيَ فِي الْإِرْجَاءِ لِأَمْرِ اللَّهِ، فَإِمَّا أَنْ يُعَذِّبَهُمْ أَوْ يَعْفُو عَنْهُمْ، وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يَنْقُصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ﴾<sup>(٢)</sup>. فَهُوَ لِأَجْلِ بَيَانِ أَنَّ زِيَادَةَ عُمُرٍ أَوْ نَقْصَانَهُ لَا يَكُونُ إِلَّا بِكِتَابٍ وَإِنَّ أَمْرَ الْكِتَابِ بِيَدِهِ تَعَالَى إِنْ شَاءَ زَادَ فِي الْكِتَابِ عُمُرَهُ فَيَزِيدُ فِي الْوَاقِعِ الْخَارِجِيِّ، أَوْ نَقَصَ فِي الْكِتَابِ فَيَنْقُصُ<sup>(٣)</sup>.

وَقَدْ أُشِيرَ إِلَى بَيَانِ ارْتِبَاطِ هَذِهِ الْآيَاتِ بِالْبَدَاءِ فِي حَدِيثِ سَلِيمَانَ الْمُرُوزِيِّ مَعَ الْإِمَامِ الرَّضَاءِ عليه السلام: «قَالَ سَلِيمَانُ: لِأَنَّهُ قَدْ فَرَّغَ مِنَ الْأَمْرِ، فَلَيْسَ يَزِيدُ فِيهِ شَيْئًا. قَالَ الرَّضَاءُ عليه السلام: هَذَا قَوْلُ الْيَهُودِ، فَكَيْفَ قَالَ تَعَالَى: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾<sup>(٤)</sup>. قَالَ سَلِيمَانُ: إِنَّمَا عَنَى بِذَلِكَ أَنَّهُ قَادِرٌ عَلَيْهِ. قَالَ عليه السلام: أَفَيَعِدُ مَا لَا يَفِي بِهِ؟ فَكَيْفَ قَالَ عليه السلام: ﴿يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ﴾، وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾، وَقَدْ فَرَّغَ مِنَ الْأَمْرِ؟ فَلَمْ يَجِدْ جَوَابًا<sup>(٥)</sup>. وَلَعَلَّهُ يَكُونُ هُنَاكَ اسْتِغْرَابٌ مِنَ التَّعْرِيفِ الَّذِي قَدَّمْنَاهُ؛ فَإِنَّ الْآيَةَ الَّتِي

(١) التوبة: آية ١٠٦.

(٢) فاطر: آية ١١.

(٣) وهذه الآيات في معنى البداء مقتبسة من مناظرة الإمام مع سليمان (متكلم خراسان)؛ حيث سأله عن آيات البداء فأورد هذه الآيات السبع مبيناً من خلالها أن البداء أنواع ومراتب.

(٤) غافر: آية ٦٠.

(٥) الصدوق، محمد بن علي، عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج ١، ص ١٦٧. المجلسي، محمد

باقر، بحار الأنوار: ج ١٠، ص ٣٣٦.

تُذكر في تعريف البداء - بحسب نصّ الروايات<sup>(١)</sup> - هي: ﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾<sup>(٢)</sup>.

فإن معنى السعة لم يتضح من بيان الآية، فهل تعريفنا مخالف لبيان الآية ومفاد الروايات، أم ماذا؟

فنقول: ليس هناك مخالفة، كما أن كلّ رواية ليست في معرض بيان التعريف الكامل للبداء، بل لتوضيح زاوية وجهة من جهات البداء الذي حُصّ في روايات أخرى بأعظم وصف، ففي صحيح زرارة عن أحدهما عليه السلام: «ما عبّد الله بشيء مثل البداء»<sup>(٣)</sup>. وفي صحيح هشام بن سالم، عن أبي عبد الله عليه السلام: «ما عظم الله بمثل البداء»<sup>(٤)</sup>.

ويظهر مما تقدّم أنّ للبداء - بحسب الآيات والروايات - جهات وزوايا عديدة يمكن أن يُعرف بها، وهي تُشير للسعة الوجودية، قال تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾<sup>(٥)</sup>.

فالوجود الواسع يُهَيِّم على الوجود الضيق، والوجود الأوسع يُهَيِّم على الواسع وهكذا، كلّ واقعية تُغرِق ما هو دونها من الواقعيات فيها، فإذا كان حكم من الأحكام التكوينية تولّد تبعاً لموضوعه فإذا جاء الموضوع الأعلى

---

(١) أنظر: الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ١، ص ١٤٦. القمي، علي بن بابويه، فقه الرضا عليه السلام: ص ٤٥.

(٢) الرعد: آية ٣٩.

(٣) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ١، ص ١٤٦. الصدوق، محمد بن علي، التوحيد: ص ٣٣٢.

(٤) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ١، ص ١٤٦.

(٥) الذاريات: آية ٤٧.

هيمن على الأدنى، وكان حكمه هو النافذ وزال الحكم الأول.  
 إذا؛ الإيمان بالبداء الأعظم واحتمال التغيير هو الذي ولد النشاط  
 اللامتناهي للإمام الحسين عليه السلام؛ حيث إنه يتوقع حدوث البداء في كل لحظة وفي  
 كل آن، فكل شيء واقع تحت سلطة وهيمنة الباري القدير الواسع  
 اللامتناهي، يمكن أن يتغير كل شيء في (كُنْ فَيَكُونُ)، كما في الرواية عن  
 الإمام الصادق عليه السلام قال: «ما بدأ الله ببداء كما بدأه في إسماعيل أبي؛ إذ أمر أباه  
 بذبحه، ثم فداه بذبح عظيم»<sup>(١)</sup>.

فليس هناك قانون حتمي فوق سلطان الله وهيمنته، ولو كان هو عالم  
 القضاء والقدر، وليس هناك قدرة حتمية تفوق قدرة الله، ولا حاكم على الله،  
 بل هو أحكم الحاكمين، قال تعالى: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ﴾<sup>(٢)</sup>.

### نتائج مهمة في الجبر والاختيار

يترتب على هذا الجواب بالصياغة المذكورة عدّة نتائج مهمة:

١. إعلان رفض كامل للمعلم الجبري - وهو معلم يهودي - حيث  
 رفضه القرآن بعد أن بينه بقوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ  
 وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾<sup>(٣)</sup>.
٢. إن القلم لم يجفّ ولن يجفّ، وأن القدرة واسعة وليست ضيقة.
٣. إن الله تعالى غير مسلوب القدرة، والاعتقاد بالبداء هو اعتقاد

(١) الصدوق، محمد بن علي، التوحيد: ص ٣٣٦. المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار:

ج ٤، ص ١٠٩.

(٢) التين: آية ٨.

(٣) المائدة: آية ٦٤.

بالقدرة اللامتناهية.

٤. إنَّ نشاط الحسين عليه السلام عبارة عن رجاء، وتعطيل شيء من النشاط يعني تعطيلاً لعنوان الرجاء؛ فلا بُدَّ أن يبقى مع بقاء عنوان الخوف بموازاته كموازنة بين الخوف والرجاء، كما نصت الروايات.

٥. النشاط الحسيني يُشير إلى العبادة الحقيقية العمليّة، فيكون السكون والبرود شركاً بالله، نَعَمْ هُوَ شَرِكٌ خَفِيٌّ وَلَيْسَ بَجَلِيٍّ.

٦. الحسين عليه السلام لم يتجاوز قانون الأسباب والمسببات من خلال نشاطه وحركته الدؤوبة في الطّف، بل كان يَرجو بمكابدة التدبير والتوكّل سبباً فوق الأسباب، وسبباً مُسبباً من قبل مُسبب الأسباب.

٧. الحسين عليه السلام ينطق بفعله وسيرته ويرسم بتفاعله لنا مبدأ الأمر بين الأمرين، ويُريد بيان أن المؤمن بين دعامتي الخوف والرجاء والرغبة والرهبّة بين الأمان واللا أمان، بين الحتم واللا حتم، لا أمان ولا لا أمان، بل أمر بين أمرين.

٨. منهاج كربلاء يرفض المسلك الجبري الذي يُحدّد ويُقيّد قدرة الله، ومن المُلغى للنظر أن القائل: إنَّ كُلَّ الأُمور والممارسات تَحْتَ سلطان وهيمنة الله. قد وقع في الجبر من حيث لا يشعر، عندما تصوّر عدم التغيير وعدم البداء.

٩. منهاج كربلاء يرفض التوجّه الجبري في كلمات قالها ابن عربي في فصوصه - وإن كنا لا نريدُ تقييم الأشخاص بقدر تقييم المناهج - لأنّه في كثير من تصويراته للقضاء والقدر الإلهي يُريد أن يَصوّر لنا أن محاولة نسبة أيّ شيء لغير الله هُوَ شَرِكٌ وَفَرَارٌ مِنْهُ، مِنَ الشَّرِكِ - حسب تصوّره - وذهاباً للتوحيد



الخالص وقع في محذور الجبر من حيث لا يشعر، وهو منطوق (يد الله مغلولة)، وهو أعظم محاذير الجبر، وليس كما يُظن أن أعظم محاذيره إلقاء العبد.

١٠. منهاجه عليه السلام القول باختيارية العبد التي هي في طول قدرة واختيارية الله، وتحت هيمنة الله، فيكون القول باختيارية المخلوق ضمن القدرة الإلهية أعظم توحيداً من نفي ذلك.

١١. إن مسألة الأمر بين الأمرين ليست مُختصة بأفعال المخلوقين، بل هي قاعدة ونظام وجودي في كل علاقة بين الخالق والمخلوق، وفي كل وجوده وشؤوناته المتصلة بخالقه هي أمر بين أمرين، وهذا هو دين التوحيد الخالص الذي رسمه لنا أهل البيت عليهم السلام.

### جدلية العلاقة بين الإبرام والبداء

عن النبي صلى الله عليه وآله في وصاياه لعلي عليه السلام: «الصدقة ترد القضاء الذي قد أبرم إبراماً»<sup>(١)</sup>، والبرم كما يقول الراغب الأصفهاني: «الإبرام إحكام الأمر، قال تعالى: ﴿أَمْ أَرْمُوا أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ﴾»<sup>(٢)</sup>، وأصله من إبرام الحبل وهو ترديد فتله، قال الشاعر: على كل حال من سحيل ومبرم. والبريم المبرم، أي: المفتول فتلاً مُحكماً»<sup>(٣)</sup>.

وعن حماد بن عثمان، قال: سمعته يقول: «إن الدعاء يرد القضاء

(١) الصدوق، محمد بن علي، من لا يحضره الفقيه: ج ٤، ص ٣٦٨. الحلي، ابن إدريس، مستطرفات السرائر: ص ٦٢٠.

(٢) الزخرف: آية ٧٩.

(٣) الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد، المفردات في غريب القرآن: ص ٤٤ مادة (برم).

وينقضه كما ينقض السلك وقد أبرم إبراماً<sup>(١)</sup>.

كذلك عن عبد الله بن سنان، قال: سمعت الإمام أبا عبد الله عليه السلام، يقول: «الدعاء يردّ القضاء بعد ما أبرم إبراماً، فأكثر من الدعاء؛ فإنه مفتاح كل رحمة، ونجاح كل حاجة، ولا يُنال ما عند الله إلا بالدعاء، وإنه ليس باب يكثر قرعه إلا يوشك أن يُفتح لصاحبه»<sup>(٢)</sup>.

وأيضاً عن الإمام أبي عبد الله عليه السلام، قال: «إن الدعاء يردّ القضاء، وإنّ المؤمن ليأتي الذنب فيُحرم به الرزق»<sup>(٣)</sup>.

وورد في الدعاء بعد زيارة الإمام الرضا عليه السلام: «أسألك بالقُدرة النافذة في جميع الأشياء وقضائك المبرم الذي تحجبه بأيسر الدعاء»<sup>(٤)</sup>.

فإذا؛ الإبرام هو الأحكام، وإبرام القضاء يعني إحكامه من الله إحكاماً، فهل يتصور زواله وتبدله والبداء فيه؟! هذه الروايات تقول: نعم، حتى القضاء المبرم إبراماً، وليس فقط المبرم يمكن البداء فيه.

هكذا كان يعيش أهل البيت عليه السلام في علاقاتهم مع الله، ليس في الأوقات العصيبة فقط، بل في كل أوقاتهم يعيشون حالة الأمر بين الأمرين، وحالة التوازن بين الخوف والرجاء.

ومن الأمثلة التي تُذكر في هذا المجال قصة قوم يونس عليه السلام، قال تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمٌ يُونُسُ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ غَدَابَ

(١) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ٢، ص ٤٦٩.

(٢) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ٢، ص ٤٧٠.

(٣) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٧٠، ص ٣٤٩.

(٤) المصدر نفسه: ج ٩٩، ص ٥٥.

الْحَزِي فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١﴾ .

فألاية تُبَيِّنُ أَنَّ أَقْوَامَ الْأَنْبِيَاءِ الْعُصَاةِ مِنْ كُلِّ الْقُرَى بَعْدَ عَصِيَانِهِمْ  
لَأَنْبِيَائِهِمْ - وعدم استجابتهم لدعوة الأنبياء - قد تدركهم لحظات الإيمان،  
ولكن القرآن يقول إِنَّ إِيْمَانَهُمْ لَا يَنْفَعُ، لماذا؟ لَأَنَّهُ بَعْدَ فَوَاتِ الْأَوَانِ (بَعْدَ أَنْ  
عَايَنُوا نَزْلَ الْعَذَابِ)، مَعَ يَأْسِهِمْ وَعَصِيَانِهِمْ، إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا آمَنُوا  
كشَفَ اللهُ عَنْهُمْ عَذَابَ الْحَزِي فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا.

### قوم يونس

في تفسير (علي بن إبراهيم): أَبِي، عَنْ ابْنِ أَبِي عُمَيْرٍ، عَنْ جَمِيلٍ، قَالَ: قَالَ  
لِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «مَا رَدَّ اللهُ الْعَذَابَ إِلَّا عَنْ قَوْمِ يُونُسَ، وَكَانَ يُونُسَ  
يَدْعُوهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ فَيَأْبُونَ ذَلِكَ، فَهَمَّ أَنْ يَدْعُو عَلَيْهِمْ وَكَانَ فِيهِمْ رَجُلَانِ  
عَابِدٍ وَعَالِمٍ، وَكَانَ اسْمُ أَحَدِهِمَا مَلِيخَا وَالْآخَرُ رُوَيْبِلٌ، فَكَانَ الْعَابِدُ يُشِيرُ عَلَى  
يُونُسَ بِالِدَعَاءِ، وَكَانَ الْعَالِمُ يَنْهَاهُ، وَيَقُولُ: لَا تَدْعُ عَلَيْهِمْ؛ فَإِنَّ اللَّهَ يَسْتَجِيبُ  
لَكَ وَلَا يَحِبُّ هَلَاكَ عِبَادِهِ. فَقَبِلَ قَوْلَ الْعَابِدِ وَلَمْ يَقْبَلِ قَوْلَ الْعَالِمِ، فَدَعَا عَلَيْهِمْ،  
فَأَوْحَى اللهُ إِلَيْهِ: يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فِي سَنَةِ كَذَا وَكَذَا. فَلَمَّا قَرِبَ الْوَقْتُ خَرَجَ  
يُونُسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَعَ الْعَابِدِ وَبَقِيَ الْعَالِمُ فِيهَا، فَلَمَّا كَانَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ نَزَلَ الْعَذَابُ،  
فَقَالَ الْعَالِمُ لَهُمْ: يَا قَوْمَ، افْزِعُوا إِلَى اللهِ، فَلَعَلَّهُ يَرْحَمُكُمْ فَيَرُدُّ الْعَذَابَ عَنْكُمْ.  
فَقَالُوا: كَيْفَ نَفْعَلُ؟ قَالَ: اخْرُجُوا إِلَى الْمَفَازَةِ، وَفَرِّقُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَالْأَوْلَادِ،  
وَبَيْنَ الْإِبِلِ وَأَوْلَادِهَا، وَبَيْنَ الْبَقَرِ وَأَوْلَادِهَا، وَبَيْنَ الْغَنَمِ وَأَوْلَادِهَا، ثُمَّ أَبْكُوا  
وَادْعُوا. فَذَهَبُوا وَفَعَلُوا ذَلِكَ وَضَجُّوا وَبَكَوْا، فَرَحِمَهُمُ اللهُ وَصَرَفَ ذَلِكَ عَنْهُمْ

(١) يونس: آية ٩٨.

وفرق العذاب على الجبال»<sup>(١)</sup>.

وقطعا الرواية حين تقول: العابد يُشير على يونس بالدعاء عليهم. لا يعني أن النبي ﷺ كانت له مشورة فيما يخص أمر الوحي، بل النبي يتصرف بحسب وحي السماء، وبحسب ما أُعطي من صلاحيات - لو صحَّ التعبير - وأما دُعاؤه على قومه، فهذا أمر طبيعي جداً، كما دعا كثير من الأنبياء على أقوامهم بالهلاك عندما استحقوا المجازاة بالعناد واللجاج، نعم هو ﷺ ترك الأولى الذي هو الصبر أكثر، ولذلك يوصي القرآن نبينا ﷺ: ﴿وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾<sup>(٢)</sup>.

وهنا رواية تُبين أن البداء بالرحمة الإلهية شمل قوم النبي ﷺ كما شمل قوم يونس ﷺ، عن محمد بن مسلم، عن أبي جعفر ﷺ - في قوله: ﴿مَا نَسَخَ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّمَّهَا أَوْ مِثْلَهَا﴾ - : «قال: الناسخ: ما حوّل. وما ينسها: مثل الغيب الذي لم يكن بعد، كقوله: ﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُنْبِئُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾. قال: فيفعل الله ما يشاء ويحوّل ما يشاء، مثل قوم يونس؛ إذ بداه فرحمهم، ومثل قوله: ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٌ﴾، قال: أدركتهم رحمته»<sup>(٣)</sup>.

إذا؛ العذاب رُفع عن قوم يونس وقد أبرم إبراماً، حيث أظلمهم قريباً منهم؛ لأنهم تضرّعوا ودعوا ربهم دعاء المضطرّ، والله يجيب المضطر إذا دعاء ويكشف السوء، فهم كانوا في موقف المتفائل برحمة الله غير اليائس، وهو إيمان

(١) القمي، علي بن إبراهيم، تفسير القمي: ج ١، ص ٣١٧.


(٢) القلم: آية ٤٨.

(٣) العياشي، محمد بن مسعود، تفسير العياشي: ج ١، ص ٥٥. المجلسي، محمد باقر، بحار

الأنوار: ج ٤، ص ١١٦.

عظيم بعظمة تدابير الله، وبالتالي هو إيمان بعظمة الله؛ لأنَّ التعظيم خُلق عظيم  
ينحدر عن عقيدة صحيحة، وعظمة ذلك أمَّهم عندما نظروا مُقدِّمات  
العذاب، وقد تحقَّقت أجزاء منها وإنَّ المُخبر بالعذاب صادق؛ لأنَّه نبي من  
الأنبياء مع ذلك ظنوا أنَّ الله أعظم من ذلك ومن الأسباب الطبيعية.





الفصل الثاني  
حتمية القضاء والقدر  
في مفهوم النهضة الحسينية





## حتمية القضاء والقدر في مفهوم النهضة الحسينية

إنَّ الحسم والحتم في أصل الواقعة والحدث - والتقدير الكُلِّي والعنوان الكُلِّي - لما يحدث لا يعني الحسم والحتم في العنوان الجزئي، أي: في التفاصيل الجزئية لملايسات الحدث والواقعة؛ فيمكن الحركة والحراك والنشاط في صياغة وقوع التفاصيل للحدث، بنحو تقلل من نتائج الخسارة، وتصاعد أرقام الفتح والكيفيات الإيجابية في الظروف المحيطة بالواقعة، وبذلك يتصاعد عنفوان النشاط والحراك والرجاء، ويرقى تفاؤل الخير بتصاعد الأمل، وهذه معرفة عميقة وقراءة ثاقبة لمعنى التوكُّل على الله تعالى والرجاء لرحمته تفوق الإيمان بالقضاء والقدر.

وهذا الجواب (الثاني) يحتاج إلى بيان، وهو:

إنَّه لا بدَّ أن نعرف معنى الحتمية والحتم، فالحتمية تعني فيما تعنيه: أنَّ الإنسان ليس له إرادة في رسم مصيره، إنَّما أمره محتوم ومكتوب مُنذُ الأزل، وقد جرى القلم بما كان وما يكون، فلا تغير ولا تبدل، فقد جفَّ القلم.

ولهذا الاتجاه مدارس كثيرة، وحقيقة هذا الاتجاه قديماً وحديثاً ترجع إلى المسلك الجبري، ولعلَّ بعض الاتجاهات الصوفية وقعت من حيث تشعر أو لا تشعر في عقيدتها بالإرادة الإلهية في مسلك الحتمية الجبري، وهم يتصورون

أنه من المراتب العالية للتوحيد.

مقابل هذا المسلك الجبري مسلك آخر على الضد تماماً، وهو مسلك الإرادة المطلقة للإنسان، وأن الإنسان بيده كل شيء، وأن إرادة الإنسان كفيلة بتغيير وجه الأحداث وتغيير مجرى التاريخ، وليس من إرادة فوق إرادة الإنسان، وهذا المسلك هو المنتشر اليوم عند ما يُعرف بالحدائثة، فأهل الحدائثة والعلمانيون يرون الأصالة للإنسان ولا يرون فوق الإنسان أو الواقع المنظور شيئاً آخر، وهذه هي النظرة التفويضية التي ترى أن كل شيء تحت إرادة الإنسان ومفوض له كل شيء.

### حتمية البداء

بين الحتمية الجبرية من جهة، والتفويضية من جهة أخرى، هناك حقيقة أخرى، ونظرة ثالثة، وهي حتمية البداء وبدائية الحتم - وهنالك نكتة لطيفة ينبغي الالتفات إليها - فحتمية البداء لا ترى حتماً وحسماً في شيء إلا للبداء؛ فيكون كل شيء خاضعاً لحتمية البداء فلا حتمية إلا له، أو قل - بعبارة أخرى -: إن الحتميات تنصهر في الحتمية الكبرى (حتمية البداء)، الحتم الأصغر يذوب في الحتم الأكبر للبداء، (لا جبر ولا تفويض ولكن أمر بين أمرين).

وهذا الجواب - الثاني - يختلف عن الجواب الأول؛ وذلك لأن الجواب الأول يرى البداء في الأمر الكلي، وهذا الجواب ناظر للبداء في الأمر الجزئي، فمفاده: أنه مع التنزل عن الجواب الأول واعتبار الحتم في القضية الحسينية بعنوانها الكلي، فلا يوجب ولا يستدعي ذلك الحسم والحتم في الأمر الجزئي. وعبارة أخرى: إذا كان هناك حتم في الأمر إجمالاً فليس هناك حتم في الأمر تفصيلاً وتعييناً لمصاديقه.

### البداء وليلة القدر

مِنَ المَعْلُومِ لَدَى جَمِيعِ المُسْلِمِينَ - وَكَمَا صَرَّحَ القُرْآنُ الكَرِيمُ بِذَلِكَ أَكْثَرَ مِنْ مَرَّةٍ - أَنَّ لَيْلَةَ القَدْرِ لَيْلَةٌ يُكْتَبُ فِيهَا لِلإِنْسَانِ مَا يَجْرِي عَلَيْهِ فِي سَنَتِهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾<sup>(١)</sup>.

مِنْ جِهَةٍ أُخْرَى، وَرَدَّ أَنَّ هُنَاكَ بَعْضَ القَضَايَا المُهِمَّةِ المُفْصَلِيَّةِ تُكْتَبُ عَلَى الإِنْسَانِ فِي لَيْلَةِ الخَامِسِ عَشَرَ مِنْ شَعْبَانَ - لَيْلَةِ وِلَادَةِ الإِمَامِ الثَّانِي عَشَرَ عَلَيْهِ السَّلَام - كَمَا أَنَّ هُنَاكَ رَوَايَاتٌ تُشِيرُ إِلَى أَنَّ بَعْضَ الأُمُورِ تُكْتَبُ فِي لَيَالِي الجُمُعَاتِ، بَلْ وَفِي كُلِّ لَيْلَةٍ، فَهَلْ هُنَاكَ تَنَافٍ أَوْ تَدَافِعٍ بَيْنَ هَذِهِ الأُمُورِ الأَرْبَعَةِ؟

وَفِي مَقَامِ الجَوَابِ نَقُولُ: لَيْسَ هُنَاكَ مِنْ تَدَافِعٍ أَوْ تَنَافٍ، بَلْ إِنَّ هُنَاكَ تَنَاسُبًا بَيْنَ هَذِهِ المَوَارِدِ؛ فَإِنَّ الأَمْرَ يَنْزِلُ فِي لَيْلَةِ القَدْرِ كَلِيًّا - جَمَلِيًّا - ثُمَّ يَفْصَلُ فِي لَيَالِي الجُمُعَاتِ أَوْ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ، وَهَذَا شَبِيهٌ بِمَا تَقَدَّمَ مِنْ أَنَّ الأَمْرَ إِذَا كَانَ حَتْمِيًّا مِنْ حَيْثُ الكُلِّيِّ فَلَيسَ مِنْ اللَازِمِ حَتْمِيَّتُهُ مِنْ حَيْثُ الجُزْئِيِّ، فَلَوْ طَبَّقْنَا ذَلِكَ عَلَى قَضِيَةِ الإِمَامِ الحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَام وَافْتَرَضْنَا أَنَّ قَتْلَهُ كَانَ مُحْكَمًا أَوْ حَتْمِيًّا لَا يَتَغَيَّرُ وَلَا بَدَاءَ فِيهِ، فَهَذَا لَا يَعْنِي أَنَّ القَتْلَ فِي عَرِصَةِ كَرْبَلَاءِ مَكَانٍ مَحْتَمٍ، وَلَا يَعْنِي أَنَّ العَاشِرَ مِنْ مُحَرَّمٍ - أَيْضًا - زَمَنٌ مَحْتَمٍ لِلقَتْلِ، فَيُمْكِنُ فِيهِ البَدَاءُ أَيْضًا. وَلَوْ تَنَزَّلْنَا وَقَلْنَا: إِنَّ قَتْلَهُ فِي الزَّمَانِ وَالمَكَانِ المُعَيَّنِ أَيْضًا مِنْ المَحْتَمِ الَّذِي لَا بَدَاءَ فِيهِ، فَإِنَّهُ فِي أَيِّ سَاعَةٍ مِنْ سَاعَاتِ النَّهَارِ غَيْرِ مَحْتَمٍ، وَكَيْفِيَّةِ القَتْلِ غَيْرِ مَحْتَمَةٍ بِنَحْوِ لَا بَدَاءَ فِيهَا. مَا هُوَ العَدَدُ الَّذِي يَبْقَى مَعَهُ؟ كَمْ يُقْتَلُ مِنْهُمْ؟ مَا هِيَ أَسْمَاؤُهُمْ؟ مَا هُوَ عَدَدُ السَّبَايَا؟ مَا هُوَ دَوْرُهُمْ؟ كُلُّ ذَلِكَ غَيْرِ مَحْتَمٍ.

(١) الدخان: آية ٤.

كذلك الله (عَزَّ وَجَلَّ) أحكم في ليلة القدر، ثم فصل في الليالي الأخرى، فيكون الأحكام الكلي عين التفصيل الجزئي، رغم إمكان البداء في الجزئي، فلا تدافع. والقرآن الكريم يصف نفسه بقوله: ﴿كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾<sup>(١)</sup>.

وهذا ما يتضح بجلاء من خلال مناظرة للإمام الرضا عليه السلام مع سليمان المروزي (متكلم خراسان)، وهي مناظرة طويلة جداً أوردنا منها موضع الفائدة المتصلة بالمقام:

«ثم التفت إلى سليمان، فقال: أحسبك ضاهيت اليهود في هذا الباب. قال: أعوذ بالله من ذلك، وما قالت اليهود؟ قال: قالت اليهود: ﴿يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾. يعنون: أن الله تعالى قد فرغ من الأمر فليس يحدث شيئاً، فقال الله عز وجل: ﴿عُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا﴾، ولقد سمعت قوماً سألوا أبي موسى بن جعفر عليه السلام عن البداء، فقال: وما ينكر الناس من البداء وأن يقف الله قوماً يرجيهم لأمره»<sup>(٢)</sup>. وكذلك في مقطع آخر: «قال: سليمان: ألا تخبرني عن ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾، في أي شيء أنزلت؟ قال الرضا عليه السلام: يا سليمان، ليلة القدر يُقدَّر الله (عَزَّ وَجَلَّ) فيها ما يكون من السنة إلى السنة، من حياة أو موت، أو خير أو شر أو رزق، فما قدره في تلك السنة فهو من المحتوم»<sup>(٣)</sup>.

(١) هود: آية ١.

(٢) الصدوق، محمد بن علي، التوحيد: ص ٤٤٤. الصدوق، محمد بن علي، عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج ١، ص ١٦١.

(٣) الصدوق، محمد بن علي، عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج ١، ص ١٦١. المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ١٠، ص ٣٣٠-٣٣١.

وَمِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّ الْحَتْمَ هُنَا لَيْسَ الْحَتْمُ الْمَطْلُوقُ، وَإِلَّا كَانَ كَقَوْلِ الْيَهُودِ، فَإِنَّ اللَّهَ فِيهَا - أَي: فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ - الْبَدَاءُ مِنْ قَبْلِ مَا هُوَ فَوْقَهَا، كَمَا فِي الرَّوَايَةِ الْآتِيَةِ.

عَنْ حَمْرَانَ قَالَ: «سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام عَنْ: ﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾. فَقَالَ: يَا حَمْرَانُ، إِنَّهُ إِذَا كَانَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ وَنَزَلَتِ الْمَلَائِكَةُ الْكِتَابَةَ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَيَكْتُبُونَ مَا يُقْضَى فِي تِلْكَ السَّنَةِ مِنْ أَمْرٍ، فَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يُقَدِّمَ شَيْئًا أَوْ يُؤَخِّرَهُ أَوْ يَنْقُصَ مِنْهُ أَوْ يَزِيدَ أَمْرَ الْمَلِكِ فَمَحَا مَا يَشَاءُ، ثُمَّ أَثَبَّتَ الَّذِي أَرَادَ. قَالَ: فَقُلْتُ لَهُ: عِنْدَ ذَلِكَ فَكُلُّ شَيْءٍ فَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ فِي كِتَابٍ؟ قَالَ: نَعَمْ. فَقُلْتُ: فَيَكُونُ كَذَا وَكَذَا، ثُمَّ كَذَا وَكَذَا حَتَّى يَنْتَهِيَ إِلَى آخِرِهِ؟ قَالَ عليه السلام: نَعَمْ. قُلْتُ: فَأَيُّ شَيْءٍ يَكُونُ بِيَدِهِ - بَعْدَهُ -؟ قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ، ثُمَّ يَحْدُثُ اللَّهُ أَيْضًا مَا شَاءَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى»<sup>(١)</sup>.

وهذه الرواية تفسر الرواية السابقة التي قالت: إِنَّ مَا قُدِّرَ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ، هُوَ مِنَ الْمَحْتَمِ.

فإِذَا؛ الْحُكْمُ الْكُلِّيُّ (الْفُوقَانِي) يُنَزَّلُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ، وَفِي دَاخِلِ هَذَا الْحُكْمِ أَوْ الْأَمْرِ الْمَحْكَمِ كَلِمَاتٌ أَقَلُّ إِحْكَامًا تَنْزِلُ كُلُّ لَيْلَةٍ جُمُعَةً - مِثْلًا - ثُمَّ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ تَفَاصِيلٌ أَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ، فَالْجَزْئِيُّ اللَّيْلِيِّ - لَوْ صَحَّ التَّعْبِيرُ - يَنْضَوِي تَحْتَ الْكُلِّيِّ الْأَسْبُوعِيِّ، وَالْكُلِّيُّ الْأَسْبُوعِيُّ يَنْضَوِي - يَطْوِي - فِي الْمَحْكَمِ الْأَكْبَرِ الَّذِي هُوَ لَيْلَةُ الْقَدْرِ؛ لِأَنَّ الْكُلِّيَّ الَّذِي يُكْتَبُ عَلَى الْإِنْسَانِ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ جُمُعَةً، هُوَ كَلِيٌّ مِنْ جِهَةٍ مَا هُوَ تَحْتَهُ - أَي: مَا يُكْتَبُ فِي اللَّيَالِي الْأُخْرَى - وَلَكِنَّهُ جَزْئِيٌّ وَلَيْسَ كَلِيًّا، وَمُفْصَلًا وَلَيْسَ مُحْكَمًا، مِنْ حَيْثُ الْكُلِّيُّ الْفُوقَانِي الْأَكْبَرُ الَّذِي هُوَ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ.

(١) العياشي، محمد بن مسعود، تفسير العياشي: ج ٢، ص ٢١٦. المجلسي، محمد باقر،

### صور البداء في القضية الحسينية

يمكن تصوّر اجتماع الحتم الكليّ مع البداء الجزئيّ في القضية الحسينية بعدة تصورات:

**التصوّر الأوّل:** أن يكون اجتماع الحتم والحسم بالقتل لسيد الشهداء عليه السلام، مع عدم الحتم والحسم في المكان (مكان القتل)، هل هو في المسجد الحرام، أو في المدينة، أو في اليمن، أو في الصحراء، أو غير ذلك؟ فعلى الرغم من أن الحتم والحسم بالأمر الكليّ إلا أنه ليس هناك من حسم وحتم في اختيار المكان المناسب الذي يحقق لسيد الشهداء الفتح.

**التصوّر الثاني:** أن يكون الحتم والحسم في الأمر الكليّ وهو القتل، وكذلك في المكان وهو كربلاء، ولكن ليس هناك حسم وحتم في الزمان، فالزمن المناسب يختاره سيد الشهداء لتحقيق أعلى المكاسب المستقبلية، وهذا المستوى من البداء ذكرته مضامين روايات عديدة، منها عن أبي حمزة الثمالي، قال: «قلت لأبي جعفر عليه السلام: إن علياً عليه السلام كان يقول: إلى السبعين بلاء. وكان يقول: بعد البلاء رخاء. وقد مضت السبعون ولم نر رخاء! فقال أبو جعفر عليه السلام: يا ثابت، إن الله تعالى كان وقت هذا الأمر في السبعين، فلما قتل الحسين عليه السلام اشتد غضب الله على أهل الأرض فأخره إلى أربعين ومائة سنة، فحدثناكم فأذعتم الحديث وكشفتم قناع السر، فأخره الله ولم يجعل له بعد ذلك وقتاً عندنا: ﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُنْبِئُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾. قال أبو حمزة:

وقلت ذلك لأبي عبد الله عليه السلام فقال: «قَدْ كَانَ ذَاكَ»<sup>(١)</sup>.

التصور الثالث: الحتم والحسم في الأمر الكُلِّي وَهُوَ القتل، وافترض أمراً آخر وَهُوَ الحسم والحتم أيضاً في الزمان والمكان، ولكن ليس هناك حسم وحتم في الكيفية، فهناك قتلة فاضحة لبني أمية، وهناك قتلة خفية لا يتعرف عليها ولا يتفاعل معها أحد، هناك قتلة حارة، وهناك قتلة باردة ليس فيها إثارة وتحريك للضمائر، فالحسين عليه السلام يختار القتلة الحارة الفاضحة لبني أمية. فالبداء في الكيفية بحسب هذه الصورة.

التصور الرابع: الحتم والحسم إذا كَانَ في القتل، وفي مكانه، وكونه في أرض كرب وبلاء، وإذا كَانَ في زمانه المُعَيَّن، فلا حسم ولا حتم في الأسلوب والطريقة، فهناك أسلوب يؤدي بنتيجته إلى إضعاف بني أمية شيئاً فشيئاً، وهناك قتلة لا تضعفهم ولا تُبَيِّن زيفهم.

أيضاً يمكن أن نتصور البداء فيمن يقا تل الحسين ومن يُقتل معه، فعن أبي عبد الله عليه السلام أنه سُئِلَ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾<sup>(٢)</sup>، فقال: «فقد قال الله: ﴿ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ فلم يدخلوها، ودخلها الأبناء. أو قال: أبناء الأبناء»<sup>(٣)</sup>. فهذه الرواية تصور لنا أن البداء لم يكن في الأمر الكُلِّي، وَهُوَ دخول الأرض المقدسة، بل

(١) الطوسي، محمد بن الحسن، الغيبة: ص ٤٢٨. المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار:

ج ٤، ص ١١٤، ح ٣٩.

(٢) المائدة: آية ١٢١.

(٣) العياشي، محمد بن مسعود، تفسير العياشي: ج ١، ص ٣٠٣. المجلسي، محمد باقر،

بحار الأنوار: ج ١٣، ص ١٧٩.

كَانَ فِي الْجَزْئِيِّ وَهُوَ الْأَفْرَادُ الدَّاخِلُونَ.  
وَهُنَاكَ صُورٌ أُخْرَى، يُمْكِنُ أَنْ تُتَّصَوَّرَ لِلْبَدَاءِ الْجَزْئِيِّ الْمُجْتَمِعِ مَعَ الْحْتَمِ  
الْكُلِّيِّ نَتْرَكُهَا - اِخْتِصَارًا - لِلْقَارِئِ اللَّيِّبِ.



## إحسان التقدير واحكام التدبير

### أديب الله

بَعْدَ أَنْ بَيَّنَّا الْجَوَابَ الثَّانِي - أَوْ الْإِحْتِمَالَ الثَّانِي - لِنَشَاطِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي عَرِصَةِ كَرْبَلَاءَ لَا بَدَّ بَشِيءٍ مِنْ بَسْطِ الْكَلَامِ، بَيَانِ بَعْضِ الْمَفْرَدَاتِ الْحَيَاتِيَّةِ، الَّتِي كَانَ يَمَارِسُهَا الْمُعْصُومُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، ابْتِدَاءً مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَوَصُولاً إِلَى إِمَامِ الزَّمَانِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَخُلَصِّ أَصْحَابِهِ وَأَنْصَارِهِ، حَتَّى تَتَّضِحَ الْفِكْرَةُ فِي الْجَوَابِ الثَّانِي أَكْثَرَ، وَحَتَّى يَتَبَيَّنَ لَنَا كَيْفَ أَنَّ الْمُعْصُومَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ فِي كَثِيرٍ أَحْيَانَهُ - مَعَ وَجُودِ الْحَتْمِيَّةِ فِي الْأَمْرِ الْكُلِّيِّ - يَسْعَى لِحَصُولِ التَّغْيِيرِ فِي الْأَمْرِ الْجَزْئِيِّ.

فَإِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَصِفُ نَفْسَهُ بِقَوْلِهِ: «أَدْبَنِي رَبِّي فَأَحْسَنَ تَأْدِيبِي»<sup>(١)</sup>. وَكَذَلِكَ يَقُولُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «أَنَا أَدِيبُ اللَّهِ وَعَلِيٌّ أَدِيبِي»<sup>(٢)</sup>. وَهَذَا الْقَوْلُ مِنْهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ لَمْ يُوَدَّبْ فَاطِمَةُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، كَيْفَ وَهِيَ بَضْعَتُهُ وَرُوحُهُ، وَهِيَ تَلْمِيزَةُ النَّبُوَّةِ الْأُولَى، وَأَدِيبَةُ النَّبُوَّةِ كَمَا هُوَ وَاضِحٌ مِنْ سِيرَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَسُنَّتِهِ، بَلْ وَمِنْ آيَاتِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾<sup>(٣)</sup>.

(١) الطبرسي، الفضل بن الحسن، مجمع البيان في تفسير القرآن: ج ١٠، ص ٨٦. المتقي الهندي، علي، كنز العمال: ج ١١، ص ٤٠٦.

(٢) الطبرسي، الحسن بن الفضل، مكارم الأخلاق: ص ١٧. المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ١٦، ص ٢٣١.

(٣) الجمعة: آية ٢.

فعليٌّ عليه السلام التلميذ الأوَّل للمُعَلِّم الأوَّل الذي علَّم الناس، بل حتَّى الملائكة والمخلوقات الأخرى، وعليٌّ عليه السلام هو المعلم الثاني، وفاطمة عليها السلام، تلميذة أوى ومعلِّمة ثانية، وهكذا كلُّ سلسلة المعصومين عليهم السلام صالح بعَد صالح وصادق بعَد صادق، ومن الواضح أنَّ تأديب النبي صلى الله عليه وآله لعليٍّ وفاطمة عليهما السلام - أو أحد المعصومين للمعصوم الآخر - ليس من قبيل التأديبات الخلقية المعروفة من حسن الخلق، لأنَّ هذه أدنى درجات التأديب، بل التأديب هو على مُستوى الظاهر والباطن، بل كلُّ طبقات الباطن بما لا يمكن إدراكه، ولذلك المؤدَّب يصف خلق الأديب في الكتاب الكريم: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾<sup>(١)</sup>.

### أدبني ربِّي

وإذا وصف القرآن العظيم شيئاً بأنَّه عظيم، فيا ترى ما هي عظيمته...؟<sup>(٢)</sup> وقوله صلى الله عليه وآله: «أنا أديب الله»<sup>(٣)</sup> فيه إشارة إلى حديث آخر، وهو قوله صلى الله عليه وآله: «تخلَّقوا بأخلاق الله»<sup>(٤)</sup>، فالله جلَّ جلاله له منظومة من الخلق العالي العظيم في مقام فعله لا ذاته، وكان أعظم من طبَّقها وسار عليها هو النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام، فالقرآن الكريم يكشف لنا شيئاً من تلك المنظومة الخلقية والتأديبية الإلهية

(١) القلم: آية ٤.

(٢) من الواضح أنَّنا نتكلَّم عن المعصوم بلا تفصيل واستدلال بيِّن؛ باعتبار أنَّ هذه الأمور تُعدُّ من المسلمات من جهة، ومن جهة أخرى نحن لا نريد الإطالة التي تخرج بنا عن المراد.

(٣) الريشهري، محمد، ميزان الحكمة: ج ١، ص ٥٨.

(٤) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٥٨، ص ١٢٩.

اللامتناهية في العديد من الآيات، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾<sup>(١)</sup>، فالآية القرآنية ترسم لنا صورة أمر الله بالسجود لآدم عليه السلام، وسجود الملائكة وامتناع إبليس عن السجود، ومن الواضح الجلي أن الله تبارك وتعالى يعلم بسجود الملائكة وامتناع إبليس، ولكن (لا قصاص قبل الجريمة)، فالله تعالى لا ولن يطرد إبليس من رحمته قبل صدور العصيان، وإن كان يعلم بصدور العصيان، وهذا أصل عظيم وقاعدة أساسية ومن محكمات المنظومة الخلقية التأديبية الإلهية في تعامل البعض مع البعض الآخر.

### سعة البداء في سلوك النبي صلى الله عليه وآله

وهذا الأصل الذي هو أحد بنود المنظومة الإلهية الخلقية التأديبية، طبقه النبي صلى الله عليه وآله بشكل عجيب وغريب، وبصبر لا متناهي، حيث كان يتعامل مع من يعلم بأنه منافق أو فاسق أو في قلبه مرض، يتعامل معه بشكل اعتيادي، ويصبر على أفعاله، ويعطي الفرصة والفرصة والأمل في رحمة الله ويطمع الآخرين - حتى الكافر والمنافق - في رحمة الله الواسعة، حتى مع علمه أن هذا من أهل النار؛ لأنه يريد أن يُقلل - لا أقل - من درجته التسافلية.

والشواهد على هذا المسلك النبوي والتربية المستمرة منه صلى الله عليه وآله لأصحابه على معرفة البداء والتسليم المطلق لأمر الله كثيرة، منها حادثة صلح الحديبية، قال تعالى: ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُؤُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ

(١) البقرة: آية ٣٤.

فَتَحًا قَرِيبًا<sup>(١)</sup>.

فإن الله أرى رسوله ﷺ في الرؤيا دخول المسجد الحرام، ولكن بدأ الله في ذلك، وهذا البداء في الزمن، حيث اتفق النبي ﷺ مع قريش أن يرجع في عامه الذي جاء فيه على أن يعود في عام قابل، والقصة موجودة في مصادر كثيرة أوردنا منها الفكرة المطلوبة، من شاء فليراجع<sup>(٢)</sup>.

وفي مناظرة للإمام الرضا عليه السلام مع سليمان المروزي - وهي مناظرة طويلة جداً- يُسلط الإمام الضوء بشاهد آخر على سعة الرحمة بالبداء في الأمة.  
قال سليمان: «هل رويت فيه شيئاً عن آبائك؟ قال: نعم، رويت عن أبي، عن أبي عبد الله عليه السلام، أنه قال: إن لله (عز وجل) علمين: علماً مخزوناً لا يعلمه إلا هو، من ذلك يكون البداء، وعلماً علمه ملائكته ورسوله، فالعلماء من أهل بيت نبينا يعلمونه.

قال صلوات الله عليه: قول الله (عز وجل) لنيبه ﷺ: ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ﴾<sup>(٣)</sup> أراد هلاكهم، ثم بدأ الله تعالى فقال: ﴿وَذَكَرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾<sup>(٤)</sup>»<sup>(٥)</sup>.

(١) الفتح: آية ٢٧.

(٢) أنظر: الطوسي، محمد بن الحسن، التبيان في تفسير القرآن: ج ٩، ص ٣٣٠. الطبرسي، الفضل بن الحسن، مجمع البيان في تفسير القرآن: ج ٩، ص ١٨١. ابن هشام، عبد الملك، السيرة النبوية: ج ٣، ص ٧٧٤. الواقدي، محمد بن عمر، كتاب المغازي: ج ٢، ص ٦٠٦ و ٦٠٩.

(٣) الذاريات: آية ٥٤.

(٤) الذاريات: آية ٥٥.

(٥) الصدوق، محمد بن علي، التوحيد: ص ٤٤٣. الصدوق، محمد بن علي، عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج ١، ص ١٦٠-١٦١. المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ١٠، ص ٣٣٠.

وخلقه العظيم يتجلى أكثر حينما كَانَ ﷺ يمرّ بصعوبة أو ضائقة - أو يُصاب بألم لحادثة مُعينة - لا يصبّ جام غضبه على الآخرين، ولا يخلط الأوراق، بل ولا يبدو منه أقل التأثر، وكأن شيئاً لم يكن، فكُل شيء عنده بمقدار، بل على العكس يُبدي الاستبشار برحمة الله أكثر من الحال الاعتيادي.

### الحسينُ أُمَّةٌ

القرآن يُشير لحقيقة وهي: أن إبراهيم ﷺ كَانَ أُمَّةً، ويمكن انتزاع معانٍ عديدة من هذا المعنى (أمومة وأُمِّيَّة إبراهيم ﷺ) منها: كونه إنساناً لكل الناس، وأُمَّة لكل الأمم، قال تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾<sup>(١)</sup>.

### مطمئنةٌ بقدرك

إن الأئمة ﷺ خير الخلق على الإطلاق بعد رسول الله ﷺ، فهم بالتالي خير من كل الأنبياء والمرسلين، وهم كذلك خير من جدّهم إبراهيم ﷺ، فإذا كَانَ إبراهيم أُمَّةً فعلياً ﷺ أُمَّةً، وإذا كَانَتْ أفعال إبراهيم ﷺ أُمَّةً كذلك أفعال عليّ ﷺ أُمَّةً، إذا كانت شجاعة إبراهيم ﷺ أُمَّةً كذلك شجاعة عليّ ﷺ. فإن شجاعته ليست كشجاعة الشجعان الآخرين، بل أن شجاعته أُمَّة - شجاعة توحيدية - عندما قاتل وقتل الأبطال وناجز الشجعان، ولذلك هو تارةً يُعبرُّ أنه ما قلعت باب خير بقوة بشرية، بل بقوة ربّانية، وتارةً يتأخر عن قتل ابن عبد ود؛ لأنه بصق في وجهه، فلم يرد أن يقتله غضباً لنفسه، بل غضباً لربّه، فإنّ يده ﷺ لا تتحرك غضباً لنفسه، في تلك الظروف العصيبة، وفي ذلك

(١) النحل: آية ١٢٠.

الموقف الرهيب الذي ينسي الإنسان المؤمن كل شيء، وهو موقف قُدرة وهيمنة وسيطرة من جهة، وموقف سرور وتعجل بالخير وإدخال السرور على قلوب المؤمنين - بل وحتى الملائكة والملا الأعلى - من جهة أخرى.

ولنا أن نتصور كيف كان المسلمون يُراقبون الموقف ويتعجلون علياً عليه السلام في قتل ابن ود؛ كي يخرجوا من المضيق الصعب الذي امتحنوا فيه.

وكان علياً عليه السلام يجيبهم: كلا، وألف كلا، إني قانت لربي، ولم أكن من المشركين شاكرًا لأنعمه، اجتباني وهداني إلى صراط مستقيم، لا أقتل إلا له وحده جل جلاله.

كان عليه السلام أمة في تحمله المسؤولية، وفي حركته، يحمل الإنسانية وهمومها بين جنبه حين يقاتل، وحين يأكل ويشرب، حين ينام، وحين تولى زمام الحكومة الظاهرية. فالذهب والفضة اللذان تقاطلت عليهما الشعوب والأمم، وأزهقت فيهما النفوس يسميها (صفراء وبيضاء)!! «يا صفراء، ويا بيضاء... غُري غيري»<sup>(١)</sup>، بل قال ذلك للدنيا بأجمعها: «لَا حَانَ حِينُكَ، هِيَهَاتَ! غُري غُري، لَا حَاجَةَ لِي فِيكَ، قَدْ طَلَّقْتُكَ ثَلَاثًا لَا رَجْعَةَ فِيهَا»<sup>(٢)</sup>.

ومن طريف ما يُقال من الكلام أن الصبي رُبما يطلق كلمة صفراء وبيضاء، لو رأى دراهم الفضة ودنانير الذهب، لأنه لا يعرف قيمة ومنفعة

(١) الصدوق، محمد بن علي، الأمالي: ص ٣٥٧. الثقفى، إبراهيم بن محمد، الغارات:

ج ١، ص ٥٧. النيسابوري، محمد بن الفتال، روضة الواعظين: ص ١١٧.

(٢) خطب الإمام علي عليه السلام، نهج البلاغة: ج ٤، ص ١٧. أنظر: القاضي المغربي، النعمان بن

محمد، شرح الأخبار: ج ٢، ص ٣٩٢. الكراچكي، محمد بن علي، كنز الفوائد:

ص ٢٧٠.

الذهب والفضة، لأنه جاهل بهما، أمّا عليٌّ فهو متجاهل لهما - وليس جاهلاً بهما- أو بالأحرى: متعالٍ عليهما، ولذلك سمّاهما بذلك الاسم.

وهكذا الحسين عليه السلام - كَانَ أُمَّةً قَانَتْ لَهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ - فلم تبدو منه التفاتة للدنيا، ولم يظهر منه قيد شعرة من فتور، فقد طلق الدنيا كجدّه وأبيه وأمه وأخيه، وأيضاً طلق الهزيمة والتراجع والضعف والخنوع والذلة، فإنّ عدوه لم يترك له خياراً؛ فقد ركز بين اثنتين كما يصف ذلك الحسين عليه السلام: «ركز بين اثنتين: بين السّلة والذّلة، وهيهات منّا الذّلة»<sup>(١)</sup>، بل لنا العزّة؛ لأنّها لله ولرسوله وللمؤمنين. الحسين عليه السلام قال: هيهات منّا الذّلة، ولم يقل: إنّني اخترت الموت. لأنّ الموت وإنّ كَانَ هُوَ الخِيارَ الوَحيدَ الذي جُعِلَ مِنْ قَبْلِ العَدُوِّ، ولكن الحسين عليه السلام حتّى هَذَا الخِيارَ الوَحيدَ كَانَ لَا يَخْتَارُهُ بِكَيْفِيَّةِ الذّلةِ، بل يَخْتَارُ العِزَّةَ فِي كَيْفِيَّةِ وَقُوعِهِ، يَخْتَارُ أَبْوَابَ الرَّحْمَةِ الإلهيةِ الواسعةِ العديدة.

### إنّها شقّة

وَرَدَ فِي الأَثَرِ أَنَّ النَّبِيَّ مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فِي قَوْلِهِ لِعَلِيِّ عليه السلام - قَالَ: «لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصَّرْعَةِ، إِنَّهَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الغَضَبِ»<sup>(٢)</sup>. أي: إنّ الإنسان يُسمّى شديداً إذا ملك أعصابه عند الغضب، وليس الشديد هو مَنْ يصرع الأبطال ويناوش الذّوبان.

(١) الحلي، ابن نما، مثير الأحزان: ص ٤٠. ابن طاووس، علي بن موسى، اللهوف في قتلى الطفوف: ص ٥٩.

(٢) مالك بن أنس، الموطأ: ج ٢، ص ٩٠٦. السيوطي، جلال الدين، الديباج على مُسلم: ج ٣، ص ١١٩.

وَمِنْ الْمَوَاقِفِ الْوَاضِحَةِ وَالْجَلِيَّةِ لِامْتِلَاكِ عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ  
حِينَ بَصَقَ فِي وَجْهِهِ الْمُبَارِكِ ابْنَ عَبْدِ وَدِّ الْعَامِرِيِّ، فَتَرَكَهُ بُرْهَةً مِنَ الزَّمَنِ حَتَّى  
سَكَتَ عَنْ أَمِيرِنَا الْغَضَبُ فَقَتَلَهُ اللَّهُ.

لكن الموقف الآخر الأصعب والأكثر غموضاً هو حين غصبت منه  
الخلافة؛ لأنه ملك نفسه لسنين طويلة وعديدة لا يطيقها ولا يتحملها ملك  
مقرب ولا نبي مرسل؛ حيث رأى تراثه نهياً، وهو البطل الضرغام الذي لا  
يشق له غبار.

وتعال معي لنراه كيف يصف حاله، في الخطبة المعروفة بالشقشقية،  
قال عليه السلام: «أَمَا وَاللَّهِ، لَقَدْ تَقَمَّصَهَا ابْنُ أَبِي قَحَافَةَ أَخُو تَيْمٍ، وَإِنَّهُ لَيَعْلَمُ أَنَّ مَحَلِّيَّ  
مِنْهَا مَحَلُّ الْقُطْبِ مِنَ الرَّحَا، يَنْحَدِرُ عَنِّي السَّيْلُ، وَلَا يَرْقَى إِلَيَّ الطَّيْرُ، فَسَدَلْتُ  
دُونَهَا ثُوبًا، وَطَوَيْتُ عَنْهَا كَشْحًا، وَطَفِقتُ أَرْتَبِي بَيْنَ أَنْ أَصُولَ بِيَدِ جَدَّاءَ، أَوْ  
أَصْبِرَ عَلَى طَخِيَةِ عَمِيَاءَ، يَهْرُمُ فِيهَا الْكَبِيرُ، وَيَشِيْبُ فِيهَا الصَّغِيرُ، وَيَكْدَحُ فِيهَا  
مُؤْمِنٌ حَتَّى يَلْقَى رَبَّهُ. فَرَأَيْتُ أَنَّ الصَّبْرَ عَلَى هَاتَا أَحْبَبِي، فَصَبْرْتُ وَفِي الْعَيْنِ  
قَدِي، وَفِي الْحَلْقِ شَجَا، أَرَى تَرَاتِي نَهْبًا... فَصَبْرْتُ عَلَى طُولِ الْمُدَّةِ وَشِدَّةِ  
الْمِحْنَةِ»<sup>(١)</sup>.

والخطبة أوضح من أن نعلق عليها، فهنا الإمام يُبين جانب الصبر،  
ويبين كيف مسك أعصابه، وصبر مع طول المدّة، وليس ذلك فقط، بل صبر  
على ما أحدث بعد رسول الله ﷺ من تحريف للدين، فهنا تظهر الشدّة مع قوّة  
وشدّة الغضب؛ كي يتسنى له حسن المعالجة والإدارة لدفع سلبيات الحدث،  
والقدرة على إدارة الأزمات مما كان يديرها في زمن رسول الله ﷺ معه، شعاره

(١) الصدوق، محمد بن عليّ، علل الشرائع: ج ١، ص ١٥٠-١٥١.



عمق التدبير وحسنه، وشعار الطرف الآخر الهزيمة، والشواهد كثيرة على همة الطرف الأول ونكوص الطرف الآخر، حيث نُقل: أن عثمان جاء بعد هزيمته من أحد بثلاثة أيام من الواقعة، فقال له رسول الله ﷺ: «لقد ذهبت فيها عريضة!»<sup>(١)</sup>، فالشجاعة في إدارة الأزمات وأخذ زمام المبادرة في حلّ العضلات ينبي عن عمق وثبات اليقين وشدة الرجاء لرحمة الله.

وهكذا كان الحسين عليه السلام - كان شديداً - حيث لم يعرف الزمان أزمة أو شدة أشد من يوم عاشوراء، في المقابل لم تظهر قوة وبسالة وشدة من شديد كالحسين عليه السلام، لم تظهر منه مجرد فكرة في التراجع، أو الانسحاب أو التقهقر أو اليأس من روح الله، ولذلك هو لم يختار الموت فراراً من ثقل المسؤولية، بل اختار الابتعاد من الهزيمة، حيث قال: «إنّ الدعي ابن الدعي قد ركز بين اثنتين: بين السلّة والذلة، وهيئات منّا الذلّة»<sup>(٢)</sup>، فهو يتغني العزّة؛ لأنّ العزّة لله ولرسوله وللمؤمنين - كما ذكر القرآن - فالحسين عليه السلام اختار العزّة وابتعد عن الذلّة.

ومنطقه: إذا كان الموت وسبي العيال والقتل والمثلة - التي لم يُقتل ولم يُمّثل لأحد فيها من قبلي ولا من بعدي - فيه العزّة، وفيه (هيئات منّا الذلّة)، فأنا اختاره.

وبعد أن أسس شعار (هيئات منّا الذلّة) طلب الموت الذي هو حياة، حيث قال عليه السلام: «إني لا أرى الموت إلا سعادةً والحياة مع الظالمين إلا برماً»<sup>(٣)</sup>.

(١) المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد: ص ٨٤.

(٢) ابن طاووس، علي بن موسى، اللهوف في قتلى الطفوف: ص ٥٩. وأنظر: الطبرسي، أحمد بن علي، الاحتجاج: ج ٢، ص ٢٤.

(٣) ابن شهر آشوب، محمد بن علي، مناقب آل أبي طالب: ج ٣، ص ٢٢٤. الهيثمي، علي بن أبي بكر، مجمع الزوائد: ج ٩، ص ١٩٣. الطبراني، سليمان بن أحمد، المعجم الكبير: ج ٣، ص ١١٥.

وإلا فالوضع الطبيعي، بل والوضع الشديد لا يطلب فيه المعصوم عليه السلام لنفسه الموت، وبعده يقينه أن عدوه قد عزم على الاثنين بلا ثالث (السلة والذلة) قال: «حُطَّ الموت على ولد آدم مخطَّ القلادة على جيد الفتاة، وما أولهني إلى أسلافي اشتياق يعقوب إلى يوسف»<sup>(١)</sup>.

فَهُوَ هُنَا يَصَوِّرُ جَمَالَ الْمَوْتِ بَعِزَّةً، بِأَنَّهُ كَالْقَلَادَةِ الَّتِي تُزَيَّنُ جَيِّدَ الْفَتَاةِ، فَالْمَوْتُ الْعَزِيزُ جَمِيلٌ وَلَذِيذٌ، وَهُوَ مِنْ جِهَةٍ يُرْجَعُ إِلَى الْعَيْشِ الْكَرِيمِ وَيُجْمَعُ مَعَ مَنْ غَابَ عَنْهُ مِنْ إِسْلَافِهِ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ.

---

(١) الحلبي، ابن نما، مثير الأحزان: ص ٢٩. الزرندي، محمد بن يوسف، معارج الوصول إلى معرفة فضل آل الرسول: ص ٩٤.

### ضابطة جعفرية في القضاء والقدر

رُوي أنَّ الإمام الصادق عليه السلام كَانَ فِي أَحَدِ الْأَيَّامِ فِي بَيْتِهِ يَدْعُو وَيَتَضَرَّعُ بِشِدَّةٍ، وَيَبْكِي بِالْحَاحِ كَبِيرٍ، وَبَعْدَ ذَلِكَ دَخَلَ بَعْضَ بِيُوتِهِ، ثُمَّ خَرَجَ بِغَيْرِ الْحَالِ الَّتِي كَانَ عَلَيْهَا، فَسَأَلَهُ أَصْحَابُهُ عَنْ سَبَبِ بَكَائِهِ وَتَضَرُّعِهِ بِتِلْكَ الدَّرَجَةِ الَّتِي خَافُوا عَلَيْهِ مِنْهَا، ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ سَكَنَ وَاسْتَبَشَرَ، فَأَجَابَ بِأَعْظَمِ جَوَابٍ، هُوَ عِبَارَةٌ عَنْ قَاعِدَةٍ نَفِيسَةٍ فِي التَّوَكُّلِ وَالرِّضَا بِقَضَاءِ اللَّهِ، وَالْقِصَّةُ يَرُويهَا عِدَّةٌ مِنْهُمْ الْعَلَاءُ بْنُ كَامِلٍ، قَالَ: «كَنتُ جَالِساً عِنْدَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام فَصَرَخْتُ الصَّارِخَةَ مِنَ الدَّارِ، فَقَامَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام، ثُمَّ جَلَسَ فَاسْتَرَجَعَ، وَعَادَ فِي حَدِيثِهِ، حَتَّى فَرَّغَ مِنْهُ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّا لَنُحِبُّ أَنْ نُعَافِيَ فِي أَنْفُسِنَا وَأَوْلَادِنَا وَأَمْوَالِنَا، فَإِذَا وَقَعَ الْقَضَاءُ فَلَيْسَ لَنَا أَنْ نُحِبَّ مَا لَمْ يُحِبَّ اللَّهُ لَنَا»<sup>(١)</sup>.

وَعَنْ قُتَيْبَةَ الْأَعَشَى: قَالَ: «أَتَيْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام أَعُودُ ابْنًا لَهُ، فَوَجَدْتَهُ عَلَى الْبَابِ، فَإِذَا هُوَ مُهْتَمٌّ حَزِينٌ، فَقُلْتُ لَهُ: جُعِلَتْ فِدَاكَ، كَيْفَ الصَّبِيِّ؟ فَقَالَ: وَاللَّهِ، إِنَّهُ لَمَّا بِهِ. ثُمَّ دَخَلَ فَمَكَثَ سَاعَةً، ثُمَّ خَرَجَ إِلَيْنَا وَقَدْ أُسْفِرَ وَجْهُهُ وَذَهَبَ التَّغْيِيرُ وَالْحَزَنُ، قَالَ: فَطَمَعْتُ أَنْ يَكُونَ قَدْ صَلَحَ الصَّبِيُّ، فَقُلْتُ: كَيْفَ الصَّبِيِّ جُعِلَتْ فِدَاكَ؟ فَقَالَ قَدْ مَضَى لِسَبِيلِهِ، فَقُلْتُ: جُعِلَتْ فِدَاكَ، لَقَدْ كُنْتُ وَهُوَ حَيٌّ مُهْتَمًّا حَزِينًا، وَقَدْ رَأَيْتُ حَالَكَ السَّاعَةَ وَقَدْ مَاتَ غَيْرَ تِلْكَ الْحَالِ،

(١) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ٣، ص ٢٢٦، ح ١٣. الحر العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج ٣، ص ٢٧٦، ح ٣٦٤٠.

فكيف هذا؟ فَقَالَ: إِنَّا أَهْل بَيْتِ إِنَّمَا نَجْزِعُ قَبْلَ الْمَصِيبَةِ، فَإِذَا وَقَعَ أَمْرُ اللَّهِ رَضِينَا بِقَضَائِهِ وَسَلَّمْنَا لِأَمْرِهِ»<sup>(١)</sup>.

وَقَدْ جَسَّدَ الْإِمَامُ الْحُسَيْنُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِشَكْلٍ مُمَيَّزٍ - هَذَا الْمَعْنَى - وَصَوَّرَ لَنَا كَيْفَ يَتَفَاعَلُ الْإِنْسَانُ مَعَ الْحَدِثِ إِلَى آخِرِ لِحْظَةٍ قَبْلَ وَقُوعِ الْقَضَاءِ بِالتَّضَرُّعِ وَالدَّعَاءِ؛ لِأَنَّ الدَّعَاءَ يَرُدُّ الْقَضَاءَ وَقَدْ أُبْرِمَ إِبْرَامًا.

نَعَمْ، الدَّعَاءُ لَا يَنْحَصِرُ بِأَنْ يَكُونَ بِلِسَانِ الْمَقَالِ، بَلْ بِلِسَانِ الْحَالِ، وَهُوَ فِي غَالِبِ أَحْيَانِهِ أَشَدُّ مِنْ لِسَانِ الْمَقَالِ.

فَهُوَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي حِينِ خَاطَبِ الْقَوْمِ بِلِسَانِ الْمَقَالِ وَنَصَحَ لَهُمْ، هُوَ يَخَاطِبُ اللَّهَ بِلِسَانِ حَالِهِ فِي نَفْسِ الْوَقْتِ وَيَطْلُبُ مِنَ الْوَسِيعِ رَحْمَتَهُ فَتَحَ سُبُلَهُ وَدَرَجَاتِ تَكَامُلِهِ لَهُ، وَلِكُلِّ مَنْ كَانَ فِي الْمَشْهَدِ، فَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا يَتَحَرَّى الْإِمَامَ لَهُ زِيَادَةُ الْإِيْمَانِ، وَمَنْ كَانَ مُنْحَرِفًا يُرِيدُ أَنْ يُقَلِّلَ مِنْ دَرَجَاتِ تَسَافَلِهِ، وَيَرْفَعَهُ مِنْ أَسْفَلِ دَرَكِ الْجَحِيمِ إِلَى مَا هُوَ أَخْفَى مِنْهَا لَعَلَّهُ يَحْظِي بِرَحْمَةٍ مِنَ الرَّحِمَاتِ الْإِلَهِيَّةِ.

وَمِنْ جِهَةٍ ثَالِثَةٍ: هُوَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَرَسُمُ سُبُلَ التَّكَاْمُلِ - أَيْضًا - إِلَى عِيَالِهِ وَأَهْلِ بَيْتِهِ وَيُعْطِي الدَّرُوسَ الْكَثِيرَةَ فِي التَّضْحِيَّةِ وَالْهَمَّةِ الْعَالِيَةِ وَالْحِنْكَةِ وَالشَّجَاعَةِ. وَمِنْ جِهَةٍ رَابِعَةٍ: هُوَ يَدِيرُ الْحَدِثَ بِمَا يَصِبُّ مَعَ الْغَايَاتِ الْبَعِيدَةِ الْمَادِفَةِ.

---

(١) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ٣، ٢٢٥، ح ١١. الحر العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج ٣، ص ٢٧٥، ح ٣٦٣٩.

### حرب باردة لا تنافي حتمية القضاء

إنَّ الأساليب التي اتخذها أئمة أهل البيت عليهم السلام في مواجهة أعدائهم عديدة، وأغلبها كانت عبارة عن حرب باردة، وهذه الحرب لا تنافي إيمانهم بسعة الرحمة وسعة البداء وحتمية القضاء، وقد خفيت على كثير من السطحين الأساليب المتنوعة - العديدة والكثيرة - التي كان يواجه بها الأئمة عليهم السلام أعداءهم، وخصوصاً الإمام الصادق عليه السلام.

من الأمور التي ينبغي أن تُسلط الضوء عليها هي أن الإمام الصادق عليه السلام ليس كما يظهر لنا من الأحداث، أو يُشاع عنه أنه مشغول حصرياً في تأسيس الحوزات العلمية ولا دخل له - ولو من بعيد - في السياسة، وأن الظروف التي كانت في عصره تطلبت ذلك، كما أن ظروف الإمام الحسين عليه السلام كانت توجب عليه الخروج إلى كربلاء، وليس الواجب دوماً على المعصوم عليه السلام مواجهة السلطة وتحدي الوضع القائم، فضلاً عن الخروج بالسيف، وأن عليه أن يترك التحدي نتيجة الظروف.

وهذا التحليل وهذا الكلام غير دقيق ولا سديد، بل غير صحيح؛ حيث يذكر المؤرخون أنه عليه السلام واجه الوضع القائم آنذاك وجاهد بالكلمة حتى أنه تعرّض للقتل من قبل أبي جعفر الدوانيقي مرّات كثيرة، حيث أرسل عليه في تلك المرات وهو حاقد عليه، وأسمعه غليظ الكلام، وكان يهّم في قتله، ولكن تحول دونه الظروف المختلفة.

وهذا وغيره من الإشارات تُشير إلى أن الإمام عليه السلام كان يستخدم أسلوب التقية الأمنية في التحرك والنشاط؛ مما يقلق السلطة العباسية التي تتحسس وتستشعر نمو قوة مناهضة لدى الإمام الصادق عليه السلام، تشكل خطورة على بقاء السلطة العباسية، فتقيته ليست سلبية، (سكون وضعف واستكانة ووهن)، بل كان يستعمل أسلوب الحرب الباردة، حيث كان في معرض توازن القوة أو المواجهة مع المنصور بين الحين والآخر، كلما توفّر ظرف العمل والكلام ليعطي درساً لكل الأجيال: أن التقية هي عنوان ثانوي (عنوان اضطراري) وحكم اضطراري، فلا تستلزم عدم رعاية الواجب الأولي قدر المستطاع، وبقدر المتاح من آليات متنوّعة خفية لا يهتدي إليها الخصم العدو، فضلاً عما إذا ما ارتفع ظرفها في بعض الجهات والزوايا أو المراحل، وزالت شرائطها أو بعض شرائطها، فتعود العناوين والأحكام الأولية إلى الرعاية التامة. فالضرورات تقدر بقدرها ولا ترزع ملاكات المصالح الأصلية في الدين والشرع.

وتقدير هذه الظروف تبقى للمؤمن الواعي الحركي الملتزم بمسؤوليته، وهو الذي يقدر الزمان ويوازن بين التقية والحفاظ على النفس من جهة، ومن جهة الحفاظ على الدين والمذهب.

فلينظر المؤمن المتفرّس في هذه القصص ليرى كيف كان الإمام عليه السلام دؤوباً في البناء والتدبير، ويواجه ويُجاهد ليقابل نظام عدوه كلما وجدت طرق وأساليب تشكل فُرصاً بالغة الأهمية.

#### عبر ودروس من حياة الإمام الصادق عليه السلام

وهنا نذكر قصة للإمام عليه السلام في حياة أبيه الباقر عليه السلام بتوجيه منه عليه السلام حيث خطب الناس في موسم الحج خطبة سياسية، هي بمثابة إعلان لحرب باردة

ضدَّ السُّلطانَ المُنحرفِ، ولذلك اضطرَّ الخليفة بسبب تأثير تلك الخطبة أن يرسل في طلب الإمامين عليهما السلام، والقصة: ذكر الطبري بإسناده، عن الصادق عليه السلام، قال: «حجَّ هشام بن عبد الملك بن مروان سنة من السنين، وكان قد حجَّ في تلك السنة محمد بن علي الباقر وابنه جعفر بن محمد عليهما السلام فقال جعفر بن محمد عليهما السلام: الحمد لله الذي بعث محمداً بالحق نبياً وأكرمنا به، فنحنُ صفوة الله على خلقه وخيرته من عباده وخلفائه، فالسعيد من اتبعنا والشقي من عادانا وخالفنا.

ثمَّ قال أبو عبد الله جعفر بن محمد عليهما السلام: فأخبر مسيلمة أخاه بما سمع، فلم يعرض لنا حتى انصرف إلى دمشق وانصرفنا إلى المدينة، فأنفذ بريداً إلى عامل المدينة بإشخاص أبي وإشخاصي معه فأشخصنا، فلما وردنا مدينة دمشق حجبنا ثلاثاً، ثمَّ أذن لنا في اليوم الرابع فدخلنا، وإذا قد قعد على سرير الملك وجنده وخاصته وقوفاً على أرجلهم سهاطين متسلحين...»<sup>(١)</sup>.

ويظهر من خلال هذه الرواية مدى عمق المواجهة التي كان يواجهها الإمام عليه السلام لعدوه ومدى خشية عدوه منه، سواء في زمن أبيه (زمن بني أمية) أو زمن الدولة العباسية.

وفي هذا المجال أيضاً ما ورد عن أبي بكر الحضرمي قال: «لما حمل أبو جعفر عليه السلام إلى الشام إلى هشام بن عبد الملك وصار ببابه، قال لأصحابه - ومن كان بحضرته من بني أمية - إذا رأيتموني قد وبخت محمد بن علي ثم رأيتموني

(١) الطبري، محمد بن جرير، دلائل الإمامة: ص ٢٣٣. ابن طاووس، علي بن موسى، الأمان من أخطار الأسفار والأزمان: ص ٦٦. القصة طويلة أوردنا منها موضع الاستشهاد.

قد سكتُ فليقبل عليه كلُّ رجلٍ منكم فليوبّخه. ثمَّ أمر أن يؤذن له، فلما دخل عليه أبو جعفر عليه السلام قال بيده: السلامُ عليكم. فعمَّهم جميعاً بالسلام، ثمَّ جلس، فازداد هشام عليه حنقاً بتركه السلام عليه بالخلافة، وجلوسه بغير إذنٍ، فأقبل يوبّخه ويقول فيما يقول له: يا محمد بن عليّ، لا يزال الرجل منكم قد شقَّ عصا المسلمين ودعا إلى نفسه، وزعم أنَّه الإمامُ سفهاً وقلة علم. ووبّخه بما أراد أن يوبّخه، فلما سكتَ أقبل عليه القوم رجلٌ بعد رجلٍ يوبّخه حتى انقضى آخرهم، فلما سكتَ القوم نهض عليه السلام قائماً، ثمَّ قال: أيها الناس، أين تذهبون وأين يُراد بكم، بنا هدى الله أولكم، وبنا يختم آخركم، فإن يكن لكم ملكٌ معجَّل فإن لنا ملكاً مؤجَّلاً، وليس بعد ملكنا ملكٌ؛ لأننا أهل العاقبة، يقول الله (عزَّ وجلَّ): ﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾. فأمر به إلى الحبس، فلما صار إلى الحبس تكلم، فلم يبق في الحبس رجلٌ إلَّا ترشَّفه وحنَّ إليه، فجاء صاحبُ الحبس إلى هشام فقال: يا أمير المؤمنين، إنِّي خائفٌ عليك من أهل الشام أن يحولوا بينك وبين مجلسك هذا. ثمَّ أخبره بخبره، فأمر به فحمِلَ على الرِّيدِ هو وأصحابه ليُرَدُّوا إلى المدينة، وأمر أن لا يُخْرَجَ لهمُ الأسواقُ، وحال بينهم وبين الطَّعامِ والشَّرابِ، فساروا ثلاثاً لا يجدون طعاماً ولا شراباً، حتَّى انتهوا إلى مَدِينِ، فأغلق بابُ المدينة دُونَهُمْ؛ فشكا أصحابه الجوعَ والعطشَ، قال: فصعد جبالاً ليُشْرِفَ عَلَيْهِمْ فقال بأعلى صوته: يَا أَهْلَ الْمَدِينَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا، أَنَا بَقِيَّةُ اللَّهِ؛ يَقُولُ اللَّهُ: ﴿بَقِيَّةُ اللَّهِ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ﴾<sup>(١)</sup>، قال: وكان فيهم شيخٌ كبيرٌ فاتاهم، فقال لهم: يا قوم، هذه - والله - دعوةٌ شعيبِ النبيِّ، والله، لئن لم تُخْرِجُوا إِلَى هَذَا الرَّجُلِ بِالْأَسْوَاقِ لَتُؤَخِّدَنَّ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ



تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ، فَصَدَّقُونِي فِي هَذِهِ الْمَرَّةِ وَأَطِيعُونِي وَكَدِّبُونِي فِيمَا تَسْتَأْنِفُونَ، فَإِنِّي لَكُمْ نَاصِحٌ. قَالَ: فَبَادَرُوا فَأَخْرَجُوا إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ وَأَصْحَابِهِ بِالْأَسْوَاقِ، فَبَلَغَ هِشَامَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ خَبَرَ الشَّيْخِ فَبَعَثَ إِلَيْهِ فَحَمَلَهُ، فَلَمْ يُدْرَ مَا صَنَعَ بِهِ»<sup>(١)</sup>.

يُلاحظ من هذه الرواية:

١. هكذا كانت أكبر دولة إسلامية تتخوَّف وتتحسَّس من الإمامين الباقر والصادق عليهما السلام، كما بيَّن هذا الموقف من الإمامين الصادقين عليهما السلام توازن مسيرهما السياسي، فلم يكونا في الانتهاء المعلن موالين للسلطة بحيث يغيب صراط الشرعية عن وعي الأمة.

٢. مع كلِّ هذا لم يستطع رئيس هذه السلطة أن يبرِّر سبب اعتقاله للإمامين عليهما السلام؛ ولذلك كان مضطراً لإطلاق سراحهما وإرجاعهما إلى المدينة سالمين غانمين، لكن بسبب حقه وعدائه الشرس على آل مُحَمَّد صلى الله عليه وآله أوعز إلى المُدن التي يمرُّ من خلالها موكب الإمامين عليهما السلام بالفرض على أهلها بإغلاق أسواقهم ومقاطعة التعامل مع الإمامين.

٣. إنَّ موقف مولانا الباقر عليه السلام لم ينكسر ولم ينثن عن بيان حصر الشرعية في الحكم بأهل البيت عليهم السلام، رغم أنَّ هذا الإعلان السياسي في مقرِّ القصر الرئاسي لبني أمية .

٤. عدم تقريره عليه السلام للحاكم الأمويِّ بالخلافة وعدم اكترائه به، وعدم تهبئه من بطش العصاة الأموية، وإقدام الحاكم الأموي على حبسه عليه السلام.

(١) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ١، ص ٤٧١، ح ٥. المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٤٦، ص ٢٦٤.

٥. قيامه عليه السلام في الحبس بالتأثير على السجناء بجذبهم لمسار أهل البيت عليهم السلام، وتهيب السلطة من بقاءه، كل ذلك يوضح حقيقة سيرة الباقر عليه السلام والصادق عليه السلام في المسار السياسي وطبيعة تعاملهم مع السلطة الأموية في حين أنّهما عليهما السلام لم يعتمدا الحرب الساخنة معها.

كذلك رواية أبي نعيم المروية في حلية الأولياء «إنّ المنصور استدعى الإمام الصادق يوماً وأجلسه إلى جانبه بكلّ إجلال واحترام، فوقع الذُّباب على وجه المنصور، ولم يزل يقع على وجهه وأنفه حتى ضجر منه المنصور، فقال: لم خلق الله الذُّباب يا أبا عبد الله؟ فقال الصادق: ليذُلُّ به أنف الجابرة. فوجم المنصور وتغيّر لونه، ولم يتكلّم معه بما يُسيء إليه كلمة واحدة»<sup>(١)</sup>.

كذلك نُقل أنّ المنصور عاتب الإمام على عدم مجيئه إليه، وعلّل المنصور قائلاً: تصحبنا لتنصحننا. فردّ عليه الإمام عليه السلام بقوله: «مَنْ يُرد الدُّنيا لا ينصحك، ومَنْ يُرد الآخرة لا يصحبك»<sup>(٢)</sup>.

وأيضاً عن محمد بن أبي حمزة قال: «قال أبو عبد الله عليه السلام: - وذكر هؤلاء عنده وسوء حال الشيعة عندهم، فقال: - إني سرت مع أبي جعفر (المنصور) وهو في موكبه وهو على فرس، وبين يديه خيل ومن خلفه خيل، وأنا على حمار إلى جانبه، فقال لي: يا أبا عبد الله، قد كان ينبغي لك أن تفرح بما أعطانا الله من القوة وفتح لنا من العزّ، ولا تخبر الناس أنّك أحق بهذا الأمر منا وأهل بيتك فتغرينا بك وبهم. قال: فقلت: ومن رفع هذا إليك فقد كذب. فقال أتخلف

(١) أنظر: الذهبي، محمد بن أحمد، سير أعلام النبلاء: ج ٦، ص ٢٦٤. الصفدي، خليل أيبك، الوافي بالوفيات: ج ١١، ص ١٠٠.

(٢) الإربلي، علي بن أبي الفتح، كشف الغمّة في معرفة الأئمّة: ج ٢، ص ٤٢٧.

عَلَى مَا تَقُول؟ قَالَ: فَقُلْتُ: إِنَّ النَّاسَ سَحْرَةٌ يَعْنِي - يَجْبُونَ أَنْ يَفْسُدُوا قَلْبَكَ عَلِيٍّ - فَلَا تَمَكِّنْهُمْ مِنْ سَمْعِكَ؛ فَإِنَّا إِلَيْكَ أَحْوَجُ مِنْكَ إِلَيْنَا.

فَقَالَ لِي: تَذَكُرُ يَوْمَ سَأَلْتُكَ هَلْ لَنَا مُلْكٌ؟ فَقُلْتُ: نَعَمْ، طَوِيلٌ عَرِيضٌ شَدِيدٌ، فَلَا تَزَالُونَ فِي مُهْلَةٍ مِنْ أَمْرِكُمْ وَفَسْحَةٍ مِنْ دُنْيَاكُمْ، حَتَّى تَصِيبُوا دَمًا حَرَامًا فِي شَهْرٍ حَرَامٍ.

فَعَرَفْتُ أَنَّهُ قَدْ حَفِظَ الْحَدِيثَ، فَقُلْتُ: لَعَلَّ اللَّهَ (عَزَّ وَجَلَّ) أَنْ يَكْفِيكَ، فَإِنِّي لَمْ أَخْصِّكَ بِهَذَا، إِنَّمَا هُوَ حَدِيثٌ رَوَيْتَهُ، ثُمَّ لَعَلَّ غَيْرَكَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِكَ أَنْ يَتَوَلَّى ذَلِكَ. فَسَكَتَ عَنِّي<sup>(١)</sup>.

وفي موقف له مع والي المنصور على المدينة، عن المفيد، عن ابن قولويه... عن عبد الله بن سلمان التميمي، قال: «لَمَّا قُتِلَ مُحَمَّدٌ وَإِبْرَاهِيمُ ابْنَا عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَسَنِ عليهما السلام صَارَ إِلَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ: شَبَّةُ بْنُ عَقَالٍ، وَوَلَاهُ الْمَنْصُورُ عَلَى أَهْلِهَا، فَلَمَّا قَدِمَهَا، وَحَضَرَتْ الْجُمُعَةُ، صَارَ إِلَى مَسْجِدِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله فَرَقَى الْمَنْبَرُ وَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ شَقَّ عَصَا الْمُسْلِمِينَ، وَحَارَبَ الْمُؤْمِنِينَ، وَأَرَادَ الْأَمْرَ لِنَفْسِهِ، وَمَنَعَهُ أَهْلُهُ، فَحَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَمَاتَهُ بِغَضَّتِهِ، وَهُوَ لَأَوْلَادِهِ يُتَّبَعُونَ أَثَرَهُ فِي الْفَسَادِ، وَطَلَبَ الْأَمْرَ بِغَيْرِ اسْتِحْقَاقٍ لَهُ، فَهَمَّ فِي نَوَاحِي الْأَرْضِ مَقْتُولُونَ، وَبِالدَّمَاءِ مُضَرَّجُونَ. قَالَ: فَعَظُمَ هَذَا الْكَلَامُ عَلَى النَّاسِ وَلَمْ يَجْسُرْ أَحَدٌ مِنْهُمْ يَنْطِقُ بِحَرْفٍ.

فَقَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ عَلَيْهِ إِزَارٌ قَوْمِيٌّ سَحَقٌ، فَقَالَ: وَنَحْنُ نَحْمَدُ اللَّهَ وَنُصَلِّي عَلَى مُحَمَّدٍ خَاتَمِ النَّبِيِّينَ وَسَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ، وَعَلَى رَسُولِ اللَّهِ وَأَنْبِيَائِهِ أَجْمَعِينَ، أَمَّا مَا

(١) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ٨، ص ٣٧. المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار:

قلت من خير فنحنُ أهله، وما قلت من سوء فأنت وصاحبك به أولى وأحرى، يا من ركب غير راحلته، وأكل غير زاده، ارجع مأزوراً. ثم أقبل على الناس، فقال: ألا أنبئكم بأخلى الناس ميزاناً يوم القيامة، وأبينهم خسراناً، من باع آخرته بدنياه غيره، وهو هذا الفاسق. فأسكت الناس وخرج الوالي من المسجد لم ينطق بحرف، فسألت عن الرجل فقيل لي: هذا جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب صلوات الله عليهم»<sup>(١)</sup>.

---

(١) الطوسي، محمد بن الحسن، الأمالي: ص ٥٠-٥١. المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٤٧، ص ١٦٥. وفي نفس هذا الجزء والصفحة وما بعدها روايات كثيرة في أسلوب الحرب الباردة للإمام الصادق عليه السلام مع السلطة الحاكمة.

### تناسب التقدير بين الإنسان الصغير والكبير

هَلْ يُتَصَوَّرُ الجبن أو الخنوع أو الخضوع أو الضعف، أو حتّى ترك الشأن السّياسى وعدم السعي في بناء تكوين منهاج الحقّ والجهر به في ظرفه المتناسب من رجل يقول ولو بالتلويح لوالي المنصور: أنت فاسق، أو يقول للمنصور نفسه: أنت جبّار، أو لا نفع في نصحك لأنّك من أهل الدّنيا.

هذه السنّة من الإمام الصادق عليه السلام ترسم للمؤمن منهاجاً حياتياً يقول له: إنّك إنسان صغير والدّين إنسان كبير، والمهمّ هو الحفاظ على الإنسان الكبير، وتكون المحافظة على الإنسان الصغير بالتّبع - بتبع محافظته على الإنسان الكبير - فإذا ما جاء الخطر على الإنسان الكبير (الإنسان الأهمّ)، وهو الدّين وجب على الإنسان الصغير التضحية دونه، والعكس صحيح، أي: إذا جاء الخطر على الإنسان الصغير وجب على الإنسان الكبير المحافظة على أتباعه - الإنسان الصغير - ولذلك شرّع له التقيّة، فقد ورد: «التقيّة ديني ودين آبائي، ولا دين لمن لا تقيّة له»<sup>(١)</sup> وكذلك يوجب عليه المحافظة على نفسه في مختلف الظروف والموارد التي لا يكون فيها خطر على الدّين.

ومما مرّ يظهر لك جهاد الإمام الصادق عليه السلام وما خفي من نشاطه كان أعظم، ناهيك عن تربيته لأصحابه، فكما كان له في الفقه مثل زُرارة وأضرابه، وكذلك عنده هشام بن الحَكَم وهشام بن سالم والمعلّى وأمثالهم، وكما كانوا

(١) المفيد، محمّد بن محمّد، أوائل المقالات: ص ٢١٦.

عُلِّمَ كَانْ لَهُم جِهَادٌ بِالْكَلِمَةِ - لَا الْإِنْهَاكُ فِي أَبْوَابِ السُّلْطَانِ - وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهْيٌ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَمَوَاقِفٌ مُشْرِفَةٌ كَاشِفَةٌ عَنِ الدُّورِ التَّرْبَوِيِّ وَالسَّلُوكِيِّ الْعَظِيمِ، الَّذِي كَانَ يَنْتَهِجُهُ الْإِمَامُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي حَيَاتِهِ وَمَعَ أَصْحَابِهِ. وَلِذَلِكَ أُغْتِيلَ الْإِمَامُ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَأَبَائِهِ شَهِيداً مَسْمُوماً، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ نَشَاطُهُ الْمُتَنَامِي يَقْلِقُ السُّلْطَةَ لَمَاتَ حَتْفَ أَنْفِهِ. وَهَذِهِ سِيرَةٌ كُلُّ الْأَنْبِيَاءِ بَيْنَ يَدَيْكَ طَافِحَةٌ بِذَلِكَ، وَلِذَلِكَ شُرِّدُوا وَأُذُوا وَقُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ. وَالْإِمَامُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَكُلُّ الْمَعْصُومِينَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ أَفْضَلُ بِدَرَجَاتٍ مِنْ سَائِرِ بَقِيَّةِ الْأَنْبِيَاءِ، وَهُمْ أَحْرَى مَنْ سَلَكَ مَسَالِكَ الْجِهَادِ وَالِدَّفَاعِ عَنِ الدِّينِ بِأَسَالِبِ مُخْتَلِفَةٍ بَارِدَةٍ وَخَفِيَّةٍ وَمُتَنَوِّعَةٍ.

وَالْخُلَاصَةُ: إِنَّ الْإِمَامَ الصَّادِقَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمْ يَتْرِكِ الْخِيَارَاتِ الْأُخْرَى مَعَ تَمَسُّكِهِ بِخِيَارَاتٍ مَعِيْنَةٍ، فَفِي حِينٍ كَانَتْ الظُّرُوفُ مَوْاتِيَةً لِتَأْسِيسِ الْحُوزَاتِ، لَمْ يَغْفُلِ عَلَيْهِ السَّلَامُ جَوَانِبَ الْجِهَادِ وَالْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ بِأَلْيَاتٍ مُتَكَثِّرَةٍ، فَكَانَ يُوَاجِهُ أَعْدَاءَهُ بِحَرْبٍ بَارِدَةٍ مُبَاشِرَةٍ أَوْ بِصُورَةٍ غَيْرِ مُبَاشِرَةٍ بِوَسْاطَةِ أَتْبَاعِهِ كَلَّمَا سَنَحَتِ الْفُرْصَةُ وَتَوَفَّرَ الظَّرْفُ.

### مُهَدَّبٌ خَائِفٌ رَغِمَ حَتْمِيَّةُ النُّصْرِ

وَهَذَا مَشْهَدٌ عَكْسٌ مَشْهَدِ سَيِّدِ الشُّهَدَاءِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَرَغِمَ حَتْمِيَّةُ الشَّهَادَةِ لَمْ يَسْكُنْ عَنِ النِّشَاطِ وَالسَّعْيِ الْحَثِيثِ لِلْوَصُولِ إِلَى الْهَدَفِ بِأَيِّ دَرَجَةٍ مُمْكِنَةٍ، وَفِي الْمَشْهَدِ الْحَالِيِّ رَغِمَ حَتْمِيَّةُ النُّصْرِ فَلَا يَدْعُوهُ إِلَى السُّكُونِ عَنِ النِّشَاطِ أَيْضاً، وَهَذَا مِنْ بَدِيعِ مَعْرِفَةِ الْأُئِمَّةِ بِالْقَضَاءِ وَالْقَدْرِ وَعِلْمِهِمْ بِالْبَدَاءِ الْإِلَهِيِّ الْأَعْظَمِ.

### المُهَدَّبُ الخَائِفُ

عِبَارَةٌ وَرَدَتْ فِي السَّلَامِ عَلَى الْإِمَامِ الْمَهْدِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَمَا مَعْنَى ذَلِكَ؟ هَذَا السُّؤَالُ أَجَابَتْ عَنْهُ رَوَايَاتٌ كَثِيرَةٌ جَدًّا، تَدُلُّ عَلَى عِدَّةٍ مَعَانٍ وَأَوْصَافٍ، أَحَدُهَا: أَنَّ الْإِمَامَ يُخْرِجُ مِنَ الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ إِلَى مَكَّةَ حِينَ يَقْتَرِبُ ظُهُورُهُ، عَلَى سُنَّةِ مُوسَى بْنِ عِمْرَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَهُنَا تَتَبَادَرُ الْأَسْئَلَةُ عَنْ مَعْنَى الْخَوْفِ، وَلِمَاذَا يَخَافُ لَوْ كَانَ مِنَ الْمُحْتَمومِ نَصْرُهُ؟ فَلْيَتْرَكَ الْحَبْلَ عَلَى الْغَارِبِ، وَلْيَذْهَبْ بِرِجْلِهِ إِلَى الْمَنُونِ؛ فَإِنَّهُ لَا يَمُوتُ لِأَنَّهُ مُوعودٌ بِالنُّصْرِ، وَإِنَّ الدِّينَ سَيُظْهِرُ عَلَى الدِّينِ كُلَّهُ بِيَدِهِ الْمُبَارَكَةِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ.

فَمَا مَعْنَى الْخَوْفِ؟ فُسِّرَ الْخَوْفُ بِأَنَّهُ لَيْسَ خَوْفًا عَلَى النَّفْسِ، بَلْ هُوَ خَوْفٌ عَلَى الْمَشْرُوعِ الْإِلَهِيِّ، كَمَا أَنَّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ حِينَ خَرَجَ مِنْ مَدِينَةِ مِصْرَ ﴿خَائِفًا يَتَرَقَّبُ﴾<sup>(١)</sup> لَمْ يَكُنْ خَائِفًا عَلَى نَفْسِهِ لِنَفْسِهِ مِنَ الْقَتْلِ، أَوْ حَصُولِ الْأَذَى،

(١) القصص: آية ١٨.

بَلْ هُوَ خَائِفٌ عَلَى نَفْسِهِ لِأَجْلِ خَوْفِهِ عَلَى إِقَامَةِ الدِّينِ وَعَلَى أَدَاءِ الرِّسَالَةِ وَمِنْ غَلْبَةِ الْجَهَالِ عَلَى الأَمْرِ. كَذَلِكَ الإِمَامُ المَهْدِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَهَذَا جَوَابٌ إِجْمَالِيٌّ - رَغْمَ صِحَّتِهِ - وَلَا بَدَّ مِنْ التَّفْصِيلِ، فَنَقُولُ:

رَغْمَ أَنَّ هُنَاكَ وَعَدًّا جَازِمًا بِحُصُولِ النُّصْرَةِ وَنَجَاحِ المَشْرُوعِ الإِلَهِيِّ قَضَاءً وَقَدْرًا، وَأَنَّ ذَلِكَ مَحْتَوَمٌ لَا رَيْبَ فِيهِ، إِلَّا أَنَّ زَمَنَهُ غَيْرَ مَحْتَوَمٍ، وَالنِّهَايَةَ مَعْرُوفَةً لَكِنِ مَتَى سَتَحْصَلُ؟ هَلْ بَعْدَ يَوْمٍ أَوْ بَعْدَ سَنَةٍ أَوْ بَعْدَ مِائَةِ سَنَةٍ؟ فَيَنْبَغِي المَحَافِظَةَ عَلَى التَّنَاجِ الأَتِيِّ حَصَلَتْ لِأَجْلِ عَدَمِ تَأْخُرِ المَشْرُوعِ الإِلَهِيِّ؛ لِأَنَّهُ لَا حَتْمَ فِيهِ مِنْ حَيْثُ الزَّمَنُ وَالتَّفَاصِيلُ وَالكِيفِيَّاتُ الأُخْرَى، فَالمَكَاسِبُ الأَتِيَّةُ حَصَلَتْ عِنْدَ صَاحِبِ المَشْرُوعِ يَجِبُ المَحَافِظَةَ عَلَيْهَا، وَهُوَ مَأْمُورٌ بِالْحِرْصِ عَلَيْهَا وَالخَوْفِ عَلَيْهَا مِنَ الضِّيَاعِ، (يَخَافُ عَلَى شَيْءٍ فَيَتَحَرَّكُ لِلْمَحَافِظَةِ عَلَيْهِ بِرَجَاءِ المَحَافِظَةِ عَلَيْهِ)، وَهَذَا هُوَ الصَّحِيحُ مِنَ المُوازَنَةِ بَيْنَ حَتْمِيَّةِ القَضَاءِ وَالقَدْرِ وَبَيْنَ مَسْئُولِيَّةِ الأَخْتِيَارِ وَالسَّعْيِ لِلتَّكَامُلِ، فَيَقْبَى بَيْنَ الرِّجَاءِ وَالخَوْفِ (كَمَا فِي الحَدِيثِ)، مَحَافِظًا عَلَى مَا حَصَلَ عَلَيْهِ، وَسَيَحْصَلُ عَلَيْهِ.

وَهَكَذَا كَانَ الحُسَيْنُ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَخَافُ عَلَى ضِيَاعِ جُهُودِهِ وَجُهُودِ أَبِيهِ وَجَدِّهِ وَأُمِّهِ وَأَخِيهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَمَا أَسَّسَهُ لِنَجَاحِ المَشْرُوعِ الإِلَهِيِّ، فَهُوَ (خَائِفٌ يَتَرَقَّبُ) حِينَ خَرَجَ مِنْ مَدِينَةِ جَدِّهِ الرِّسُولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، خَوْفًا عَلَى الدِّينِ وَحِرْصًا مِنْهُ عَلَى الجُهُودِ الأَتِيَّةِ بِذَلِكَ جَدِّهِ وَأَبُوهِ وَأُمِّهِ وَأَخُوهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، بَلْ جُهُودَ كُلِّ الأَنْبِيَاءِ السَّابِقِينَ، بَلْ وَأَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَكَانَ يَخَافُ عَلَى ضِيَاعِ الجُهُودِ الأَتِيَّةِ سَيَبْذُهَا الأَثَمَةُ مِنْ وُلْدِهِ بَعْدَهُ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ مِنَ المُؤْمِنِينَ، فَالخَوْفُ مَمْدُوحٌ لِمَعِيَّةِ الرِّجَاءِ مَعَهُ؛ وَلِذَلِكَ فَخَوْفُ مُوسَى - بَلْ خَوْفُ القَائِمِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَخَوْفُ



حتمية القضاء والقدر في مفهوم النهضة الحسينية ..... ٧٣

الحسين عليه السلام - خوفٌ معه الرجاء؛ لأنَّه ليسَ فيه قعودٌ وتخاذُلٌ وقنوطٌ ويأسٌ  
مِن رُوحِ الله، بلُ التحرُّكُ عَلى طبقِ الخوفِ لدفعه أو رفعه وَهَذَا هُوَ الرِجاءُ  
العملي.

### شجاعة التدبير لا تنافي العذر

سورة الكهف التي اصطلحنا عليها سورة الإمامة<sup>(١)</sup>، (وفعالاً هي كذلك)، فهي تُعطي أربعة نماذج مُهمّة تُبيّن حيثيات وسلوكيات الإمامة وهي:

(١) قصة آدم عليه السلام كخليفة وإمام.

(٢) نموذج أصحاب الكهف.

(٣) نموذج العبد الصالح.

(٤) نموذج ذي القرنين.

كذلك تؤكد الروايات أنّ أصحاب الكهف والعبد الصالح الذي هو الخضر عليه السلام، سيكونون من أنصار الإمام المهدي عليه السلام، أي: أنّ هؤلاء لهم الأهلية للعيش في آخر الزمان، أي: لهم الأهلية للقيادة العسكرية والسياسية، التدبيرية والاجتماعية في الزمن اللاحق (المتقدّم) المتطور علمياً وحضارياً؛ ممّا يكشف لنا عن علو علمهم، وعن عمق عقيدتهم، وصفاء نيتهم، وعمق تدبيرهم وخبرويتهم، وأنّ علمهم ليس من سنخ العلوم المعروفة، بل هو علم لدني كما أخبرنا القرآن في قصة الخضر.

نعم، القرآن لم يخبرنا عن سنخ علم أصحاب الكهف، بل قال: ﴿إِنَّهُمْ

---

(١) السند، محمد، الإمامة الإلهية: ج ٣، ص ٤-٥. بين سماحة الشيخ (دام ظله) في كتاب الإمامة الإلهية قراءة مُميّزة للنماذج المذكورة.

فَتِيَّةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى<sup>(١)</sup>، ولعلَّ أحدَ القرائنِ عَلَى أَنَّ علمهم لَدُنِّي - بالإضافة إلى الآية: ﴿وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾ - هُوَ نفس أهليّتهم للقيادة الإدارية والتدبيرية في آخر الزمان.

الأمر الآخر المُهم الذي يجب أن نُسلِّط الضوء عليه - لبيان ميزاتهم التي سببت أهليّتهم للقيادة في آخر الزمان، بعد أن عرفنا أن سنخ علمهم لَدُنِّي - هُوَ الجانب الأمني أو الحسّ الأمني (كما يُعبّر في العصر الحاضر)، والقرآن يُبيّن لنا ذلك في مقطع صغير خفيّ يتّضح بالتدبُّر وبالتأمُّل، فعن أصحاب الكهف، يقول: ﴿فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا<sup>(٢)</sup> .

فَمِنْ قَوْلِهِ: ﴿وَلْيَتَلَطَّفْ﴾. وقوله: ﴿وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا﴾. استدللَّ بعضُ بها عَلَى مشروعية التقيّة إِلَّا أَنَّهُ فِيهَا جَانِبٌ عَظِيمٌ وَخَطِيرٌ مِّنْ تَدْرِيبِ النَّفْسِ عَلَى الْحَسِّ الْأَمْنِيِّ وَالتَّدْبِيرِ؛ فَإِنَّ (التَّلَطُّفَ) الَّذِي طَلَبَهُ أَصْحَابُ الْكَهْفِ مِنْ صَاحِبِهِمُ الَّذِي أَرْسَلُوهُ إِلَى الْمَدِينَةِ فِيهِ جَانِبٌ عَظِيمٌ وَخَطِيرٌ مِّنْ تَدْرِيبِ النَّفْسِ عَلَى الْحَسِّ الْأَمْنِيِّ وَالتَّدْبِيرِ، وَهُوَ نَوْعٌ خَفَاءٌ، لِلْمَتَلَطُّفِ حِينَ مَوَاجَهَتِهِ لِلنَّاسِ.

فاللطفة كما يقول الراغب الأصفهاني: «ويعبّر باللطفة واللطف عن الحركة الخفيفة وعن تعاطي الأمور الدقيقة»<sup>(٣)</sup>، إذًا؛ التلطف هُوَ الخفة في

(١) الكهف: آية ١٣.

(٢) الكهف: آية ١٩.

(٣) الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد، المفردات في غريب القرآن: ص ٤٥٠ مادة (لطف).

التعاطي والتعامل، والخفة لا يُقصد بها سرعة الحركة، بل هي تُشير إلى عدم الثقل له لدى الآخرين، وهو عدم الوزن، أي: لا يُقام لهذا المُتعاطي وزناً، وكأنَّ العين لا تحسب له حساباً ولا تُقيم له وزناً، وهذا معنى عظيم وحسّ أمني خطير لا يمكن أن يعملهُ كُلُّ أحد، وهو في الحقيقة هبة إلهية وسرّ إلهي.

وفي كثير من القصص التي تروى عن أشخاص تشرفوا برؤية الإمام صاحب الزمان عليه السلام، أمَّهم إنَّما التفتوا إلى أن هذا هو الإمام عليه السلام بعد أن ذهب أو اختفى عنهم، وأنَّه لم يشعرهم أنَّه هو الإمام، والإمام أعطاهم إشارات خفية أو لطيفة، ولكن للطفاتها ودقتها لم يلتفتوا إليها.

نعم، من يدعي الرؤية بداعي إظهار أنه وسيط مع الإمام عليه السلام فهو كاذب مُفترٍ.

#### خفاء التدبير بلا خفاء للمدبر

كذلك اللطف هو عبارة عن تعاطي لمعانٍ دقيقة، لا يفهمها كُلُّ أحد فالعبارات اللطيفة الدقيقة التي تُلقى لا يفهمها عامَّة الناس، بل يفهمها الخواص أو خواص الخواص؛ فيكون التلطف هو في الكلام بقدر السؤال مع عدم الزيادة، والكلام بشكل إجمالي ومقتضب، أو بشكل بسيط وسلس وغير مُعقَّد؛ لأنَّ التعقيد يزيد السؤال.

فالتلطف وعدم إشعار الآخرين هو إشارة للحسّ الأمني العالي الذي مارسه أصحاب الكهف، وكذلك الخضر عليه السلام حينما جاء إليه موسى عليه السلام يتعلَّم منه، حيث كان بين موسى عليه السلام وبين الخضر عليه السلام موعد، ولا يُتصور أن الخضر تخلف عن الموعد، كما لم يتخلف موسى عليه السلام، ولكن الذي حصل أن موسى عليه السلام لم يطلع على العلامة حين وقوعها وهي اتَّخاذ الحوت سبيلاً سرياً، وحينها كان

الخضر عليه السلام جالساً في نفس المكان، ولم يُشر إلى موسى عليه السلام، ولم يحرك ساكناً لشدة حياضته الأمنية رغم أنه عرف موسى عليه السلام حسب المقرر.  
فتلاقي موسى والخضر عليه السلام وإن كان وعداً إلهياً وقدرًا محتملاً وقضاءً مُبرماً إلا أن ذلك لم يدع موسى والخضر عليه السلام يتوانيان عن تحمّل أعلى المسؤولية وإتيان قمة النشاط، ومراعاة أشدّ الحذر وأدقّ الترقّب مع أن الخضر عليه السلام قد شرب من عين الحياة ومضمون البقاء إلى يوم الظهور المقدّس للإمام عليه السلام، إلا أن حذره مُتصاعد حتى مع مثل موسى عليه السلام نبي من أولي العزم.

ومن ثمّ قال له - حيطّة وحفاظاً على برنامج مسؤولياته الخفيّة -: هذا فراق بيني وبينك. والسبب لأجل أن يبقى في معاشة تامّة لأسلوب الحياطة الأمنية - التقيّة المكثّفة - حتى في الحالات الاعتيادية، قال تعالى: ﴿قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوْيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَانِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا﴾<sup>(١)</sup>.

وهذه التقيّة من الإمام عليه السلام وأصحابه - والبرنامج الأمني المكثّف - ليس تشكيكاً في وعد الله المحتوم بالنصر والعياذ بالله، ولا تشكيكاً في قدرة الله، بل هو على العكس تماماً زيادة في الإيمان بمدى سعة القدرة والمشية الإلهية، وزيادة في المعرفة بمشيئة الله وسعة قدرته التي هي البداء وبسعة قدرة الله وسعة علمه.

وإنّ الاحتراز من مثل الخضر عليه السلام أو أصحاب الكهف عليهم السلام هو أكثر تسليماً لمشية الله الواسعة، من استسلامهم للقضاء والقدر اللذين هما أضيق

(١) الكهف: آية ٦٣.

مِنْ سَعَةِ الْمَشِيئَةِ، أَلَا تَرَى قَوْلَ نَبِيِّ اللَّهِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾<sup>(١)</sup>. فرغم يقينه إِلَّا أَنَّهُ اسْتَشْنَى مَشِيئَةَ اللَّهِ لِسَعَةِ عِلْمِ اللَّهِ بِكُلِّ شَيْءٍ.

وبعبارة أخرى: رغم كون الخضر عليه السلام حياً إلى آخر الزمان إِلَّا أَنَّ أَتْبَاعَ الْأَسَالِيبِ وَالطَّرِيقِ الْأَمْنِيَّةِ شَيْءٌ أَسَاسِي، وَهُوَ أَشَدُّ تَسْلِيمًا لِلَّهِ حَيْثُ سَلَّمَ بِسَعَةِ مَشِيئَةِ اللَّهِ وَعِلْمِهِ وَقَدْرَتِهِ، وَلَمْ يَغْتَرَّ بِحَتْمِيَّةِ الْقَضَاءِ وَالْقَدْرِ، وَلِذَلِكَ الْمَخْلُصُونَ عَلَى خَطَرٍ عَظِيمٍ وَوَجَلٍ كَبِيرٍ؛ لِتَهْيِيبِهِمْ مِنْ سَعَةِ الْمَشِيئَةِ وَالْعِلْمِ وَالْقُدْرَةِ وَالْبَدَاءِ، فَبَقَدْرٍ مَا لَدَيْهِمْ مِنْ رَجَاءٍ وَمَعْرِفَةٍ بِالْجَمَالِ لَدَيْهِمْ خَوْفٌ وَمَعْرِفَةٌ بِالْجَلَالِ، وَهُوَ مَا يُشِيرُ إِلَيْهِ سَيِّدُ الشُّهَدَاءِ فِي دَعَاءِ عَرَفَةَ: «إِلَهِي، إِنَّ اخْتِلَافَ تَدْبِيرِكَ وَسُرْعَةَ طَوَاءِ مَقَادِيرِكَ مَنَعَا عِبَادَكَ الْعَارِفِينَ بِكَ عَنِ السُّكُونِ إِلَى عَطَاءٍ، وَالْيَأْسِ مِنْكَ فِي بَلَاءٍ»<sup>(٢)</sup>.

فعدم سكونهم لعدم اقتصارهم بلا خوف وإن أعطوا، وكَيْسَ سَوْءَ ظَنِّ بِاللَّهِ تَعَالَى، بَلْ تَوَازَنَ شِدَّةُ الرَّجَاءِ مَعَ شِدَّةِ الْخَوْفِ، وَهُوَ تَجَلُّ لِعَظْمَةِ الرَّبُّوبِيَّةِ مَعَ شِدَّةِ عِبَادِيَّةِ وَشِدَّةِ خُضُوعِ، وَعَدَمُ يَأْسِهِمْ وَعَدَمُ اقْتِصَارِهِمْ عَلَى الْخَوْفِ بَدُونِ رَجَاءٍ فِي الْبَلَاءِ؛ لَكُونَ خَوْفُهُمْ مَعَ رَجَاءٍ، وَهَذَا مَعْنَى دَقِيقٍ بِحَاجَةِ إِلَى تَدْبِيرٍ.

(١) الأنعام: آية ٨٠.

(٢) ابن طاووس، علي بن موسى، إقبال الأعمال: ص ٣٢٩-٣٥٠. المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٩٥، ص ٢٢٥.

## كمال التدبير اليقظة والحدز

### أحلاس البيوت

وَرَدَتْ روايات عديدة ذكرت عنوان (الحلّس)، وأُسيءَ فهمَ هذا العنوان كثيراً، وتصور الكثير أنّه يعني الجمود وترك المسؤوليات؛ فلا بُدَّ هنا أن نسلط الضوء على هذا العنوان.

عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام، قَالَ: «... فكونوا أحلاس بيوتكم، والبدوا ما ألبدنا، فإذا تحركت متحرّكنا فاسعوا إليه ولو حبواً»<sup>(١)</sup>. وعن أبي الجارود، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام، قَالَ: «قال: قلتُ له عليه السلام: أوصني؟ فقال: أوصيك بتقوى الله، وأن تلزم بيتك وتقعّد في دهماء هؤلاء الناس، وإياك والخوارج منّا؛ فإنّهم ليسوا على شيء ولا إلى شيء...»<sup>(٢)</sup>. وعن أبي المرهف، قال: «قال أبو عبد الله عليه السلام: هلكت المحاضر، قال: قلتُ: وما المحاضر؟ قال: المستعجلون، ونجا المقرّبون، وثبت الحصن على أوتادها، كونوا أحلاس بيوتكم؛ فإنّ الغبرة على من أثارها، وإنّهم لا يريدونكم بجائحه إلاّ أتاهم الله بشاغل إلاّ من

(١) النعماني، محمد، الغيبة: ص ٢٠٠، باب ١١، ح ١. وقد نُقل نفس المضمون في روايات أخرى من طرق الشيعة والسنة، حيث نقل في سنن أبي داود - وهو من مصادر السنة - عنوان (الأحلاس). أنظر: أبو داود، سليمان بن الأشعث، سنن أبي داود: ج ٢، ص ٣٠٥.

(٢) النعماني، محمد، الغيبة: ص ٢٠١، باب ١١، ح ٢.

تعرّض لهم<sup>(١)</sup>.

هذه الروايات وغيرها نراها تأمر المؤمن في زمن الغيبة أن يكون حليماً من أحلاس بيته، وقد شاع تفسيره بمعنى الجلوس في الدار، أو بمعنى السكون وعدم الحركة، أو عدم التحرك لئلا يؤدي بالمؤمن للأذى أو الموت. فهل المراد من هذا اللسان ذلك أو شيء آخر؟ وهذا ما سيأتي توضيحه في خاتمة البحث - في بحث مستقل في الفصل الأول من القسم الثاني - إذ هذا المعنى الشائع تفسيره لا يتناسب مع القواعد المعرفية العامة من التوكل والرجاء وعدم اليأس وعدم الاستسلام إلى الظروف والواقع الراهن مهما كان مُعقداً ومُكبّلاً.

وقد جذر هذه الثقافة - ثقافة الأمل والنشاط - ما ورد في زيارة الحسين عليه السلام أنه كان أسير الكربات<sup>(٢)</sup>، أي: أن تعقيد الظروف كان يحيط به من كل جانب، وبرغم كل ذلك لم يكن عليه السلام مستسلماً لتلك الظروف، بل كان في قمة الحيوية والنشاط.

---

(١) المصدر السابق: ص ٢٠٣، باب ١١، ح ٥. وبنفس المضمون نقل ذلك الكليني في باب ما يعاين المؤمن والكافر. أنظر: الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ٣، ص ١٣٢.

(٢) الطوسي، محمد بن الحسن، مصباح المتهدّد: ص ٧٨٨. المشهدي، محمد بن جعفر، المزار: ص ٥١٤.





### الفصل الثالث

لا حَسَم سابق ولا حَتَم في التداعيات  
بدون إمكانيّة البَداء



### لا حَسْم سابق ولا حَتَم في التدايعيات بدون إمكانية البَداء

إذا كَانَ الحَسْم والحَتَم في الأمر الكُليّ وكذلك الجزئيّ فلا حَسْم ولا حَتَم في التدايعيات، بنحو يسدّ الباب عَنْ تطرُق البَداء الإلهي، لا سيّما البَداء الأعظم. ال  
هَذَا الجواب: مَعَ التَنزُلِ عَنْ الجوابِ الأوَّلِ: مِنْ أَنَّ قضية شهادة الحسين عليه السلام نفسها تحتمل البَداء، ولو البَداء الأعظم. ومَعَ التَنزُلِ عَنْ الجوابِ الثَّانِي: مِنْ أَنَّ قضية الحسين عليه السلام تحتمل البَداء في تفاصيلها الجزئية، وإنْ لم تحتمل البَداء في أصل الشهادة، يأتي دور الجوابِ الثالث، وَهُوَ:

إنَّ النتائج والتدايعيات المترتبة عَلَى الحدث غير محسومة سلفاً ومُسبَقاً، والتفاصيل الأخرى المتولّدة مِنْ الحدث الخارجة عَنْ حاقِّ الواقعة كذلك المجال فيها مُمكن للحركة والحراك والسعي بلحاظها لإنجاز أكبر قدر مِنْ الأهداف العالية، فلا يَأْس ولا إياس، بلْ عنفوانٌ رجاءٍ ملؤه تفاؤلٌ بالخير والأمل، وهذه معرفة غائرة بالتوكُّل عَلَى الله تعالى والرجاء لرحمته تفوق الإيمان بالقضاء والقدر، فإنَّ النتائج التي يرمي الحسين عليه السلام للتخطيط لوقوعها والتي تتكشف يوماً بعدَ يوم كانت مِنْ إنجازات الحسين عليه السلام بمشيئته تعالى وراء القضاء المحتوم، أي: بما ألهمه الله مِنَ العلم والفهم بسعة قُدرة الله تعالى وسعة علمه تعالى، وبما كشف له مِنْ الواقع بما له مِنْ علو، وأخرى كانت مِنْ

إنجاز السبايا، وبالخصوص زينب والسجاد عليهما السلام بما لهم من علم إلهي وحكمة وتربية محمدية علوية فاطمية حسنية حسينية.

وهذا واضح في قول السجاد لعتمته زينب عليها السلام: «أنتِ عالمةٌ غيرُ مُعلّمةٍ وفهمَةٌ غيرُ مُفهمَةٍ»<sup>(١)</sup>، وزينب عليها السلام تؤكد له أنّ قضية الحسين عليه السلام باقية ما بقي الليل والنهار، حيث تقول عليها السلام: «ما لي أراك تجود بنفسك يا بقیة جدي وإخوتي؟ فوالله، إنّ هذا العهد من الله إلى جدك وأبيك، ولقد أخذ الله ميثاق أناس لا تعرفهم فراعنة هذه الأرض، وهم معروفون في أهل السموات، أنهم يجمعون هذه الأعضاء المقطعة والجسوم المضرّجة فيوارونها، وينصبون بهذا الطف علماً لقبر أبيك سيّد الشهداء لا يُدرس أثره، ولا يُمحى رسمه على كرور الليالي والأيام، وليجتهدنّ أئمة الكفر وأشياع الضلال في محوه وطمسه، فلا يزداد أثره إلا علواً...»<sup>(٢)</sup>.

وهذه كلمة من العقيلة عليها السلام عالية المضامين يصعب إنجازها وتطبيقها، وهي كلمة نسمعها ونرددها، وهي خفيفة في اللسان، ولكنها كانت ولا زالت ثقيلة في ميدان التطبيق وميدان العمل، فالإخبار والعلم شيء، والعمل شيء آخر مُغاير تماماً للكلام والعلم.

إذاً؛ فإنّ نتائج كثيرة غير محسومة وغير محتومة يمكن أن تترتب بتحمّل المسؤولية ومكابدة الهمم، وإن كان أصل الحدث محتوماً والواقعة مبرمة في القضاء؛ فكان الحسين عليه السلام - دوامة قطب نشاط وحيوية - يرمي إلى إنجازها، وأنجزت وتحققت على يده، أو على يد السبايا في زمنه أو بعد زمنه المبارك وإلى يومك هذا.

(١) الطبرسي، أحمد بن علي، الاحتجاج: ج ٢، ص ٣١.

(٢) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ٤٤٤ (الهامش).

## التفاؤل في ميزان القضاء والقدر

### تفاءلوا بالخير

نودُ - هنا- الإشارة إلى بعض الأُسُس والقواعد الَّتِي أُسسها النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَالَّتِي تُلقِي بظلالها عَلَى ما ينبغي فهمه مِنْ الجواب الثالث في معرفة سعة التوكُّل والرجاء بالله تعالى ورحمته.

بند وأصل وأساس عظيم، ونظريّة نبويّة، وكلمة جامعة مِنْ الخاتم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الذي قال: «أُعْطِيَتْ جوامع الكلم»<sup>(١)</sup>، وهذه الكلمة هي: «تفاءلوا بالخير تجدوه»<sup>(٢)</sup>، هذه الكلمة الجامعة مِنْ (الخاتم لما سبق، والفتاح لما استقبل والمهيمن عَلَى ذلك كُلِّه)، هذه الكلمة العظيمة الكُبرى مِنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليست مُجَرَّد كلمة تشجيعيّة اندفاعية لشحذ الهمم - وإن كانت كذلك- بل هي كلمة شوهدت نتائجها، وتشاهد اليوم في عشرات الميادين، بل مئات أو أكثر مِنْ ذلك. وكثيرون نجحوا في حياتهم بتطبيقهم لهذه المقولة العظيمة، في حين تجد إنساناً في قِمة الفشل، ولكنه مُتفائل وتفاؤله يحوِّل الهزيمة إلى نصر والفشل إلى نجاح والأزمات إلى فُرُص.

(١) الصدوق، محمد بن عليّ، الأمالي: ص ٢٨٥. وأنظر: الطوسي، محمد بن الحسن، الأمالي: ص ١٠٥. وابن حنبل، أحمد، مسند أحمد: ج ٢، ص ٢٥٠.

(٢) الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن: ج ١٩، ص ٧٧. الريشهري، محمد، ميزان الحكمة: ج ٣، ص ٢٣٥٣. كما وَرَدَ في قصّة الحديدية، وكذلك في قصّة كتابه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى خسرو برونيز.

فالتفاوت حالة تكوينية تعيشها النفس، والروح تصنع المعجزات في تدبير وإدارة الحدث في عالم التكوين الخارجي، كما صنعتها في عالم التكوين الباطني للنفس، وليس الأمر مختصاً بالأفراد، بل هو حتى على صعيد المجتمعات وعلى صعيد الدول والحكومات.

### تدبير الخير لمستقبل الأمة

من فرط حرص النبي ﷺ على الخير للمسلمين، بل لكل الناس بما فيهم أهل الكفر والنفاق واستماعه لكلامهم، قال بعض الصحابة في زمانه: هو (أذن). فأجاب عن ذلك القرآن بقوله: ﴿أَذُنْ خَيْرٌ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾<sup>(١)</sup>. فهو يستمع للجميع ويصاحب الكل (بما فيهم المنافق)؛ لذلك يظن الظان أن النبي ﷺ استجاب لهذا القرشي المتآمر، أو قبل قول هذا المنافق، والحال أن في الاستماع الجيد والإصغاء التام له أبعاد كثيرة جداً، فهو من جهة يشجع الطرف الآخر على التفاعل والمشاركة والإسهام، سواء الصحيح أو الخاطئ حتى يصحح ﷺ له الخطأ - تكلموا تعرفوا-. ومن جهة يثب جواً من الحرية وقبول الطرف الآخر، وهو لا يعني بالضرورة تطبيق ما يقوله الطرف الآخر، وهو تشجيع للحوار الهادئ البناء والمشورة النافعة. ومن جهة ثالثة هو تعليم للآخرين؛ لأنه عندما يتكلم بما عنده من أفكار تأتيه أفكار جديدة ورؤى أخرى، ويتنفع البقية من المناقشة ومن التصحيح والمداخلات. ومن جهة رابعة دور للمشاركة والمراقبة داخل الإطار الإسلامي الصحيح، والابتعاد عن سياسة تكميم الأفواه في الاستفسار عن بعض السياسات التنفيذية على الرغم من أنها وحي منزل.

(١) التوبة: آية ٦١.

ولذلك لم يكن الله ولا رسوله ﷺ يمنع من التفاعل الصحيح البناء، فالنبي ﷺ في عشرات المواقف يستقبل الكلام القاسي بصدر رحب من جهة، ومن جهة أخرى يقول هذا أمر الله، ولم يكن في كلام القرآن وفي كلام النبي والأنبياء السابقين ما يُشير إلى تحريم إبداء المقترحات والأسئلة الفاحصة عن الحقيقة في تصرف من التصرفات والممارسات، وهذا ما يُفسر لنا عشرات التعليقات المُفسرة المبيّنة التي في القرآن لتصحيح المسارات الخاطئة التي مارستها الأقوام في الاجيال السابقة عن حكمة أفعال الأنبياء، وتصرفاتهم حيث توهموا بالنظر السلبي لتلك التصرفات.

نظير ذلك قضية تنصيب عليّ عليه السلام أميراً للمؤمنين من قبل السماء، فقد جاءت العزيمة منه تعالى في حجة الوداع في مكة، إلا أن الأمر لم يكن مُضيّقاً من جهة الزمان والمكان، وكان الزمن باختيار النبي ﷺ حيث كان يتحرى الوقت المناسب الذي يوصل فيه التبليغ للناس مع اشتماله على أكبر حصيلة ممكنة من تشييد صرح هذا الأصل الأصيل للإسلام والمسلمين، ثم أتت عزيمة أخرى منه تعالى مُضيّقة في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾<sup>(١)</sup>، أي: بلِّغ - يا رسول الله ﷺ - تنصيب الأمير عليه السلام.

فقد روى ابن مردويه بسنده، عن ابن مسعود عن قراءة الآية، قال: «كُنَّا نقرأ على عهد رسول الله ﷺ ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ...﴾»<sup>(٢)</sup>، وأخرج ابن أبي حاتم -

(١) المائدة: آية ٦٨.

(٢) السيوطي، جلال الدين، الدر المنثور في التفسير بالماثور: ج ٢، ص ٢٩٨.

وابن مردويه وابن عساكر - عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخَدْرِيِّ، قَالَ: «نَزَلَتْ هَذِهِ آيَةٌ ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ...﴾ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ غَدِيرِ خُمٍ فِي عُلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ»<sup>(١)</sup>، وَإِذَا كُنْتَ فِي خَشْيَةِ عَلَى الرِّسَالَةِ وَعَلَى الْمَشْرُوعِ الْإِلَهِيِّ، فَإِنَّهُ مَشْرُوعٌ مَعْصُومٌ، وَأَنْتَ أَيْضاً مَعْصُومٌ وَمَمْنُوعٌ مِنْ أَنْ يَصِلَ إِلَيْكَ الشَّرُّ مِنْ النَّاسِ وَالتَّكْذِيبِ، فَإِذَا لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ شَرٌّ وَتَكْذِيبٌ فَهُنَاكَ الْخَيْرُ كُلُّ الْخَيْرِ وَهُوَ الْمُبْتَغَى وَالْغَايَةُ.

وَخَشْيَةُ النَّبِيِّ ﷺ بِكُلِّ تَأْكِيدٍ كَانَتْ فِي مَحَلِّهَا، وَعَوَامِلُ الْخَشْيَةِ مَوْجُودَةٌ وَالْقُرْآنُ يَوْضَحُ ذَلِكَ، وَلَكِنْ لَا بَدَّ مِنْ التَّبْلِيغِ؛ لِأَنَّ الْأَمْرَ الْمَبْلُغَ بِهِ هُوَ عَدْلُ الرِّسَالَةِ، بَلْ هُوَ الرِّسَالَةُ، وَمِنْ الْآيَاتِ الَّتِي تُبَيِّنُ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿سَأَلْ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾<sup>(٢)(٣)</sup>.

فَالْأَمْرُ الْأَوَّلُ وَالْعَزِيمَةُ الْأُولَى بِتَّبْلِيغِ الْوِلَايَةِ رَغْمَ عَظَمَتِهَا وَخَطُورَتِهَا فِي الْأَمْرِ الْإِلَهِيِّ النَّازِلِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، إِلَّا أَنْ ذَلِكَ لَمْ يَدْفَعْ بِالنَّبِيِّ ﷺ إِلَى الْإِنْدِفَاعِ فِي الْحَرَكَةِ وَالْحِرَاكِ مِنْ دُونِ تَدْبِيرٍ وَتَخْطِيطٍ فِي تَوْخِيهِ الْأَفْضَلَ فِي الْمَسَاحَةِ الْمَفْتُوحَةِ بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنِ الْأَمْرُ مُضَيِّقاً، بَلْ مَوْسَعاً حَتَّى جَاءَ الْأَمْرُ مَرَّةً أُخْرَى

(١) المصدر نفسه.

(٢) المعارج: آية ١.

(٣) وفي كتاب مدينة المعاجز أَنَّ السَّائِلَ الْمَذْكُورَ هُوَ النَّظَرُ بِنِ الْحَارِثِ الْفَهْرِيِّ، فَإِنَّهُ قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: «إِذَا كُنْتَ سَيِّدَ وُلْدِ آدَمَ، وَأَخْوَكَ سَيِّدِ الْعَرَبِ، وَابْتَنَكَ فَاطِمَةَ سَيِّدَةَ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ، وَابْنَكَ الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ سَيِّدِي شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَعَمَّكَ سَيِّدِ الشَّهَدَاءِ، وَابْنَ عَمِّكَ ذُو الْجَنَاحِينَ يَطِيرُ بِهِمَا فِي الْجَنَّةِ حَيْثُ يَشَاءُ... فَمَا لَسَائِرِ قَرِيْشٍ؟!»، وَهُوَ بِاحْتِجَاجِهِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ بِتَنْصِيْبِهِ لِعَلِيٍِّّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَنَّهُ إِذَا كَانَ حَقّاً وَمِنْ السَّمَاءِ فَلْيَأْتِيهِ الْعَذَابُ، فَجَاءَهُ الْعَذَابُ. الْبَحْرَانِي، هَاشِم، مَدِينَةُ الْمَعَاجِز: ج ٢، ص ٢٧٢.



لا حَسَمَ سابق ولا حَتَمَ في التدايعيات بدون إمكانية البداء ..... ٨٩

بالفورية والتضييق، فترك التأخير بسبب التروي والتحرّي إلى المبادرة والإسراع.

هذا مثال وسنة منه ﷺ أَنَّ الأَمْرَ وَإِنْ كَانَ حَتْمِيًّا وَبِالْغِ الْخَطُورَةَ، إِلَّا أَنَّهُ لَا مَلَاذِمَةَ بَيْنَ الْحَتْمِيَّةِ وَعَدَمِ السَّعَةِ فِي التَّفَاصِيلِ، فَأَصْلُ الْإِبْلَاغِ لِأَزْمِ، وَلَكِنَّهُ مِنْ جِهَةِ الزَّمَانِ وَالْمَكَانِ وَالظُّرُوفِ مُتَّسِعٌ لِلتَّيْدِيرِ وَالتَّحْرِيِّ الْأَنْسَبِ لِلْحَرَكَةِ وَالْحِرَاكِ، وَتَوْخِيَّ أَفْضَلِ الظُّرُوفِ وَأَحْسَنِ النَّتَائِجِ.

وَمِنْ ثَمَّ وَرَدَ النَّهْيُ الشَّدِيدُ فِي السَّنَةِ الْإِلَهِيَّةِ عَنِ التَّضْيِيقِ بِكَثْرَةِ السُّؤَالِ، كَمَا فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ ضَيَّقُوا عَلَيَّ أَنْفُسَهُمُ الْأَوَامِرَ الْإِلَهِيَّةَ ذَاتَ الْعُمُومِ (الْمُتَّسَعَةَ) بِسَبَبِ كَثْرَةِ السُّؤَالِ عَنِ التَّفَاصِيلِ وَالْقِيُودِ، كَمَا فِي أَمْرِهِ تَعَالَى لَهُمْ بِذَبْحِ الْبَقْرَةِ، فَكَانَ فِي الْبَدَأِ مُتَّسِعٌ لَهُمُ الْمَجَالُ فِي التَّفَاصِيلِ وَالْحَرَكَةِ فِيهَا رَغْمَ الْإِزَامِيَةِ الْأَمْرِ، إِلَّا أَنَّهُمْ أَكْثَرُوا السُّؤَالَ عَنِ الْقِيُودِ فِي التَّفَاصِيلِ لِيَحْتَمُّوْهَا عَلَيَّ أَنْفُسَهُمْ، مَعَ أَنَّهُمْ لَمْ تَكُنْ مُبْرَمَةً بِالْقِيُودِ مُضَيِّقَةً عَلَيْهِمْ رَغْمَ إِبْرَامِ أَصْلِ الْأَمْرِ.

وَهَذَا مَعْنَى مَا وَرَدَ مِنْ أَنَّ اللَّهَ يَكْرَهُ كَثْرَةَ السُّؤَالِ، أَي: عَنِ التَّفَاصِيلِ الْمُقَيَّدَةِ لِلْسَّعَةِ - كَمَا هُوَ حَالُ الْيَهُودِ أَصْحَابِ الْبَقْرَةِ - لَا كِرَاهَةَ السُّؤَالِ عَنِ الْمَعْرِفَةِ بِالْحَقَائِقِ بِمَعْنَى التَّعَلُّمِ وَالْمَعْرِفَةِ، وَهَذَا مَعْنَاهُ أَنَّ سُنَّةَ وَمُحَبَّةَ اللَّهِ تَعَالَى هِيَ فِي حَيَوِيَّةِ النِّشَاطِ وَالْحِرَاكِ مِنَ الْعَبْدِ فِيهَا وَسَّعَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ الْمَجَالِ سِوَاءَ فِي الْأَمْرِ التَّكْوِينِيِّ أَوْ الْأَمْرِ التَّشْرِيعِيِّ، وَهَذِهِ السَّنَةُ الْكُونِيَّةُ وَالتَّشْرِيعِيَّةُ تَنَاسَبُ مَقْتَضَى وَمَعْنَى التَّوْحِيدِ فِي الْأَفْعَالِ (أَمْرٌ بَيْنَ أَمْرَيْنِ)، فَلَا جَبْرَ حَتْمٍ مُضَيِّقٍ، وَلَا تَفْوِيضَ انْقِطَاعٍ عَنِ الْغَايَةِ وَالْإِرَادَةِ الْإِلَهِيَّةِ.

## قمة النشاط مع حتمية الشهادة

### تفاؤل الحسين عليه السلام

سَيِّدُ الشُّهَدَاءِ يَجْسُدُ هَذَا الْبِنْدَ الْعَظِيمَ وَهَذِهِ الْكَلِمَةَ - تَفَاءَلُوا بِالْخَيْرِ -  
الجامعة (عملياً) في ساحة الطَّف، يُقاتل قتال المنتصر لا يعرف الهوادة، يكرّر  
على القوم كراراً، كرّ الأسد الغضوب، يبتغي الخير ويطلب عنوان الخير بكلّ  
أبعاده، سواء الحالية أو المستقبلية للدين أو له عليه السلام باعتباره حجّة الله في أرضه  
أو لأهل بيته وصحبه، بل أكثر من ذلك يبتغي الخير لأعدائه ويطلب الصلاح  
لهم، ففي كلّ حركة وسكنة وكلّ لحظة من اللحظات ينظر لذلك العنوان  
العام المهيم الواسع من اتّساع الرحمة الإلهية.

وَهَذَا الْأَمْرَ لَيْسَ عِنْدَ الْمَوْلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام فَحَسَبَ، بَلْ هُوَ أَدَبُ إِلَهِيٍّ  
وَنَبَوِيِّ وَعُلُوِّيٍّ، فَإِنَّ اللَّهَ جَلَّ جَلَالُهُ بَيْنِي الْأُطْرَ الْعَامَّةَ لَتَعَامَلَهُ مَعَ مَخْلُوقَاتِهِ -  
وليس مع الإنسان فقط - على إطار الرحمة العامة الواسعة، والتي تنطوي تحتها  
عناوين عامة أخرى، كالخير والجود والكرم والعطاء، رغم علمه بمصائر  
الناس ومآلهم، وكأنّه يتجاوز عن علم قضائه وعلم قدره المحتوم إلى سعة  
مشيئته التي هي درجة أعلى من العلم بالقضاء والقدر الإلهي، فليس عطاؤه  
محظوراً على أهل الكُفْر ولا على أهل الإيمان، قَالَ تَعَالَى: ﴿كُلًّا نُمِدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ  
مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾<sup>(١)</sup>، فيعطي ويعطي ويبتغي الخير،

(١) الإسراء: آية ٢٠.

لا حَسَمَ سابق ولا حَتَمَ في التدايعيات بدون إمكانية البداء ..... ٩١

ويتحرى الخير ويأمل الخير في كُلِّ آنٍ مِنْ عبده، كما في الحديث القدسي: «مَنْ تَقَدَّمَ إِلَيَّ شَبْرًا تَقَدَّمْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَمَنْ تَقَدَّمَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَدَّمْتُ إِلَيْهِ بَاعًا...»<sup>(١)</sup>، جَلَّ رَبِّي عَنِ الزَّمانِ وَالْمكانِ.

وهكذا أدب الله نبيه ﷺ وَهُوَ القائل: «أنا أديبُ الله»<sup>(٢)</sup>، حَيْثُ كَانَ ﷺ يبتغي في تديره وإدارته لشؤون الآخرين الرحمة والخير للجميع، وكان يتفاهل بالخير في رسم سياساته وخطواته في سيرته مع أصحابه وجميع الناس إلى آخر لحظة وآخر فرصة وأمل لإرعوائهم إلى الحق وترك الباطل، ويجد الخير بذلك التفاؤل؛ ولذلك استطاع أن يقلب الموازين واستطاع أن يجعل من الأعداء إخوة متحابين؛ حيث أجرى الصلح بين الأوس والخزرج، وأخى بين المهاجرين والأنصار، وكان يتواضع للصغير والكبير ويستمع للحر والعبد.

---

(١) الحلبي، ابن فهد، الرسائل العشر: ص ٤١٦.

(٢) الطبرسي، الحسن بن الفضل، مكارم الأخلاق: ص ١٧. المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ١٦، ص ٢٣١.

### التفاؤل المعاكس (المذموم)

ليس التفاؤل على إطلاقه ممدوحاً، فهناك مواطن يُدَم فيها التفاؤل، وهِيَ المواطن التي ينبغي فيها الحذر والخوف من سخطه تعالى - مثلاً - ونحوها، فينبغي التعرف على تلك المواطن وهو أمر بالغ الأهمية، فإن مواضع العفو والرحمة تغاير مواضع النكال والنقمة الإلهية، وهي مواضع تكوينية لا يمكن أن يمتزج بعضها ببعض الآخر - كما في دعاء الافتتاح - : «أيقنتُ أنك أنت أرحم الراحمين في موضع العفو والرحمة، وأشد المعاقبين في موضع النكال والنقمة...»<sup>(١)</sup>، فينبغي أن يعرف المؤمن مواطن الرضا والغضب الإلهي، فيتجنب ما يسبب غضبه ويطلب موضع عفوهِ ورحمته.

فهناك تفاؤل مذموم لأنه في غير محله، قال تعالى: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾<sup>(٢)</sup>، بل ذكر القرآن في موطن سُخرية من البعض الآخر؛ لأنه يتفائل بغمام سيمطره بالعذاب، فقال تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ قَالَوا هَذَا عَارِضٌ مُمِطِرُنَا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾<sup>(٣)</sup>.

والقرآن الكريم ينقل لنا صوراً من حزن وجزع يعقوب عليه السلام، أنه حركة

(١) الطوسي، محمد بن الحسن، مصباح المتعجب: ص ٥٧٨.

(٢) آل عمران: آية ١٨٨.

(٣) الأحقاف: آية ٢٤.

لا حَسَمَ سابق ولا حَتَمَ في التداعيات بدون إمكانية البداء ..... ٩٣

لرفض الباطل وليس هو تحدير، ومن جهة أخرى هو تفاؤل صحيح لمبرراته الواقعية؛ فيكون جزعه غير منافٍ للعبادة والصبر، قال تعالى: ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾<sup>(١)</sup>.

من جهة أخرى ينهى القرآن عن الحزن المذموم الذي ليس فيه تفاؤل بسعة الرحمة وعلو الكلمة الإلهية، قال تعالى: ﴿إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيًا إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾<sup>(٢)</sup>.

---

(١) يوسف: آية ٨٣.

(٢) التوبة: آية ٤٠.

## معالم أخرى للأمل في تدبيره ﷺ

### الإغراق في لطافة وإتقان التدبير

ويمكرون...

لأجل تسليط الضوء أكثر على الجواب الثالث، وأنَّ الحسين ﷺ كان يرمي لتحقيق أفضل النتائج المستقبلية وأعلاها بلا يأس ولا إياس، بل عنفوان رجاءٍ ملؤه التفاؤل بالخير والأمل.

نودُّ أن نُبيِّن بعض الجوانب التي واجهها الحسين ﷺ، ومن تلك الجوانب جانب مكر العدو، وليس الابتلاء بهذا الجانب خاصاً به، بل كل المعصومين ﷺ، بل الرسالة المحمدية ورسولها تعرضا لأشد أنواع المكر وأقساها، والآيات في هذا المجال كثيرة.

ومن الآيات التي تُبيِّن ذلك - والتي تُشير إلى أن مكر الأعداء كان الابتلاء به سنة إلهية حتى في الأنبياء السابقين - قوله تعالى: ﴿وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ وَسَيَعْلَمُ الْكُفَّارُ لِمَنْ عُقْبَى الدَّارِ﴾<sup>(١)</sup>.

بل إن الآيات كشفت أن الأمر وصل بوضوح لاغتيال صاحب الرسالة - النبي ﷺ - قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ

(١) الرعد: آية ٤٢.

يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴿١﴾ . بَلْ إِلَى آخِرِ حَيَاتِهِ صَلَّى اللَّهُ  
جرت العديد من محاولات الاغتيال له صَلَّى اللَّهُ ، أشارت إليها الآيات والسور  
العديدة، فضلاً عن الروايات والنصوص التاريخية، فقد روى حماد بن عثمان،  
عن أبي عبد الله ع، قَالَ: «لَمَّا أُسْرِيَ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ إِلَى السَّمَاءِ قِيلَ لَهُ: إِنَّ اللَّهَ -  
تَبَارَكَ وَتَعَالَى - مَخْتَبِرُكَ فِي ثَلَاثَ لَيَظُنُّ كَيْفَ صَبْرِكَ. قَالَ: أُسَلِّمُ لِأَمْرِكَ يَا رَبِّ،  
وَلَا قُوَّةَ لِي عَلَى الصَّبْرِ إِلَّا بِكَ، فَمَا هُنَّ؟ قِيلَ لَهُ: أَوْلَهُنَّ: الْجُوعُ وَالْأَثْرَةُ عَلَى  
نَفْسِكَ وَعَلَى أَهْلِكَ لِأَهْلِ الْحَاجَةِ. قَالَ: قَبِلْتُ - يَا رَبِّ - وَرَضِيْتُ وَسَلَّمْتُ  
وَمِنَكَ التَّوْفِيقَ وَالصَّبْرَ.

وَأَمَّا الثَّانِيَةُ: فَالتَّكْذِيبُ وَالخَوْفُ الشَّدِيدُ، وَبِذَلِكَ مَهْجَتُكَ فِي مَحَارِبَةِ  
أَهْلِ الْكُفْرِ بِإِلَهِكَ وَنَفْسِكَ، وَالصَّبْرَ عَلَى مَا يُصِيبُكَ مِنْهُمْ مِنَ الْأَذَى، وَمِنْ أَهْلِ  
النِّفَاقِ، وَالْأَلَمِ فِي الْحَرْبِ وَالْجِرَاحِ. قَالَ: قَبِلْتُ - يَا رَبِّ - وَرَضِيْتُ وَسَلَّمْتُ  
وَمِنَكَ التَّوْفِيقَ وَالصَّبْرَ.

وَأَمَّا الثَّلَاثَةُ: فَمَا يَلْقَى أَهْلُ بَيْتِكَ مِنْ بَعْدِكَ مِنَ الْقَتْلِ...» (٢).

ثُمَّ إِنَّ الْقُرْآنَ يَرَسُمُ لَنَا طُرُقاً عَدِيدَةً لِمُوَاجَهَةِ هَذَا الْمَكْرِ، وَمِنْ تِلْكَ  
الطُّرُقِ مُوَاجَهَةُ الْمَكْرِ بِمِثْلِهِ: ﴿وَمَكْرُوا مَكْرًا وَمَكْرَنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ \* فَانظُرْ  
كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ﴾ (٣)، وكذلك قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا  
بِأَهْلِهِ﴾ (٤)، ويمكن توضيح ذلك الطريق من المواجهة بالمثل من خلال

(١) الأنفال: آية ٣٠.

(٢) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ٥٤٨.

(٣) النمل: آية ٥٠-٥١.

(٤) فاطر: آية ٤٣.

اعتراض وجوابه:

والاعتراض هو: أنه لماذا قرب رسول الله ﷺ المنافقين والذين في قلوبهم مرض والفئات الأخرى المعادية التي تمكر بالدين؟ فكان الأولى طردهم.

وجوابه: هناك أجوبة كثيرة في بيانات الوحي، ومن البيانات التي جاءت في صفحة التنزيل هي قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ بِالْمُنَافِقِينَ﴾<sup>(١)</sup> - كما في قراءة أهل البيت عليهم السلام وهي قراءة صحيحة<sup>(٢)</sup> - والقراءة المعروفة والموجودة في المصحف هي قوله تعالى: ﴿جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾، فالمنافقون لم يقربهم رسول الله ﷺ، ولكنهم تقربوا لأجل المكر بالنبى والمكر بالتدبير الإلهي - لأجل مصالحهم الخاصة - ولكن الله يدبر لهم ويمكر بهم، فهم تقربوا لأجل أخذ زمام القيادة والزعامة والحصول على المال والجاه، ولكن الله يدبر لهم بأن يضرب بهم الكفار، يضرب أعداء الله (الكافرين) بأعداء الله (المنافقين)، فأين ما وقعت الخسارة فهي تقليل من عدد الأعداء (الناشطة) المتحرّكة الماكرة بالإسلام؛ وبالتالي الكفكفة من تدابيرهم ومخططاتهم.

(١) التوبة: آية ٧٣.

(٢) من الكتب المشهورة التي ذكرت قراءة أهل البيت عليهم السلام هي: البيان للطوسي، والتبيان للطبرسي، وينبغي أن نلفت أنظار الإخوة أن القراءات هي علم من علوم القرآن، بل لعله من أقدم علوم القرآن حيث نشأت في الصدر الأوّل، وقد أجاز عليه السلام كثيراً من القراءات، وهي أكثر من سبع، والمهم هنا هو أن نعرف أن تبدل الحرف (من واو إلى باء) - في الآية أعلاه - لا يعني التحريف، بل هو من تعدد القراءات، واختلاف باب التحريف عن باب القراءات.



## تدبيره ﷺ الخير لأُمَّته

وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يدير نظام التدبير كمنظومة كبيرة وعظيمة هائلة تُهيمن على جوانب مُختلفة في حياة الناس والمُجتمعات، ولذلك كَانَ ينظر للمنافق - بل وحتى الكافر - أَنَّهُ موجود من الموجودات فيه السلب والإيجاب الممكن استشاره لطريق الحق وتوظيفه للهدى من حيث لا يشعر ولا يرغب وإن كَانَ الكافر والمنافق لا يرعوي للحق والهدى في نهاية المطاف، ولا بد أَن تكون في حياة ذلك المنافق جوانب يمكن الاتكاء عليها في تحقيق التدابير الإلهية، في حين يصعب على المؤمنين تنفيذ ذلك باعتبار شمولها على مكر ودهاء، وهم أبعد ما يكون عن ذلك.

إِذَا؛ مَنْ الذي يُنفذ المخطط الإلهي؟ والدِّين يحتاج إلى طاقات مُتنوعة من جهة وكثيرة من جهة؛ إذ كَمْ بلا كيف لا يحقق التدبير الإلهي، وكيف بلا كَمْ أيضاً لا يحقق ذلك.

وفي هذه القراءة (جاهد الكفار بالمنافقين) ينبغي ألا ننظر إلى جانب السلب فقط، وأنَّ رسول الله ﷺ أراد أن يضرب الكفار بالمنافقين، حتى يخلص المؤمنين من شرِّ الطرفين، كلا، بل إِنَّه ﷺ متفائل بسعة البداء، وسعة الرحمة، وسعة العلم الإلهي؛ ولذلك كَانَ يسخرهم عسى أن تدركهم الهداية في لحظة من اللحظات، فيتبدل واقعهم السيئ إلى واقع حسن، والمكر السيئ إلى مكر حسن في المنافق، وكذلك فإنَّ رسول الله ﷺ قاتل الكافر وهو يأمل أن يتحوّل في لحظة إلى مؤمن.

فَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يبحث عن حصول البداء في التدايعيات والنتائج، وحصلت شواهد كثيرة من هذا القبيل، كإسلام كثير من الكفار؛ فإنَّ الكافر

حين يرى سيرة النبي ﷺ وأخلاق حاكميته وهداه وأجواء المعركة، ويرى قدرات النبي ﷺ، وفداء وتضحية المخلصين من أصحابه، فإن هذه الرؤية تسبب له اليأس من الانتصار على الفئة المؤمنة، وشيئاً فشيئاً سوف يتولد في نفسه التراجع عن الكفر والانضمام إلى ساحة الإيوان.

### المبالغة في المداراة مع قمة الحذر واليقظة

لِئْت لَّهُمْ

وَمِنَ الطَّرِيقِ الَّتِي مَارَسَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَعَ الْمُنَافِقِينَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ، بَلْ مَعَ عَمُومِ الْمُسْلِمِينَ هُوَ اللَّيْنُ الظَّاهِرِيُّ وَالتَّعَامَلِيُّ فِي مُمَارَسَاتِهِ الْخَارِجِيَّةِ التَّدْبِيرِيَّةِ، مَعَ حَزْمِ التَّدْبِيرِ وَإِحْكَامِ وَإِتْقَانِ الْخَطَوَاتِ فِي ظِلِّ وَجُوِّ صَلَابَةِ الْعَقِيدَةِ وَالْإِيْمَانِ فِي الْبَاطِنِ، فَهُوَ مِنْ جِهَةِ الْإِيْمَانِ كَالْجَبَلِ - كَمَا فِي الْحَدِيثِ - لَا يَسْتَفِلُّ مِنْهُ، أَمَّا مِنْ جِهَةِ الْمَظْهَرِ الْخَارِجِيِّ وَعَلَاقَاتِهِ فَهُوَ لَيِّنٌ؛ لِأَنَّ الْمُؤْمِنَ (هَشُّ بَشٍّ)، «حَزَنَهُ فِي قَلْبِهِ وَبَشَرَهُ فِي وَجْهِهِ»<sup>(١)</sup>.

والوحي يرسم لنا جانب اللين - في آليات التدبير والتخطيط من دون تفريط في علو الهدف وعظم الغايات المرسومة - في آيات عديدة قد يُعبر عنها في أحيان كثيرة بعنوان الصفح والعفو، والمغفرة والإمهال، وترك أذاهم، ونحو ذلك، والصفح كما في اللُّغَة: «وصفحت عنه: أوليته مني صفحة جميلة مُعْرَضاً عَنْ ذَنْبِهِ، أَوْ لَقِيتُ صَفْحَتَهُ مُتَجَافِئاً مِنْهُ، أَوْ تَجَاوَزْتُ الصَّفْحَةَ الَّتِي أَثْبَتْتُ فِيهَا ذَنْبَهُ مِنْ الْكِتَابِ، إِلَى غَيْرِهَا مِنْ قَوْلِكَ: تَصَفَّحْتُ الْكِتَابَ»<sup>(٢)</sup>. وقوله:

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٧٥، ص ٧٣.

(٢) كما يقول أحدنا للآخر: لنفتح صفحة جديدة في العلاقة.

﴿السَّاعَةَ لَأْتِيَهُ فَاصْفَحَ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾<sup>(١)</sup>.

وهناك آيات كثيرة تُبَيِّنُ لنا جانب الصَّفْحِ والتجاوز عَنْ الأخطاء والتجاهل والتغافل عَنْ بعض الجوانب السلبية، كأسلوب مناورة فِي التدبير، لأجل رعاية أمور عُلْيَا وتدبير مواضع أعلى وأكبر، قال تعالى: ﴿فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾<sup>(٢)</sup>، وآية أُخْرَى تُشِيرُ إِلَى أَنَّهُ رَغْمَ عِلْمِكَ - يَا رَسُولَ اللَّهِ - بِخِيانتهم أَصْفَحَ عَنْهُمْ، قال تعالى: ﴿وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾<sup>(٣)</sup>، وأُخْرَى ترسم لنا صورة أعلى وهي الصَّفْحُ الجميل، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَأْتِيَهُ فَاصْفَحَ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾<sup>(٤)</sup>، بل تُشِيرُ آيَاتُ أُخْرَى إِلَى أَنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ سِيَّاسَةُ الصَّفْحِ سِيَّاسَةً لِكُلِّ الْمُجْتَمَعِ، قال تعالى: ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾<sup>(٥)</sup>.

لكن ذلك لا يعني إهمال الأهداف والغايات فِي التدبير ورعاية المهام، ولا ترك الحذر واليقظة الشديدة فِي التخطيط، كَمَا أَنَّ شِدَّةَ الحذر والحيطَة فِي التدبير لا تعني الحِدَّة والغضب؛ لِأَنَّ التخطيط بلحاظ الوضع الراهن والمستقبل، والأُمُور الخطيرة واللين والصفح والعفو والمغفرة بلحاظ ما مضى وما قَدْ حدث سابقاً، وما صَغُرَ مِنَ الأُمُور وفي الأسلوب فِي التنفيذ.

(١) الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد، المفردات فِي غريب القرآن: ص ٢٨٢ مادة (صفح).

(٢) الزُّخْرَفُ: آية ٨٩.

(٣) المائدة: آية ١٣.

(٤) الحجر: آية ٨٥.

(٥) النور: آية ٢٢.

بَلْ إِنَّ الْقُرْآنَ يُؤَكِّدُ أَنَّ هَذِهِ السِّيَاسَةَ يَنْبَغِي أَنْ يَتَّخِذَهَا الْمُؤْمِنُ فِي الْمَجْتَمَعِ الصَّغِيرِ - أُسْرَتِهِ - كَمَا اتَّخَذَهَا فِي مَجْتَمَعِهِ الْكَبِيرِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَرْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِنْ تَعَفَوْا وَتَصَفَّحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾<sup>(١)</sup>، فالآية - كما هو واضح - لم تأمر بطردهم أو معاقبتهم، ولا مجازاتهم ولا ملاحقتهم على ما مضى منهم، بل أشارت إلى الحذر منهم بأخذ العبرة والاعتبار مما مضى مما ارتكبهوه، وهي سياسة تدبيرية عظيمة، فمن جانب لا تُفَرِّطُ بالطاقات المحيطة بالإنسان من الزوجة والأولاد، ومن جانب آخر تتفادى سلبياتهم بسياسة الحذر من تكرار معوقاتهم مستقبلاً وعدم علاج الماضي بالعقوبة، بل بالترويض الجديد المستقبلي لهم.

**الانفتاح التفاعلي مع المجتمع مع الحفاظ على سرية الحقائق الخطيرة**

**أَعْدَاءُ مَا جَهِلُوا**

في كثير من الحالات العدائية من الأعداء التي واجهها الحسين عليه السلام وأهل البيت عليهم السلام من قبله، وواجهها المعصومون عليهم السلام من ولده من بعده هي بسبب الجهل - نعم أعداء الحسين عليه السلام كانوا يعرفون أنه ابن بنت نبيهم ولا يوجد على الأرض ابن بنت نبي غيره، ولكن علم في مرتبة وجانب لا ينفع معه الجهل بالجوانب والمراتب الأخرى - حيث كانوا جاهلين بمعنى وحقيقة ومرتبة الإمامة وحقيقة ما يفعلون وما يرتكبون، أو يمكن تفسيره أنه علم من جهة ومن جهة بغض وبغضاء وحقد لا ينفع معه العلم؛ لأنه يؤدي إلى لجحود، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ﴾<sup>(٢)</sup>، وحينما وعظهم

(١) التغابن: آية ١٤ .

(٢) النمل: آية ١٤ .

لا حَسَمَ سابق ولا حَتَمَ في التدايعيات بدون إمكانية البداء ..... ١٠١

الحسين عليه السلام أجابوه: (لَقَدْ أBRمتنا بكثرة كلامك أو ما ندرى ما تقول؟!);  
حَيْثُ طَبَعَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ.

وهذا - الجهل - هُوَ حَالُ غَالِبِ النَّاسِ؛ ولذلك مارس  
المعصومون عليهم السلام كلهم المداراة مع الناس، تديراً لتربية العباد، وإدارة لسياسة  
استكمالهم بقدر الإمكان وقدر الفرص المتاحة.

قوله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ﴾<sup>(١)</sup>، إشارة لذلك وتعليم لقاعدة  
عظيمة في الإدارة والتدبير والقيادة للمجتمعات والأنظمة؛ حَيْثُ إِنَّهُ صلى الله عليه وآله لم  
يكن لِيَنَّاً في تعامله فقط، بل في حديثه وبكل طبقات حديثه، وفي اختيار  
الألفاظ لئلا تُفْهَمَ بشكل خاطئ، وهذه مداراة وتقيّة مداراتيّة صعبة  
مُستصعبة، وَهُوَ الْقَائِلُ صلى الله عليه وآله: «أَمَرْتُ أَنْ أُكَلِّمَ النَّاسَ عَلَى قَدْرِ عَقُولِهِمْ»<sup>(٢)</sup>  
ونفس هذه السياسة مارسها أهل البيت عليهم السلام فهم خير مَنْ يُقْتَدَى بِهِ، فقد  
روى عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: «مَا كَلَّمَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله الْعِبَادَ بِكُنْهٍ عَقْلَهُ قَطُّ»<sup>(٣)</sup>.

بل هي تستبطن سياسة يعلمها رسول الله صلى الله عليه وآله كل أصحابه، كما في  
الحديث عَنْ مَسْعُودَةَ بِنِ صَدَقَةَ، عَنْ جَعْفَرِ بْنِ أَبِيهِ... عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ عليهما السلام:  
«لَوْ عَلِمَ أَبُو ذَرٍّ مَا فِي قَلْبِ سَلْمَانَ لَقَتَلَهُ»<sup>(٤)</sup>، فَكَانَ سَلْمَانٌ لَا يُظْهِرُ كُلَّ مَا يَعْلَمُ

(١) آل عمران: آية ١٥٩.

(٢) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ١، ص ٢٣، ح ١٥٠. الإحسائي، ابن أبي جمهور،  
عوالي اللئالي: ج ٢، ص ١٠٣.

(٣) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ١، ص ٢٣، ح ١٥٠. الصدوق، محمد بن علي،  
الأمالي: ص ٥٠٤.

(٤) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ١، ص ٤٠١، ح ٢. الصفار، محمد بن الحسن،  
بصائر الدرجات: ص ٤٥.

لأبي ذرٍّ مَعَ مكانة أبي ذرٍّ.

ولعلَّ سائلاً يسأل: أَنَّهُ كَيْفَ يَقْتُلُ أَبُو ذَرٍّ سَلْمَانَ؟ وبأي معنى؟

فنقول: إنَّ الجَهِلَ هُوَ الَّذِي يَسْبَبُ ذَلِكَ، فالإنسان يعلم كثيراً من الأشياء ويغيب عنه الأكثر، وما غاب عنه هُوَ جاهل به وغافل عن وجه الحكمة فيه، فيصعب عليه تحمُّله، فإذا كَانَ هَذَا حالَ أَبِي ذَرٍّ، وَهُوَ مِنَ الدَّرَجَةِ التَّاسِعَةِ فِي الإِيْمَانِ - كَمَا وَرَدَ- فما بالك بأوساط المؤمنين من الدرجات الاعتيادية النازلة في الإيْمَانِ، فعدم تحمُّلهم قد يُوَدِّي إلى محاذير ومفاسد أعظم بكثير.

والحديث الشريف عن أمير المؤمنين عليه السلام يقول: «الناس أعداء ما جهلوا»<sup>(١)</sup>، فعداوتهم نتيجة جهلهم؛ وَمِنْ هُنَا يَتَّضِحُ لَنَا مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ مِنْ أَرْوَاحِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ﴾<sup>(٢)</sup>، فالآيات التي وَرَدَتْ فِي صَفْحِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جاءت بلسان الإدارة والتدبير للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليدبّر أمور المجتمع الإسلامي، وَهُوَ أَصْلُ وَقَاعِدَةُ عَظِيمَةٌ وَأُسُوءَةٌ لِكُلِّ القَادَةِ والمَجْتَمَعَاتِ، بَلْ الحَرِيِّ بِالسِّيَاسَةِ الدَّوْلِيَّةِ وَحَتَّى السِّيَاسَةِ الأُسْرِيَّةِ أَنْ تَنْتَهَجَ المَنْهَجَ نَفْسَهُ.

تبدل الهزيمة إلى نصر

قال تعالى: ﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾<sup>(٣)</sup>، أحد أسباب الصبر هُوَ العِلْمُ والإِحاطة العِلْمِيَّةُ بِجَمِيعِ جَوَانِبِ الحَدِثِ، فَكَمَا يُنْظَرُ لِلجَانِبِ الإِيجَابِيِّ كَذَلِكَ يُنْظَرُ إِلَى الجَانِبِ السَّلْبِيِّ، وَهَذِهِ

(١) حُطِّبَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام، نهج البلاغة: ج ٤، ص ٤٢.

(٢) التغابن: آية ١٤.

(٣) النحل: آية ١٢٧.

لا حَسَم سابق ولا حَتَم في التدايعيات بدون إمكانية البَداء ..... ١٠٣

النظرة الشاملة يحاول المعصوم أن يجعلها قاعدة نظام في تدبير حياة المؤمن، بل هي تربية لعامة الناس.

ويروى أن عيسى عليه السلام مرَّ معَ الحواريين على جيفة كلب - من الواضح الكلب في حياته ممقوت فكيف به بعد موته وتعفُّنه! - وكان بعض أصحابه سدَّ أنفه وبعضهم الآخر أبدى رأيه السلبي، وقال: ما أقبحه... وهكذا، فهل يمكن أن يتفطن الإنسان إلى وجود جانب إيجابي وصفحة ناصعة في هذا الكلب المتعفن؟! عيسى عليه السلام يستطيع بيان ذلك الجانب الإيجابي حيث قال لأصحابه: «ما أشدَّ بياض أسنانه»<sup>(١)</sup>.

وهذا المنهاج في التعاطي مع الأمور والأحداث من النبي عيسى عليه السلام يُستخلص منه قاعدة عامة في كل مراحل الحياة، وتُجمل نهجاً وطريقاً يُحقَّق به المعجزات في إدارة الأحداث، وهو مصداق من مصاديق التفاؤل الذي بيَّنه سيّد الأنبياء صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقوله: «تفاءلوا بالخير تجدوه»<sup>(٢)</sup>، وقد سلطنا الضوء على شرح الحديث وصلته بالمقام.

وصحيح ابن مسكان عن عبد الله بن فرقد، قال: «خرجنا معَ أبي عبد الله متوجهين إلى مكة حتى إذا كان بسرف أستقبله غراب ينعق في وجهه، فقال عليه السلام: متَّ جوعاً، ما تعلم شيئاً إلا ونحن نعلمه، إلا أنا أعلم بالله منك.

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ١٤، ص ٣٢٧. الأشتري، ورام بن أبي فراس، تنبيه الخواطر: ج ١، ص ١٢٥.

(٢) الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن: ج ١٩، ص ٧٧، كما ورد في قصة الحديدية، وكذلك قصة كتابه صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى خسرو برويز. الريشهري، محمد، ميزان الحكمة: ج ٣، ص ٢٣٥٣.

فقلنا: هَلْ كَانَ فِي وَجْهِهِ شَيْءٌ؟! قَالَ: نَعَمْ، سَقَطَتْ نَاقَةٌ بِعَرَفَاتٍ»<sup>(١)</sup>.

ومفاد الرواية أَنَّهُ ﷺ يُبَيِّنُ أَنَّ جَزَعَ الْغُرَابِ لِمَحْدُودِيَّةِ عِلْمِ الْغُرَابِ، فَإِنَّهُ يَدْرِكُ الْحَوَادِثَ مِنْ جَانِبِهَا السَّلْبِيِّ وَلَا يَدْرِكُ حِكْمَتَهَا الْإِيجَابِيَّةَ الْمَنْطُويَّةَ وَرَاءَهَا، كَمَا لَا يَدْرِكُ الْجَانِبَ الْإِيجَابِيَّ مِنْ تِلْكَ الْحَوَادِثِ؛ فَمِنْ ثَمَّ يَجْزَعُ بِالنَّعِيقِ، وَهَذَا خِلَافَ الْمَعْصُومِ فَلَا يَضْطَرُّ مِنْ عِلْمِهِ بِالْحَوَادِثِ لِمَا يَلْمُ بِهِ مِنْ عِلْمِ إلهي جَامِعٍ تَنْكَشِفُ فِيهِ الْغَايَاتُ الْحَكِيمَةَ الْعَظِيمَةَ فِي التَّدْبِيرِ الْإِلهِيِّ، فَلَا يَصِيبهُ جَزَعٌ وَهُوَ مِفَادُ قَوْلِهِ ﷺ: «إِلَّا أَنَا أَعْلَمُ بِاللَّهِ مِنْكَ»، فَكَلَّمَا أَزْدَادَ الْعِلْمِ أَزْدَادَتِ الْحَكِيمَةُ وَلَطَافَةُ إِتْقَانِ التَّدْبِيرِ.

كَذَلِكَ مِنْ خِلَالِ هَذِهِ الْحَادِثَةِ وَالْمَوْقِفِ لَهُ ﷺ نَخْرَجُ بِنتَائِجٍ مُهِمَّةٍ:

١. إِنَّ الْإِمَامَ ﷺ لَمْ يَجْزَعْ - كَمَا جَزَعَ الْغُرَابُ - لِأَنَّ رُوحَهُ أَقْوَى وَإِحَاطَتَهُ الْعِلْمِيَّةَ أَكْبَرَ، وَكَلَّمَا كَبُرَتْ إِحَاطَةُ الْإِنْسَانِ الْعِلْمِيَّةَ كُلَّمَا كَانَ أَكْثَرَ صَبْرًا عَلَى حَوَادِثِ الدَّهْوَرِ، فَالْغُرَابُ جَزَعُ لَأَنَّهُ لَمْ يُحِطْ بِكُلِّ الْعِلْمِ؛ لِأَنَّهُ عَلِمَ جَانِبًا مِنْ جَوَانِبِ الْعِلْمِ، كَذَلِكَ حَالُ الْهُدْهُدِ فِي قِصَّةِ سُلَيْمَانَ ﷺ حَيْثُ يَبْدُو مِنْهُ التَّكَبُّرُ عَلَى سُلَيْمَانَ ﷺ حِينَ قَالَ: ﴿أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ﴾<sup>(٢)</sup>، فَهُوَ تَصَوُّرٌ أَنَّ مَا عِلْمٌ بِهِ كُلُّ الْحَقِيقَةِ مَعَ أَنَّهُ جَهْلٌ مَا عَدَا ذَلِكَ؛ وَمِنْ ثَمَّ وَقَعَ فِي صِفَةِ غَيْرِ مَحْمُودَةٍ بِسَبَبِ الْجَهْلِ وَإِخْتِلَاطِهِ مَعَ مَرْتَبَةِ الْعِلْمِ لَدَيْهِ، كَمَا هُوَ حَالُ بَعْضِ مَدَّعِي الْعِرْفَانِ وَالصُّوفِيَّةِ أَنَّهُ أَحَاطَ الْمَلَكُوتَ وَأَنَّهُ أَوْحَدِي زَمَانَهُ وَلَهُ إِحَاطَةٌ غَفَلَ عَنْهَا الْمَعْصُومُ وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ.

(١) الصَّفَّارُ، مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ، بَصَائِرُ الدَّرَجَاتِ: ص ٣٦٥. ابْنُ شَهْرَ أَشُوبِ، مُحَمَّدُ بْنُ

عَلِيِّ، مَنَاقِبُ آلِ أَبِي طَالِبٍ: ج ٣، ص ٣٤٦.

(٢) النَّمْلُ: آيَةٌ ٢٢.



٢. فائدة مُهمّة وعظيمة وهي: أنَّ بعض مَنْ يدَّعي العرفان عندما يتعلَّم حرفاً أو حرفين مِنْ العلم يتصوّر أنَّه عرف وأحاط بكُلِّ العلم؛ فيطنى بسبب غناه العلمي، قال تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ \* أَنْ رَأَاهُ اسْتَغْنَى﴾<sup>(١)</sup>، أو يَطنُر بسبب النعمة العلميّة؛ لأنَّه يتصوّر أنَّه حوى الملكوت فينزلق في متاهات الباطل والانحراف العقائدي أو الشذوذ الجنسي؛ بسبب شدّة نزوة طرب النفس، كما هُوَ مجرَّب في حالات رياضات النفس، كما في حال بلعم بن باعورا ومنصور الحلاج وغيرهما.

وأحياناً يجزع فينسلخ لأنَّ سعته الإحاطية يسيرة فتضعف نفسه، وهُوَ يتصوّر أن بإمكانه حمل الجبال الرواسي مِنْ العلم والحكمة، فيحمّل نفسه فوق الطاقة.

٣. ممَّا تقدّم يمكن أن نفهم أن أحد أسباب جوانب الصبر لدى مولانا الحسين عليه السلام هُوَ العلم وسعة الإحاطة العلميّة بسعة البداء، وسعة المشيئة الإلهيّة؛ فلا يأس ولا إياس مِنْ رُوح الله.

---

(١) العلق: آية ٦-٧.

## تدبير عظيم في ظرف عسير

### المضائق

الإسلام مرّ بمنعطفات عديدة، بل ومرّ بمضائق شديدة، حتى وصل الأمر بالنبي ﷺ أن يتوجه بالدعاء والتضرع إلى الله بشكل مغاير لما يدعو به في الأوقات الاعتيادية، رغم يقينه بالنصر.

وهنا نذكر مثلاً للنشاط وحيوية الحركة في حالة معاكسة للتفاؤل بالخير الذي هو في مورد البلاء المحتوم، والحالة المعاكسة هي الخوف في مورد النصر والنجاح المحتوم.

١. فإنه رغم الوعد بالنصر إلا أنه لا يستلزم ترك النشاط والحراك؛ من جهة الحذر والخوف من التفاصيل الجزئية السلبية أو النتائج الناقصة.

٢. ما يرى لدى كثير من أهل الإيمان - في قضية ظهور الإمام المهدي ﷺ - حيث يرون أن الظهور فوق المحتوم، أي: (ميعاد)، ولا يُخلف الله الميعاد، فأبي حاجة للحركة والحراك لتمهيد الظهور وإعداد الأرضية؟! كما في «ونصرتي لكم مُعدّة»<sup>(١)</sup>، لا حاجة إلى ذلك، وهذه نتيجة ورؤية خاطئة جداً.

٣. فإن أصل الظهور وإن كان فوق المحتوم ولا بداء فيه إلا أن وقته وتوقيته مما يمكن فيه البداء، كما حصل تأخير مشروع المهدوية منذ زمن

(١) الطوسي، محمد بن الحسن، مصباح التهجد: ص ٢٨٩.

لا حَسَمَ سابق ولا حَتَمَ في التدايعيات بدون إمكانية البَداء ..... ١٠٧

الحسين عليه السلام إلى الصادق عليه السلام، ثُمَّ تَمَّ تأخيرهُ إلى زمن الكاظم عليه السلام، ثُمَّ تأخيرهُ إلى الإمام الثاني عشر عليه السلام.

٤. فالتفاصيل مَّا يتطَرَّق إليها البَداء والتغيير؛ فلا بُدَّ مِنَ الخوف واليقظة والحذر، وَهَذَا مَّا يوجب الحيويَّة والنشاط في الحراك، رغم أنَّ الظفر والنصر محتوم إلاَّ أَنَّهُ لا يوجب ترك تحمُّل المسؤولية، وَهَذَا معنى ظريف تفسيريِّ لقاعدة (لا جبر ولا تفويض)، أي: لا جبر في التفاصيل رغم أَنَّهُ لا تفويض في أصل الحدث وأصل الوقوع والواقعة.

٥. وَهَذَا المعنى تفسير توحيدِيِّ لقاعدة الزهد الذي قال عنها أمير المؤمنين عليه السلام: إِنَّهُ مشروح في قوله تعالى: ﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾<sup>(١)</sup>، أي: لا تفرحوا بحتمية النصر وتتركوا الخوف والحذر واليقظة، كما لا تأسوا مِنْ حتمية البلاء؛ فتركوا النشاط والحراك والرجاء في تحسين النتائج والتفاصيل.

٦. وَمِنْ ثُمَّ أَكَّدَ أهل البيت عليهم السلام أَنَّ المؤمن مهما ازداد إيمانه فإنَّ الخوف والرجاء متساوٍ في قلبه؛ لكي يستتم التوحيد في قلبه، ولا يظنَّ أَنَّ يد الله غير مغلولة، بل يدها مبسوطان ينفق كيف يشاء.

٧. ولأجل ذلك وَرَدَ أيضاً في أحد الزيارات الجامعة للأئمة المعصومين عليهم السلام: أَنَّ أئمة أهل البيت عليهم السلام فاقوا وسبقوا سائر الأنبياء والمرسلين والملائكة المُقَرَّبِينَ؛ وذلك بالقلوب التي تولَّى اللهُ رياضتها بالخوف والرجال: «لا يسبقنكم ثناء الملائكة في الإخلاص والخشوع، ولا يضادكم ذو ابتهاج وخضوع، أَنِّي ولكم القلوب التي تولَّى اللهُ رياضتها بالخوف والرجاء،

(١) الحديد: آية ٢٣.

وجعلها أوعية للشكر والثناء، وآمنها من عوارض الغفلة، وصفافها من شواغل الفترة؟!»<sup>(١)</sup>.

### مضائق عسيرة ومواطن خطيرة

من المضائق التي حقق الله تعالى الانفراج والنصر - بل والفتح للإسلام على يد أمير المؤمنين عليّ عليه السلام - معركة بدر الكبرى التي كانت الحسابات الاعتيادية فيها هي تفوق عدد المشركين وهيبة قريش، تؤكّد أنّ النصر لصالح المشركين، والنبي صلى الله عليه وآله لا تأخذ منه هذه الحسابات المادية مأخذها، فيقف بحكمة المعرفة بسعة قدرة الله تعالى يتضرّع إلى ربه من جانب، ومن جانب آخر يجزم التدبير الميداني؛ فتتكشف الغمّة بسيف الكرار عليه السلام، حيث قتل قرابة نصف المقتولين من الكفار، وشارك المسلمون بقتل النصف الآخر<sup>(٢)</sup>.

وفي معركة أحد، وما أدراك ما أحد؟! حيث حدثت الهزيمة للمسلمين بعد النصر، فتأتي سعة معرفة النبي صلى الله عليه وآله والوصي عليّ عليه السلام في إمكان تحوّل القضاء والقدر؛ فيعزّمان بسعة تدبيرية منطلقة من تلك المعرفة بسعة بداء الله تعالى وسعة مشيئته، فيدفع القتل عن النبي صلى الله عليه وآله وتحوّل الهزيمة إلى نصر، حتى جاء نداء الوحي بين الأرض والسماء «لا فتى إلاّ عليّ، ولا سيف إلاّ ذو الفقار»<sup>(٣)</sup>.

(١) المشهدي، محمد بن جعفر، المزار: ص ٢٩٣. المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٩٩، ص ١٦٤.

(٢) أنظر: المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٤١، ص ١٤٦، نقلاً عن المغازي للواقدي.

(٣) القاضي المغربي، النعمان بن محمد، شرح الأخبار: ج ٢، ص ٣٨١. الكوفي، فرات بن إبراهيم، تفسير فرات الكوفي: ص ٩٥.

لا حَسَمَ سابق ولا حَتَمَ في التدايعيات بدون إمكانية البدء ..... ١٠٩

ويُحَقِّق الانتصار وتُهزَم قريش مرّة أخرى في أحد، والواقعة بيّنتها روايات أهل البيت عليهم السلام، منها رواية زيارة الإمام الهادي عليه السلام لجدّه أمير المؤمنين عليه السلام يوم الغدير: «ويوم أحد، إذ يصعدون [المسلمون والصحابة] ولا يلوون على أحد، والرسول يدعوهم في أخرهم وأنت تدود بهم المشركين عن النبي ذات اليمين وذات الشمال، حتى ردّهم الله تعالى عنكما خائفين، ونصر بك الخاذلين»<sup>(١)</sup>، وإن طمس ذكر ذلك النصر أكثر كتب تاريخ المسلمين. ومنها رواية أخرى ذكرها الكليني في كتاب روضة الكافي.

وفي معركة الخندق حين عبر عمر بن ودّ العامري، وأخذ يُنادي في معسكر المسلمين ولا من مُجيب، فأجابه (الإيمان كُله) كما سمّاه رسول الله صلى الله عليه وآله. قال: «برز الإيمان كُله إلى الشرك كُله، اللهم، احفظه من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله ومن فوق رأسه ومن تحت قدميه»<sup>(٢)</sup>، هذه الشدائد لا تؤثر في الإمام علي عليه السلام في قُدرة تديبره وشجاعة إدارته للحدث، وقد اهتز لها غيره، وعمى عليهم البصيرة في الأمور، كما ورد في زيارة الإمام الهادي عليه السلام لجدّه أمير المؤمنين عليه السلام: «ويوم الأحزاب و﴿إِذْ رَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا﴾ \* هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زَلْزَالًا شَدِيدًا \* وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا \* وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ

(١) المشهدي، محمد بن جعفر، المزار: ص ٢٧٤، (زيارة الإمام الهادي عليه السلام لجدّه أمير

المؤمنين عليهم السلام يوم الغدير). الشهيد الأوّل، محمد بن مكّي، المزار: ص ٨٠.

(٢) القندوزي، سليمان بن إبراهيم، ينابيع المودة لذوي القربى: ج ١، ص ٢٨٤.

الكراچكي، محمد بن عليّ، كنز الفوائد: ص ١٣٧.

إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا<sup>(١)</sup>، وقال الله تعالى: ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا<sup>(٢)</sup> فقتلت عمّهم وهزمت جمعهم ﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيمًا<sup>(٣)</sup>﴾.

وهي من جهة أخرى، حذر ويقظة واحتراز لرسول الله رغم علمه بالنصر، وإن علياً في علم الله يقتل ابن ودّ العامري، لكن مع ذلك نرى النبي ﷺ يدعو له بالحفظ ويجهد في الدعاء، وعليّ عليه السلام كذلك في قتاله لابن ودّ يتصرّف تصرّف من يعلم بأن المشيئة الإلهية منفتحة على كل الاحتمالات وإن كان القضاء مبرماً والقدر محتوماً.

كما في قول إبراهيم عليه السلام: ﴿وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا<sup>(٤)</sup>﴾، فرغم عدم خوفه من آلهة المشركين ولا منهم إلا أنه رغم ذلك هو في حذرٍ من جهة سعة علمه تعالى ومشيئته فيظل متأهباً يقظاً.

فرغم الشدائد العظيمة التي مرّ بها رسول الله ﷺ والمحن الكبيرة والصعاب الكؤود والزلازل المهولة التي عصفت به، رغم كل ذلك - ورغم وجود المنافقين والمرجفين والذين في قلوبهم مرض والأحزاب وصنوف

(١) الأحزاب: آية ١٠-١٣.

(٢) الأحزاب: آية ٢٢.

(٣) المشهدي، محمد بن جعفر، المزار: ص ٢٧٤، (زيارة الإمام المهدي عليه السلام لجدّه أمير

المؤمنين عليه السلام يوم الغدير). الشهيد الأوّل، محمد بن مكّي، المزار: ص ٧٩.

(٤) الأنعام: آية ٨٠.

عديدة معادية داخل صفوف المسلمين فضلاً عن خارجه - لم يستسلم هو ولا وصيه عليؑ إلى كل ذلك، بل كان النشاط والأمل والحيوية والرجاء بقُدرة الله، كل ذلك يُفتت اليأس المحتوم والشدائد المقضية بنصر مؤزّر وفتح مبین. وهذا الذي نشاهده من سيّد الشهداءؑ أنهؑ رغم كونه أسير الكُربات، إلا أنه كان في قمة انفجار الحراك والنشاط والبناء لتداعيات مُتطلّعة مستقبلية ثاقبة، لم تحجبه الشدائد عن إبصار الآثار والنتائج وما يتلو الحدث من أحداث إلى يوم القيامة.

### يوم حُنين

يوم حُنين الذي ورد ذكره في زيارة الهاديؑ لجدّه أمير المؤمنينؑ يوم الغدير: «ويوم حُنين على ما نطق به التنزيل: ﴿إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمْ الْأَرْضُ بِمَا رَحَبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ \* ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾<sup>(١)</sup>، والمؤمنون أنت ومن يليك وعمك العباس ينادي المنهزمين: يا أصحاب سورة البقرة، يا أهل بيعة الشجرة، حتى استجاب له قوم قد كفيتهم المؤنة، وتكفلت دونهم المعونة، فعادوا آيسين من المثوبة راجين وعد الله تعالى بالتوبة، وذلك قول الله جلّ ذكره: ﴿ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ﴾<sup>(٢)</sup>، وأنت حائز درجة الصبر فائزٌ بعظيم الأجر»<sup>(٣)</sup>.  
ويخص بالذكر يوم حُنين، وذلك لجهات لعلّ منها بيان وضوح التأييد

(١) التوبة: آية ٢٥-٢٦.

(٢) التوبة: آية ٢٧.

(٣) المشهدي، محمد بن جعفر، المزار: ص ٢٧٤-٢٧٥. الشهيد الأول، محمد بن مكي،

المزار: ص ٨٠.

والنصر الإلهي؛ حَيْثُ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ انْهَزَمُوا فِي تِلْكَ الْوَاقِعَةِ بِسَبَبِ إِعْجَابِهِمْ بِكَثْرَتِهِمْ، حَيْثُ يَظْهَرُ لَنَا كَيْفَ أَنَّ الْإِعْجَابَ بِبَعْضِ الْمَقَادِيرِ وَالْأَوْضَاعِ الْمَادِّيَةِ، كَالكَثْرَةِ وَالثَّقَّةِ بِهَا يُؤَدِّي إِلَى ضَعْفِ الْحِذْرِ، وَقَلَّةِ الْخَوْفِ، وَعَدَمِ الْيَقِظَةِ، وَقَلَّةِ التَّاهِبِ، وَضَعْفِ الْإِلْتِجَاءِ إِلَيْهِ تَعَالَى، أَي: ضَعْفِ التَّوَكُّلِ عَلَيْهِ وَازْدِيَادِ التَّوَكُّلِ عَلَى أَوْضَاعِ الْقَدَرِ، وَهُوَ تَوَاكُلٌ عَنِ النِّشَاطِ لَوْ اعْتَمَدَ عَلَيْهَا الْإِنْسَانُ دُونَ الْمَشِيئَةِ الْإِلَهِيَّةِ.

وَفِي الْمَقَابِلِ، إِنَّ هَذِهِ الْكَثْرَةَ لَمْ تُغَيِّرْ أَصْحَابَ النُّفُوسِ الْعَالِيَةِ وَأَصْحَابَ الْهَمَمِ الْمُتَعَالِيَةِ أَوْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْفِتْرِ وَالْتَوَاكُلِ، بَلْ كَانُوا فِي قِمَّةِ الْيَقِظَةِ وَالتَّرَقُّبِ لِمَفَاجِئِ التَّغْيِيرِ فِي الْقَدَرِ وَالْمَقَادِيرِ وَرَفَعَ إِبْرَامَ الْقِضَاءِ مِمَّا يَدْعُوهُمْ إِلَى قِمَّةِ الْحِرَاكِ وَالنِّشَاطِ وَالِاسْتِعْدَادِ لِلْمَفَاجِئِ تَوَكُّلاً عَلَى اللَّهِ وَحِذْراً مِنْ سَعَةِ الْمَشِيئَةِ الْإِلَهِيَّةِ، فَفِي تِلْكَ الْمَعْرَكَةِ حِينَ انْهَزَمَ الْمُسْلِمُونَ رُؤِيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ شَاهِراً سَيْفَهُ يَشُدُّ الْعِزَائِمَ، وَالْوَصِيَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي تَالِبٍ بَيْنَ يَدَيْهِ يَكْرَهُ عَلَى الْقَوْمِ، وَقَدْ صَاحَ النَّبِيُّ ﷺ بِالْعَبَّاسِ لِأَجْلِ أَنْ يُنَادِيَ الْمُسْلِمِينَ.

فَهُنَا مَشْهَدَانِ: مَشْهَدُ الْهَزِيمَةِ وَالتَّوَاكُلِ مِنْ قَبْلِ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ؛ بِسَبَبِ الْإِعْتِمَادِ الْكَامِلِ عَلَى الْأَسْبَابِ الطَّبِيعِيَّةِ، إِلَّا قَلَّةً مِنْ الْخَاصَّةِ وَبَنِي هَاشِمٍ. يُقَابِلُهُ مَشْهَدٌ لِلْخَوْفِ مِنْ سَعَةِ الْمَشِيئَةِ وَالتَّوَكُّلِ عَلَى اللَّهِ وَالْعَزِيمَةِ وَالِإِصْرَارِ يَرِيسُمُهُ لَنَا النَّبِيُّ ﷺ وَالْوَصِيَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي تَالِبٍ.



## المعلم الجبري من جديد

### غلت أيديهم

نعود إلى قضية المعلم الجبري اليهودي وبيانها بشيء من البسط، فقضية المعلم الجبري الذي سلكه اليهود في فكرهم العقدي، والذي يرى أن يد الله مغلولة - وهو أيضاً من مبتنيات مدارس جبرية عديدة جميعها ترى أن يد الله مغلولة مع تفاوت في الدرجات - حيث يرون أن الله كتب ما كان وما يكون، فلا تغير ولا تبدل فهم قائلون بالجمود وبالثبات وعدم التغير في شيء؛ لأنه لا معنى للتغير، ولعلهم ذهبوا لذلك لأن التغير يكون من الجهل، فمثلاً الإنسان لم يكن يعلم بأمر فيتخذ قراراً، ثم يطرأ له علم بعدم وجود مصلحة في قراره فيتراجع ويغير قراره، أمّا ربُّ الأرباب الحكيم العليم المحيط بكلُّ شيء فلا جهل في ساحته.

إذن؛ فلا تغير ولا تبدل، بل لا معنى للتغير والتبدل.

فنسبة التبدل والتغير إلى الله يعني - في حسابهم - نسف كمال العلم الإلهي؛ فمن أجل التوحيد الخالص يجب عدم التفكير في التغير، وقد وقع في ذلك الكثير من المدارس الكلامية كالأشعرية<sup>(١)</sup> وبعض العرفاء والصوفية.

(١) قال أبو الحسن الأشعري: «لا خالق إلا الله. وإن أعمال العباد مخلوقة لله مقدره كما قال: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ (الصفات: ٩٦)، وإن العباد لا يقدر أن يخلقوا شيئاً وهم يخلقون، كما قال سبحانه: ﴿هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ﴾ (فاطر: ٣). الأشعري، أبو الحسن، الإبانة عن أصول الديانة: ص ٢٠.

مقابل ذلك المسلك المادّي التفويضي الذي يقول بإطلاق إرادة الإنسان من كُـلِّ قيد، ويرى أصالة الإرادة للإنسان ولا إرادة تحكم إرادة الإنسان، وهذه التفويضية مُتَطَرِّفة، وهناك تفويضات أُخرى أَقَلُّ من ذلك ترى شأنيّة لإرادة الإنسان، وأنَّ الله هُوَ الذي أعطاه الإرادة وفَوَّضَ إليه الأمر؛ فَهُوَ مُطلق الإرادة بواسطة الله.

وَمِنْ الأمثلة الَّتِي بَيْنَهَا الْقُرْآنُ لِلْمَسْلُكِ - الجبري - الذي يقول: إِنَّ يَدَ الله مغلولة. هي قصّة اليهود حينما أمرهم الله بذبح بقرة؛ حَيْثُ لا يرون أَنَّ هُنَاكَ مساحة للحركة الاختيارية وأنَّ باب التغير والتبديل مسدود.

وبما أَنَّهُم يرون أَنَّ يَدَ الله مغلولة - وَهَذَا الوصف لمعتقدتهم هُوَ لحقيقة وواقع معتقدتهم، وَإِنْ كانوا قَدْ لا يَصِرُّ حون بذلك، لكن هَذَا واقع معتقدتهم وَهَذَا ما يُضْمرون وينطون عليه، وما لَعَلَّهُ يظهر مِنْ فحوى كلامهم - قال تعالى:

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾<sup>(١)</sup>.

ولعلَّ سائلاً يسأل: ما علاقة ذلك بذبح البقرة في بني إسرائيل؟  
والجواب: إِنَّ معنى يَدِ الله مغلولة هُوَ معنى جفاف القلم، وأنَّ الله كتب ما كَانَ وما يكون؛ فلا تغيّر ولا تبدل في ذلك.

وبما أَنَّ لا تغيّر ولا تبدل، وأنَّ الله قَدْ كتب كُـلَّ الحوادث فقد كتب أدقّ الدقائق وتفاصيل الجزئيات، ومنها حادثة قتل الشاب من بني إسرائيل، عندما أمرهم موسى بذبح بقرة اعتقدوا أَنَّها بعنوانها الجزئي مكتوبة - أي: بأوصافها الجزئية من العمر واللون وغيرها - فإذا أراد بنو إسرائيل ذبح البقرة الَّتِي يُريدها الله، لا بدَّ أَنْ يذبحوا البقرة ذات الأوصاف الدقيقة الثابتة في

(١) المائدة: آية ٦٤.

اللوح الثابت عند الله، ولعلَّ هذا في نظرهم قِمة الطاعة والتوحيد؛ ولذلك حينما قال لهم موسى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقْرَةً﴾<sup>(١)</sup>، قالوا: ﴿...ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقْرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا﴾<sup>(٢)</sup>.

وبملاحظة الآيات في سورة البقرة من آية ٦٧ إلى آية ٧٠ أنهم كرروا كلمة (يُبَيِّن) ثلاث مرات؛ إشارة إلى إرادتهم الأمر المُضَيِّق لحسابهم أن لا فُسحة في الحركة والحراك، والأُمور كُلُّها مُعَيَّنة مُسَبِّقاً من دون تغيير، هذا هو السؤال المذموم الذي يبتغي منه تضيق دائرة الأفعال والتدبير؛ لأنَّ اللوح الذي كتبه الله - بحسب زعمهم - لوح ثابت فيه العناوين محدَّدة وثابتة وجزئية، والبقرة عنوان كلي؛ ولذلك أخذوا يتشدَّدون ويتشدَّدون حتَّى انحصرت في مصداق واحد، فذبحوها وما كادوا يفعلون.

وعلى الضدِّ تماماً من هذا المنهج - أو المسلك الضيِّق المُضَيِّق - ترى سيِّد الشهداء رغم أنَّه أخبر بحدث مُشخِّص ومضيق، وبواقعة جزئية ومصداق مُحدَّد، لكنَّه مع ذلك يبتغي ما هو أوسع، ورغم أنَّه أخبر أنَّه مقتول مسلوب في أرض كربلاء، إلاَّ أنَّه يبتغي ويطلب أوسع من ذلك، فهو لا يُنخل كريماً ولا يُضيِّق واسعاً، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾<sup>(٣)</sup>، والحسين عليه السلام أخبر أيضاً بحادثة متعيَّنة من النَّبي صلى الله عليه وآله ومن وحي السماء، ومع ذلك فإنَّه عليه السلام تحرَّك وسعى أن يوسِّع الجزئي ويوسِّع العنوان الضيِّق - وهو القتل في كربلاء - إلى خيارات أكثر ولو في ضمن العنوان الضيِّق.

(١) البقرة: آية ٦٧.

(٢) البقرة: آية ٧٠.

(٣) البقرة: آية ١١٥.

### المسلك الجبري أنواع وأنماط

المسلك الجبري على أنواع وأنماط، فنمط يلغي كل الخيارات، وهو المسلك المتشدد في الجبرية؛ فإنه يلغي كل خيار لله ولعبده، كما هو الحال في المسلك اليهودي الذي يقول: إنه جفّ القلم، فإذا جفّ القلم فلا خيار لأحد. وكأنهم اقتطعوا الآية القرآنية، وهي قوله تعالى: ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾<sup>(١)</sup>. ولم يكملوا، والحال أن الآية بينت (أنه استوى على العرش بعد نهاية خلق السموات والأرض وما بينهما ولم يكن استواؤه على العرش من جفاف القلم)، بل في الآية تنمّة تقول: ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ﴾<sup>(٢)</sup>. والاستواء على العرش يراد منه استعلاؤه وسيطرته على كل شيء، وأن قدرته سواء على كل الأمور ليس شيء أسهل وآخر أصعب، بل كلها مقهورة ومنقادة له تعالى، فالاستواء لا يعني الثبات، أو يكون هناك في الجملة ثبات، ولكن الثبات لا يعني جفاف للقلم وعدم التدبير وعدم التغيير، بل هناك ثابت بلحاظ أصل وجوده، إلا أنه بلحاظ مشخصاته وملاساته قابل للتغيير بإذن الله الذي يدبّر الأمر ويفصل الآيات.

### الجبرية الصوفية

وهذا ما وقع فيه بعض الصوفية من القول بالجبر من حيث لا يشعرون؛ وذلك أنهم وإن لم يقولوا في كلامهم: إن يد الله مغلولة. ولم يصرّحوا ولم ينسبوا العجز للإنسان، لكنهم قالوا بضرورة التعجيز للإنسان -

(١) يونس: آية ٣.

(٢) يونس: آية ٣.

وفرق بين العجز وبين التعجيز، أو بين سلب الإرادة منهم وبين أنهم بإرادتهم يسلبون إرادتهم - وهذا من باب ذكر المعاذير والتمحُّل لهم، والحمل على أن (سلب الاختيار بالاختيار) رغبة منهم في اختيار الله، كأنَّ الإنسان يجعل نفسه محطاً للإرادة الإلهية.

ما يريد الله لي وليس ما أريده أنا، لا أختار ولا أتصرف؛ لأنَّ أيَّ تصرف في بدني هو تصرف في مال الغير - الله - والتصرف في مال الغير لا يجوز، ولا إرادة لي؛ لأنَّ الإرادة أيضاً تجاوز على إرادة الله، فلا أريد إلا ما أراه الله، وهذا في زعمهم منتهى العبودية كما يرون.

### المنطق الحسيني يحاكم الجبرية

ولكنه بحسب المنطق الحسيني يكون هذا المسلك يشتمل على جبرية مخففة ويأس من روح الله، وتملص من المسؤولية والمحاسبة وركون إلى القعود والفشل، ومن جهة أخرى هي مغالطة خفية؛ لأنها تنطوي على التباس، وهو أن كل من يتصرف بإرادته، فهو قد تصرف في غير ما يريده الله وهو مشرك بالله، فأى حركة وأي تحرك هو اعتراض بلسان الحال على الله وتجاوز على إرادته، (فيجب أن يكون الإنسان كالميت بيدي غاسله)، وهذا معنى جمودي يدعو إلى الضعف والوهن والاستكانة والقنوط واليأس، بينما أعطى الحسين عليه السلام درساً من خلال عمله وشعاره يقتدى، وهو أنا أتحرك في إرادة الله وليس تجاوزاً على إرادة الله، بل ضمن إرادته (من الإرادة وليس على الإرادة)، وهذا بحاجة إلى بيان:

جوهر الإجابة هو قضية السعة الوجودية لقدرة الله وسعة مشيئته؛ وبالتالي سعة الإرادة على لوح القضاء والقدر، قال تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ

وَأَنَا لَمُوسِعُونَ ﴿١﴾ .

فالمنطق الحسيني يقول: هناك أمر مقدّر ومقضي محتوم، ولكن - أيضاً - هناك سعة مُستمرّة، وتوسّع في الإرادة الإلهية، فالإنسان عندما يتحرّك يطلب بلسان الحال، ويقول: إنَّ المشيئة والقُدرة والإرادة واسعة في توسّع، والخيارات كثيرة.

نعم، لو لم يختَر الإنسان فَقَدْ يُقَال: إِنَّهُ مُستسلم لإرادته تعالى. لكن لا يصح هذا المعنى؛ إذ لا مجال للتسليم قبل الوقوع<sup>(٢)</sup>، ولكن هناك ما هو فوق التسليم وهو الرضا، وهناك ما فوق الرضا؛ ومن هنا لا بدّ أن نبيّن المستويات التي توضح تفاعل العبد مع الإرادة الإلهية قبل أو قبيل الوقوع وما بعد الوقوع، والتي من خلالها تُبيّن مراتب النجاح في الابتلاء الإلهي.

#### مراتب النجاح في الابتلاء الإلهي

هناك مراتب عديدة للنجاح في الابتلاء الإلهي، وكلّ مرتبة غير الأخرى بحسب التكامل الإلهي، وكلّ مرتبة تختلف عن الأخرى - وبحسب تكامل

(١) الذاريات: آية ٤٧ .

(٢) قد يُتوهم - كما توهم بعض الصوفية أو العرفاء أو حتى اليهود - أن من التوحيد هو التمسك بالإرادة الإلهية الجزئية؛ لأنه لا محالة لو وقعت فهي جزئية، فالإنسان في نظرهم يجب أن ينظر إلى ذلك الجزئي الذي سيقع والذي هو في علم الله، وهكذا تفكير - قبل وقوع الحادث - باطل؛ لأنه تعجيز لقدرة الله وإرادته بأن كان الله تعالى - قبل الوقوع - مجبوراً على فعل جزئي ضيق لا يمكنه أن يُغيره، وهذا تعجيز وليس توحيداً. ونهج عاشوراء يُعلّم الخلق أنه بما أن البداء الإلهي هو التغيّر في الواقع الخارجي تبعاً لتغيّر الشروط والمقتضيات فاستوسعوا - ثقة بربكم وتفاؤلاً - رحمة الله وسعة مشيئته وإرادته من خلال التحرك البناء الذي يؤدي إلى ذلك.

المؤمن - وهنا نقول:

إنَّ الحسين عليه السلام في أعلى المراتب من النجاح؛ لأنَّ درجة النجاح تتناسب مع صعوبة الامتحان والابتلاء الإلهي، فإذا كَانَ الحسين عليه السلام نجح بشكل مُتميّز في المرتبة العليا فبالأكيد يكون قد نجح في الدرجات الأدنى بشكل مُتميّز أيضاً.

ولابدَّ هُنَا مِنْ وقفة نُبيِّن فيها ماهية ومراتب ذلك النجاح الذي أُعطي به الحسين عليه السلام الدرجات العُليا في الآخرة، وما قام به (صلوات الله عليه) من ملحمة، وأنَّ السعي والحراك والمثابرة مجاله مفتوح قبل وقوع وقبل حصول الحدث، وأنَّ هَذَا لا ينافي التسليم والرضا بالقضاء والقدر الإلهي، بل هُنَا موطن الرجاء والتفاؤل بالخير والأمل، والإيمان بسعة المشيئة على القضاء والقدر، وأمَّا موطن التسليم والرضا والشكر فَهُوَ بَعْدَ الوقوع والحصول، كما قَالَ عليه السلام بَعْدَ وقوع القتل في أهل بيته وأصحابه «رضا برضاك لا معبود سواك»، وتبيان ذلك.

١. مرتبة الصبر والتسليم لإرادة الله، وَهُوَ الانقياد والتسليم لإرادة الإلهية، وهذه المرتبة تجتمع معها وجود الصعوبة والكرهية للنفس، ولكن الإنسان بإرادته يروِّض نفسه على الصبر على ما حلَّ به قربةً لله تعالى.

٢. وأمَّا مرتبة الرضا فهي أعلى منها؛ لأنَّ الصعوبة والكرهية غير موجودة، بل الاستبشار والرضا، فيكون الإنسان محبباً ومستسلماً لإرادة الإلهية، والنفس راضية فرحة بما قسم الله لها.

وهاتان المرتبتان بَعْدَ وقوع القضاء وليس قبله، أمَّا قبله فلا مجال ولا معنى للتسليم، بل هُوَ استسلام للتواكل، بل هُوَ مجال للنشاط والحراك والمسؤولية.

٣. نَعَمْ، يمكن أن نتصوّر وجود مرتبة للرضا قبل وقوع القضاء، وَهُوَ (الرضا بما سيقع) مَعَ التفاضل؛ وبالتالي عدم التمرد والسكون للقضاء الإلهي لاطمئنان النفس بما سيقسم الله لها مَعَ التفاضل بوجود ما هُوَ أوسع.

٤. وهذه المرتبة - الرضا - كَمَا قُلْنَا لا تكون قبل وقوع القضاء، بل قبله المجال مفتوح للحركة والحراك والنشاط والقيام بالمسؤولية، بل هُوَ الْمُتَعَيِّن والواجب، كَمَا بَيَّنَّه الإمام الصادق عليه السلام في عدّة روايات، وهذه الروايات ترسم لنا منهاجَ عمل في كيفية تعامل الإنسان مَعَ القضاء والقدر، وما هُوَ الواجب عليه قبله وبعده؟ وأين يكون مجال المسؤولية؟

٥. الروايات الَّتِي تُبَيِّن موطن النشاط والحراك والمسؤولية، الَّتِي وردت عَنِ الإمام الصادق عليه السلام، وَالَّتِي مِنْ خِلالها يَتَّضِح لنا النشاط الحسيني المملوء بالرجاء المتوقّد بالمعرفة بسعة علمه ومشيبته تَعَالَى، المُتَزَايِد قُوَّةً وتوسّعاً في كربلاء. عَنِ يونس بن يعقوب، عَنِ بعض أصحابنا قَالَ: «كَانَ قَوْمٌ أَتَوْا أَبَا جَعْفَرٍ عليه السلام فوافقوا صبياً له مريضاً، فرأوا منه اهتماماً وغمّاً وجعل لا يَقْرُ، قَالَ: فقالوا: والله، لئن أصابه شيءٌ، إنا لتخوف أن نرى منه ما نكره. قَالَ: فما لبثوا أن سمعوا الصياح عليه، فإذا هُوَ قد خرج عليهم منبسط الوجه في غير الحال الَّتِي كَانَ عليها، فقالوا له: جعلنا الله فداك، لَقَدْ كُنَّا نخاف مما نرى منك أن لو وقع أن نرى منك ما يغمنا. فَقَالَ لهم: إنا لنحب أن نُعافي فيمن نحب، فإذا جاء أمر الله سلّمنا فيما أحب»<sup>(١)</sup>.

كذلك قول الصادق عليه السلام: «إنا أهل بيت نجزع قبل المصيبة، فإذا نزل أمر

(١) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ٣، ص ٢٢٦، ح ١٤. الحر العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج ٣، ص ٢٧٦، ح ٣٦٤١.



الله رضىنا بقضائه وسلّمنا لأمره، وليس لنا أن نكره ما أحبّ الله لنا»<sup>(١)</sup>.

وبنفس المضمون أحاديث كثيرة منها ما ذكر في الوسائل في باب جواز إظهار التأثير<sup>(٢)</sup>.

٦. فالجزع في الرواية المتقدمة - ومضمون روايات أخرى - بمعنى الإلحاح في الرجاء والدعاء والطلب من الله تعالى، وهذا ميزان لموضع الحراك والفعاليّة والنشاط لإرادة التغيير والرجاء، أنّه قبل نزول أمر الله وقبل وقوع القضاء. أمّا بعد وقوع أمر الله ووقوع القضاء، فهنا موطن التسليم والرضا بما ثبت حصوله ولا يرغب في غيره، وهذا الميزان مخالف لمنطق الجبر اليهودي والأموي، ولينطق التفويض القدرى اليهودى السقيفي الأموي. فالجزع قبل الوقوع عبارة عن قمة الحيويّة والرجاء والأمل والنشاط، لا التبرّم والإياس. وهذا التفصيل في الميزان المعرفى لدى أهل البيت عليهم السلام قبل وقوع القضاء مع ما بعد وقوعه من أعظم موازين المعرفة بقضاء الله وقدره، والمعرفة بمشيئته برجاء وخوف، والتسليم لفعله والرضا به، فلكلّ هذه الأحوال مواطن ومنازل ومقامات لم يكن لتعرف لولا أهل البيت عليهم السلام، وهى تفاعل الاختيار الإنسانى مع الحاكمية الإلهية.

### النشاط والحركة الحسينية

يظهر من كثير من كلمات أهل البيت عليهم السلام التحذير من اليأس وتضييق سعة الإرادة والرحمة الإلهية، قال مولانا صادق أهل البيت عليهم السلام لميسرة: «يا ميسرة، ادع ولا تقل: إنّ الأمر قد فرغ منه. إنّ عند الله (عز وجل) منزلة لا

(١) الصدوق، محمد بن عليّ، من لا يحضره الفقيه: ج ١، ص ١١٩، ح ٥٦٧.

(٢) أنظر: الحرّ العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج ٣، ص ٢٧٥-٢٧٧، باب ٨٥.

تُنال إلا بمسألة، ولو أن عبداً سدّ فاه ولم يسأل لم يُعط شيئاً، فسَل تُعط، يا ميسرة، إنه ليس من باب يُقرع إلا يوشك أن يُفتح لصاحبه»<sup>(١)</sup>.

الحسين عليه السلام من خلال حركته لم يغلّق باب المسألة رغم تسليمه ورضاه وتفاهوله بعظيم رحمة الله، لكنّه يقول بلسان حاله: هناك ما هو أوسع وأوسع وأوسع إلى ما لا نهاية، فالإمام الصادق عليه السلام حين يقول لميسرة: «إنّ عند الله (عزّ وجلّ) منزلة لا تُنال إلا بمسألة»، فهذا يعني الحركة والتحرّك لنيل تلك المنزلة، وهذا ما فعله الحسين عليه السلام حيث أطاع ما أمر به رسول الله صلى الله عليه وآله: «إنّ لك في الجنّة درجات لن تنالها إلا بالشهادة»<sup>(٢)</sup>.

وبيان الصادق عليه السلام يفسّر حركة الحسين عليه السلام؛ لأنّه كان يطلب ما فوق المنزلة بالمسألة، والسؤال بالعمل والسعي لا باللسان فقط، وأنّ الحسين عليه السلام كان يُلح بالدعاء بلسان الحال وبيحث عن سعة الإرادة الإلهية، وهذا قمّة في التوحيد، وقمّة التعظيم لمقام الله تعالى عن أن يحكم عليه قضاء أو قدر أو لوح أو قلم؛ لأنّه لم يُبخل جواداً، ولم يُصعّر عظيماً، ولم يُضيق واسعاً، وهذه معرفة واسعة وشاملة وكبيرة أكبر من الإنسان ومما وصل أو سيصل إليه من المعرفة التوحيدية بالله، وهذا - وهو الإيمان بالبداء - توحيد أعظم من التوحيد الذي ترسمه لنا كلُّ المعارف الإلهية، فضلاً عن الفضائل الأخلاقية المحدودة مهما كبرت وعظمت، كما ورد: «مَا عَظَّمَ اللَّهُ بِمِثْلِ الْبَدَاءِ»<sup>(٣)</sup>.

(١) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ٢، ص ٤٦٧. الحلي، ابن فهد، عدّة الداعي: ص ٢٣.

(٢) الكوفي، أحمد بن أعثم، الفتوح: ج ٥، ص ١٩.

(٣) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ١، ص ١٤٦.

لا حَسَم سابق ولا حَتَم في التدايعيات بدون إمكانية البداء ..... ١٢٣

وبهذا؛ فالحركة والحراك ليس اعتراضاً على قضاء الله وقدره، بل استمطار من سعة بحر المشيئة ومن طمطامه الزخار للعلم الإلهي.

### النشاط والحركة اليونسية

لأجل استيضاح المطلب لا بد من التفرقة بين الحركة اليونسية والحركة الحسينية، بين النشاط اليونسي والنشاط الحسيني:

١. نحن نعتقد أن يونس عليه السلام كان مسلماً لأمر الله، راضياً متفائلاً بسعة رحمة الله، ولكن الفرق أنه تحرك إلى خارج الحدث والمواجهة، ولم يتحرك في الداخل - كما تحرك الحسين عليه السلام - تحرك إلى خارج معركة الهداية، فالآية القرآنية تصف يونس أنه ظن أن لن يضيق الله عليه المسؤولية، قال تعالى: ﴿وَذَا التُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾<sup>(١)</sup>.

٢. الظن بسعة الإرادة والرحمة الإلهية - وعدم الضيق في المسؤولية - وظفه يونس عليه السلام إلى خارج معركة الهداية التي خاضها في قومه، فعندما بليت ونفذت سبل النجاح ابتغى سعة الرحمة في مكان آخر غير مكان معركته، وكان من الأولى التحرك لطلب سعة الرحمة وهو في قومه.

٣. لم يكن صبره عليه السلام بمستوى صبر الحسين عليه السلام قال تعالى: ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الخُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾<sup>(٢)</sup>، فالحسين عليه السلام نادى قبل أن يكون مكظوماً استمطاراً من سعة بحر المشيئة.

(١) الأنبياء: آية ٨٧.

(٢) القلم: آية ٤٨.

٤. إِنَّ الْحُسَيْنَ عَلَيْهِ السَّلَامُ حَتَّى بَعْدَ الْيَقِينِ بِالْيَأْسِ مِنَ الْقَوْمِ، بَلْ مَا هُوَ أَكْثَرُ مِنَ الْيَقِينِ بِالْيَأْسِ مِنَ الْقَوْمِ مَا زَالَ يُقَاتِلُ وَيُقَاتَلُ بِتَفَاوُلٍ لَا حُدُودَ لَهُ حَتَّى قُتِلَ مَظْلُومًا عَطْشَانًا.

## شجاعة إدارة الأزمات وإمامة الأمة

### شجاعة التدبير

لم تكن شجاعة الحسين عليه السلام شجاعة فردٍ أو شجاعة فرديّة فحسب، بل كانت شجاعة في التدبير وشجاعة في الحكمة وفي التخطيط والتقدير، وهي ما يُسمّى بشجاعة القيادة وشجاعة إدارة الأزمات وإمامة الأمة.

فإنَّ المَكْرَ الذي مكره أعداء الحسين عليه السلام لا يقل عن المَكْر الذي مكره الأعداء بجده وأبيه وأمه وأخيه؛ حيث إنّه جُعِجِعَ به ومُنِعَ مِنَ الوصول إلى الكوفة، ومُكِرَ به وبأهل بيته وأصحابه؛ حيث قُتِلُوا وسُلبوا وداست الخيلُ صدره وسُبيت نساؤه.

وسنة المَكْر سنة يصفها القرآن بقوله: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكْبَارًا مَّجْرِمِينَ لِيَمْكُرُوا فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾<sup>(١)</sup>، كُلُّ هذا المَكْر الذي مكره تحوّل إلى نصر للحسين عليه السلام - قتلهم للحسين عليه السلام أعطاه الحياة الأبدية إلى يوم القيامة وأعطاهم الموت والفناء والعذاب إلى يوم القيامة - فما هُوَ المَخْطُطُ والمُدبَّرُ؟ وما هي النتيجة؟ فإنّه كما يقولون: «الأعمال بخواتيمها»<sup>(٢)</sup>، والمتصر هو صاحب النتائج وصاحب العاقبة الحسنة،

(١) الأنعام: آية ١٢٣.

(٢) المشهدي، محمد بن جعفر، المزار: ص ٣١٢.

فالحسين عليه السلام كَانَ يَبْحَثُ عَنِ النَّصْرِ الْوَاقِعِيِّ وَهُوَ الْفَتْحُ، وَلَيْسَ عَنِ النَّصْرِ الظَّاهِرِيِّ، فَالْحُسَيْنِ عليه السلام يَصِفُ مَعْرَكَتَهُ بِالْفَتْحِ، فَالْفَتْحُ نَصْرٌ عَظِيمٌ وَكَانَ الْحُسَيْنِ عليه السلام يَبْحَثُ عَنْهُ، وَهَذَا مَا تُشِيرُ إِلَيْهِ الْعَقِيلَةُ عليها السلام فِي مَجْلَسِ يَزِيدَ (لَعَنَهُ اللَّهُ) حَيْثُ تَقُولُ: «فَكَيْدُ كَيْدِكَ وَاسِعٌ سَعْيِكَ وَنَاصِبٌ جُهْدِكَ، فَوَاللَّهِ، لَا تَمُحْوُ ذِكْرَنَا، وَلَا تُمِيتْ وَحَيْنَا، وَلَا تُدْرِكْ أَمَدَنَا، وَلَا تَرْحُضْ عَنْكَ عَارَهَا، وَهَلْ رَأَيْكَ إِلَّا فَنَدًا، وَأَيَّامُكَ إِلَّا عَدَدًا، وَجَمْعُكَ إِلَّا بَدَدًا، يَوْمَ يُنَادِي الْمُنَادُ: أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ»<sup>(١)</sup>. وهذه الكلمة الجامعة لسيدة البيت الهاشمي تُشير إلى كيفية تحوّل تدبير الشيطان السيئ إلى نصر في صالح المؤمنين.

### الغصّة والفرصة

هُنَاكَ نَفُوسٌ وَاسِعَةُ الْأَمَلِ وَالرَّجَاءِ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَحْوَلَ الْهَزِيمَةَ إِلَى نَصْرٍ - تَحْوَلَ الْغَصَّةُ إِلَى فُرْصَةٍ - فَإِنَّ نَفْسَ الْهَزِيمَةِ لَوْ نَظَرْتَ إِلَيْهَا بِبَصِيرَةٍ وَتَرَوِي مِنْ جَمِيعِ جَوَانِبِهَا لَرَأَيْتَ فِيهَا جَوَانِبَ إِجَابِيَّةَ كَثِيرَةً تُسْتَثْمَرُ وَتُوظَّفُ لِلتَّائِجِ الْمَرْجُوءِ، وَهَذَا مَا رَأَاهُ الْحُسَيْنِ عليه السلام فِي سَاحَةِ الطَّفِّ، فَهُوَ يَرَى أَنَّ هَذَا الْجَيْشَ الْمُحَاصِرَ لَهُ سَوْفَ يَفْعَلُ بِهِ وَبِأَهْلِ بَيْتِهِ وَبِأَصْحَابِهِ وَعِيَالِهِ مَا يَفْعَلُ، وَهَذِهِ كُلُّهَا جَوَانِبٌ سَلْبِيَّةٌ وَاقِعِيَّةٌ لَا مَحِيصَ عَنْهَا.

إِذْنُ؟ يَنْبَغِي أَلَّا يَنْصَحَهُمُ الْحُسَيْنِ عليه السلام، فَلِمَاذَا نَصَحَهُمُ عليه السلام؟

قَالَ مَفْسَّرُ الْوَأَقِعةِ: إِنَّهُ لِأَجْلِ إِلقاءِ الْحِجَّةِ عَلَيْهِمْ. وَهَذَا تَفْسِيرٌ لَطِيفٌ لَكِنَّهُ يَقِفُ عِنْدَ مَشَارِفِ الْجَانِبِ السَّلْبِيِّ.

(١) الطبرسي، أحمد بن علي، الاحتجاج: ج ٢، ص ٣٧. المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٤٥، ص ١٣٥.

أما الجانب الإيجابي، فيمكن استعراضه من خلال عدّة وجوه:

١. إنَّ الحسين عليه السلام نصَّحهم لأجل أن يهتدي مَنْ يهتدي - كما اهتدى الحرّ في آخر لحظاته - فلو نظرنا على مُستوى ومُحيط جزئيّ وكمفردة جزئيّة نرى الحسين عليه السلام انتصر في كسب الحرّ إلى جهة الإيمان، وهذا سَعْيٌ لتحصيل ما أمكن من الانتصارات الجزئيّة التي لم يفرط بها الحسين عليه السلام، وتقليل ما أمكن من الخسائر - مهما أمكن - وإن استيقن بخسارة أصل النصر العسكري، وهذا طموح خفاق آفاقي.

وبعبارة أُخرى: إنَّ الحسين عليه السلام وإن كان يبحث عن الفتح الذي هو أعظم من النصر، لكنّ ذلك لا يعني مُطلقاً التفريط بالجوانب الأخرى، وعدم البحث عن الانتصارات في الجوانب الأخرى فيما هو ممكن ومقدور.

وهذه قاعدة وضابطة دستورية يضعها بين أيدينا - وفحواها - : أيّها المؤمنون، مهما عَظُم هدفكم، ومهما عمق تدبيركم، فهذا لا يعني إطلاقاً ترك وإهمال الجوانب مهما كانت صغيرة وغير أصيلة بلحاظ الهدف الأكبر.

وهذا الأصل الدستوري والقاعدة الكبيرة ليس فقط هو على المستوى الاجتماعي سواء في المُجتمع الصغير (الأُسرة) والمُجتمع الكبير، بل على مُستوى الأُسرة الدوليّة والمجتمع البشري الشعوبي، أو الدول والحكومات والعلاقات الدوليّة... إلخ.

٢. إنَّ الكلمات وبيان براهين الحقّ والهداية التي تكلمها الحسين عليه السلام مع أيّها إلقاء للحجّة على أعدائه، وهم لم يستجيبوا لها، لكنهم حملوها إلى غيرهم، فمنّ جهة هم أعداء للحسين عليه السلام ومبغضون لكلامه ووعظه، لكن من جهة أُخرى هم حاملون لخطبته ومواعظه وكلماته إلى أهلهم، بل إلى كلّ الأجيال إلى يومك هذا.

٣. أحد أهم من وثق الحادثة التاريخية لمعركة الطف هم أعداء الحسين عليه السلام حيث كانوا أحد مفردات التواتر لواقعة الطف برمتها<sup>(١)</sup>، وهم أحد مفردات التواتر في بعض الحوادث الجزئية - داخل نفس المعركة ومن ضواحيها- التي خدمت مسيرة الهداية.

هذه الثمرات الثلاث العظيمة - بل وأكثر- كانت نتيجة عظمة تدبير الحسين عليه السلام، فضلاً عن أصل الغايات العظيمة لأصل النهضة.

ويمكن أن نذكر بعض الأمثلة لما خطّطه الأعداء وانقلب عليهم:

أولاً: إن الأعداء عن علم وعمد وتدبير خبيث قتلوا الحسين عليه السلام وأصحابه تلك القتلة المساوية؛ حيث مثلوا بالجثث وقطعوا الرؤوس... إلخ، فصاروا يتكلمون في الأمصار بما فعلوا تصوراً منهم أنه كسر ووهن لعظمة الحسين عليه السلام، فكانت النتيجة هي عكس ما دبّروا ومكروا.

ثانياً: إنهم عن علم وعمد حملوا السبايا وداروا بهم في الأقطار زيادة في النكايه، ولا يعلمون أنهم حملوا القناة الإعلامية لنشر مظلومية الحسين عليه السلام، بل لنشر انتصار الحسين عليه السلام في كل العالم وفضح الأمويين وأتباعهم.

---

(١) هذا بقطع النظر عن وجود المعصوم عليه السلام - الإمام السجاد عليه السلام والباقر عليه السلام فضلاً عن كل المعصومين عليهم السلام وإحاطته بإحاطة ملكوتية- الذي روى تفاصيل الواقعة بدقة وحيادية عجيبة في سنين حياته وبعده شهادته نقل لنا أبناءه عليهم السلام تفاصيل أخرى، ولا ننسى على الإطلاق العاملة غير المعلمة والفهمه غير المفهمه التي قادت معركة السبي إلى جانب زين العابدين عليه السلام بتدبير فاطمي عظيم، إضافة إلى تقرير الإمام عليه السلام والأئمة من بعده لما نُقل على الألسن من واقعة الطف، وكانت تجري على مسامعه وتحت نظره المبارك، فلو كان هناك تزوير لكشفه لنا.



## حتمية عدم النصر لا تنافي إمكانية الفتح

### شهادة الفتح

الفتح وعنوان الفتح - كما لعلّه يتنبّه إليه البعض - إنه أخصّ من النصر، بل بالأحرى هو معنى مُغاير لمعنى النصر، وإن تلاقيا في جملة من المواطن، فكم من مُنتصر غير فاتح، وكم من فاتح غير منتصر (عسكرياً) ويوجد منتصر فاتح، فبين المعنيين عموم وخصوص من وجه، قال تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا \* لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾<sup>(١)</sup>.

فصلح الحُدَيْبِيَّة سَمَّاهُ الْقُرْآنُ فَتْحًا مُّبِينًا، ولم يقتصر على لفظ (الفتح) مع أنه لم يكن نصراً عسكرياً في البين أصلاً، وحادثة صلح الحُدَيْبِيَّة، وردت في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُؤُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾<sup>(٢)</sup>.

فإنَّ الله أرى رسوله ﷺ في الرؤيا دخول المسجد الحرام، ولكن لم يحتّم الله تعالى توقيتاً لتحققها؛ حيث اتفق النبي ﷺ في صلحه مع قريش أن يرجع في عامه الذي جاء فيه على أن يعود في عام قابل، والحادثة موجودة في مصادر

(١) الفتح: آية ١-٢.

(٢) الفتح: آية ٢٧.

كثيرة، أوردنا منها الفكرة المطلوبة من شاء فليراجع<sup>(١)</sup>.

فَمَعَ وجود البداء في التوقيت ورجوع المسلمين وَمَعَ ذلك سُمِّي (فتحاً مُبيناً)، والسبب في ذلك أَنَّهُ حصل بمصالحة قريش مُنعطف كبير وجديد وَهُوَ اعتراف قريش تلقائياً بالصلح بالنبي ومنهاجه وملته، فَكَانَ انفتاحاً حضارياً في مسيرة البشر الدينية.

ونظيره في سورة النصر: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾<sup>(٢)</sup>، فغاير الله تعالى بين عنوان النصر وعنوان الفتح، ويظهر من القرآن أعظمية الفتح من النصر بفارق كبير جداً، وَأَنَّهُ لا يكثرث بالنصر بقدر اكرائه بالفتح.

---

(١) أنظر: الطوسي، محمد بن الحسن، التبيان في تفسير القرآن: ج ٩، ص ٣٣٥. الطبرسي، الفضل بن الحسن، مجمع البيان في تفسير القرآن: ج ٩، ص ١٨١. ابن هشام، عبد الملك، السيرة النبوية: ج ٣، ص ٧٧٤. الواقدي، محمد بن عمر، كتاب المغازي: ج ٢، ص ٦٠٦.

(٢) النصر: آية ١.

### فتح الحسين أم حسين الفتح

قوله تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾<sup>(١)</sup>، هذه الآية نزلت في مشهد مُغايير لكل التوقعات، فقد نزلت في صلح الحُدَيْبِيَّة؛ وبالتالي فهي تُشير إلى أنَّ الفتح الذي يُريده الله معنًى مغايراً لما يفهمه عامَّة الناس، فإنَّ الفتح هو التغيير الحالي والمستقبلي بالحسم لصاحب الفتح، فمعركة بدر على عظمها وعظم نصرها، والتي ربط بها النبي ﷺ بقاء الإسلام وزواله، حيث قال ﷺ - وقد رفع يده إلى السماء-: «اللَّهُمَّ، إِنَّكَ إِنْ تُهْلِكْ هَذِهِ الْعَصَابَةَ الْيَوْمَ لَا تُعْبَدُ بَعْدَ الْيَوْمِ»<sup>(٢)</sup>.

رغم ذلك القرآن لم يسمَّها فتحاً، فما هي الأبعاد التي حملها صلح الحُدَيْبِيَّة حتى سمَّاه القرآن فتحاً، بل وزاد في وصفه فقال: (فتحاً مُّبِيناً) رغم أنَّ الكثير من المسلمين وخصوصاً المشكِّكين والمرجفين يرونها هزيمة وفشلاً، فكيف يمايز ويقايس القرآن خلافاً لكل الحسابات؟ هذا لا يدركه إلا لمن له علم وإحاطة وهيمنة على الزمان والمكان والنفوس، بل لكل الكون في الدنيا والآخرة، في ظل صورة الخسارة الظاهرية - بالصلح - تبدأ الولادة الجديدة، وفي ظل تكفير المشركين وتكذيب أغلب المسلمين وظنهم بالله الظنون

(١) الفتح: آية ١.

(٢) ابن شهر آشوب، محمد بن علي، مناقب آل أبي طالب: ج ١، ص ١٦٣. المجلسي، محمد

باقر، بحار الأنوار: ج ١٩، ص ٣٢٤.

وبرسوله ﷺ، يأتي الفتح.

في قمة الضيق والمضيق الذي يمرّ به النهر يفتح على البحار والمحيطات العظيمة، هكذا كان الحسين عليه السلام يؤسس بناءً معرفياً، ويوصل الرسالة للناس بأنّ الفتح غير النصر، والنصر العسكري الخارجي قد يكون مخالفاً للفتح فتصبح الهزيمة فتحاً وإن لم تكن نصراً، قال عليه السلام: «مَنْ لَحِقَ بِي اسْتَشْهَدَ وَمَنْ لَمْ يَلْحَقْ بِي لَمْ يُدْرِكِ الْفَتْحَ»<sup>(١)</sup>.

إذا؛ الحسين عليه السلام يُبشّر مَنْ يلحق به بالشهادة ويُنذر مَنْ لم يلحق به أنّه لا يدرك الفتح، وهذا درس لكلّ المسلمين، بل لكلّ العالم البشري في إعادة الحسابات والوعي والمعرفة في مقايسة ووزن الأمور، فبعد معركة الجمل كان المسلمون ينتظرون كلمة تشيد بالانتصار بعد المعركة، فإذا بأمر المؤمنين عليه السلام يُشير إلى الفتح بقوله: «أنا فقأت عين الفتنة، ولم يكن ليجرأ عليها أحد غيري»<sup>(٢)</sup>.

هذه مفاجئة من الإمام عليه السلام ربّما الكثير يتساءل ويخاطبه - في حديث النفس - أنت غالب، أنت مُنتصر، أنت لست في خطبة وعظ أو كلمة أخلاقية، هذا محلُّ قُتلٍ فيه أناس واستشهد آخرون، وأسر البعض الآخر ونجا وانتصر البعض، فما هي مناسبة هذا الكلام!!؟

الإمام عليه السلام أراد أن يبيّن المقصود الحقيقي المُستقبلي، البعيد كلّ البعد عن

(١) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ١٥٧. الحلي، حسن بن سليمان، مختصر بصائر الدرجات: ص ٦. (بتغيير قليل).

(٢) حُطّب أمير المؤمنين عليه السلام، نهج البلاغة: ج ١، ص ١٨٢. الهلالي، سليم بن قيس، كتاب سليم بن قيس: ص ٢٥٦.

أذهان المُسلمين، فضلاً عَن النَّاسِ؛ حَيْثُ أَرَادَ أَنْ يُحَطَّمِ المَقولَةُ المِتشابِهةُ في الزِيغِ مِنْ أَنَّ أُمومَةَ المُؤمِنينَ تَعني الحُجِّيَّةُ في الموقِعيَّةِ الدِينيَّةِ، والحالُ أَنَّ القُرآنَ يَشهدُ عَلَيَّ أَزواجِ النَّبِيِّ ﷺ بالعِصيانِ والتِظاَهرِ عَلَيهِ.

وَإِنَّ كَوْنَهُنَّ أَزواجِ النَّبِيِّ ﷺ لا يَلازمُ حِصانَتَهُنَّ عَن الزِيغِ والخِطيئةِ، كما رَأَوا نوحَ وامرأةَ لوطَ، فَمِنْ غَيرِ الصَّحيحِ أَنْ يُجَدَّعَ الإنسانُ المُؤمِنُ بالأَسْماءِ الطويلَةِ العَريضةِ، وَلِذَلِكَ قَالَ ﷺ: «اعْرِفِ الحَقَّ تَعْرِفُ أَهْلَهُ»<sup>(١)</sup>. والمُؤسِفُ عَدمَ وعايةِ مَغزىِ كِلامِهِ ﷺ.

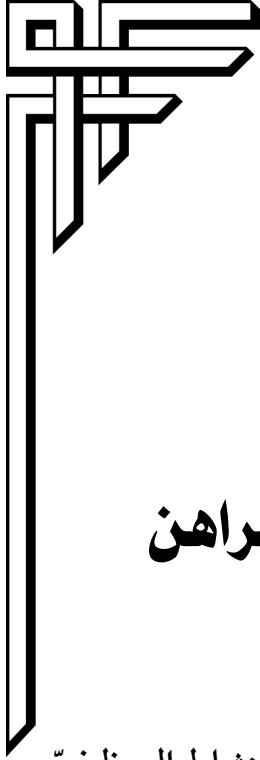
وكذلكَ الحِسينَ ﷺ يُشيدُ أركانَ الدِّينِ ويُجدِّدُ ما بُلِيَ مِنْهُ وَيُعطيَ درساً حضارياً في كُلِّ الأجيالِ، أَنَّ الأهمِّيَّةَ للتخْطِيطِ، والأهمِّيَّةَ للفتْحِ الذي هُوَ تَشيدٌ للحِضارةِ الحَقِيقِيَّةِ، فالِدولُ اليَومُ أَخذتْ تَبحِثُ عَن الانتِصاراتِ الاستِراتيجِيَّةِ بَعيدةِ المَدى، وأَصبِحتْ الانتِصاراتِ المِقطِعيةِ الرَاهنةِ في المنطقِ العِلْمِي لِهَذَا العِصرِ إِنْجازاتِ مُؤقَّتةِ لا يُكْتَرِثُ بِها بِالقِياسِ إِلى ما هُوَ بَعِيدِ المَدى.

فالأنبياء - وَكُلُّ المُصلِحينَ مِنَ المِصْطَفينَ - كانتَ تَنظُرُ النَّاسَ إِليهِم (بِما فيهِم المُسْلِمونَ) أَنَّهُم قُتِلوا اسْتِشْهَدوا وَظُلِموا وَغُلِبوا وَقُهِروا مِنْ قَبْلِ قومِهِم، أَمَّا بَعْدَ ثورَةِ الحِسينِ ﷺ انقلبتِ الصُّورةُ وانقلبتِ النُّظرةُ، انقلبَ السِّحْرُ عَلَيَّ السَّاحِرِ، انقلبَ سِحْرُ الأَفكارِ البَسيطةِ السَّاذِجةِ ذاتِ البَهرِجةِ والزخرفةِ والوسوسةِ الشَّيطانيَّةِ عَلَيَّ صانِعِها السَّاحِرِ الذي أسَّسها وَثَبَّتْها في نَفوسِ النَّاسِ وجعلَ النَّاسَ أُسْراءَ لَها.

والحِسينَ ﷺ يَقلِبُ مَجريَ التَّاريخِ، وَهَذَا لَيْسَ كِلامَ شِعارِي أو شِعرِي

(١) الحلي، ابن إدريس، السرائر (موسوعة ابن إدريس): ج ٣، ص ٥٠٤.

خيالي؛ لأنَّه عَلَيْهِ السَّلَامُ أعاد النَّظْرَ والحساباتِ عِنْدَ كُلِّ النَّاسِ وصَحَّحَ النَّظْرَ، وأوجد بصيرةً ثابتةً لدى أجيالِ المُسلمين والبشريَّةِ بافتراقِ نهجِ السَّقِيفَةِ والنهجِ الأُمويِّ عَنِ النهجِ النَّبويِّ السَّماويِّ، وأنَّ الخِلافَةَ السُّلْطَوِيَّةَ سلطنةً قُدْرَةً وتسلُّطاً، ومسارَ الهدايةِ الدِّينيَّةِ مسارَ آخَرَ، وهذهِ البصيرةُ المسلَّحةُ في العقولِ لم تكن لتوجد ويستمر تواجدها لدى الأجيالِ لولا تضحيةً مثل سبطِ الرسولِ وفرخِ البتولِ وعزيزِ المرتضى وخامسِ أصحابِ الكساءِ؛ وبالتالي لا بدَّ لكتبِ التاريخِ أن تُعاد صياغاتها، لأنَّها نظرت لجهةٍ واحدة، نظرت لمظلوميةِ الأنبياءِ وأنهم لم ينتصروا، في حين أنَّ الحقيقةَ أنَّهم كانوا مُمهِّدينَ لِمُحمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الخاتمِ لما سبق، والفتاحِ لما استقبل، والمُهيمنِ على ذلك كُلِّه.



## القسم الثاني

# خارطة مسؤوليات العصر الراهن

وفيه ثلاثة فصول:

❖ الفصل الأول: خارطة المسؤوليات في النشاط الوظيفي

الديني والسياسي والاجتماعي.

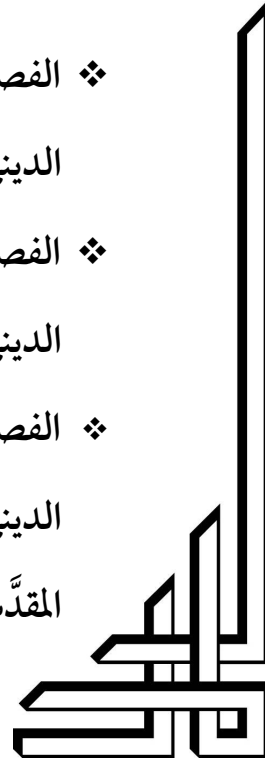
❖ الفصل الثاني: خارطة المسؤوليات في النشاط الوظيفي

الديني للمؤمنين تجاه حركات الانحراف الديني.

❖ الفصل الثالث: خارطة المسؤوليات في النشاط الوظيفي

الديني العسكري للمؤمنين، ووظيفة تقديس وحماية

المقدّسات.









## الفصل الأول

### خارطة المسؤوليات

في النشاط الوظيفي الديني والسياسي والاجتماعي



### سبع قواعد منهجية وخاتمة

القاعدة الأولى: (كُنْ حِلْسًا) والأحلاس في البيوت.

القاعدة الثانية: إعداد القوّة.

القاعدة الثالثة: طلب العلم ونشره.

القاعدة الرابعة: عموم المسؤولية على الجميع.

القاعدة الخامسة: التقيّة الذكية وترقية تنامي الحسّ الأمني.

القاعدة السادسة: المرونة والمناورة في المسير والمسار.

القاعدة السابعة: ضرورة توازن القوى مع العدو.



## مقدمة

هذه قواعد سبع أو أكثر<sup>(١)</sup> في الفقه العقائدي والنشاط الوظيفي الديني والفقهاء السياسي الاجتماعي، أي: إن نفس القاعدة الواحدة لها بُعد ديني حين تدخل في الوظيفة الدينية من حيث إثمها واجبة أو مستحبة، فردية كانت أو اجتماعية وغيرهما، ومن جهة فإن نفس هذه القاعدة يمكن أن تكون منهاجاً للعمل السياسي وقاعدة سياسية، ونفسها بعينها ضابطة في فقه التربية الأسرية والتعامل الأسري وفقه السلوك الاجتماعي.

ومن المعلوم أن هذه القواعد قد ينظر الفقهاء أو أرباب العلوم المختلفة إليها من جهة وزاوية البعد الفردي، والحال أن البعد الفردي هو أحد زوايا تلك القواعد، وهو أدنى الواجبات في الدين، وهناك ما هو أهم وهي الواجبات الاجتماعية أو السياسية أو الاقتصادية أو العسكرية، فكلما كانت أوسع وأهم في الدين كان الملاك أهم؛ وبالتالي تكون المطلوبة أعلى.

والحاصل: أن البعد الديني في هذه القواعد ما كان من ناحية الوظيفة في الأحكام الشرعية، أمّا بعدها في الفقه السياسي فهو ما ارتبط بشؤون السلطة والشأن السياسي بشكل عام، وأمّا البعد في الفقه الاجتماعي، فمن حيث كونها نظريات أو تطبيقات اجتماعية.

---

(١) قلنا: أكثر. لأن في هذه القواعد قواعد أخرى، فيصل العدد إلى عشر قواعد أو أكثر.

## القاعدة الأولى

### (كُنْ حَلَسًا) والأحلاس في البيوت

قاعدة منهجية في النشاط الوظيفي الديني والسياسي في زمن الغيبة:

(كُنْ حَلَسًا مِنْ أَحْلَاسِ بَيْتِكَ)

قَدْ احْتَمَلْ عِدَّةَ احْتِمَالَاتٍ لِمَعْنَى (الْحَلَسِ) وَلِلْمَعَانِي الَّتِي تَأْمُرُ الْفَرْدَ

الْمُؤْمِنَ - فِي زَمَنِ الْغَيْبَةِ الْكُبْرَى - بِالْجُلُوسِ فِي الدَّارِ:

١. أَنْ يَكُونَ مَعْنَى ذَلِكَ أَنْ يَدَّخِرَ نَفْسَهُ لِنَصْرَةِ الْإِمَامِ عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ فَيَنْبَغِي أَنْ

يَحَافِظَ عَلَى نَفْسِهِ.

وَهُنَا نَقُولُ: إِنَّ مَعْنَى الْمَحَافِظَةِ مُغَايِرَ مَعْنَى الْجُلُوسِ فِي الدَّارِ، فَقَدْ يَكُونُ

هُنَاكَ ادِّخَارٌ لِلنَّفْسِ بِلَا جُلُوسٍ فِي الدَّارِ، وَقَدْ يَكُونُ هُنَاكَ جُلُوسٌ سَلْبِي

يُعَرِّضُ الْمُؤْمِنَ لِلْخَطَرِ.

٢. أَنْ يَكُونَ مَعْنَى (أَحْلَاسِ الْبَيْوتِ) هُوَ اجْتِنَابُ الْاِغْتِرَارِ بِكُلِّ صِيحَةٍ

وَنِدَاءٍ مِنْ هُنَا وَهُنَاكَ، وَمِنْ فِتْنَةٍ وَأُخْرَى مِنْ دُونِ تَثَبُّتٍ وَرَوِيَّةٍ وَتَعَقُّلٍ وَفَحْصٍ،

وَمِنْ دُونِ دَرَايَةِ؛ لِئَلَّا يُوَدِّيَ إِلَى قَتْلِ النَّفْسِ بِالضَّلَالِ، وَالانْضِوَاءِ تَحْتَ تِيَارَاتِ

الانْحِرَافِ، وَالانْخِدَاعِ بِالزُّخْرُفِ وَبِالْبَهْرَجَةِ وَالْإِعْلَامِ، بَلْ الْإِلَازِمُ أَنْ يَكُونَ

مُصَدِّقًا لِقَوْلِ الْإِمَامِ عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «كُنْ فِي الْفِتْنَةِ كَابْنِ اللَّبُونِ، لَا ظَهْرٌ فَيُرْكَبُ، وَلَا

ضَرْعٌ فَيُحْلَبُ»<sup>(١)</sup>، وَابْنُ اللَّبُونِ مِنَ الْإِبِلِ مَا أَتَى عَلَيْهِ سَنْتَانٌ حَيْثُ لَا يُمْكِنُ

(١) الأمدى، عبد الواحد، غرر الحكم وذُرر الكلم: ج ١، ص ٣١٧. النهازي الشهرودي،

علي، مستدرک سفینه البحار: ج ١، ص ١٢٣.

استغلاله بالحلب، ولا بالركوب حيث لا يُركب، كذلك المؤمن خارج من الفتنة بانتصار، رغم أنه في الفتنة، وليس هو جليس الدار، بل هو في الفتنة وليس معها، كما ورد «كُنْ فِي النَّاسِ، وَلَا تَكُنْ مَعَهُمْ»<sup>(١)</sup>، ونظير قوله عليه السلام أيضاً: «كونوا كالنحل في الطير، ليس شيء من الطير إلا وهو يستضعفها، ولو علمت الطير ما في أجوافها من البركة لم تفعل بها ذلك، خالطوا الناس بألستكم وأبدانكم، وزايلوهم بقلوبكم وأعمالكم»<sup>(٢)</sup>، أي: كُنْ فِي الْفِتْنَةِ وَلَا تَكُنْ رَقماً مِنْ أَرْقَامِهَا حَتَّى لَا تَخْسِرَ عَقِيدَتَكَ، وَكُنْ حِلْساً مِنْ أَحْلَاسِ الْبُيُوتِ، أَي: «لا تكن عبد غيرك وقد جعلك الله حراً»<sup>(٣)</sup>، ولا تكن حطبا لنيران الفتن، وذلك يكون بالصبر والتثبت وعدم الاستعجال، وَقَدْ وَرَدَ فِي الرَّوَايَةِ «هَلَكْتَ الْمَحَاضِيرُ... وَنَجَا الْمُقْرَبُونَ»<sup>(٤)</sup>، و(المحاضير) أي: المستعجلون بلا تروّي، والاندفاعيون بسرعة استرسال بلا تثبت وفطنة، من دون ملاحظة عواقب الأمور، وقوله: (ونجا المقربون) - بكسر الراء المشددة - تعني أنهم يقولون بقرب الفرج ويتظرون في برجة أعمالهم وجدولة تحركهم توخي الظهور.

فالانتظار من مادة الناظر، أي: المتطلع لشيء آتٍ، حيث يجعل مركز كل برامجه وتخطيطه وخطاه وخططه السعي لذلك الهدف، والدوران حول تلك النقطة المركزية من دون رسم هدف مغاير لذلك الفرج الحقيقي؛ وذلك بعدم الاغترار والفرح بالانفراج النسبي الضئيل، وبذلك يكون السعي والعمل

(١) الخراساني القايني، محمد تقي، مفتاح السعادة في شرح نهج البلاغة: ج ٤، ص ٩.

(٢) النعماني، محمد، الغيبة: ص ٢١٧.

(٣) حُطِبَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام، نهج البلاغة: ج ٣، ص ٥١. وأنظر: المتقي الهندي، علي، كنز العمال: ج ١٦، ص ١٧٥، ح ٤٤٢١٥.

(٤) النعماني، محمد، الغيبة: ص ٢٠٣. الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ٣، ص ١٣٢.

والنشاط أكبر من الأهداف المتوسطة، فضلاً عن الأهداف المقطعية الشخصية، وهذا المعنى لا يعني السكون والركود والنكول عن هدف الانتظار، بل يعني دوام استهدافه في السعي والنشاط والحركة والحراك، والسكون والسكوت عن بقية الأهداف الأخرى الدنيوية، وكذلك هو بتوظيف الأهداف المتوسطة لذلك الانتظار والظهور من دون الاغترار بتلك الأهداف لنفسها بنظرة موضوعية لها، تطبيقاً لقوله تعالى: ﴿وَلَا يَسْتَخِفُّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾<sup>(١)</sup>؛ ولذا كان عليّ أمير المؤمنين عليه السلام منشغلاً بتجهيز النبي صلى الله عليه وآله ودفنه، حين كان الناس يتصارعون على كرسي الحكم لم يستخفه المستخفون، ولم يربكه استعجال المستعجلين وحرص الدنيويين.

### المعاني اللغوية للحلس

٣. وهذا الاحتمال يدعم الاحتمال الثاني الذي مرّ، إلا أنه يركّز إلى جانب استعمال السرية والحسّ الأمني في العمل، حيث إنه ذكر في المعنى اللغوي للحلس: (إنه بمعنى الكساء يُجعل على ظهر البعير تحت رحله، أو هو الكساء يكون تحت البرذعة للبعير، أو هو الكساء يبسط في البيت تحت حرّ الثياب)، وهذا الاحتمال الثالث يحتاج إلى شيء من البسط بالبحث في المعاني اللغوية.

\* في العين: «الحلس ما ولي البعير تحت الرحل... والحلس للبيت ما يبسط تحت حرّ المتاع من مسح وغيره... وفي الحديث في الفتنة كُنْ حِلْسَ بيتك... الحلس الشعاع الذي يلازم قرنه»<sup>(٢)</sup>.

\* وقال في جمهرة الأمثال: «وأصل الحلس: كساء يوضع تحت البرذعة

(١) الروم: آية ٦٠.

(٢) الفراهيدي، الخليل بن أحمد، العين: ج ٣، ص ١٤٢.



على ظهر البعير ويلزمه، فشبّه الذين يعرفون الشيء ويلزمونه به، وفي الحديث:  
إذا كانت فتنة فكن حُلَس بيتك. أي: الزمه ولا تُزايِله<sup>(١)</sup>.

فظهر من هذه التعاريف اللُّغوية أنَّ معنى الحُلَس إمَّا معنى الخفاء أو الثبات والملازمة على الشيء، وكلا المعنيين بهدف عدم الاغترار والانجرار إلى أطراف النزاعات والفتن والاختلافات، بل الثبات واللزوم على ما كان عليه، فلا يزيَل هويته وانتماءه الذي كان عليه بانتماءات حادثة ومتولِّدة، وبذلك يقرب هذا المعنى من المعنى السابق.

\* وَمِنْ ثَمَّ وَرَدَ الحُلَس - كما في لسان العرب - بمعنى العهد، تقول:  
«أحلستُ فلاناً، إذا أعطيته حُلَساً، أي: عهداً»<sup>(٢)</sup>، وهذا المعنى أيضاً يقرب من معنى اللزوم والثبات وعدم الانحراف؛ وذلك لقوَّة مراعاة السُّرِّيَّة والكتمان والإخفاء والتستر، لا بالسكون والركود والقعود والابتدال، وجعل النفس بذلة مبتدلة في أيدي العابثين والمعتدين.

\* وفي مجمع البحرين بعد ما ذكر تلك المعاني المتقدِّمة لغةً، قال: «هذا هو الأصل، والمعنى الزموا بيوتكم لزوم الأُحلاس، ولا تخرجوا منها فتقعوا في الفتنة... والحلس - بكسر اللام - الشجاع»<sup>(٣)</sup>.

\* وفي تاج العروس: «وَمِنْ المَجَاز (الحُلَس): الكبير مِنْ الناس للزومه محله ولا يزيَله»<sup>(٤)</sup>.

(١) العسكري، أبو هلال، جمهرة الأمثال: ج ٢، ص ٢٠٨.

(٢) ابن منظور، محمَّد بن مكرم، لسان العرب: ج ٦، ص ٥٦.

(٣) الطريحي، فخر الدين، مجمع البحرين: ج ٤، ص ٦٣.

(٤) الزبيدي، محمَّد مرتضى، تاج العروس: ج ٨، ص ٢٤٥.

\* والذي في المحيط: «رأيت حِلْساً في الناس، أيّ كبيراً»، إذا يلازم قعر بيته لا يبرح، ويؤيد أن الحِلْس بمعنى الثبات والثقل عن الاهتزاز ما عُرف في كلمات اللغويين فيما قالوا: حِلْس بيته فيمن لم يبرح مكانه، أي: لم يغيّر ما ثبت عليه قلبه من الإيمان بهداهم ومنهاجهم.

### نتائج مهمة من معنى الحِلْس

ولمزيد توضيح قول اللغويون في معنى الحِلْس أنه البردع أو البردعة والبرذع أو البرذعة. فينبغي أن نوضح معنى البردع، قال في لسان العرب: «والبردع هو الحِلْس الذي يلقي تحت الرحل... والبردعة من الأرض: لا جلد ولا سهل، وابرندع للأمر ابرنداعاً: تهباً واستعد. وابرندع أصحابه: تقدّمهم»<sup>(١)</sup>، ويمكن الحصول مما تقدّم على نتائج عديدة:

١. بما أن معنى الحِلْس هو البردع الذي هو قماش أو شيء آخر يوضع بين السرج وبين ظهر الدابة كالحصان، والهدف منه زيادة في (ثبات) السرج على ظهر الحصان أو غيره، ومن جهة أخرى هو (حماية) ظهر الدابة من قساوة السرج، وهكذا المؤمن الحِلْس هو كالبردع يحمي ظهور المؤمنين، ويكون حصناً منيعاً ثابتاً لهم.

٢. وقوله: والبردعة من الأرض: (لا جلد ولا سهل)، هذا يعني أن البردع الذي هو الحِلْس دائماً يسير على الطريقة الوسطى، فلا يكون ليناً فيعصر، ولا يكون يابساً فيكسر، أي: يكون وسطاً من باب ﴿جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾<sup>(٢)</sup>، أو يكون وسطاً، أي: لا إلى اليمين ولا إلى الشمال، أي: هو على

(١) ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب: ج ٨: ص ٨-٩.

(٢) البقرة: آية ١٤٣.

الوسطية (الاستقامة)، فلا يذوب في الإفراطيين، ولا ينساق مع التفريطيين المفرطين، بل متوازن في السير والمسير، ويوازن الجوانب من دون متاركتها.

٣. نستشعر من معنى البردع الذي هو ما يوضع بين الرحل أو السرج وبين ظهر الدابة، أنه بطانة داخلية غير ظاهرة، وهو بطانة نافعة؛ فيكون الحلس هو بمعنى البطانية الإيمانية الصالحة التي يأمر القرآن بالركون إليها وعدم اتخاذ غيرها، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا﴾<sup>(١)</sup>.

٤. البردع الذي هو بين الرحل وظهر الدابة، له نفع غير ظاهر وغير مُعلن، (خفي غير ظاهر)، لكنّه متواجد فاعل بين الأطراف من دون مشاهدته، ومن دون الشعور به - كما هي سنة الغيبة للإمام الثاني عشر عليه السلام - فالأمر بالعمل الخفي (غير ظاهر النفع)، كما هو نفع الحلس الذي هو بين ظهر الدابة والرحل؛ حيث إنّه له دور ونفع لكنّه خفي.

ولو دققنا النظر، فإنّ البردع الذي قد يكون قطعة من القماش البالي، هذه القطعة إذا وضعت ظاهراً فإنّ نفعها معدوم، وإذا خُفيت نفعت - أيها نفع - كذلك المؤمن إذا خفي نفع وإذا ظهر علانية استُصل وأُيد.

٥. وقوله: (ابرنذع): تهباً واستعد. إنّ معنى البردع هو التهيؤ والاستعداد؛ فيكون معنى الحلس والحليسة هو التهيؤ المنقطع سريعاً، وذلك بالتنامي التدريجي للقوة العجول الدفعي المنقطع سريعاً.

**ما هو معنى البيت) الذي ورد في الرواية :**

ثمّ إنّ معنى البيت في هذه الروايات أيضاً هو استعمال كنائي، يُراد به لزوم المنهاج الذي عليه المؤمن - منهاج أهل البيت عليهم السلام - فالبيت هو بيت

(١) آل عمران: آية ١١٨.

الإيمان وبيت المؤمنين وجماعتهم، كما أُطلق على بلاد المؤمنين وبلدهم ومجتمعهم دار الإيمان في قبال دار الإسلام وفي قبال دار الكفر، فالدار هي الكيان الاجتماعي، وكذلك البيوت، والبيت نظير إطلاق البيوت في آية النور بمعنى الرجال الَّذِينَ لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله تعالى، أي: إنَّ قوله ﷺ: «كن جليلاً من أحلاس بيتك»، أي: استقم على ما أنت عليه من الإيمان وبيئة المؤمن والتزام جماعة المؤمنين، وبنمط ورؤية الخفاء وكتمان موضع القوة والضعف في المؤمنين عن الأعداء والمخالفين، والمواصلة في مشروع أهل البيت ﷺ بدون صخب في العلانية تثير الأعداء وتعرقل مسيرة الإيمان.

فالعمدة في هذه الوصية المُستفيضة في رواياتهم جملة من النقاط:

الأولى: الاستقامة والثبات على الإيمان.

الثانية: التزام السرية والخفاء.

الثالثة: التمرکز في بيت الإيمان وجماعة المؤمنين، وعدم اتّخاذ ولائج

وانتهاءات خارجة عنهم.

والتمرکز لا يعني التفوق الجغرافي بقدر ما هو تمرکز الاستراتيجية

ومنظومة الولاء، والتحالف مع المؤمنين.

وأين هذا المعنى البديع من المعنى المغلوط المشتهر تقليدياً في الأذهان

من معنى الجمود وترك الحبل على الغارب والتفرّج من بعيد، والتخلي عن

جملة من المسؤوليات الخطيرة؟! كما أنّ المعنى الصحيح المتقدّم لا يعني

الصخب في العلانية، والجهاز في إذاعة الأسرار والصراخ والضجيج في كلّ

الأمر، فالنشاط وتحمّل المسؤولية لا يعني الضجيج والصخب وإعلان

خارطة المسؤوليات في النشاط الوظيفي الديني والسياسي والاجتماعي ..... ١٤٩

الأسرار للأعداء في العلانية، وكذلك الخفاء والكتمان لا يعني الجمود والانعزال والتفرج من بعيد، ولنا في الإمام المهدي عليه السلام القدوة البالغة؛ فإنه عليه السلام في قمة الخفاء مع قمة تحمل كافة المسؤوليات في كل الساحات والميادين الساخنة والباردة.

وهذا اللسان - كُن حلساً من أحلاس البيوت - في الروايات كثير، ومفاده لا يتضح تماماً، إلا بمقارنته بطوائف روايات أخرى في هذا الشأن؛ كون منظومة الدين واحدة لا تتحدد الرؤية فيها إلا بالمجموع وتفسير كل بعض بالأبعض الأخرى، وكذلك العكس.

فمثلاً: نجد رواية صحيحة أعلائية، بل قطعية الصدور يرويها الصدوق، عن الفضيل بن يسار النهدي ومشاركته مع زيد الشهيد في ثورته، مع أن الفضيل من تلاميذ الإمام الباقر والصادق عليهما السلام المبرزين، والرواية هي قول الفضيل: «انتهيت إلى زيد بن علي صبيحة خرج بالكوفة، فسمعتة يقول: مَنْ يُعِينِي مِنْكُمْ عَلَى قِتَالِ أَنْبَاطِ الشَّامِ، فَوَالَّذِي بَعَثَ مُحَمَّدًا بِالْحَقِّ بَشِيرًا، لَا يُعِينِي مِنْكُمْ عَلَى قِتَالِهِمْ أَحَدٌ إِلَّا أَخَذَتْ بِيَدِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَدْخَلَتْهُ الْجَنَّةَ بِإِذْنِ اللَّهِ.»

قال: فلما قُتِلَ اكترت راحلة وتوجهت نحو المدينة، فدخلت على الصادق جعفر بن محمد عليهما السلام، فقلت في نفسي: لا أخبرته بقتل زيد بن علي فيجزع عليه. فلما دخلت عليه، قال لي: يا فضيل، ما فعل عمي زيد؟ قال: فخنقتني العبرة. فقال: قتلوه؟ قلت: إي والله، قتلوه. قال: فصلبوه؟ قلت: أي والله، صلّبوه. قال: فأقبل يبكي ودموعه تنحدر على ديباجتي خده كأنها الجمان.

ثم قال: يا فضيل، شهدت مع عمي قتال أهل الشام؟ قلت: نعم. قال: فكم قتلت منهم؟ قلت: ستة. قال: فلعلك شاك في دمائهم؟ قال: فقلت: لو كنت شاكاً ما قتلتهم. قال: فسمعتة وهو يقول: أشركني الله في تلك الدماء، مضى - والله - عمي وأصحابه شهداء مثلما مضى علي بن أبي طالب عليه السلام وأصحابه<sup>(١)</sup>.

والذي يُريد أن نقوله: إنَّ الإمام عليه السلام لم ينكر على الفضيل مشاركته، بل أكَّده ألا يتردد فيما قام به من قتلهم، بل أعطاه مبلغاً من المال يوزعه على عوائل الشهداء.

كذلك روايات كثيرة أكدت أن الذي يحجزهم عن النهوض هو عدم استقامة محبيهم على تحمّل شدة المسؤولية، وأنهم لو وجدوا أنصاراً خرجوا على الظالمين.

وفي هذا الصدد نذكر ما رواه الكليني في روضة الكافي بسند متصل، عن أبي هيثم بن التيهان، قال: إنَّ أمير المؤمنين عليه السلام خطب الناس في المدينة، ثم ذكر الخطبة - الخطبة الطالوتية - : «قال: ثم خرج من المسجد فمرَّ بصيرة - حظيرة - فيها نحو من ثلاثين شاة، فقال: والله، لو أن لي رجالاً ينصحون لله (عزَّ وجلَّ) ولرسوله بعدد هذه الشياه لأزلت ابن آكلة الذبان عن ملكه. فلما أمسى بايعه ثلاثمائة وستون رجلاً على الموت، فقال أمير المؤمنين: اغدوا بنا إلى أحجار الزيت مُحلَّقين. وحلَّق أمير المؤمنين، فما وافى من القوم مُحلَّقاً إلا أبو ذر، والمقداد، وحذيفة بين اليمان، وعمَّار بن ياسر، وجاء سلمان في آخر القوم، ورفع يده [أمير المؤمنين عليه السلام] إلى السماء فقال: إنَّ القوم استضعفوني كما استضعف

(١) الصدوق، محمد بن علي، الأملالي: ص ٤٣٠-٤٣١.

بنو إسرائيل هارون... لولا عهدٌ عهدته إليّ النبي الأُمِّي ﷺ لأوردت المخالفين خليج المنية، ولأرسلت عليهم شأبيب صواعق الموت، وعن قليل سيلعمون»<sup>(١)</sup>.

وقريب منه ما رواه الخزاز بسنده المتصل، عن جابر بن يزيد الجعفي، عن أبي جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام: «... قلت: يا سيدي، أليس هذا الأمر لكم؟ فلم تعدتم عن حقتكم ودعواكم، وقد قال الله تعالى: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ﴾؟ قال: فما بال أمير المؤمنين عليه السلام قعد عن حقه، حيث لم يجد ناصرًا، أو لم تسمع الله تعالى يقول: - في قصة لوط عليه السلام لقومه - ﴿لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾، ويقول في حكاية عن نوح: ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ﴾، ويقول في قصة موسى عليه السلام: ﴿رَبِّ إِنِّي لَأَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرِقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾، فإذا كان النبي هكذا فالوصي أعذر، يا جابر مثل الإمام مثل الكعبة إذ يؤتى ولا يأتي»<sup>(٢)</sup>.

وقريب منه ما رواه في علل الشرائع<sup>(٣)</sup> بسنده، عن ابن مسعود، عن أمير المؤمنين عليه السلام، وقريب منه أيضاً ما ورد في الاحتجاج<sup>(٤)</sup> عن أمير المؤمنين عليه السلام بعد رجوعه من النهروان، وذكر المجلسي في علة قعوده عن قتال من تأمر عليه من الأولين، وعلة قعود من قعد منهم عليه، وذكر المجلسي رواية أخرى عن الاحتجاج قوله عليه السلام: «لو وجدت يوم بوبع أخوتيم أربعين رهطاً لجاهدتهم في

(١) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ٨، ص ٣٣.

(٢) الخزاز القمي، علي بن محمد، كفاية الأثر: ص ٢٤٧-٢٤٨.

(٣) أنظر: الصدوق، محمد بن علي، علل الشرائع: ج ١، ص ١٤٨، باب ١٢٢، ح ٦.

(٤) أنظر: الطبرسي، أحمد بن علي، الاحتجاج: ج ١، ص ١٨٧-١٨٨.

الله...»<sup>(١)</sup>.

وكذلك الصدوق<sup>(٢)</sup> في الأمالي بسند معتبر عن المفضل، وكذلك الطوسي في أماليه<sup>(٣)</sup>.

وقد جمع المجلسي في هذا الباب - باب العلل - كثيراً منها متضمناً لهذا التعليل. وكذلك ما ورد - متعدداً - من أنه: كَانَ قَدْ قَرَّرَ أَنَّ يَكُونُ الْحُسَيْنَ عَلَيْهِ السَّلَامُ هُوَ الْمَهْدِيُّ وَلَكِنْ بَدَأَ اللَّهُ فِيهِ.

فيظهر أن الذي يؤخر إقامة دولتهم هو تحاذل المؤمنين عن الالتزام العالي الكبير بالمسؤولية الثقيلة، وهذا ما تواترت به الأخبار، بل والآيات الكريمة واضحة الدلالة بالمضمون والصرحة في ذلك، قال تعالى: ﴿الآنَ حَقَّقَ اللَّهُ عَنَّكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا﴾<sup>(٤)</sup>.

فالأمة - إذاً - واقعتها هو الضعف على مختلف الأصعدة، الدينية والحياتية، المادية والمعنوية.

ويتحصّل مما تقدّم: أن معنى الحِلْس هو الثبات وعدم الانتقال عن المسار العقائدي والديني بالانجرار خلف تيارات الباطل والزيغ، وهذا ما توضّحه لنا الآية الكريمة في قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْحَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾<sup>(٥)</sup>.

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٢٩، ص ٤٢٠.

(٢) أنظر: الصدوق، محمد بن علي، الأمالي: ص ٣١١.

(٣) أنظر: الطوسي، محمد بن الحسن، الأمالي: ص ٣٨.

(٤) الأنفال: آية ٦٦.

(٥) الأنفال: آية ٦٠.



### موسى عليه السلام جالس البيوت

قد روى الكليني مرفوعة علي بن عيسى، قال: «إنَّ موسى عليه السلام ناجاه الله تعالى، فقال الله في مناجاته: يا موسى... وَكُنْ خَلِيقَ الثَّيَابِ جَدِيدِ الْقَلْبِ تَخْفَى عَلَى أَهْلِ الْأَرْضِ، وَتُعْرَفَ فِي أَهْلِ السَّمَاءِ جِلْسَ الْبُيُوتِ مَصْبَاحِ اللَّيْلِ... يَا مُوسَى، كُنْ إِمَامَهُمْ [العباد] فِي صَلَاتِهِمْ، وَإِمَامَهُمْ فِيمَا يَتَشَاجِرُونَ، وَاحْكَمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلْتُ عَلَيْكَ، فَقَدْ أَنْزَلْتُ حُكْمًا بَيِّنًا وَبِرَهَانًا نَيِّرًا وَنُورًا يَنْطِقُ»<sup>(١)</sup>.

في الحديث القدسي يأمر الله (عَزَّ وَجَلَّ) موسى بأن يكون جليساً من أحلاس البيوت، ومع ذلك فإنه لم يناف الأمر بإقامة الحكم الإلهي بين الناس وإقامة التوراة؛ مما يدل على أن المراد الحقيقي والصحيح من الجلوس هو السرية والخفاء في الإقامة في بيت مشروع الحق، والثبات على النهج الصحيح، وعدم الانجرار مع كل اتجاه وكل راية مرفوعة، بل الأمر بالجلوس والخفاء في البيوت، في حين الأمر بقيادة الناس هو قمة النشاط والدور الفاعل ورفع الفتنة والنزاع بين البشر، وبذلك يظهر جلياً أن الأمر بـ(كُنْ جِلْسًا مِنْ أَحْلَاسِ بَيْتِكَ) هو الخفاء والسرية في مواجهة العدو في حين الإقامة في بيت كيان الحق، وليس أمراً ودعوى إلى الجمود والسكون، والوهن والضعف، والاستضعاف والتفرج للأحداث من دون الخوض في إدارة إصلاحها.

---

(١) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ٨، ص ٤٢. الصدوق، محمد بن علي، الأمالي: ص ٦٠٢، المجلس ٧٧، ح ٦. ولكن في أمالي الصدوق مسندة بسند حسن، عن عبد الله بن سنان.

كيف؟ وقد ورد في الروايات المستفيضة - كما في روايات الزيارات العديدة- الذم الشديد للضعف والوهن، والسكون والضراعة، والاستكانة والتتبع، والهلع والتضييع والتخلف، بينما أمر بالقوة والنهوض، والبروز والنطق، والمحافظة والإقدام والإعداد، وإن لم يكن ذلك بمعنى الحدّة والسخونة، والتهور والصخب، والإفشاء والإذاعة للأسرار الأنيّة وكشف المستور، بل هو أمر ذكي في الآليات والخطوات للخطط.

وفي عدّة من زيارات لأمر المؤمنين عليهم السلام ولسيد الشهداء عليه السلام، منها عن أسيد بن صفوان صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله، قال: «... وجاء رجل<sup>(١)</sup> مسرع مسترجع وهو يقول: ... قويت حين ضَعُفَ أصحابه، وبرزت حين استكانوا، ونهضت حين وهنوا، ولزمت منهاج رسول الله صلى الله عليه وآله... ولم تَضْرَعْ برغم المنافقين وغيظ الكافرين وكُره الحاسدين وصغر الفاسقين، فقامت بالأمر حين فشلوا، ونطقت حين تتعتعوا، ومضيت بنور الله إذ وقفوا، فاتبعوك فهدوا، وكنت أخفضهم صوتاً وأعلاهم فوتاً، وأقلهم كلاماً، وأصوبهم منطقاً، وأكثرهم رأياً، وأشجعهم قلباً، وأشدّهم يقيناً...»<sup>(٢)</sup>.

(١) ورد أن ذلك الرجل هو الخضر.

(٢) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ١: ص ٤٥٤، ح ٤. الصدوق، محمد بن عليّ، الأمالي: ص ٣١٣.

## فهم جديد لمعنى (حين) التي وردت في الزيارة

### القضية الحينية

#### الوسطية في ميزان العمل

الدور المنقذ لتوازن سفينة المؤمنين والمسلمين عن الغرق المتطرف

ذُكر في المنطق - بعض أوصاف - القضية الحينية، وهي: (أنَّ المحمول فعليُّ الثبوت للموضوع حين اتَّصافه بوصفه)، وما أوردناه في زيارة أمير المؤمنين عليه السلام - يشبه ذلك - وهو أنه عليه السلام حين يأفل عمل القوم، وحين يضعف صبرهم يبرز صبره عليه السلام، حين يُتعتع القوم ينطق عليه السلام، وليس دائماً، فهذا الوصف ثابت فعلاً للإمام عليه السلام حين يتَّصف القوم بعدم ذلك، فهو دور موازن، وهذا دور آخر غير الدور الذي لأمر المؤمنين عليه السلام، والذي هو ثابت له على الدوام، وهو عمله الدائم كمكلف بالإمامة والقيادة، وبالتكاليف الشرعية كالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وغيرها، وهذا تفسير لمعنى الوسطية في العمل والتكليف<sup>(١)</sup>، قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعِ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ﴾<sup>(٢)</sup>.

(١) وقريب من هذا المعنى ما ذكر علماء أصول الفقه في معنى الوسطية - في التنجيز أو التكليف - وهي: أن المكلف في ظرف الاضطرار يمكنه أن يأتي بثمانية أجزاء من العمل المركب من عشرة أجزاء؛ لأن الثمانية مجزئة في ظرف الاضطرار، ومطلوبة على كل حال .  
(٢) البقرة: آية ١٤٣ .

## الوسطية في قوام العمل حين عجز الأمة

### المعادل الموضوعي

### العامل المشترك الأكبر

### الوسطية بمعنى (بيضة القبان)

أمير المؤمنين عليه السلام هو الميزان - وهو القبان - وهو قسيم الجنة والنار، وهو مع الحق والحق معه، وبه تُعرف الرجال، ولكن هذا لا يمنع أن يكون له دور آخر، وهو الوسطية في توازن وميزان الأمور، بمعنى بيضة القبان - لو صح التعبير - وهذا الدور هو أحد أدواره التي سنّها في نهج ومنهاج الدين. وبه يكون دوره أمة، قال تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾<sup>(١)</sup>، أي: رغم كونه ميزاناً تُوزنُ به الخلق كذلك هو توازن للخلق، أي: أحد أهم عناصر الميزان، عناصر التوازن.

وهذا الدور العظيم - دور بيضة القبان - مرتبط بشكل وثيق مع برنامج الرقابة الأمني - دور الشهادة على الأمة - للذين آمنوا، قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾<sup>(٢)</sup>، فقد ارتبطت الوسطية بالشهادة؛ ولذلك فإنّ (إمساك العصا من الوسط) ضمان أكيد للنجاة من السقوط في حضيض المتشابهات الفتانة.

(١) النحل: آية ١٢٠.

(٢) البقرة: آية ١٤٣.

## أيها المؤمن

كُنْ كموسى عليه السلام جَلَسَ البيتَ جديد القلب، وكما كان يوسف عليه السلام. ولا بدّ أن تكون في الحدث، فإن الوسطيّة بمعنى المعادل الموضوعي والعمل المشترك الذي لا غنى لكثير من العمليّات التديريّة - الحسائية - عنه.

علي عليه السلام خير قدوة حين يحدث فتور نسبي في الأمة يشرق نور علي عليه السلام، حينما تسكت الأمة عن الباطل يظهر نور الحق من علي عليه السلام، ما أن تبرد الأمة حتى يبعث فيها السخونة، ولعله أحد معاني إثارة دفائن العقول - الذي هو من أهمّ وظائف الأنبياء - فالعقول مفطورة على الدين، وأن الأنبياء يثيرون دفائنهم.

ومن ذلك تلخّص: أن المراد من الجلس هو الثبات، وأن لا يبرح المؤمن من استقامته على انتباهه الى منهاج وخطّ أهل البيت عليهم السلام والملازمة على ذلك، ولا تأخذه الاتجاهات والجماعات المختلفة يميناً ولا شمالاً؛ لأن المراد الجمود والتفرّج وترك الأمور على غاربها، وعدم الاكتراث بالأمور التي لا تصبّ في اتجاه منهاج أهل البيت عليهم السلام، أي: بقدر ما همّ مع منهاج فنعم، وبقدر ما يتعدون فلا، لا أنّ المعنى الجمود واللامسؤوليّة والذوبان في المادّية والذاتية، والاستمتاع بلذّة الوداعة والراحة والخمول وبهجة الحياة الدنيا.

ثمّ إنّ هاهنا أصلاً وقاعدة أخرى.

## الصبر والتصبر

إنّ الصبر والتصبر لا يعني الجمود، بل الاندفاع في النشاط والفاعليّة والتخطيط لتدابير متعدّدة واسعة.

وقد ورد في روايات مستفيضة - بل متواترة - ذم الاستعجال والنهي عن الاندفاع الساخن، إلا أن الكلام يقع في حقيقة المعنى المراد منه متوازناً مع الأبواب الأخرى، الواردة فيها أيضاً روايات متواترة دالة على قواعد دينية أخرى، فالنظم المتوازن بينهما هو الجادة المستقيمة والنمرقة الوسطى.

أذاً؛ للصبر في منهاج أهل البيت عليهم السلام تفسير يختلف عن المناهج الأخرى، سواء الإسلامية أو غير الإسلامية، بل أن بعض المناهج السائرة على منهاج أهل البيت عليهم السلام ترجمت في فهم (عدم الصبر أو الجزع) في سير ومسير أهل البيت عليهم السلام أين ومتى يكون؟ وما هي مساحته؟

وقد تقدم سابقاً في الرواية عن الإمام الصادق عليه السلام - بل الروايات الكثيرة - أن الجزع وعدم الصبر يعني النشاط والحراك والحركة قبل وقوع القضاء والقدر؛ طمعاً في سعة المشيئة وسعة الرحمة الإلهية.

ثم إن الجزع وعدم الصبر لا يعني الاعتراض على القضاء والقدر كما قد يتصور البعض، بل إن ساحة الصبر بعد وقوع القضاء والقدر.

## القاعدة الثانية

### إعداد القوة

#### وأعدوا...

قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مِمَّا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ...﴾<sup>(١)</sup>، وهذه الفريضة القرآنية العظيمة ليست مختصة بباب الجهاد وحال مناجزة العدو، بل هي مطلقة على الدوام أن يبني المؤمنون أنفسهم وقوتهم صرحاً يهابه العدو، وراذعاً له عن التطاول. وبيان ذلك بأمرور:

الأول: نرى الآية فرقت معنى القوة عن رباط الخيل، وكأنها تُشير إلى أن القوة بحسب المعنى أوسع من معنى القوى العسكرية التي أحد مصاديقها (رباط الخيل).

الثاني: هذا التفريق والتمييز واضح في الآيات القرآنية، قال تعالى: ﴿قَالُوا نَحْنُ أَوْلُوا قُوَّةً وَأَوْلُوا بِأَسْ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ﴾<sup>(٢)</sup>، فالآية هنا فرقت القوة عن البأس الشديد، أي: بينت أن معنى القوة أوسع من معنى القوة البدنية والعسكرية، ومن معاني القوى الأخرى، كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِي نَقَصَتْ غَزَلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا...﴾<sup>(٣)</sup>، فقد أُشير - في التفاسير -

(١) الأنفال: آية ٦٠.

(٢) النمل: آية ٣٣.

(٣) النحل: آية ٩٢.

إلى أن معنى القوّة هو الإحكام والإبرام.

الثالث: كذلك طلبُ ذي القرنين القوّة من القوم الذين استنجدوه، وهي الإعانة الماليّة والبدنيّة، قال تعالى: ﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾<sup>(١)</sup>، وهكذا آيات أُخرى تُشير إلى أن معنى القوّة معنى أوسع من معنى القوّة البدنيّة والعسكريّة.

إذن؛ يتبيّن أن عنوان ومعنى القوّة معنىً مطلق شامل لكلّ أنواع القوّة، سواء القوّة العسكريّة أو غير العسكريّة، ومن الواضح أيضاً أن القوّة غير العسكريّة لها مصاديق كثيرة، منها: القوّة العلميّة، والقوّة السياسيّة، والقوّة الاقتصاديّة، والقوّة الاجتماعيّة وغيرها، رغم أن الآية قالت بعد ذلك: (ومن رباط الخيل)، فيظهر أن القوّة المعطوف عليها رباط الخيل شيء آخر أعمّ من رباط الخيل؛ فتكون القوّة العلميّة في التطور العلميّ على المستوى السياسيّ والذكاء السياسيّ، وكذلك على المستوى الاقتصاديّ؛ فإنّ القوّة الاقتصاديّة قوّة لا ينكرها عاقل، كذلك القوى التي ذكرناها، بل أن القوّة الاجتماعيّة والوجاهة الاجتماعيّة والتأثير في المجتمع أيضاً قوّة أُخرى.

وكلّ هذه المصادر للقوّة تولّد هيبة تُرهّب العدو المتربّص بنا، والقضية غير مختصّة بوجود معركة أو معركة وشيكة، بل على العكس القوّة تُبنى في وقت السّلم للأسباب التالية:

١. لأنّها تنامي من الدرجة البسيطة، ثمّ تتصاعد إلى الدرجة العليا، وهذا التنامي يكون في وقت السّلم بشكل أفضل.

٢. إنّ وقت الحرب ليس وقت بناء للقوّة، بل هو وقت استخدام لما

(١) الكهف: آية ٩٥.



خارطة المسؤوليات في النشاط الوظيفي الديني والسياسي والاجتماعي ..... ١٦١  
بنيته من قوة، وهذا واضح، فإذا لم تكن بنيت قوتك في وقت سابق سوف  
تهزم في الوقت اللاحق، أي: وقت الحرب.

٣. إن وقت السلم وقت صحيح لبناء القوة بصورة هادئة وورصينة.

فينبغي تحشيد الهمم والإرادات والعزائم للقيام بالمسؤولية، وتخطيط  
برنامج يقوم بعبء ضخامة الحدث: «ونصرتي لكم معدة»<sup>(١)</sup>، وهذا النص ورد  
مستفيضاً في زيارات أهل البيت عليهم السلام، سواء في جانب الملف الأمني أو  
العسكري أو التعبوي للنفوس ولحماس الهمم، أو في الملف السياسي أو المالي  
والاقتصادي، أو في الملف العقائدي والفكري والإيدلوجي في الملفات  
الأخرى، من الرعايات الحازمة التي يلزم على المؤمن النهوض بها.

قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ

اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾<sup>(٢)</sup>.

وهذه الآية ترسم أصلاً محكماً وقاعدة خطيرة استراتيجية، ألا وهي أن  
بناء القوة ليس له سقف يقف عنده، بل هو أفق مفتوح لا يتناهى، بل في قوله  
تعالى: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنَّ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ  
فَانفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ﴾<sup>(٣)</sup>، ودعوة للبشر إلى إنماء سلطان قوتهم إلى  
القدرة على النفوذ من أقطار السموات والأرض.

فإذا؛ بناء القدرة والقوة ليس له سقف في دعوة القرآن، نعم استخدام  
القوة تجاه الآخرين ولو كانوا من الأعداء المعتدين له سقف وحدّ محدود، كما

(١) الشهيد الأول، محمد بن مكي، المزار: ص ١٢٥.

(٢) الأنفال: آية ٦٠.

(٣) الرحمن: آية ٣٣.

أن استخدام القوة تجاه الآخرين حالة استثنائية واضطرابية، وليست حالة أولية في منطق القرآن ومدرسة أهل البيت عليهم السلام.

فبين بناء القوة وإعدادها مع استخدام القوة واستعمالها بون شاسع، ومن ذلك يفهم التوصية بـ «كُنْ جَلِيساً مِنْ أَحْلَاسِ بَيْتِكَ»، أنه ليس دعوى لعدم بناء القوة لكيان الإيثار والمؤمنين، بل غايته عدم استخدام واستعمال القوة تجاه المخالفين لدعوتهم إلى الهدى والحق، لا أمها وصية وتوصية منه عليه السلام لترك بناء القوة أو إيقاف مسيرة بنائها، وكم بين المعنيين من فرق شاسع.

ومن ثم نلاحظ أن أتباع أهل البيت عليهم السلام كانوا قلّة بعدد الأصابع في الصدر الأول، ثم كيف تناموا إلى يومنا هذا، وليس ذلك إلا من بناء القوة والقدرة لا من إيقافها؛ ومن ثم ولأجل هذا الأصل والقاعدة العظيمة قام كلُّ ظالم بقتل إمام من أئمة أهل البيت الأحد عشر عليهم السلام واستتصاله، إمّا بالسّم أو القتل، رغم أن أئمة أهل البيت عليهم السلام من الإمام السجاد عليه السلام إلى الإمام الحسن العسكري عليه السلام لم يستعملوا القوة، لكن خلفاء بني أمية وبني العباس لمسوا منهم التنامي في القوة؛ فمن ثم استشعروا الخطر على ملكهم، فقاموا بتصفيتهم، بينما لم يقدم بنو أمية وبنو العباس على قتل أحد من علماء المخالفين إلا نادراً، وهذا برهان قاطع من سيرة أئمة أهل البيت عليهم السلام على الإصرار في بناء القوة والقدرة وتناميها وتمددتها بلا حدود. فبين بناء القوة والقدرة مع استخدامها تمايز كبير وقد وقع الخلط عند كثيرين، بل بقي هذا الخلط معشعشأً قروناً إلى يومنا هذا.

إذاً؛ بناء القوة والقدرة المتنامي فائدته الردع للعدو عن الطمع في مقدرات المؤمنين والمسلمين، وهو من باب (الوقاية خير من العلاج)، بينما

استخدام القوة هو من العلاج بعد وقوع الابتلاء بمرض اعتداء المعتدي لإزالة ذلك العدوان، بل إن تنامي القوة والقدرة له خاصية أخرى، وهي خاصية إزالة العدوان أيضاً، بنحو سلمي تلقائي عفوي.

ومن ثمَّ يتبيّن أنّ الهدنة - التي أوصى بها أئمة أهل البيت عليهم السلام في زمن الغيبة الكبرى - لا تتنافى مع ضرورة بناء وتنامي القدرة، بل بينهما كمال الوئام والتلازم؛ فإنَّ الهدنة تعني فيما تعنيه الحفاظ على مقدرات معسكر الإيمان وكيانه، وهذا لا يتمُّ بمجرّد ترك المناوشة مع الخصم والعدو المخالف، وبمجرّد الكفّ وصرْف ترك المنازلة والمنازلة، فإنَّ ذلك بمجرّده لا يحقّق الأمان والحفظ، بل لا بدَّ من اعتماد بناء القوة وتنامي القدرة كي يكون ذلك مُلجأً للعدو والخصم على رعاية الهدنة، وراذعاً له عن الطمع في نكث الهدنة والقيام بالعدوان والتجاوز، ألا ترى في هُدنة الإمام الحسن مع معاوية، لم تكن تلك الهدنة متمحّضة في الكفّ عن القتال، بل أكثر بنود ذلك الاتفاق كان فيه المحافظة من الإمام الحسن عليه السلام وشيعته على إبقاء القوة والقدرة وعدم تسليمها لمعاوية.

وَمِنْ ثَمَّ؛ كَانَ أَوَّلَ بِنْدٍ مِنْ بِنُودِ الْإِمَامِ الْحَسَنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنْ أَحَاهُ الْإِمَامُ الْحُسَيْنَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَا يَدْخُلُ فِي هَذِهِ الْهُدْنَةِ، بَلْ يَظَلُّ خَطًّا سَاخِنًا يُمْكِنُ تَفْعِيلُهُ فِي أَيِّ وَقْتٍ، مُضَافًا إِلَى الْبِنُودِ الْأُخْرَى الصَّرِيحَةِ فِي ذَلِكَ.

فمفهوم الهدنة وعنوانها هو الآخر من العناوين التي حصل الالتباس في مفهومها ومعناها، كالتوصية الواردة: «كن جليلاً من أحلاس بيتك» كما مرَّ.

فبالدقة عندنا أصلاً: أصل تنامي القوة والقدرة السياسيّة والعسكريّة،

وأصل آخر وهو تنامي القوّة والقُدرة التكنولوجيّة والعلميّة، وليس معنى القوى والقُدرة السّياسية أو التكنولوجيّة أو حتّى الاقتصادية ليس المقصود منها الدولة فقط، باعتبار أنّ السّياسيّة أو الصناعيّة بيدها، بل الأمر والمسؤوليّة على الجميع أفراداً أو مجتمعات أو دولاً كلّاً بحسبه، كما ورد: «كلّكم راعٍ وكلّكم مسؤول عن رعيته»<sup>(١)</sup>.

---

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٧٢، ص ٣٨. المجلسي، محمد تقي، روضة المتّقين: ج ٥، ص ٥١٥. البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري: ج ١، ص ٢١٥.

## القاعدة الثالثة

### طَلَبُ الْعِلْمِ وَنَشْرُهُ

كما أَنَّ هُنَاكَ أصلاً وقاعدةً ثالثة وهي (طَلَبُ الْعِلْمِ وَنَشْرُهُ)، فَإِنَّهُ أَيْضاً لا سقْف له، وكذلك الدلالات المُستفيدة للآيات القرآنية الحاتة على العلم، أي: على طلبه، بل تحت على عدم الوقوف على حد في طلب العلم، كما في قوله تعالى: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾<sup>(١)</sup>، وكذلك الحال في مجال نشره، كما في قوله تعالى ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

وكذلك الأحاديث النبوية الكثيرة التي منها: «اطلب العلم من المهد إلى اللحد»<sup>(٣)</sup>، وكما أَنَّ الحال في استثمار العلم وتسخيره وتطويعه أصل رابع مبني على موازين وضوابط، وليس مفتوحاً بنحو انفلاتي، فهذه قواعد أربع لها ركنية كبيرة في تبيان قوام منهاج أهل البيت عليهم السلام في دعوتهم لإظهار الإيمان على كافة أرجاء الأرض .

(١) يوسف: آية ٧٦.

(٢) التوبة: آية ١٢٢.

(٣) الشهيد الثاني، زين الدين بن علي، الرعاية في علم الدراية: هامش ص ٥٤.

### القاعدة الرابعة

#### (كُلُّكُمْ رَاعٍ)

قاعدة: عموم المسؤولية على الجميع، مع:

- عدم سقوطها ولو تقاعس الأغلب.

- عدم عذرية ترك المسؤولية لو تخاذل الأكثر.

قال النَّبِيُّ ﷺ: «كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ»<sup>(١)</sup>.

وهذه الوصية النبوية الخطيرة لم تقصر المسؤولية على بعض دون البعض، ولا على النخب دون عامة آحاد الأمة، بل كلُّ من موقعه يتحمَّل الثقل والعبء، سواء قام الآخرون بمسؤولياتهم أم تخلَّوا عنها.

قاعدة الرعاية «كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ»، قاعدة عظيمة ومهيمنة تُمنِّهج وتُبرِّمج إعداد القوة، رغم أن قاعدة إعداد القوة قاعدة عظيمة وكبيرة ومطلقة أيضاً، ولكن كميّات الإعداد ومتعلقات الإعداد من حيث المسؤوليات لا تتمنِّهج إلا من خلال تلك الكلمة النبوية الجامعة: «كُلُّكُمْ رَاعٍ».

فالرعاية مسؤولية، أي: أن الراعي مسؤول، لذلك قال النبي ﷺ: «وكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ»، أي: أن هذه المسؤولية تلاحقك في الدنيا والآخرة، وأنت مسؤول قَبْلَ العمل وحين العمل وبعد العمل، ومسؤول أيضاً لو تركت العمل أو قصرت في العمل، وأنت مُجَازِي بأحسن الجزاء لو

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٧٢، ص ٣٨. المجلسي، محمد تقي، روضة المتقين:

ج ٥، ص ٥١٥. البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري: ج ١، ص ٢١٥.

أنجزت العمل بالصورة المطلوبة.

كما أن لنا قدوة عظيمة بإمام عصرنا صاحب العصر والزمان المهدي عليه السلام؛ حيث إن تطاول الدهور والعصور على الظهور بمشروعه الإلهي بإقامة دولة العدل والقسط في سائر أرجاء الأرض لم يُثنه عن الاستقامة والرباط والمرابطة على الطريق لتحقيق الهدف، ولا زعزع طول المدة من أمله ورجائه بالله تعالى في تقدير وتدبير الفتح والنصر، فكم هائل وعظيم هذا الإصرار من التحمل لإدارة المضي بالمسؤولية والتخطيط عبر عشرة قرون، وهذا ينتج عدة أمور:

١. إن الصبر على الشدة وطول المدة في تحمل المسؤولية والعبء الثقيل هو من أعظم ما يميز عظمة الإمام صاحب العصر والزمان عليه السلام.

٢. إن الصبر والرباط والمرابطة على الطريق لتحقيق الهدف بتفاؤل ملؤه أمل ورجاء بالله تعالى في تقدير وتدبير الفتح والنصر، رغم ما مرت من عقبات وأزمات وكوارث وانتكاسات وفتن حلت بالمؤمنين.

٣. هذه الثقة المطلقة بالله تعالى التي لا يزعزعها شيء، وهي من أهم بل الأهم في رسم خارطة المسير والمسار الصحيح في تحمل المسؤوليات للتعامل مع متطلبات العصر الراهن.

٤. إن أصحاب وأنصار الإمام عليه السلام من الأبدال الأوتاد - لا الأذعياء - في دولته الحفوية الآن، وهم قدوة أخرى لنا للثبات على صراط الحق والمسير والمسار القويم الصحيح.

نعم، لا محورية مستقلة لهم، بل محوريتهم تابعة لمحوريته عليه السلام.  
فإذا؛ نحن مسؤولون عن إعداد القوة، ونحن مسؤولون عن رعايتها ولو تخاذل الأغلب، ولا عذر لنا ولو تخاذل الأكثر.

## القاعدة الخامسة

### التقية الذكية وترقية تنامي الحس الأمني

#### مقدمة

لقاعدة التقية الأمنية موقعية مهمة، فهي قبل الجهاد الدفاعي ومعه وبعده، فإن التقية الأمنية هي قبل الجهاد الدفاعي بكل أنواعه؛ لأنها تبدأ من الدرجة البسيطة، وهي معاً لأنها حارسة له وخطّ ساند له من الخرق الداخلي للعدو، وهي حصانة من الاختراق الأمني والاستخباري الذي يمكن للعدو إحداثه في جسد المجتمع المؤمن، وكذلك هي بعد الانتصار العسكري أو - لا قدر الله - بعد الفشل العسكري حماية وحصانة من زيادة الفشل والتردي لأجل ملمة الجراحات.

إذا؛ موقعية قاعدة التقية الذكية الأمنية موقعية عظيمة في الدين وفي السير والمسير السياسي والاجتماعي، كما هو حال الإمام المهدي عليه السلام الآن في غيبته، وحال الأوتاد والأبدال الذين يعملون معه في غيبته، فهذه القاعدة عامة وشاملة لكل زمان ومكان، وخصوصاً زمن الغيبة.

وفي الحقيقة: إنَّ عزَّ الأمم وقوتها وفخرها هو بوجود الجنود في الخفاء (الجنود المجهولون)، الذين يقومون بتحسين وحماية المجتمع من أن تמיד بهم الأرض، بل إنَّ أحد تفاسير «لولا الحجّة لساخت الأرض بأهلها»، ليس أن تسبخ الأرض فقط بأهلها تكويناً بسبب الملكوت بالقضاء والقدر



الإلهي، بل أيضاً بحسب الأسباب الطبيعية، أي: لولا رعاية الإمام عليه السلام وفعل الإنسان الكامل - بالأسباب الطبيعية الإدارية والتدبيرية والتنظيمية - بإحداث الموازنات والمعالجات السياسية والأمنية والاجتماعية الظاهرية والخفية وكل المجالات المعيشية الأخرى لساخت الأرض بأهلها.

### الإعداد الأمني

١. أحد أهم مستندات هذه القاعدة هي نفس قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾<sup>(١)</sup>؛ فإن قوله تعالى: ﴿مَنْ قُوَّةٍ﴾. تشمل كل مستويات القوة، سواء كانت قوة عسكرية أو استخبارية - وهي الإعداد الأمني - أو غيرهما، وإن قاعدة الإعداد الأمني مهيمنة على قواعد الجهاد الدفاعي التي سنذكرها، حيث إنها قبل الجهاد الدفاعي ومعه وبعده، فإن الجهد الاستخباري الأمني الاجتماعي، جارٍ في السلم والحرب.

من جهة أخرى، فإن تنمة الآية تقول: ﴿وَأَخْرَيْنَ مِنْ دُونِهِمْ لَاتَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾<sup>(٢)</sup>، وفيها إشارة إلى أن هناك عدواً - مترتباً - خفياً سوف يردع، سواء كان خارجياً أو داخلياً.

٢. تعاكس الإعداد الأمني مع قواعد الجهاد الدفاعي.

من الطريف أن قاعدة الإعداد الأمني متمازجة ومُتداخلة مع الجهاد الدفاعي، ومع ذلك هي مُتعاكسة، وليس معنى التعاكس هو التضاد، بل هو تعاكس السير المنطومي لتنامي هذه القواعد مع القاعدة الأخرى.

فإن قاعدة الإعداد الأمني تنطلق من المستوى البسيط وتتنامي إلى

(١) الأنفال: آية ٦٠.

(٢) الأنفال: آية ٦٠.

المستوى العالي، تبدأ كشيء بسيط، وكخلية صغيرة ثم تكبر، أمّا الجهاد فإنّه يبدأ من الدرجة الأعلى، فإن عجز عنها وجبت عليه الدرجة الأدنى وهكذا .

### التقية والكتمان حارس الإعداد

يمكن استيضاح معنى الحراسة من عدة نقاط:

أولاً: وردت روايات كثيرة في الحث على التقية، حتى عدت من ضروريات المذهب، بل هو وارد في مضامين آيات كثيرة، قال تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾<sup>(١)</sup>، وهذه الآية وردت في تفسيرها بنحو مستفيض أو متواتر أنها في التقية، ونرى الإمام الصادق عليه السلام يطبقها على مثل ميثم، فيقول عليه السلام: «ما منع ميثم رحمه الله من التقية؟! فوالله، لقد علم أن هذه الآية نزلت في عمار وأصحابه...»<sup>(٢)</sup>.

وكذلك من الآيات، قوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِّن آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ

إِيمَانَهُ﴾<sup>(٣)</sup>.

كذلك قوله تعالى: ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَن تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً﴾<sup>(٤)</sup>.

والتقية التي نريدها في هذه القاعدة تقية في بُعد خاص، وليس التقية بعرضها العريض الشمولي؛ فتكون آيات وروايات التقية شاملة لمثل موردنا - وهو التقية (الذكية) الأمنية - لعمومها وشمولها.

(١) النحل: آية ١٠٦ .

(٢) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ٢، ص ٢٢٠ .

(٣) غافر: آية ٢٨ .

(٤) آل عمران: آية ٢٨ .

ثانياً: الآيات والروايات لا تقتصر - بحسب ظهورها - على التقيّة بالعنوان والبعد الفردي، أو بالمعنى المعهود - وهي تقيّة الخوف - بل إنّ النبي ﷺ وأهل بيته عليهم السلام وسّعوا عنوان التقيّة إلى التقيّة التعليميّة (الأمن التعليمي أو المعلوماتي) والتقيّة المداراتيّة، قال ﷺ: «إنّا معاشر الأنبياء أمرنا أن نُكلم النَّاسَ عَلَى قَدْرِ عَقُولِهِمْ»<sup>(١)</sup>، وكذلك قول أمير المؤمنين عليه السلام في وصف النبي ﷺ: «فبعثه الله بالتعريض لا بالتصريح»<sup>(٢)</sup>، وكذلك قوله عليه السلام: «أمرتُ بمدارة الناس»<sup>(٣)</sup>، وكذلك قول الإمام الصادق عليه السلام: «ما كلم رسول الله ﷺ العبادَ بكنهه عقله قطُّ»<sup>(٤)</sup>، إلى غير ذلك من الروايات في هذا المضمون. وقد سبق أن ذكرنا أن قول الإمام عليه السلام: «التقيّة ديني ودين آبائي، ولا إيمان لمن لا تقيّة له»<sup>(٥)</sup>.

فالإمام عليه السلام بهذا يعتبر أن التقيّة منهاج عمل له ولآبائه المعصومين عليهم السلام، ثمّ يعمّم هذا المنهاج لكلّ المؤمنين، ويعتبر أنّ من لا يعمل بالتقيّة لا دين له، وهذا اللسان الشديد يُستشعر منه أنّ القضية ليست عملاً على مستوى الفرد والأفراد فقط، بل هو على مستوى أعظم وأهمّ، وهو العمل الاجتماعي، بل أيضاً في السلوك الديني والسياسي.

- 
- (١) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ١، ص ٢٣.
  - (٢) الطبرسي، أحمد بن عليّ، الاحتجاج: ج ١، ص ٣٨٠.
  - (٣) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٧٤، ص ١٥١.
  - (٤) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ١، ص ٢٣.
  - (٥) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ٢، ص ٢١٩، ح ١٢. الحرّ العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج ١٦، ص ٢١٠، ح ٢٤.

## ثالثاً: الكتمان الصحيح (المدوح):

لو راجعنا مضامين الروايات التي ذكرت أسلوب التقيّة الذي اتّبعه النبي ﷺ في المُجتمَع لشاهدنا أنّ تكليم النبي ﷺ الناس على قدر عقولهم، وليس على قدر عقله ﷺ، يعني أنّه لم يكشف الحقائق التي يعلمها؛ لأنّ الناس لا تتحمّل كلّ ما يحمله النبي ﷺ، وأنّ هناك بعض الحقائق لا يصحّ كشفها للناس، وأنّ الناس مراتب، فإنّ ما يُكشف من الحقيقة - والتي هي أمر لا متناهي - للمعصومين عليهم السلام لا يتحمّله الأبدال والأولياء، كما هو الحال فيما جرى بين الخضر عليه السلام وموسى عليه السلام، فضلاً عن أنّ يتحمّله الناس، كذلك الحال بالنسبة إلى أصحابه ﷺ غير المعصومين عليهم السلام، ما يكشفه النبي ﷺ لسلمان غير ما يكشفه لأبي ذرّ أو لعمار (رض)، فالناس معادن وطبقات ودرجات من التحمّل والقدرة.

فإذا عرفنا هذا فإنّه ينبغي أن لا نزن الأمور بميزان واحد، ونكيل الناس بمكيال واحد، وأنّ مستوى الأخذ غير مُستوى العطاء، وهذا ما تبين لنا وبشكل جلي رواية عمار بن أبي الأحوص، قال: «قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إنّ عندنا قوماً يقولون بأمر المؤمنين عليه السلام ويفضّلونه على الناس كلّهم، وليس يصفون ما نصّف من فضلكم، أنتولاهم؟ فقال لي: نعم في الجملة، أليس عند الله ما ليس عند رسول الله ﷺ، ولرسول الله ﷺ عند الله ما ليس لنا، وعندنا ما ليس عندكم، وعندكم ما ليس عند غيركم، إنّ الله وضع الإسلام على سبعة أسهم: على الصبر، والصدق، واليقين، والرضا، والوفاء، والعلم، والحلم، ثمّ قسّم ذلك بين الناس، فمن جعل فيه هذه السبعة الأسهم فهو كامل محتمل، ثمّ لبعض الناس السهم، وبعضهم السهمين، وبعض الثلاثة الأسهم

خارطة المسؤوليات في النشاط الوظيفي الديني والسياسي والاجتماعي ..... ١٧٣

ولبعض الأربعة الأسهم... فلا تحملوا على صاحب السهم سهمين، ولا على صاحب السهمين ثلاثة أسهم... فتثقلوهم وتنفروهم، ولكن ترفقوا بهم وسهّلوا لهم المدخل...»<sup>(١)</sup>.

رابعاً: الكتمان السيئ (المذموم):

القرآن الكريم ما انفك يندد بالذين يكتمون البيئات، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾<sup>(٢)</sup>، الآية تُبيّن أنّ هناك لعناً لمن يكتُم البيئات، وقد عرفنا أنّ الروايات تزدّم من لا يكتُم؛ فإذن ليس الكتمان على إطلاقه صحيحاً، وليس البيان على إطلاقه صحيحاً، فهناك موارد ليست من موارد التقية والكتمان، ومع ذلك ليس كلّ ما هو بيّن يجب كشفه، بل هناك من البيئات ما يجب سترها وعدم إشاعتها، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾<sup>(٣)</sup>، فإنّ كتمان الفاحشة لجهة أخرى غير حيثية التقية.

فيجب أن نُميّز بين ما يبيّن وما يُشاع وما يُكتُم، وهناك أصل آخر لم يتركه القرآن، وهو ما إذا لم يعرف الناس بعض الماهيات المستجدّة والأمر الطارئة المستجدّة المرتبطة بالوضع العام التي لعلّها تخفى على المجتمع، فيذم وينهى عن إذاعتها والعجلة في إعلانها قبل التعرف على أنّها من التي يجب

(١) الصدوق، محمد بن عليّ، الخصال: ص ٣٥٤، ح ٣٥. الحرّ العاملي، محمد بن الحسن،

وسائل الشيعة: ج ١٦، ص ١٦٤، ح ٩.

(٢) البقرة: آية ١٥٩.

(٣) النور: آية ١٩.

إذاعتها أو كتمانها، فكان الآيه تُعطي قاعدة مُهمّة وجديدة للفرد المؤمن وللمجتمع ككلّ وهي أنّ الأصل في مستجدات الأمور المتعلقة بالوضع العام هو إرجاعها إلى أولى الأمر المعصومين عليهم السلام، قال تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَدَّعَوْا بِهِ وَلَوَّرَدُّهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾<sup>(١)</sup>.

فإذا؛ الأصل هو الحذر والتثبت واليقظة، والبصيرة في معرفة أنّها من أيّ نوع.

### تقيّة الكتمان مراتب ودرجات

وَرَدَّتْ روايات تُبيّن مدى العقوبة التي تنال المذيع للسرّ، فما معنى السرّ؟ وما معنى إذاعته؟ قبل أن نبدأ لا بدّ أن نُبيّن أنّ تقيّة الكتمان على درجات:

١. قال أبو عبد الله عليه السلام: «إِنِّي لِأُحَدِّثَ الرَّجُلَ الْحَدِيثَ فَيَنْطَلِقُ فَيَحَدِّثُ بِهِ عَنِّي كَمَا سَمِعَهُ، فَأَسْتَحِلُّ بِهِ لَعْنَهُ وَالْبَرَاءَةَ مِنْهُ»<sup>(٢)</sup>. وهذا يُشير إلى أنّ الكتمان واجب على مَنْ يحدّثه الإمام عليه السلام في (لفظ الحديث) حيث يكون أصل لفظ الحديث واجب الكتمان.

وهناك أحاديث وَرَدَّتْ في كتمان تأويل الحديث وإن كان نصّ ولفظ الحديث غير واجب الكتمان، كما عن ابن مسكان، قال سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «قوم يزعمون أنّي إمامهم، والله، ما أنا لهم بإمام، لعنهم الله؛ كلّما سترتُ سترًا هتكوه، أقول: كذا وكذا. فيقولون: إنّما يعني كذا وكذا. إنّما أنا إمام مَنْ

(١) النساء: آية ٨٣.

(٢) النعماني، محمد، الغيبة: ص ٤٣، ح ٧.

أطاعني»<sup>(١)</sup>، وهُنا نرى الإمام لم يكذب تأويلهم للحديث؛ لأنَّ التأويل صحيح، ولكنه أنكر عليهم عدم كتمانهم لتأويل الحديث. وهناك روايات تُشير إلى أنَّ التقيَّة في كتمان الحديث مراتب، فمرتبة كتمانهُ عَن الأعداء ومرتبة منها كتمانهُ عَن المحبِّين والأولياء، كما في قول أمير المؤمنين عليه السلام: «أُحِبُّونَ أَنْ يُكَذَّبَ اللهُ وَرَسُولُهُ؟! حَدِّثُوا النَّاسَ بِمَا يَعْرِفُونَ، وَأَمْسِكُوا عَمَّا يَنْكُرُونَ»<sup>(٢)</sup>.

وكذلك عَن عبد الأعلى بن أعين، عَن أبي عبد الله جعفر بن مُحَمَّد عليه السلام أَنَّهُ قَالَ: «لَيْسَ هَذَا الْأَمْرُ مَعْرِفَةٌ وَلَا يَتَهُ فَقَطْ، حَتَّى تَسْتَرَهُ عَمَّنْ لَيْسَ مِنْ أَهْلِهِ، وَبِحَسْبِكُمْ أَنْ تَقُولُوا مَا قُلْنَا، وَتَصْمَتُوا عَمَّا صَمْتْنَا؛ فَإِنَّكُمْ إِذَا قُلْتُمْ مَا نَقُولُ وَسَلَّمْتُمْ لَنَا بِمِثْلِ مَا آمَنَّا بِهِ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا﴾»<sup>(٣)</sup>، قَالَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ عليه السلام: حَدِّثُوا النَّاسَ بِمَا يَعْرِفُونَ وَلَا تَحْمَلُوهُمْ مَا لَا يُطِيقُونَ فَتَغْرَوْنَهُمْ بِنَا»<sup>(٤)</sup>.

وقصَّة المعلِّ بن خنيس واضحة الدلالة في ذلك، فعَن حفص بن نسيب، قَالَ: دَخَلْتُ عَلَيَّ أَبِي عَبْدِ اللهِ عليه السلام أَيَّامَ قَتْلِ الْمَعْلِيِّ بْنِ خُنَيْسٍ مَوْلَاهُ، فَقَالَ لِي: «يَا حَفْصُ، حَدَّثْتُ الْمَعْلِيَّ بِأَشْيَاءَ فَأَذَاعَهَا فابْتُلِيَ بِالْحَدِيدِ، إِنِّي قُلْتُ لَهُ: إِنَّ لَنَا حَدِيثًا مَنْ حَفِظَهُ عَلَيْنَا حَفِظَهُ اللهُ، وَحَفِظَ عَلَيْهِ دِينَهُ وَدُنْيَاهُ، وَمَنْ أذَاعَهُ عَلَيْنَا سَلَبَهُ اللهُ دِينَهُ وَدُنْيَاهُ، يَا مَعْلِيُّ، إِنَّهُ مَنْ كَتَمَ الصَّعْبَ عَن حَدِيثِنَا جَعَلَهُ اللهُ نُورًا

(١) المصدر نفسه.

(٢) المصدر السابق: ص ٤١، ح ١.

(٣) البقرة: آية ١٣٧.

(٤) النعماني، محمد، الغيبة: ص ٤٢-٤٣، ح ٤.

بين عينيه ورزقه العز في الناس، ومن أذاع الصعب من حديثنا لم يممت حتى يعضه السلاح أو يموت مُتَحِيرًا<sup>(١)</sup>.

فإذا؛ هذه مسؤولية يجب أن يتحلّى بها المؤمنون في كتيمان حديث أهل البيت.

٢. أورد صاحب الوسائل جملة من الروايات في أبواب الكتمان، ومنها باب كتمان الدين عن غير أهله، منه رواية سليمان بن خالد، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «يا سليمان، إنكم على دين من كنتم أعزّه الله، ومن أذاعه أدله الله»<sup>(٢)</sup>.

### التقية من الجهلاء أشد من الأعداء

ورد في الحديث الشريف عن النبي صلى الله عليه وآله: «الناس أعداء ما جهلوا»<sup>(٣)</sup>، يُشير هذا الحديث إلى أن أهم وأعم مصادر العداوة هو الجهل، حيث يجعل الصديق عدواً. فكشف بعض الحقائق التي لا يتحملها الجاهل بها يؤدي به إلى إنكارها، لأن عقله - مثلاً - لا يستوعبها، وإذا أنكرها فإنه ينكر العقل الذي يحملها، وبالتالي ينكر الشخص الذي يحملها.

والذي تتولد عداوته لك من خلال إنكاره ما تحمل من علم - مع أنه كان صديقاً حميماً سابقاً، أو لا أقل لم يكن من الأعداء - تكون عداوته أشد لعدة عوامل:

أولاً: لأنه عدو خفي؛ باعتبار أنك تعتقد أنه في سلم وسلام معك، وإذا

(١) المصدر نفسه: ص ٤٥، ح ١٢.

(٢) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ٢، ص ٢٢٢، ح ٣. الحر العاملي، محمد بن

الحسن، وسائل الشيعة: ج ١٦، ص ٢٣٥، ح ١.

(٣) خطب أمير المؤمنين علي عليه السلام، نهج البلاغة: ج ٤، ص ٤٢.



به يفاجئك في يوم من الأيام بعداوته لك.

ثانياً: أنه قد يُعين أعداءك الحقيقيين على قتلك أو محاربتك.

ثالثاً: أنه يقتلك مادياً أو معنوياً - ويحسب أنه يحسن صنعاً - ويتقرب

بقتلك إلى الله.

رابعاً: أنه إن لم يقتلك مادياً فإنه بالتأكيد سيقتلك معنوياً؛ لأنه يعتقد

أنك باطل.

فإن الإنسان لعله بنفسه يحدث الفتنة على نفسه من خلال إظهار ما لا يصح إظهاره وإذاعة ما لا يصح إذاعته، ومن هنا يُنصح بعدم التعسّف في استخدام الحقّ، رغم أنّ الحقّ إلى جانبك، بل بالرفق واللين؛ ولذلك ورد عن أبي جعفر عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إن الرفق لم يوضع على شيء إلا زانه، ولا نزع من شيء إلا شانه»<sup>(١)</sup>.

ومن هنا؛ ورد قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَرْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِنْ تَعَفَّوْا وَتَصَفَّحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾<sup>(٢)</sup>، فإنّ القرآن لم يقل: اقتلوههم. وإنّما قال: احذروهم. والحذر أنواع ومراتب أهمّها عدم إظهار ما لا يصح إظهاره؛ لأجل إدارة وتدبير الشؤون الحياتية. وهذا معنى آخر من معاني ما ورد من جواز الكذب على الزوجة، فليس الكذب بمعناه المعهود، إنّما هو بمعنى عدم إظهار كلّ الحقيقة؛ لأنّ البيان الكامل يؤدّي إلى العداوة.

وما دام الإنسان في معركة مع عدوٍ داخلي وهو النفس، وعدوٍ خارجي

(١) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ٢، ص ١١٩.

(٢) التغابن: آية ١٤.

مخالف له في فهم الحقائق والأفكار؛ فإنه يسوغ له استعمال الخدعة - بقدر الضرورة- لأجل أن يخادع خداعهم ويوهم جانب الجهل فيهم؛ فإن: «الحرب خدعة»<sup>(١)</sup>، كما في الحديث الشريف، فينبغي استخدام الخدعة بقدر الضرورة، وبقدر مستوى العداوة ونوع العداوة.

فينبغي بالإنسان أن يخطط بخفاء لمواجهة مستوى الخداع أو الجهل الموجود في النفس الأمّارة بالسوء، أو الجهل الموجود عند الأزواج أو الأولاد أو الأعداء الحقيقيين، وهذا يحتاج إلى ضابط وميزان لا يسقط فيه التدبير إلى الازدواجية، بل يبقى على الاستقامة بتدبير خفي يُحرس فيه الأمن؛ ولذلك حذّر المعصوم عليه السلام المؤمنين من استخدام التقيّة في غير موطنها، كما في احتجاج الحسن العسكري عليه السلام - في حديث- أنّ الرضا عليه السلام جفا جماعة من الشيعة... فقال لهم: «وتتقون حيث لا تجب التقيّة، وتركون التقيّة حيث لا بدّ من التقيّة»<sup>(٢)</sup>.

#### المدّيع جاحد

في رواية عن معلّى بن خنيس، عن أبي عبد الله عليه السلام - في ذيلها- «إنّ المدّيع لأمرنا كالجاحد له»<sup>(٣)</sup>، وفي حديث آخر عن محمّد الخزاز، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «من أذاع علينا حديثنا فهو بمنزلة من جحدنا حقّاً»<sup>(٤)</sup>، فما هو

(١) الحميري، عبد الله بن جعفر، قُرب الإسناد: ص ١٣٣.

(٢) الطبرسي، أحمد بن عليّ، الاحتجاج: ج ٢، ص ٢٣٧. الحرّ العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج ١٦، ص ٢١٧.

(٣) الكليني، محمّد بن يعقوب، الكافي: ج ٢، ص ٢٢٤، ح ٨.

(٤) المصدر نفسه: ج ٢، ص ٣٧٠، ح ٢.

السبب يا ترى في تشدد الرواية بجعل المذيع كالجاحد؟!

والجواب بيّنه الحديث الشريف، عن نصر بن صاعد مولى أبي عبد الله عليه السلام، عن أبيه، قال: «سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: مذيع السرّ شاكٌّ، وقائله عند غير أهله كافر، ومن تمسك بالعروة الوثقى فهو ناجٍ. قلتُ: ما هو؟ قال: التسليم»<sup>(١)</sup>.

من الأمور المهمّة التي ينبغي الالتفات إليها أنّ الإنسان إذا أراد أن يهدم مشروعاً أو مخطّطاً لأعدائه؛ فإنّ من جملة الأمور التي تؤدّي إلى قتل ذلك المخطّط في مهده هو كشفه؛ لأنّ الكشف والفضح لما هو مستور - ومُدبّر بليل - يعني تهديم ذلك المخطّط وقطع الطريق على الماكرين.

ونفس الكلام ينطبق على أسرار مشروع أهل البيت عليهم السلام، فالمذيع جاحد وقاتل عمد - وليس قاتل خطأ - لأنّه قاطع طريق، بمعنى يقطع الطريق على مسيرة الحقّ ويُفشل كلّ المخطّطات الحقّة - الخفيّة - لمنهاج أهل البيت عليهم السلام في هداية المجتمع، أو مواجهة الأعداء، والحال أنّ السلاح السريّ أقوى تأثيراً؛ فيكون سلب هذا السلاح - الذي هو الورقة الرابحة والثابتة - خسارة كبرى؛ فهو ورقة رابحة لأنّه السلاح الأقوى والأبقى صموداً أمام العدو، وهو ورقة ثابتة لأنّها في ظرف السّلم والحرب، وفي ظرف العمل السريّ والعلنيّ - سيان - لأنّ العمل العلنيّ والمواجهة العلنيّة لا توجب مُشاركة العمل الخفيّ والسريّ والتخطيط السريّ، فهو باقٍ على كلّ حال، فأيّ كشف له ولو لبعض فقراته يكلف مسار أهل البيت عليهم السلام والمؤمنين الشياء الكثير، بل الشياء الذي لا يُجبر كسره، ولهذا شدّد الإمام عليه السلام النكير على من يكشف السرّ.

(١) المصدر نفسه: ج ٢، ص ٣٧٢، ح ١٠.

### الكتمان والإذاعة... المذيع سرنا كقاتلنا عمداً

عن أبي حمزة، عن علي بن الحسين عليه السلام قال: «وددت - والله - أني افتديت خصلتين في الشيعة لنا ببعض لحم ساعدي: النزق، وقلة الكتمان»<sup>(١)</sup>، والنزق هو الخفة والطيش.

فيا ترى ما هي عظمة تلك الخصال التي يفدي الإمام بها لحم ساعده، فهل المقصود الكتمان على المستوى الفردي، أو هو على المستوى الاجتماعي والسياسي، وتطبيق قاعدة الكتمان في البعد السياسي، وهو بعدها الأهم والأبلغ ضرورةً، الذي تُشير إليه روايات كثيرة، منها ما رواه أحمد بن محمد بن أبي نصر قال: سألت أبا الحسن الرضا عليه السلام عن مسألة فأبى وأمسك، ثم قال: «لو أعطيناكم كما تريدون، كان شرّاً لكم وأخذ برقبة صاحب هذا الأمر... وأنتم بالعراق ترون أعمال هؤلاء الفراعنة وما أمهل الله لهم، فعليكم بتقوى الله ولا تغرّنكم [الحياة] الدنيا، ولا تغرّوا بمن قد أمهل له، فكأن الأمر قد وصل إليكم»<sup>(٢)</sup>، كذلك قال محمد بن مسلم: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: «يُحشر العبد يوم القيامة وما ندي دماً، فيدفع إليه شبه المحجمة أو فوق ذلك، فيقال له: هذا سهمك من دم فلان، فيقول: يا رب، إنك لتعلم أنك قبضتني وما سفكت دماً فيقول: بلى سمعت من فلان رواية كذا وكذا، فروبتها عليه فنقلت حتى صارت إلى فلان الجبار فقتله عليها، وهذا سهمك من دمه»<sup>(٣)</sup>.

فيتحصّل من هاتين الروايتين - وروايات أخرى بنفس المضمون - أن

(١) المصدر السابق: ج ٢، ص ٢٢٢، ح ١.

(٢) المصدر السابق: ج ٢، ص ٢٢٥، ح ١٠.

(٣) المصدر السابق: ج ٢، ص ٣٧٠، ح ٥.

أيّ خبر يُحتمل من إذاعته الخطر على مقدّرات جماعة المؤمنين ومسار أهل الإيمان، أو أحداً من شيعته لا يصح، بل لا يجوز كشفها.

وفي هذا الصدد هناك روايات تُشير إلى وجوب كتمان الأمر ولو كان يؤدّي إلى الخطر من بعيد - وبصورة غير مباشرة - لأنّ بعض موارد الإذاعة تؤدّي إلى قتلهم معنوياً واجتماعياً؛ فيؤدّي بالتالي إلى قتلهم مادياً، فعن إسحاق بن عمّار، عن أبي عبد الله عليه السلام وتلا هذه الآية: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّنَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾<sup>(١)</sup>، قال: «والله، ما قتلوهم بأيديهم ولا ضربوهم بأسياهم، ولكنهم سمعوا أحاديثهم فأذاعوها فأخذوا عليها فقتلوا؛ فصار قتلاً واعتداءً ومعصية»<sup>(٢)</sup>.

والأمر لا يقتصر على البعد السياسي فقط؛ فإنّ الإمام الباقر عليه السلام يضع ضابطة عامّة ومهمّة في كنيّة التصرف في ظلّ الحكومات الظالمة، عن أبي بصير قال: قال أبو جعفر عليه السلام: «خالطوهم بالبرانيّة وخالفوهم بالجوانيّة إذا كانت الإمرة صبيانيّة»<sup>(٣)</sup>، بل يؤكّد عليه السلام الابتعاد عن القتل المعنوي - أي: القتل في البعد والموقع الاجتماعي أيضاً - وليس القتل المادي فقط، فلا ينبغي ولا يجوز زجّ النفس في ذلك، بل هو من الكبائر العظيمة، فعن هشام الكندي قال: سمعت أبا عبد الله يقول: «إياكم أن تعملوا عملاً يُعيرّونا به؛ فإنّ ولد السوء يُعيرّ والده بعمله، كونوا لمن انقطعتم إليه زيناً ولا تكونوا عليه شيناً، صلوا في عشائرهم، وعودوا مرضاهم، واشهدوا جنائزهم، ولا يسبقونكم إلى

(١) البقرة: آية ٦١.

(٢) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ٢، ص ٣٧١، ح ٦.

(٣) المصدر نفسه: ج ٢، ص ٢٢٠، ح ٢٠.

شيء من الخير فأنتم أولى به منهم، والله، ما عبد الله بشيء أحب إليه من الخبء. قلت: وما الخبء؟ قال: التقيّة<sup>(١)</sup>، بل الإمام الصادق عليه السلام ينفي الإيمان عمّن لا يتقي، فعن عبد الله بن أبي يعفور، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «أنقوا على دينكم فاحجبهوا بالتقيّة؛ فإنه لا إيمان لمن لا تقيّة له، إنّما أنتم في الناس كالنحل في الطير، لو أن الطير تعلم ما في أجوافها ما بقي منها شيء إلا أكلته، ولو أنّ الناس علموا ما في أجوافكم أنكم تحبّونا أهل البيت لأكلوكم بألسنتهم ولنحلّوكم في السرّ والعلانية، رحم الله عبداً منكم كان على ولايتنا»<sup>(٢)</sup>.

---

(١) المصدر نفسه: ج ٢، ص ٢١٩، ح ١١.

(٢) المصدر السابق: ج ٢، ص ٢١٨، ح ٥.

## الجندي الخفي (المجهول)

### يكتُم إيمانه

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا﴾<sup>(١)</sup>.  
هذه الآية تمدح مؤمن آل فرعون على كتمان إيمانه؛ باعتبار أن كتمان الإيمان كان تقيّة خوفاً من آل فرعون، وقد وردت روايات تُشبهه أبا طالب مؤمن قريش بمؤمن آل فرعون، وتُبيّن العلة التي دعت أبا طالب عليه السلام لكتمان إيمانه، فعن الشعبي يرفعه عن أمير المؤمنين عليه السلام، قال: «كَانَ - وَاللَّهِ - أَبُو طَالِبٍ عَبْدَ مَنْفِ بْنِ عَبْدِ الْمَطْلُبِ مُؤْمِنًا مُّسْلِمًا، يَكْتُمُ إِيمَانَهُ مَخَافَةَ عَلِيِّ بْنِ هَاشِمٍ أَنْ تَنَابِذَهَا قَرِيشٌ»<sup>(٢)</sup>.  
وحيثما يقول أمير المؤمنين عليه السلام: (مخافة علي بن هاشم)، أي: بما هم يمثلون القيادة الدينيّة، واستئصالهم من قبل قريش استئصال للدين، ولولا حماية ورعاية أبي طالب الخفيّة الغيبية لهم لناذتهم قريش، ولولا هذا الدور الرئيس من الحماية والرعاية لم يكن أبو طالب ليحمي بني هاشم، فكان كعنصر توازن، وكترس حامي وحماية مهدنة مستمرة بينهم وبين قريش.  
وما خفي من دور أبي طالب عليه السلام أعظم، ومن خلال قرينة تشبيهه بمؤمن آل فرعون وبقرائن أخرى نستطيع أن نقرأ أبا طالب عليه السلام من خلال القرآن، أي: نقرأ دوره قراءة قرآنية.

(١) غافر: آية ٢٨.

(٢) الموسوي، فخار بن معد، الحجّة على الذاهب إلى تكفير أبي طالب: ص ١٢٢. الحرّ العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج ١٦، ص ٢٣١.

فقد كانت مهام كثيرة قام بها مؤمن آل فرعون أهمها حماية خليفة الله؛  
ولذلك كَانَ يَخاطبهم: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ﴾<sup>(١)</sup>.

وكان مؤمن آل فرعون يجلس مجالسهم تقية، لكنه ليس منهم، كما في  
الحديث: «كُنْ فِي النَّاسِ وَلَا تَكُنْ مَعَهُمْ»<sup>(٢)</sup>.

كذلك قوله تعالى: ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ  
يَأْتِمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ﴾<sup>(٣)</sup>.

وهذا المؤمن لم يمنع القتل عن النبي موسى ﷺ فقط، بل كان يملك  
حسًا استخباريًا عاليًا، بل أيضًا هو اخترق جهات التخطيط والتنفيذ لدى  
النظام الباطل الفرعوني.

إن هذا المؤمن الذي يكتفئ إيمانه قد جعل نفسه جنديًا استخباراتيًا أو  
(جنديًا مجهولًا) اخترق أعداء الإسلام لأجل أن يؤمن المؤمنين، وكان يجالس  
أهل الباطل ويأكل ويشرب معهم ولم يكن منهم، بل جند نفسه حماية وحصانة  
لجماعة الإيمان، ولولاه لقتل خليفة الله، وهذا الدور أيضًا قام به بشكل واضح  
وكثير أبو طالب ﷺ، فما أعظمه من دور، وهو في الحقيقة دور أمة ودور جيش  
كامل، وهو حساس ومهم إذا أنجز بشكل مُتقن، فيمكن - إذن - للمؤمن  
أداء دور حساس بلا استنزاف لطاقات مادية وبشرية، ويمكن من خلاله إنقاذ  
جماعة الإيمان وليس إنقاذهم فقط، بل جلب المعلومات النافعة لهم، وكشف  
كُلَّ المخططات والتآمر الذي يُحطط ضد المؤمنين.

(١) غافر: آية ٢٨.

(٢) الخراساني القايني، محمد تقي، مفتاح السعادة في شرح نهج البلاغة: ج ٤، ص ٩.

(٣) القصص: آية ٢٠.



## أصحاب الكهف

تتمياً لما سبق أن مؤمن آل فرعون كَانَ يُجَالِسُ الْفِرَاعِنَةَ الْفَسِقَةَ ويشاركهم وَهُوَ كَاتِمٌ لِإِيْمَانِهِ، كَذَلِكَ أَصْحَابُ الْكُهْفِ، وفي رواية تبيّن عظم الدور الذي كانوا يقومون به، فَعَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: «ما بلغت تقيّة أحدٍ ما بلغت تقيّة أصحاب الكهف، إنهم كانوا ليشدّون الزنانير، ويشهدون الأعياد، فاتّاهم الله أجرهم مرّتين»<sup>(١)</sup>.

بل ما هو أعظم من ذلك ذكره أبو عبد الله عليه السلام في رواية أخرى: «إن أصحاب الكهف أسروا الإيمان وأظهروا الكُفْرَ، وكانوا على إجهار الكُفْرِ أعظم أجراً منهم على إسرار الإيمان»<sup>(٢)</sup>.

الرواية الأولى تُبيّن أن حضورهم إلى مجالس الفسق والفجور تقيّة لهم عظيم الأجر عليها، وهي ليس تقيّة فردية كما لعله يتصوّر البعض - ومعنى التقيّة الفردية هي: التقيّة على المستوى الفقهي في البعد الفردي - بل هي تقيّة على مستوى العمل الاجتماعي، وهو أعلى من الفقه في البعد الفردي، بل ثمّة ما هو أعلى من البعد الاجتماعي، وهو العمل المنظومي السري الديني السياسي والاجتماعي الذي هو عمل بناء الدولة الإلهية، وهو عمل منظومي سري خطير يصعب على كل أحد القيام به، لكنّه ممكن ومتصوّر وموجود. نعم، بابه ليس مفتوحاً لادّعاء المدّعين؛ وذلك لأن مقتضى منظوميّة السرية الكتوميّة هو عدم البروز، فضلاً عن الإبراز والتكلم. وعدم التكلم لغة يفهمها من مارس العمل الاستخباري، وهي لغة

(١) العياشي، محمد بن مسعود، تفسير العياشي: ج ٢، ص ٣٢٣، ح ٩.

(٢) المصدر نفسه: ج ٢، ص ٣٢٣، ح ١٠.

أمنية خطيرة وحساسة، أسّ أساسها الكتمان، وأبسط وأسلمس الحالات والقصص التي تُذكر عن رجال الاستخبارات الذين يخترقون المنظومات الأمنية للدول والحكومات.

إنهم يعيشون ويموتون ولا يعلم حتى زوجاتهم وأهاليهم شيئاً عن طبيعة عملهم؛ لأنّه في عرف الأمن الاستخباري لو أنّ شخصاً كشف حقيقته للناس فاللازم أن يُقتل، فكيف يصدّق الناس شخصاً يدّعي أنّه متّصل بالإمام عليه السلام أو أنّه من جنوده السريين؛ لأنّ مقتضى السرية عدم الإبراز والكشف ومقتضى عدم الكشف هو السرية، وإذا كان سرياً وهو الآن قد كشف نفسه فقد كذب أو قد عزل نفسه عن هذا المنصب في اللحظة التي تكلم بها؛ لأنّ وظيفة هذا المنصب والدور يلازم الخفاء ولا ينفك عنه، وكذلك عدم الكلام، فإذا تكلم فهو كاذب ومناقض لدعواه.

والرواية الأخرى في شأن أهل الكهف عظيمة جداً، وفيها دور آخر ملازم للكتمان ومنبثق من قاعدة الكتمان (التقيّة الذكيّة)، وهو قول الصادق عليه السلام: «وكانوا على إجهار الكُفْر أعظم أجراً منهم على إسرار الإيمان»<sup>(١)</sup>، وهذا الدور فعلاً أعظم أجراً؛ لأنّه عمل أعظم من نفس الكتمان، فالشخص حينما يكتّم يمكن أن يسكت ويخفي نفسه عن الآخرين، ويتعد عن أيّ تصريح أو تصرّف يكشف شخصيته الإيمانية، فتظنّ الناس من خلال سكوته وتصرفه الانعزالي أنّه على ما هم عليه من نحلة أو ملة ودين الكُفْر استصحاباً منهم؛ لكونه على دينهم.

(١) المصدر السابق.

### قاعدة أخرى (تقية الاصطناع) ملازمة لقاعدة (التقية الذكية)

كتمان الإيمان دور عظيم، وهو المحافظة بالتقية على النفس أو على جماعة الإيمان، ولكن ما هو أعظم هو أن تبرز للطرف المقابل وتفهم الآخرين بتصرف معين أنك على نحلتهم أو ملتهم أو دينهم (الكفر)، وهذا الدور كما في (الرواية المتقدمة) هو قاعدة أخرى ملازمة لقاعدة (الكتمان الذكي)، وهي قاعدة (اصطناع الكفر تقيّة وخداعاً للعدو)، فإن (الحرب خدعة)؛ وذلك لأن القاعدة السابقة قاعدة الكتمان الذكي شبيهة بمبدأ (الوقاية خير من العلاج)، حيث يقي الإنسان نفسه وهي شبيهة بالدفاع الوقائي، حيث يكون أهل الجهاد في حالة تحصين لأنفسهم. كذلك شبيهة بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾<sup>(١)</sup>، فهنا عمل على مستوى التوقي من النار (الخوف من النار)، أمّا طلب الجنة - وما هو أعلى منها كعبادة الأحرار - فهي مراتب أعلى وأجرها أكبر وأعظم. فهذه القاعدة الجديدة شبيهة بمعنى (الجهاد الاستباقي)، فهو دفاع بواسطة الاستباق؛ لأن (الهجوم خير وسيلة للدفاع)، وهي قاعدة عظيمة وإقدامية تقدّمية، وليست تقهقرية تراجعية.

وفي رواية أخرى عن عبد الرحمن بن كثير، عن أبي عبد الله عليه السلام - في حديث -: «أن جبرائيل عليه السلام نزل على رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: يا محمد، إن ربك يقرؤك السلام، ويقول لك: إن أصحاب الكهف أسروا الإيمان وأظهروا الشرك، فاتاهم الله أجرهم مرتين، وإن أبا طالب أسر الإيمان وأظهر الشرك

(١) التحريم: آية ٦.

فآتاه الله أجره مرتين، وما خرج من الدنيا حتى أتته البشارة من الله بالجنة<sup>(١)</sup>. وهذه الرواية تختلف عن الرواية السابقة التي شبّهت أبا طالب بمؤمن آل فرعون، فهنا تُشبّهه بأصحاب الكهف وهو دور ثنائي مزدوج أعظم من الدور الأوّل؛ لأنّ إظهار الشرك يقتضي أن يُظهره لساناً وظاهراً، ولكن في نفس الوقت لا يُمارس شركهم، وفي نفس الوقت يقتضي منه أن يكون فاعلاً ويشاركهم في القضايا الاجتماعيّة والسياسيّة، وأكثرها قضايا مُعقّدة فيها أعمال تصبّ في مصلحة الشرك بالله وتقويّ المشركين، فكيف استطاع أن يتخلّص من كلّ تلك الممارسات، هذا من أصعب الصعاب التي لا يستطيعها ويقوى عليها إلاّ ملك مقرب أو نبيّ مرسل أو عبد امتحن الله قلبه للإيمان، وليس الأمر مبالغة، بل تاريخ التجارب والميدان شاهد واضح على ذلك.

### الخضر عليه السلام والتقوية الذكيّة

قَالَ تَعَالَى: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾<sup>(٢)</sup>، الخضر عليه السلام عبد صالح آتاه الله العلم اللدنيّ، والمعروف من أقوال وروايات الفريقين أنّ الخضر عليه السلام لا يزال حيّاً، وأنّ هذا العبد الصالح يكون وزيراً للإمام عليه السلام في حكومته، بل هو الآن يعمل في حكومة الإمام عليه السلام السّريّة، وهذا الدور سلّط القرآن الضوء عليه في صُحبة موسى للخضر عليه السلام، قَالَ تَعَالَى: ﴿قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْخُوتَ وَمَا أَنْسَانِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا \* قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغُ فَارْتَدَّ عَلَى آثَارِهِمَا

(١) الموسوي، فخار بن معد، الحجة على الزاهب إلى تكفير أبي طالب: ص ٨٤. الحرّ

العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج ١٦، ص ٢٣١، ح ١٧.

(٢) الكهف: آية ٦٥.

قَصَصًا \* فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِمَّا لَدُنَّا عِلْمًا ﴿١﴾ .

فَهُنَا صُورَةٌ قُرْآنِيَّةٌ تُبَيِّنُ التَّدْبِيرَ الْأَمْنِيَّ الْخَفِيَّ الَّذِي كَانَ فِي لِقَاءِ النَّبِيِّ  
مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ - وَهُوَ نَبِيٌّ وَرَسُولٌ مِّنْ أَوْلِي الْعِزْمِ - مَعَ الْخَضِرِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَدْ أُحِيطَ لِلِقَاءِ  
بِتِهَامِ السَّرِيَّةِ وَالْخَفَاءِ وَالْبُرْجَةِ الْأَمْنِيَّةِ، حَيْثُ وُضِعَتْ شَفْرَةٌ خَاصَّةٌ مِنَ اللَّهِ بَيْنَ النَّبِيِّ  
مُوسَى وَالْخَضِرِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، يَلْقَى فِيهَا مُوسَى الْخَضِرَ مِمَّنْ دُونَ أَنْ يَعْلَمَ حَتَّى وَصِيَ النَّبِيُّ  
مُوسَى وَهُوَ فَتَاهُ يَوْشَعَ بْنِ نُونٍ الَّذِي كَانَ مَعَهُ؛ لِأَنَّهَا أَجْوَاءُ أَمْنِيَّةٌ شَدِيدَةٌ السَّرِيَّةِ.  
وَلِأَجْلِ هَذِهِ الْحِرَاسَةِ وَالسَّرِيَّةِ الشَّدِيدَةِ جَعَلَتْ لِقَاءَ الْعَبْدِ الصَّالِحِ  
بِعَلَامَتَيْنِ وَاحِدَةٍ مُتَعَلِّقَةٍ بِالْأُخْرَى (مَجْمَعُ الْبَحْرَيْنِ وَالسَّمَكَةِ).

### المنهج أهم وأولى

نَرَى الْقُرْآنَ فِي ذِكْرِهِ لِلْخَضِرِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَتِلْكَ الْحَادِثَةُ الْغَرِيبَةُ جَدًّا بِكُلِّ  
حَيْثِيَّاتِهَا نَرَاهُ يَقْصُّ الْحَادِثَةَ بِسَرِيَّةٍ أَيْضًا وَبِتَشْفِيرٍ، وَمِنْ الطَّرِيفِ أَنَّ الْقُرْآنَ حِينَمَا  
يَذْكُرُ الْخَضِرَ يَقُولُ عَنْهُ: (عَبْدُ صَالِحٍ). فِي حِينٍ يَذْكُرُ مُوسَى بِاسْمِهِ إِشَارَةً مِنْهُ  
إِلَى نَهْجِ السَّرِيَّةِ حَتَّى فِي كَشْفِ اسْمِهِ، وَكَأَنَّهُ يَقُولُ: أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ، أَيُّهَا الشَّيْعَةُ،  
حَافِظُوا عَلَيَّ إِمَامَكُمْ حَتَّى فِي الْحَدِيثِ الْاِعْتِيَادِيِّ، وَلَا تَتَكَلَّمُوا بِهَا يَكْشِفُ  
وَيُنَاقِضُ الْغَيْبَةَ أَحْفَوْهُ فِي قُلُوبِكُمْ قَبْلَ حَدِيثِكُمْ.

وَأَيْضًا هُنَاكَ نُكْتَةٌ أُخْرَى يُرِيدُ الْقُرْآنُ الْإِشَارَةَ إِلَيْهَا، وَهِيَ أَنَّ الْمَنْهَجَ أَهَمَّ  
وَأَخْطَرَ، وَمَا فَعَلَهُ الْخَضِرُ - الْعَبْدُ الصَّالِحُ - أَهَمُّ وَأَوْلَى بِالرِّعَايَةِ وَالِالْتِفَاتِ مِنْ  
نَفْسِ شَخْصِ الْخَضِرِ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَهْمَا كَانَ صَالِحًا وَعَظِيمًا وَمُتْلَهُمَا مِنَ اللَّهِ (تَعَالَى)، وَهَذَا  
يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ مِنَ الْأَوْلِيَّاتِ فِي الْفَهْمِ بِالنِّسْبَةِ لِلْمُؤْمِنِينَ، بَلْ إِنَّهُ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ

الأصل والمحكم المهيمن على كل مسار ومسير المؤمن، فكل الحركات - سواء كانت في التاريخ الماضي أو الحال المعاصر - يجب أن تُقرأ قراءة منهجية، وأن تُعطف على محكم المحكمات، وقد نبّهت الكثير من الروايات بضرورة ذلك الفهم، بل إن الآيات التي ذكرت هذه الشخصيات (الخفية) ذكرتهم برموز وألقاب في حين ذكرت الآخرين بأسمائهم، ومما ذكره القرآن: (مؤمن آل فرعون، أصحاب الكهف، رجل من أقصى المدينة يسعى، امرأة فرعون)، وكلهم ممن كتم إيمانه وممن كان يعمل بخفاء، وهذا درس قرآني عظيم في المنهج الأمني.

### خفاء أمر اختفاء

عن عثمان بن عيسى، عمّن أخبره قال: قال: أبو عبد الله عليه السلام: «كفّوا ألسنتكم والزموا بيوتكم؛ فإنه لا يُصبكم أمر تُحْصُونَ به أبداً، ولا تزال الزيدية لكم وقاءً أبداً»<sup>(١)</sup>، الظاهر الأولي لهذا الحديث هو أن يسكت المؤمن ويجلس في بيته، فإذا فعل ذلك فإنه لا يُخصّ ببلاء وعدوان من السلطة الحاكمة، أي: لا يُستهدف باستهداف خاصّ مباشر؛ لأنّ الجلوس في الدار سوف يُنجيه من المهلكة المحتملة، وأنّ أنظار السلطة سوف تُصرّف عنك وسوف تقع الضربة فيمن يحسب على الشيعة بالمعنى الأعم وهم (الزيدية) والاتجاه الثوري المتغافل عن محورية المعصوم عليه السلام.

أقول: سبق أن ناقشنا في (قاعدة الأحلاس) الفهم الخاطيء لمعنى الجلوس في الدار، وأنّ معنى (الزم بيتك)، أي: الزم منهاجك العقائدي ولا تبرحه، أي: لا تزغ؛ إذ لا يعتمد على المتراءى البدوي من لفظ (الزم بيتك)

(١) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ٢، ص ٢٢٥، ح ١٣.

خارطة المسؤوليات في النشاط الوظيفي الديني والسياسي والاجتماعي ..... ١٩١

والظاهر الأوّلي، وإلا لأدّى إلى لوازم لا يمكن الالتزام بها، منها: رفع اليد عن الثوابت وترك الواجبات، كالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وغيرهما.

والمعنى هو كفّ الألسن عن كشف الأسرار التي تؤدّي إلى هلاك الأنفس من قبل الأعداء، وسوء الفهم من قبل الإخوان، والسكوت عن فضول الكلام. فالجلس في البيت، يعني: كن في نشاط ومسير منهاجك - والذي هو على طبق بيت اعتقادك - جلساً خفياً.

والإمام عليه السلام يأمر أصحابه بالخفاء لا بالاختفاء، كما في الحديث عن أبي بصير، قال: قال أبو جعفر عليه السلام: «خالطوهم بالبرّانية وخالفوهم بالجوانية إذا كانت الإمرة صبيانية»<sup>(١)</sup>، وكلامه عليه السلام واضح وصريح - بل ومفسّر للحديث المتقدّم - وفي الحديث الآخر عن هشام الكندي، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «ياكم أن تعملوا عملاً يعيروننا به، فإنّ ولد السوء يُعير والده بعمله، كونوا لمن انقطعتم إليه زيناً ولا تكونوا عليه شيناً، صلّوا في عشائهم، وعودوا مرضاهم، واشهدوا جنائزهم، ولا يسبقوكم إلى شيء من الخير فأنتم أوّل به منهم، والله، ما عبّد الله بشيء أحبّ إليه من الخبء، قلت: وما الخبء؟ قال: التقية»<sup>(٢)</sup>.

#### التقية الذكيّة عند الإمام الصادق عليه السلام

من الحوادث المعروفة وصية الإمام الصادق عليه السلام لمن يكون الخليفة من بعده، فعن أبي أيوب النحوي قال: «بعث إليّ أبو جعفر المنصور في جوف الليل، فأتيته فدخلت عليه وهو جالس على كرسي وبين يديه شمعة وفي يده

(١) المصدر السابق: ج ٢، ص ٢٢٠، ح ٢٠.

(٢) المصدر نفسه: ج ٢، ص ٢١٩، ح ١١.

كتاب، قال: فلما سلّمت عليه رمى بالكتاب إليّ وهو يبكي، فقال لي: هذا كتاب محمد بن سليمان يخبرنا أنّ جعفر بن محمد قد مات، فإنّا لله وإنا إليه راجعون - ثلاثاً - وأين مثل جعفر؟ قال: قال لي: اكتب. قال: فكتبت صدر الكتاب، ثمّ قال: اكتب: إن كان أوصى إلى رجل واحد بعينه فقدّمه واضرب عنقه. قال: فرجع إليه الجواب أنّه قد أوصى إلى خمسة واحداهم: أبو جعفر المنصور، ومحمد بن سليمان، وعبد الله، وموسى، وحميده<sup>(١)</sup>، وفي رواية أخرى أنّ المنصور بعث إلى والي المدينة: إن أوصى - أي: الإمام الصادق عليه السلام - إلى رجل بعينه فاقتله. فأجابه الوالي: أن أوصياءه خمسة. فأبيهم أقتل؟ فبهت المنصور وقال: «ليس لقتل هؤلاء سبيل»<sup>(٢)</sup>.

وقد نلمح ما يُشبه ذلك في الأمم السابقة، فإنّ إبراهيم كان أمة في دوره في التقيّة التي قصّها القرآن في سورة الأنعام، وهو دور ونشاط فاعل في مواجهة فساد وانحراف المجتمع لكن بغطاء مقنّع، كذلك القرآن يقصّر لنا عمل من جاء من أقصى المدينة.

فهذه التقيّة الأمنيّة الخفيّة من الإمام الصادق عليه السلام في تغييب خليفة الله - الإمام الكاظم عليه السلام - هي من أعلى أنواع التقيّة الأمنيّة في حفظ السرّ؛ لأنه حفظ لخليفة الله.

### التقيّة الذكيّة في سلوك إبراهيم عليه السلام

إبراهيم عليه السلام يستعمل الخفاء والتقيّة الذكيّة في الخطاب وهداية قومه والقيام بمسؤوليّة التغيير والإصلاح، كما في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ

(١) المصدر السابق: ج ١، ٣١٠ ح ١٣.

(٢) المصدر نفسه: ج ١، ٣١١، ح ١٤.



خارطة المسؤوليات في النشاط الوظيفي الديني والسياسي والاجتماعي ..... ١٩٣

رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ \* فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ \* فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ \* إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلذِّكْرِ فَطَرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١﴾، فهنا إبراهيم عليه السلام حين يقول: (هذا ربي) (هذا أكبر). تقيّة في الخطاب والبيان والتعايش الديني والمدني لأجل هدايتهم؛ لأنه يعتقد أنّ هذه الكواكب والنجوم مربوبة لله وليست أرباباً، ولولا هذا الأسلوب من التقيّة الأمنية في الخطاب التغييري (وهو كتم الإيمان وإظهار الكفر) الذي هو نفس الأسلوب الذي ذكرته الروايات لأبي طالب عليه السلام، ولأهل الكهف عليه السلام، ولمؤمن آل فرعون عليه السلام، ولولا هذا الأسلوب من المعاشة لم يكن لهؤلاء من محافظة على أنفسهم ولا على المؤمنين، ولا المحافظة على مشروع الإيمان، ولولا أسلوب التقيّة الأمنيّ الإبراهيمي لم يكن عليه السلام ليحفظ الإسلام والمؤمنين، أو لينشر الإسلام.

### القرآن يكشف عن أربع مهام سرية لأهل الكهف عليه السلام

قوله تعالى: ﴿فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَاماً فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا﴾<sup>(٢)</sup>، في هذه الآية على قصرها هناك عدّة واجبات عظيمة وكبيرة يجب على أهل الكهف أداؤها في زمن غيبتهم وخفائهم عن المؤمنين وعن الناس.

(١) الأنعام: آية ٧٦-٧٩.

(٢) الكهف: آية ١٩.

**الواجب الأول:** (فابعثوا أحدكم بورقكم):

الواجب هو: أن المجموعة المؤمنة التي تعمل في الخفاء (تقيّة)، إذا احتاجت إلى الاتّصال بالناس فمن اللازم عليها أن تنتخب واحداً منها فقط، وتُناط به المهمّة، ولا يصح أن يتصدّى الجميع ويشغلوا أنفسهم بتلك الاحتياجات.

**الواجب الثاني:** (فَلْيَنْظُرْ)، مسح ميداني ومراقبة لمجريات الأوضاع.

**الواجب الثالث:** (فَلْيَأْتِكُمْ)، القيام بالمدد والعون للمؤمنين.

**الواجب الرابع:** (وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا)، أداء الواجب الثالث في ظلّ خفاء هادئ لذلك النشاط، مع عدم إلفات الآخرين لجماعة المؤمنين ومقدّراتهم وأمورهم باستخدام آليات وأساليب تحجب الطرف الآخر عن الانتباه.

### أسرار (التقيّة التدبيرية) في سورة الكهف

١. أصحاب الكهف كان لهم عظيم الأعمال رغم الموقعية الحساسة والخطيرة والقريبة من رقابة جهاز السلطان والملك، إلا أنّهم كانوا في قوّة من السريّة والخفاء، تفوّت الفرصة عن اكتشافهم وخطورة ما يقومون به.

٢. كان بقاؤهم في كيان الملك الكافر بخفاء ما داموا يستطيعون الحركة على منهاجهم، فلمّا أحسّوا أنّهم لا يستطيعون الحفاظ على هوية منهاجهم والاستقامة عليها - ولو بتوسّط الخفاء - أبعدها عن أنفسهم عن هذا الكيان؛ لئلاّ يذوبوا في كيانه الباطل.

٣. وهذا نظير الحديث المستفيض في باب التقيّة لقول أمير المؤمنين عليه السلام:

«فأما السبّ فسبوني؛ فإنه لي زكاة ولكم نجاة، وأما البراءة فلا تتبرأوا

منِّي...»<sup>(١)</sup>. في هذه الرواية المستفيضة تحديد لأمد التقية بأن لا تصل بالإنسان في ذوبان هويته في نهج الباطل وانسلاخه عن هوية منهاج الإيمان؛ إذ ليس المراد تحريم البراءة اللفظية في مقابل تجويز السب لفظاً، وهذا ما كذبه الإمام الصادق عليه السلام في نسبة ذلك لأمير المؤمنين عليه السلام، بل المراد بالبراءة كسيرة ومنهاج عمل ينسلخ فيه عن أمير المؤمنين عليه السلام، وإلا فما هو الفرق بين البراءة اللفظية والسب اللفظي للتقية، فالمراد من البراءة المحرمة من نهج أمير المؤمنين عليه السلام هو السلوك العملي المنسلخ عن نهج أمير المؤمنين عليه السلام.

٤. رغم أن اللقاء الذي تم بين النبي موسى عليه السلام والخضر عليه السلام هو لقاء بين اثنين ممن اصطفاهم الله لمسؤوليات وأدوار إلهية، والنبي موسى عليه السلام من أولي العزم إلا أن الخضر عليه السلام لما كان عضواً في شبكة إلهية خفية كان لقاء النبي موسى عليه السلام به قد أُحيط بدرجة كبيرة من السرية والخفاء، وبلغت تشفير أمني متصاعد جداً، حيث كان اللقاء أُوعز إلى النبي موسى عليه السلام أنه يتم بعلامتين: ضياع الحوت، وبلوغ مجمع البحرين.

٥. كما أن جو اللقاء فرض فيه تعامل أمني مشدد يبتعد عن الصخب وعن انفلات الأسرار مع انضباط صارم وحازم؛ حيث اشترط الخضر عليه السلام على موسى عليه السلام أن لا يسأله، كما في الآية الكريمة: ﴿قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّى أُحَدِّثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾<sup>(٢)</sup>، إلى أن قال له النبي موسى عليه السلام معتذراً: ﴿قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَدُنِّي عُذْرًا﴾<sup>(٣)</sup>.

(١) الحرّ العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج ١٦، ص ٢٢٨، ح ١٠.

(٢) الكهف: آية ٧٠.

(٣) الكهف: آية ٧٦.

٦. الآية الكريمة بيّنت أنّ سبب عدم استمرار النبي موسى عليه السلام في مصاحبة الخضر عليه السلام عدم صبره على الصرامة - انضباطاً - في إنفاذ الأمور بلا تتعّصّ سؤال وتلكؤ استنكار ممّا يفشي سرّ المهمات؛ لأنّ إبراز السؤال ممّا يثير اللغظ وإذاعة الأسرار، ومن ثمّ ورد في وصايا التقيّة عنهم عليهم السلام النهي عن القيل والقال وكثرة السؤال والثثرة؛ ممّا يسبب إذاعة وإفشاء الأسرار، لا أنّ النهي عن التحريّ في نفسه.

٧. نعم، التحريّ إن كان موجّباً وذريعة للتلكؤ فهو الآخر عيب وقصور عن سرعة إنفاذ المطلوب، فبعد فرض المعرفة الإجمالية يكون العمل على الموازين، فإنّ التعمّق في التفاصيل إعاقة وعقبة عن المضيّ قدماً.

٨. ثمّ تُبيّن السورة افتراق النبي موسى عليه السلام عن الخضر عليه السلام في نهاية المطاف، فرغم أنّ المصاحبة للنبي موسى عليه السلام وهو من أولى العزم فضيلة وكمال، إلا أنّ سرّيّة عمل الخضر عليه السلام تُحمّ عليه الابتعاد عن الارتباط بالنبي موسى عليه السلام، فكم هي عظيمة وظيفة الخفاء والسرّيّة؟ وكم من وظيفة خفاء وسرّيّة في إنجاز المهام المقدّسة العظيمة سطرته لنا سورة الكهف؟

## برنامج أمني للإمام الصادق عليه السلام

### كيف يتعامل الإمام مع من يكشف الأسرار

مرّ أنّ الإمام عليه السلام يتوعّد الذي يكشف أو يُفشي الأسرار بالعذاب الأخرى، بل الدنيوي أيضاً، كما في كثير من الأحاديث السابقة ليس هذا توعّد بالعذاب الأخرى والدنيوي تعبّداً فحسب، بل هو تربية لأصحابه على أمرين:

أولاً: كيفية كتمان الأسرار.

ثانياً: كيفية معالجة انكشاف السرّ.

كما في معتبرة عبد الأعلى، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «إنّه ليس من احتمال أمرنا التصديق له والقبول له فقط، من احتمال أمرنا ستره وصيانته من غير أهله فأقرئهم السلام وقل لهم: رحم الله عبداً اجترّ مودة الناس إلى نفسه، حدّثوهم بما يعرفون واستروا عنهم ما ينكرون. ثمّ قال: والله، ما الناصب لنا حرباً بأشدّ علينا مؤونة من الناطق علينا بما نكره، فإذا عرفتم من عبدٍ إذاعة فامشوا إليه وردّوه عنها، فإن قبل منكم وإلا فتحملوا عليه بمن يثقل عليه ويسمع منه، فإن الرجل منكم يطلب الحاجة فيلطف فيها حتى تُقضى له، فالطفوا في حاجتي كما تُلطفون في حوائجكم، فإن هو قبل منكم وإلا فادفنوا كلامه تحت أقدامكم، ولا تقولوا: إنّه يقول ويقول. فإن ذلك يُجمل عليّ وعليكم، أما والله، لو كنتم تقولون ما أقول لأقررت أنّكم

أصحابي، هذا أبو حنيفة له أصحاب، وهذا الحسن البصري له أصحاب، وأنا امرؤ من قريش قد ولدني رسول الله ﷺ وعلمتُ كتاب الله وفيه تبيان كل شيء: بدء الخلق، وأمر السماء، وأمر الأرض، وأمر الأولين والآخرين، وأمر ما كان وما يكون. كأني أنظر إلى ذلك نصب عيني»<sup>(١)</sup>.

وهذه الرواية من أنفس الروايات التي تبين معنى الكتمان الأمني للسرّ ومراتب الرعاية الأمنية للأسرار، وكيف أنّ حفظها من أبرز معاني الطاعة ومن أهم أسباب حسن الصحبة لقيادة وإدارة الإمام عليه السلام، فالرواية تبين:

١. معنى احتمال أمرهم وحمل أسرارهم مراتب مرتبة دُنيا وهي التصديق له، ومرتبة عُليا وهي ستره أمنياً وصيانته - وهي المطلوبة - ولذلك قال: «إنّه ليس من احتمال أمرنا التصديق له والقبول فقط، من احتمال أمرنا ستره وصيانته من غير أهله».

٢. أنّ الآلية الصحيحة في التعامل مع الناس هو كسب مودّتهم؛ وبالتالي هو كسب لهم إلى صف الإيثار، والآلية الأخرى الملازمة لها - أو قل: آلية الآليات - هي كيفية استخدام الآلية الأولى، ولذلك قال: «رحم الله عبداً اجترّ مودّة الناس إلى نفسه، حدّثوهم بما يعرفون واستروا عنهم ما يكرهون».

٣. أنّ مَنْ لم يستر أمرهم ولم يحدث الناس بما يعرفون، ويستر عنهم ما ينكرون بمنزلة الناصب؛ ولذلك قال: «والله، ما الناصب لنا حرباً بأشدّ علينا مؤونة من الناطق علينا بما نكره».

٤. كيفية التعامل مع مَنْ يُفشي السرّ، ومن عظمة وأهميّة صيانة السرّ، أنّه عليه السلام يجعل صيانته عن الكشف على مراتب، فهو في المرحلة الأولى في صدد

(١) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ٢، ص ٢٢٢-٢٢٣، ح ٥.

الوقاية عن الكشف، ثمَّ علاج الكشف إن لم تنفع مرحلة الوقاية؛ ولذلك قال: «فإذا عرفتم من عبدٍ إذاعة فامشوا إليه فردّوه عنها»، بل يجب استعمال علاج أكثر فاعليّة للضغط الاجتماعي لردعه عن الإفشاء؛ لذلك قال: «فإن قبل منكم وإلا فتحملوا عليه بمن يثقل عليه ويسمع منه»، أي: إن لم ينفع ذلك فقوموا بحجب إفشائه للأسرار الأمنيّة لكم، «وإلا فادفنوا كلامه تحت أقدامكم»، أي: أوقفوا تداول كلامه فيما بينكم؛ لئلا يروج كشفه للأسرار الأمنيّة فيما بينكم فيزداد انكشافاً وإفشاءً لتلك الأسرار الأمنيّة.

٥. أن الإمام عليه السلام يأمر بطول النفس وسعة البال والتروي في اختيار أذكي وأنفع الآليات للعلاج - بالتلطف - في علاج إفشاء السرّ، وأن الاهتمام بذلك ضروري كاهتمام الإنسان بحاجات نفسه؛ لذلك قال: «فإن الرجل منكم يطلب الحاجة فيلطف فيها حتى تُقضى له، فالطفوا في حاجتي كما تُلطفون في حوائجكم»، والتلطف والطف اعتماد الرفق واللين، أو إخفاء الأسلوب بمهارة فائقة ومرونة تستقصي وتتحرى أكبر قدر من الطرق والفرص والنوافذ والخيارات الكثيرة.

٦. (آخر الدواء الكي)، بعد أن يُمنع المُفشي للسرّ ويثقل عليه ويُتلطف معه حتى يحصل المطلوب، فإن لم يحصل المطلوب يأتي دور المؤمنين في احتواء الموقف ونزع فتيل الأزمة التي يمكن أن يولدها إفشاء السرّ من قبل ذلك الأخرق؛ لأنّ إفشاء السرّ غير انتشاره.

وهذا أمر بالغ الأهميّة غفل عنه المؤمنون والتفت إليه الإمام عليه السلام وأكد عليه، وهو أنّ المؤمنين حينما يرون أنّ هناك سرّاً قد أُفشي يُسارعون في نشره بحجّة أنّ فلاناً قال، فيقولون: قال كذا وكذا. فيصلون إلى إفراط أو تفريط

بعدم تمييزهم أنّ عاقبة تداول نشر السرّ المُفشَى أسوء من نفس أصل بدء الإفشاء؛ لا اعتقادهم أنّها سيان وهذه غفلة كبرى يحذّر منها الإمام عليه السلام. بل لو لاحظنا مرمى الإمام عليه السلام بدقّة نرى أنّ نفس احتواء السرّ المُفشَى هو وأد للإفشاء في مهده؛ وبالتالي هو علاج يُميت السرّ في مهده ويجعله كالعدم، ولذلك قال: «فإن هو قَبْل منكم، وإلا فادفنوا كلامه تحت أقدامكم، ولا تقولوا: إنّه يقول ويقول، فإنّ ذلك يُحمل عليّ وعليكم»، وهذا المقطع العظيم من حديث الإمام عليه السلام - لوحده - أصل وقاعدة عظيمة أمّنيّة ونُظميّة في التحكّم والسيطرة في كيفية انتشار المعلومة الخبريّة وتكوين الرأي العام، سواء الثقافي العقائديّ أو السياسيّ الاجتماعيّ، وهو مأخوذ من قوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَدَّعَوْا بِهٖ وَلَوَّ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَ الَّذِينَ يُسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾<sup>(١)</sup>، وهذه القاعدة ترسم للمؤمن كيف يزن الأمور ويقدرها بقدرها.

٧. أنّ الإمام عليه السلام يجعل ميزان الصّحة هو بالطاعة في تنفيذ ما يرسمه

من منهاج بالدقّة المطلوبة.

---

(١) النساء: آية ٨٣.



## دور المؤمن في الحكومة الخفية أعظم

### أطروحة جديدة في معنى الظهور بعد الغيبة

#### دولة الخفاء وخفاء الدولة

#### دولة الغيبة وغيبة الدولة

من الضروري أن يلتفت المؤمن إلى أن زماننا هذا وهو زمن الإمام المهدي عليه السلام، هو زمن الحكومة الخفية للإمام عليه السلام، أي: إن هناك حكومة فعلية للإمام عليه السلام الآن ولكنها خفية، لا بمعنى انسياق المؤمن لزيغ الدجالين من ادعاء السفارة في الغيبة أو انخداعه لدعاوى الفرق الضالة المدعية للمهدوية، بل من الضروري أن يعلم المؤمن أن دوره الآن في هذه الحكومة أعظم من دوره حين الظهور أو ما بعد الظهور، وذلك ينشر مذهب أهل البيت عليهم السلام في أوسع رقعة وكافة أرجاء الأرض؛ لأن دوره حين الظهور هو دور قتالي أو إداري بإشراف مباشر من الإمام عليه السلام أو أحد قادته المنصب من قبله، وهو دور وإن لم يمكن سهلاً ولكنه دور أسهل بكثير من بناء مجتمع الدولة في الحكومة الخفية، وهذا ما يُشير إليه الحديث الشريف، عن أمير المؤمنين عليه السلام: «قال: إن رسول الله صلى الله عليه وآله بعث سرية فلما رجعوا قال: مرحباً بقوم قضوا الجهاد الأصغر وبقي عليهم الجهاد الأكبر. قيل: يا رسول الله، وما الجهاد الأكبر؟ قال: جهاد النفس»<sup>(١)</sup>.

(١) الصدوق، محمد بن عليّ، معاني الأخبار: ص ١٦٠.

ومن الجدير بالملاحظة أنّ هناك ما هو أعظم من جهاد النفس، وهو بناء الدولة الخفية للإمام عليه السلام؛ لأنه جهاد على مستوى النفس وزيادة، أمّا على مستوى النفس فلا أنّ المؤمن يبني نفسه ويكاملها في فترة غيبة الإمام عليه السلام - فترة الحكومة الخفية - لأجل أن يكون في استعداد دائم وأهبة كاملة للظهور المقدّس، وهو من جهة أخرى يبني أسرته دينياً وعلمياً، وكذلك يبني مجتمعه ويؤسس لتكامل وتقوية الحكومة الخفية للإمام عليه السلام؛ وذلك بتقوية مجتمع المؤمنين ودار الإيمان.

فإذن؛ يكون دوره أعظم لهذه الحيثية، وكلّما قويت الحكومة الخفية - وذلك بتقوية قاعدتها وهو جماعة ومجتمع المؤمنين ودار الإيمان، وثبتت أركانها واستحكمت حلقاتها - كلّما كان ظهورها أسرع؛ وذلك بظهور الإمام عليه السلام؛ لأنّ هذه القوّة هي بنفسها تعجلاً للظهور، لأنّ الظهور يعني تنامي وتكامل هذه الحكومة، بل بالدقة الظهور هو ظهور لتلك الحكومة الخفية، بل هو إعلان لتلك الحكومة بعد أن كانت خفية وغير ظاهرة يُعلن عنها بعد تكاملها وقوتها وسيطرتها.

ومّا تقدم تتّضح لنا أدوار المؤمن المتعدّدة والمهمّة والحيويّة في دولة الإمام عليه السلام الخفية الآن، وكيف يبني تلك الدولة؟ وكيف يدفع عنها وعن قائدها عليه السلام كلّ ما يُسبّب اختلال وتعطيل تكامل وقوّة هذه الدولة.

وهذا البيان رسم خارطة مسير ومسار للمؤمن في فترة غيبة الإمام عليه السلام، كما أنّه يُعطي تفسيراً صحيحاً لمعنى الغيبة، فأين هذا المعنى من الثقافة السطحية التي تقول: إنّ الإمام عليه السلام غير حاضر ومبتعد أو في جزيرة خضراء لا علاقة له بالناس وينتظر من يهبى له الظروف والأسباب للظهور

خارطة المسؤوليات في النشاط الوظيفي الديني والسياسي والاجتماعي ..... ٢٠٣

المقدس؟! وبالتالي يكون منتظراً لأمر الله بهذا اللحاظ، وهذه ثقافة جبرية سيئة جداً وفهم خاطئ؛ لأنه يجعل الإمام عليه السلام متواكلاً وليس متوكلاً على الله تعالى.

أما على الثقافة الأخرى والفهم الآخر - وهو الصحيح - نرى أن الإمام عليه السلام منتظر لأمر الله وهو في عمل ليلاً ونهاراً في بناء دولة الظهور الآن، فإن دولة الظهور المقدس لا تُبنى ولا تُؤسس أركانها حين الظهور أو بعد الظهور؛ لأن الظهور قطف أو جني للثمار التي أسسها الإمام عليه السلام في دولته الخفية.

نعم، من خلال هذه الأطروحة لا يصح أن نزهد ولا يحق لنا أن نزهد في الجانب الغيبي، ودور الأسباب الغيبية؛ لأنّ منهجنا (الأمر بين الأمرين)، فلا جبر ولا تفويض ولكن أمر بين أمرين، أي: لا جبر ولا حتمية مطلقة للأسباب الغيبية والإعجاز الغيبي والإدارة الغيبية بمعزل عن الأسباب الطبيعية في تعجيل الظهور، كما أنه لا تفويضية بجعل كل الأسباب بيد المؤمنين في إدارة وتنامي الحكومة الخفية للإمام عليه السلام.

فيجب أن يعلم المؤمن أنه لبنة أساسية وحيوية وضرورية في بناء الدولة الخفية وتعجيل الظهور المقدس، أي: إنه عنصر مهم في قوة الدولة؛ وبالتالي ظهورها، ولا يمكن التنازل عن دوره بحال من الأحوال في هذه الفترة، ولا يحول دون ذلك حتمية ظهور الإمام عليه السلام، وعظمة إدارته لدولته، رغم كونها إدارة عظيمة وعالية وجليلة.

ولعل سائلاً يسأل: ما هو الفرق العملي بين الثقافتين؟ وهل هناك ثمرة

عملية لذلك؟

وللجواب عن ذلك: أن الفروق في ذلك كبيرة وكثيرة، منها:

١. أنه على الفهم الجبري الخاطيء، وأن الإمام عليه السلام لا محالة سيظهر كحتم قدرٍ وقضاءٍ بفعل محض من السماء، وأن الله يُظهر دينه على الدين كله؛ فإنه مدعاة للتواكل وترك الحبل على الغارب.

٢. على الفهم الآخر أن المؤمن له دور عظيم لتعجيل الظهور، ولكن لا دور له الآن، وإنما دوره في فترة الظهور المقدس وما بعد الظهور، أما الآن فالمؤمن ليس له دور.

نعم، دوره أن يكون مستعداً للظهور، وهو استعداد ترقب نفسي ليس إلا، ولا يعدو أن يكون أمراً غامضاً لا مفهوم واضح له عملياً.

كما يمكن أن يكون له دور على المستوى الفردي، وهو استعداده لتربية نفسه دينياً وعلمياً، وقد يتعدى قليلاً إلى القيام بواجبه من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في أسرته وفي مجتمعه، أما على المستوى التدبيرى لمصير الدين أو العلمي في مستوى أبعد وأعمق وأوسع، فليس هناك التفات، أو لا يوجد تثقيف واضح على ذلك.

أما علاقته بالإمام المهدي عليه السلام، فقد يُنظر في تلك الثقافة أنه يجب أن يتفاعل المؤمن مع الإمام عليه السلام.

وأما كيفية ذلك التفاعل الذي يجب على المؤمن مع الإمام عليه السلام، فلعله لا يعدو مستوى الشعور به، والدعاء له، والتصديق عنه، وأن يدعو صباحاً ومساءً بتعجيل الظهور المقدس، وهذا غاية عونه ونصرتة ومؤازرته للإمام عليه السلام، وكان الله غفوراً رحيماً.

أما بناءً على الثقافة والرؤية السديدة، فإنه ينبغي أن يفهم المؤمن أنه الآن

خارطة المسؤوليات في النشاط الوظيفي الديني والسياسي والاجتماعي ..... ٢٠٥

يعيش كفرد في مجتمع دولة الإمام عليه السلام الخفية، فكيف يتعامل معها؟ وكيف يبنها؟ فهو بمثابة موظف، ولو شعر المؤمن أنه موظف في مجتمع دولة الإمام عليه السلام، وأن دولة الإمام عليه السلام الآن وليس بعد الظهور، وكيف ينبغي أن يتصرف المؤمن مع مجتمع متعدد الأهواء والاتجاهات والألوان بنظرة موضوعية لفرد يريد بناء دولة واقعية حاضرة يعيشها؟ وبالتالي؛ سيختلف نظره إلى قائدها عليه السلام - بحسب هذا الفهم - أنه كيف يبني مجتمع دولته عليه السلام في ظرف خفائه<sup>(١)</sup>.

وهذه النظرة شكل آخر غير التعبد الديني المحض، وغير فكرة إسقاط الواجب الديني التعبدية، بل بفكرة استثمار الواجب التعبدية - الصحيح - لبناء الدولة، وبناء الدولة هو بناء للفرد وللمجتمع في نفس الوقت، ولكنه أعظم وأعلى وأكمل.

وهذه النظرة الموضوعية - التجردية - الشمولية تتناسب مع قول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «الجلسة في الجامع خير لي من الجلسة في الجنة؛ فإن الجنة فيها رضا نفسي والجامع فيه رضا ربي»<sup>(٢)</sup>، وهذا الكلام فيه إشارة إلى ما نريد؛ فإن

---

(١) ومن هنا يمكن تفسير معنى حرمة ذكر اسم الإمام عليه السلام الذي ورد في كثير من الروايات في أنه يعرض الإمام عليه السلام للخطر، وبالتالي سيعرقل حركته عليه السلام؛ لأنه سيؤدي إلى زيادة الخفاء من قبل الإمام بسبب ازدياد احتمال الخطر لكشف شخصيته، وستقطع كل سبل البناء والإدارة التي يحتمل وجوده فيها، وهذا غير معنى طلب تعجيل الظهور - على الفهم الآخر - الذي يأمر المؤمن بالدعاء فقط للإمام عليه السلام، وأن يلهج فقط بذكر الإمام عليه السلام صباحاً ومساءً، فتدبر.

(٢) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٨٠، ص ٣٦٢.

المؤمن في عيشه في مجتمع دولة الإمام عليه السلام وإسهامه الآن في بناء دولة الإمام عليه السلام بعد الظهور، هو عيش أعظم سعياً وأجراً من العيش في الجنة؛ لأنّ العيش الرغيد في دولة الإمام عليه السلام كالعيش الرغيد في ظل الجنة فيه رغبة ورضا النفس، ويكون السعي في تكامل دولة الإمام عليه السلام - في ظرف الظهور - كالسعي في التكامل في الجنة سهل، فهو بلا معوقات وابتلاءات، أمّا الجلوس في المسجد، فهو كالسعي في بناء مجتمع دولة الإمام عليه السلام في فترة الغيبة بتشديد أركان دولة الإمام الخفية التي ستظهر على العالم بعد خفائها - قوياً صلبة - ومن هنا؛ ورد أنّ أجر عمل وطاعات المؤمن في الغيبة أعظم أجراً من عمله وطاعته في ظل دولة الظهور.

فعن عمّار الساباطي قال: «قلتُ لأبي عبد الله عليه السلام: العباداة مع الإمام منكم المستتر في دولة الباطل أفضل أم العباداة في ظهور الحقّ ودولته مع الإمام الظاهر منكم؟ فقال: يا عمّار، الصدقة - والله - في السرّ [في دولة الباطل] أفضل من الصدقة في العلانية، وكذلك عبادتكم في السرّ مع إمامكم المستتر في دولة الباطل أفضل؛ لخوفكم من عدوكم في دولة الباطل وحال الهدنة ممّن يعبد الله (عزّ وجلّ) في ظهور الحق مع الإمام الظاهر في دولة الحق، وليس العباداة مع الخوف وفي دولة الباطل مثل العباداة مع الأمن في دولة الحق، اعلموا أنّ من صلّى منكم صلاة فريضة وحداناً مستتراً بها من عدوه في وقتها فأتمّها كتب الله (عزّ وجلّ) له بها خمساً وعشرين صلاة فريضة وحدانية، ومن صلّى منكم صلاة نافلة في وقتها فأتمّها كتب الله (عزّ وجلّ) له بها عشر صلوات نوافل، ومن عمل منكم حسنة كتب الله له بها عشرين حسنة، ويضاعف الله حسنات المؤمن منكم إذا أحسن أعماله ودان الله (عزّ وجلّ) بالتقيّة على دينه

خارطة المسؤوليات في النشاط الوظيفي الديني والسياسي والاجتماعي ..... ٢٠٧

وعلى إمامه وعلى نفسه وأمسك من لسانه أضعافاً مضاعفة كثيرة، إن الله (عز وجل) كريم»<sup>(١)</sup>.

مع الالتفات إلى أن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام لا يعني - في حديثه - أنه جالس وغير فاعل وهو في المسجد، بل أحد عناوين المسجد هو عنوان إدارة الدولة؛ لأن دولته عليه السلام - وهكذا الدولة العادلة في الظهور المقدس - تُدار من المسجد؛ لأن المسجد هو العنوان الديني والإداري والعلمي المقدس، الذي يهيمن على كل المفاصل السياسية والاقتصادية والاجتماعية وغيرها، فيكون معنى جلوسه في المسجد هو الجلوس الفاعل البناء، جلوس التدبير الديني والديني وتدبير بناء الدولة، وهذا الجلوس قريب من معنى الجلوس - كن جلوساً من أحلاس بيتك - الذي هو الجلوس في بيت العقيدة والإيمان والثبات على النهج الصحيح، وقد تقدّم هذا المعنى.

---

(١) الصدوق، محمد بن علي، إكمال الدين: ج ٢، ص ٦٣٦.

## القاعدة السادسة

### المرونة والمناورة في المسير والمسار

ولهذه القاعدة أسماء عديدة منها:

- قاعدة: المرونة في المسير والمسار.
- قاعدة: مناورة ومران الخيارات والأساليب في المسير والمسار.
- قاعدة: المناورة التي تحافظ على الثابت التوليقي بين ما هو قديم وما هو عصريّ.
- قاعدة: الموازنة بين النهج التقليدي والنهج العصريّ الحديث.
- قاعدة: استخراج اللبّ الثابت في النهج التقليديّ عن القشور القديمة وتليسه آليات عصريّة.

لا بدّ من مقدّمة:

هل المبدئيّة للواقع أم الواقعيّة للمبدأ؟ وهذه جدليّة بين البراغماتيّة الواقعيّة وبين المبدئيّة، وهي من القراءات المغلوطة التي ينتهجها أرباب السياسة الذين يقولون بمبدئيّة الواقع - الخارجي - أي: إنّ المبادئ تتشكّل على أساس معطيات الواقع الخارجي، وهذا النهج له أشكال كثيرة، ويعبرون عنه بعبارات كثيرة تدور على أساس (النفعية والمصلحة)، وجعلهما المدار والمحور لكلّ المبادئ والثوابت.

وبهذا تتغيّر المبادئ على أساس الواقع، وهو منهج له لوازم خطيرة



خارطة المسؤليات في النشاط الوظيفي الديني والسياسي والاجتماعي ..... ٢٠٩

تتفرّع عليه مباحث عديدة وقواعد كثيرة في البعد الاجتماعي والبعد السياسي، بل والديني وهو أهمّها.

فمثلاً في البعد الفلسفي، قد يُسأل هل الحقيقة نسبية أم مطلقة؟ وفي البعد الديني (الأخلاقي) قد يُثار البحث أنّه هل الأخلاق نسبية أم مطلقة؟ وتتفرّع عليه بحوث أخرى دينية أنّ القرآن هل يُفسّر بالرأي أو لا؟ وهل يُعطف القرآن على الرأي أو الرأي على القرآن؟ أو يُعطف القرآن بعضه على بعض بعطف المتغيّر على الثابت القرآني أو المتشابه على المحكّم؟ أو يُعطف المحكّم والمتشابه على الولاية؟ بنظرية أمومة الولاية لمحكّمات القرآن - كما هو الصحيح - كذلك ما يُعرف في البحوث المعرفية بـ (استبداد العقل) أي: هل للعقل أن يستبدّ أم لا؟ وما هي مساحته؟ كلّ هذا في البعد الديني.

وأما في البعد الاجتماعي، فالعلاقات الاجتماعية يمكن أن تتشكّل بقوالب القاعدة، وأنّ المتغيّرات أين يمكن أن تكون في المبادئ أو في آليات المبادئ - كما هو الصحيح -؟ ونفس القوالب بأشكال أخرى يمكن أن تتشكّل هذه القواعد في بعدها السياسي.

وقاعدتنا هنا تحاول أن تضع الضوابط في ذلك من جهة، ومن جهة أخرى هي تُبيّن تكليف المؤمن في البعد الديني الفقهي السياسي والاجتماعي.

### سعة الحكمة في صيرفة تدبير وإدارة الأمور

هذه القاعدة حلّ وسطيٌّ بين إفراط التغيير وإفراط الثابت، بالمحافظة على الثابت فيما له من مساحة وبحسب درجاته؛ لأنّ الثبات أيضاً متفاوت في الثبات، كما أنّ المتغيّر متفاوت في درجات التغيير. وهي قاعدة فقهية عقائدية أخلاقية تاريخية، نحاول هنا أن نتكلّم فيها بما يتصل بالجانب الفقهيّ.

نعم، سنشير إجمالاً إلى البعد العقائدي أو التاريخي لاستيضاح الجانب الفقهيّ، ولا بدّ من مقدّمة في نقاط قبل بيان القاعدة:

١. إنّ الدّين مراتب وإنّ حفظ المراتب ومراعاة المراتب شيء أساسي في كلّ مسير ومسار الدّين، فلا يمكن أن تُقاس العقائد بالفروع؛ لأنّ العقائد أعلى السلسلة، ثمّ الأخلاق، ثمّ فروع الدّين.

٢. ينبغي حفظ العلاقة بين المراتب الدينيّة، فالدّين طبقات، شبيهه بطبقات القانون الوضعيّ، فالقانون الدستوري أعلى من القانون النيابي وله ارتباط به، والنيابي أعلى من الوزاري، والوزاري أعلى من البلدي وهكذا، وكلّ هذه الطبقات مرتبطة مع بعضها البعض.

٣. إنّ المقياس لا يمكن أن يكون واحداً بناءً على المراتب، فلا يمكن أن يُقاس واجب عقائدي بواجب من فروع الدّين؛ فإنّ وجوب تولّي أهل البيت عليهم السلام أعلى من وجوب الصّلاة، وإنّ حرمة تولّي أعداء الله ورسوله وأهل بيته عليهم السلام أعلى من حرمة شرب الخمر والزّنا وهكذا.

٤. كما أنّ القانون السماوي مراتب كذلك الكتب السماويّة وكذلك أنبياء الله (عزّ وجلّ)، كما قال تعالى: ﴿هُم دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ﴾<sup>(١)</sup>، فنبوّة سيّد الأنبياء أعلى من نبوّة أيّ واحد من أولي العزم، فضلاً عن غيرهم، فهو صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مهيمن على نبوّة ورسالة وعصمة كلّ الأنبياء والرُّسل، وكذلك القرآن هو كتاب مهيمن على الكتب السماويّة، ولا تُقاس به التوراة والإنجيل، أو صحف إبراهيم وموسى.

٥. إنّه كما يجب حفظ العلاقة - والمراتب بين هذه الأمور- على مُستوى العلم والاعتقاد يجب أيضاً حفظ العلاقة على مُستوى العمل والتعاطي من خلال تطبيق قوانين الدين.

فمثلاً: لا يمكن أن تتمسك بعيسى لوحده مع وجود سيّد الأنبياء، أو مع وجود الإمام المهدي عَلَيْهِ السَّلَام الذي يصليّ عيسى عَلَيْهِ السَّلَام خلفه، وهذا ما يصوره لنا الإمام الرضا عَلَيْهِ السَّلَام في جواب مسألة الجاثليق: «ما تقول في نبوّة عيسى وكتابه؟ هل تُنكر منها شيئاً؟ قال عَلَيْهِ السَّلَام: أنا مُقرّ بنبوّة عيسى وكتابه وما بشرّ به أمته وأقرّت به الحواريون، وكافر بنبوّة كلّ عيسى لم يُقرّ بنبوّة مُحَمَّد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وكتابه ولم يبشرّ به أمته»<sup>(٢)</sup>.

وكذلك لا يمكن أن نترك القرآن ونذهب إلى التوراة، رغم أنّ فيها حكم الله، قال تعالى: ﴿وَكَيْفَ يُحْكِمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾<sup>(٣)</sup>، فينبغي التمسك بالمهيمن على التوراة

(١) آل عمران: آية ١٦٣.

(٢) الصدوق، محمد بن عليّ، عيون أخبار الرضا: ج ١، ص ١٤١، ح ١.

(٣) المائدة: آية ٤٣.

وَهُوَ الْقُرْآنُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ...﴾<sup>(١)</sup>.

كذلك التشريع مراتب، فتشريع الله أعلى وأولى بالرعاية من تشريع النبي ﷺ رغم أنّها واحد لا اختلاف بينهما، كذلك تشريع النبي مُقَدَّم عَلَى تشريع أيّ واحد من الأئمة عليهم السلام؛ ولذلك نهر سيّد الأنبياء عليه السلام عمرَ عَنْ الْحُكْمِ بِحُكْمِ التَّوْرَةِ، وَلَيْسَ الْمَقْصُودُ مِنْ ذَلِكَ مِنْ جِهَةٍ أَتَتْهَا مُحَرِّفَةٌ أَوْ خَطَأٌ أَوْ بَاطِلَةٌ وَلَا يُمْكِنُ النَّظَرُ فِيهَا؛ لِأَنَّ ذَلِكَ مُخَالِفٌ لِنَصِّ الْقُرْآنِ، بِأَنَّ فِيهَا حُكْمَ اللَّهِ، بَلْ إِشَارَةٌ لِلْمَرَاتِبِ الَّتِي قُلْنَا بِهَا، وَهِيَ أَنَّه لَا يَجُوزُ لَكَ أَنْ تَجْعَلَ الْمُدَارَ فِي الْحُكْمِ عَلَى التَّوْرَةِ مَعَ وَجُودِ الْقُرْآنِ، مِنْ دُونِ أَنْ يَكُونَ الْقُرْآنُ مُهَيْمِنًا.

٦. مِنْ الْأُمُورِ الْأَسَاسِيَّةِ وَالْمَهْمَةِ أَنَّ الْقُرْآنَ طَبَقَاتٌ وَمَرَاتِبٌ، وَأَنَّ فِيهِ الْمُحْكَمَ وَالْمُتَشَابِهَ، وَأَنَّ الْمُتَشَابِهَ طَبَقَاتٌ، كَمَا أَنَّ الْمُحْكَمَ طَبَقَاتٌ فَوْقَ بَعْضِهَا الْبَعْضُ، وَتَهَيَّمْنَ عَلَى بَعْضِهَا الْبَعْضُ، وَهَذِهِ الطَّبَقِيَّةُ وَالْهَيْمَنَةُ لَيْسَ فِيهَا اخْتِلَافٌ، فَفِي نَفْسِ الْوَقْتِ الَّذِي فِيهِ الْاِخْتِلَافُ فِيهِ الْاِتِّفَاقُ، فِي عَيْنِ الْفَرْقَةِ وَحِدَةٍ وَفِي عَيْنِ الْوَحْدَةِ اخْتِلَافٌ مِنْ زَوَايَا عَدِيدَةٍ، كَذَلِكَ الدِّينَ طَبَقَاتٌ أَهْمٌ وَمُهْمٌ، مُحْكَمٌ وَأَشَدُّ إِحْكَامًا، كَذَلِكَ الْأَنْبِيَاءُ وَالْأَئِمَّةُ، مَرَاتِبٌ فِي الْحُجِّيَّةِ فَوْقَ بَعْضِهَا الْبَعْضُ.

٧. الْأَئِمَّةُ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ عليهم السلام مَعَ النَّبِيِّ وَالسَّيِّدَةِ الزَّهْرَاءِ عليها السلام هَكَذَا مِنْ حَيْثُ ذَوَاتِهِمُ الشَّرِيفَةُ، مِنْ حَيْثُ سَيْرَتِهِمْ وَأَعْمَالِهِمْ، رَغْمَ اخْتِلَافِ الْمَسِيرِ وَالْمَسَارِ بَيْنَهُمْ مَعَ ذَلِكَ كُلِّهِمْ حُجْجٌ وَنُورٌ وَاحِدٌ، وَهَذَا وَاضِحٌ مِنْ سَيْرٍ وَمَسِيرٍ الْأَئِمَّةِ فِي فتراتِ إِمَامَتِهِمْ، وَفَهُمْ هَذَا الْأَمْرَ لَعَلَّهُ يَسْهَلُ فَهْمُهُ بِاعْتِبَارِ اخْتِلَافِ

(١) المائدة: آية ٤٨.

الزمان والمكان والظروف المحيطة.

لكن أن تكون هناك حجتان - عليّ وفاطمة عليهما السلام مثلاً - وأحد الحجّتين يتصرّف عكس الآخر ظاهراً فهذا يصعب فهمه على الكثير، ولعلّ البعض يحاول أن يُشكّك في وجود هكذا اختلاف بحسب الواقع الخارجي والنقل التاريخي مع أنّ الاختلاف موجود وواضح، ففي حين سلكت الزهراء عليها السلام مسلك الجهاد والتحريض على الثورة واستنهاض الأنصار، تبنّى أمير المؤمنين عليّ عليه السلام نمطاً آخر وهو نمط الحرب الباردة.

٨. في حين مسير ومسار الحسن عليه السلام في سلوكه وصلاحه مع معاوية نرى الإمام الحسن عليه السلام يشترط أن الحسين عليه السلام لا يُبايع، وهذا يعني أن المسير والمسار الصحيح في التعاطي مع الحقيقة متعددة الزوايا.

٩. في قول رسول الله صلى الله عليه وآله لعليّ عليه السلام: «أنا أقاتل على التنزيل وعليّ عليه السلام يُقاتل على التأويل...»<sup>(١)</sup>، إشارة إلى أن قتال رسول الله صلى الله عليه وآله لأجل تثبيت الدين ولأجل مرتبة القرآن النازل، أمّا قتال عليّ عليه السلام؛ فهو لأجل مرتبة القرآن الصاعد (مرتبة التأويل)، وكذلك كانت الفتنة أكبر والامتحان أصعب، ولذلك حينما رُفعت المصاحف في معركة صفّين فُتن أصحاب الإمام عليه السلام وفسل الكثير منهم، وعليّ عليه السلام يبيّن لهم أنّها فتنة بقوله: «أنا القرآن الناطق»<sup>(٢)</sup>. كذلك في معركة الجمل، حينما كان كلّ أصحابه يرى تحقّق النصر لأمير المؤمنين عليه السلام على أصحاب الجمل، يعود أمير المؤمنين عليّ عليه السلام ليشير إلى فتح أعظم من النصر الظاهري بقوله: «أنا فقأت عين الفتنة، لم يكن ليفقأها أحد

(١) الصفّار، محمد بن الحسن، بصائر الدرجات: ص ٣٣٠.

(٢) القندوزي، سليمان بن إبراهيم، يبايع المودة: ص ٢١٤.

غيري، ولو لم أكن فيكم ما قوتل أهل الجمل ولا أهل الشام ولا أهل النهروان، وأيم الله، لولا أن تتكلموا فتدعوا العمل لأخبرتكم بما سبق على لسان نبيكم ﷺ...»<sup>(١)</sup>، فإن البصيرة المعرفية من متشابه المفاهيم الدينية، كموقعية أزواج النبي ﷺ، وموقعية صحابته، وموقعية المصحف، وموقعية الراية والشعار بكلمة حقّ توظف لغاية باطلة أعظم من النصر العسكري، فقتال أمير المؤمنين عليّ عليه السلام كان لرفع الفتنة، والفتنة كما يصفها القرآن: ﴿وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ﴾<sup>(٢)</sup>.

وهو عليه السلام يُقاتل لما هو أعظم من القتال، فأمر المؤمنين عليّ عليه السلام لا يقاتل لأجل وجود المحكم والمتشابه في القرآن، بل لأجل إرجاع المتشابه إلى المحكم، وهذه مهمة أعظم وأكبر من إقرار وتثبيت وجود نفس المحكم والمتشابه، وهي المهمة التي جاءت في التنزيل على يد رسول الله ﷺ.

(١) القاضي المغربي، النعمان بن محمد، شرح الأخبار: ج ٢، ص ٣٩. الثقفى، إبراهيم بن

محمد، الغارات: ج ٢، ص ٦٧٦.

(٢) البقرة: آية ١٩١.

## جدلية العلاقة بين البراغماتية والمبدئية

### جدلية الثابت والمتغير

### تغيير الواقع بين الإفراط والتفريط

### جدلية حفظ النظام الثابت والإصلاح المتغير

### المنافرة بين الواقعية الراهنة والقيم الشعارية

البراغماتية من المذاهب السياسية التي بُنيت على أساس النفعية والمصلحة، وبشكل إجمالي: البراغماتي هو الفرد الذي يعيش الحاضر بلا نظر إلى الماضي ولا اهتمام بالمستقبل، ليس لأنه عديم التنظيم (البرمجة)؛ بل لأنه يعيش الحاضر على أساس فلسفة (محاكاة معطيات الواقع الخارجي الحاضر وما يجلب له من منافع).

فالإنسان البراغماتي يعيش ليومه ويتفاعل مع معطيات أحداثه، أمّا التخطيط للمستقبل بواسطة قراءة الماضي، فهو شيء لا يأخذ مساحةً تُذكر في قاموسه الفكري؛ لذلك يُعبّر عن هذا النموذج أنه (لا يغرد خارج السرب)، أي: لا ينفرد بقرار يؤدي إلى إسقاط ما في يديه من مكاسب مادية (سياسية أو غيرها).

مقابل البراغماتي هناك المبدئي، يُقال: إن أمير المؤمنين علياً عليه السلام كان مبدئياً، أي: أنه يتحرك على أساس المبدأ، وليس على أساس معطيات الواقع الخارجي، (يُمنهج الواقع على أساس المبدأ) لا العكس؛ لأنَّ (الغاية لا تُبرر

الوسيلة)، بل الغاية تُمنهج الوسيلة، والوسيلة تنضبط بالغاية الحقّة والمبدأ الحقّ.

البعض لعلّه ينظر إلى الإمام الحسن عليه السلام بأنّه تحرّك في صلحه مع معاوية على أساس البراغماتية، وكان في مُنتهى الواقعية (البراغماتية) ولم يكن مثاليّاً، تطبيقاً - بحسب زعمهم - لأسس أساس مبادئ السياسة: (لا تُوجد عداوة دائمة، ولا صداقة دائمة، وإنما تُوجد مصلحة دائمة).

### الثابت النظامي والمتغير الإصلاحي

ولكن هذا الكلام غير صحيح؛ لأنّ الإمام (مبدئي) كأبيه أمير المؤمنين عليّ عليه السلام؛ لأنّ الأئمة كلّهم نور واحد بلا اختلاف بينهم في المنهج. نعم، الحسن عليه السلام تحرّك على أساس (المبدئية والواقعية)، مزجاً بين الواقعية التي تتحرّك على أساس النفع، والمبدئية التي تسير وفق ثوابت الدّين، بابتكار سلوكي لم يسبقه أحد من الأنبياء والأولياء، نستطيع أن نسميه - كاصطلاح بين المبدئية والنفعية - (المبدئية النفعية)، وهي علاقة متوازنة بين النفع التفويضي والجبرية المبدئية (لا جبر ولا تفويض ولكن أمر بين أمرين)؛ وبالتالي يكون الإمام الحسن عليه السلام قد وقّق بين النزعتين، أي: إنّه لم يخسر أيّ ورقة إيجابية في هذا الطرف مع تفادي الطعون على الطرف المُقابل.

فالبراغماتي يطالب بالانعطاف مع الواقع - مرونة التعاطي - لكن منهج الإمام الحسن عليه السلام يقول: نعم، أنعطف مع الواقع مع عدم التفريط بأيّ مبدأ من المبادئ، وعدم خسران أيّ ورقة من الأوراق، حيثُ يمكن استثمار بدائل آلية للحفاظ على المبدأ.

والسنة التي سنّها الإمام الحسن عليه السلام لم يُبصرها حتى حواربي الإمام



الحسن عليه السلام فضلاً عن باقي المؤمنين، وهذه في الواقع محنة من أشد المحن التي لم يواجهها أحد قبله ولا بعده من المعصومين عليهم السلام، أو واجهوها ولكن بنسبة أقل، فالإمام أمير المؤمنين عليه السلام كانت محنته مع أهل الجمل وأهل النهروان وأهل صفين، وكلهم يُعتبرون من الأعداء.

أمّا محنة الإمام الحسن عليه السلام، فكانت مع المحبين والموالين، بل والحواريين، وهذه السنة كانت من رسول الله صلى الله عليه وآله حيثُ تمرد بعض الصحابة، كالثاني وغيره الذين سببوا تمرد الصحابة في صلح الحديبية، ولكن لم تتبلور ولم تتضح سنة رسول الله صلى الله عليه وآله بشكل كامل، إلا على يد الإمام الحسن عليه السلام.

وهو عليه السلام كان ليئناً سهلاً سمحاً مع الأطراف المختلفة استوعب الجميع دون الاستجابة لهم، بل استوعب حتى الأعداء، وهذه الآلية صعبة على مستوى التنظير فضلاً عن التطبيق، فكيف يكون للإنسان حزم ويكون له في نفس الوقت لين «حزماً في لين»<sup>(١)</sup>، وهو خلط وقع فيه الكثير من المتدينين بين ما هو ثابت وبين آلية الثابت، فثبات المبدأ لا يعني (ثبات الآلية) للمبدأ.

### للبيت ربُّ يحميه

ومن الأمور التي لم تتبلور إلى الآن ولم يستطع هضمها الكثير من المتدينين، هي قصة عبد المطلب مع إبرهة، وبالأخص حينما قال عبد المطلب عليه السلام: «لست برَّب البيت الذي قصدت لهدمه، وأنا ربُّ سرحي الذي أخذه أصحابك، فجئتُ أسألك فيما أنا ربُّه، وللبيت ربُّ هو أمنع له من الخلق كلهم وأولى به منهم، فقال الملك: ردوا عليه سرحه. وانصرف عبد المطلب إلى مكة»<sup>(٢)</sup>.

(١) المعتزلي، ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة: ج ١٠، ص ١٥٠.

(٢) المفيد، محمد بن محمد، الأمالي: ص ٣١٣.

والرواية طويلة يرويها الإمام الصادق عليه السلام ويبيّن فيها بعض الصور التي تُشير إلى شجاعة عبد المطلب عليه السلام وبقائه في ميدان المعركة يدعو الله، وقد أرسل عبد الله ليصعد جبل أبي قُبَيْس، وحينما بشره عبد الله بالطير (الأبيل)، قَالَ عبد المطلب لقريش - قبل هجوم الطيور -: اذهبوا فخذوا غنائمكم. إشارة منه إلى يقينة بنصر الله لبيته المحرّم، وَهُوَ حينما قَالَ: «للبيت ربُّهُ هُوَ أَمْنَعُ لَهُ مِنْ الْخَلْقِ كُلِّهِمْ وَأَوْلَى بِهِ مِنْهُمْ»<sup>(١)</sup>، هي كلمة تحدّ وتهديد، وقوة وقُدرة في مناورة العدو للحصول على مكاسب أخرى مِنْ خلال المناورة في المسير والمسار، وفعلاً حصل على الإبل.

هَذَا فضلاً عَنْ تديره الخفي الذي أحكمه؛ حَيْثُ كَلَّمَ عبد المطلب فيل إبرهة ليشبهه عَنْ الهجوم على الكعبة واستجاب له حَيْثُ أوتى عبد المطلب - وَهُوَ وصي الأنبياء - منطق المخلوقات.

#### دروس في مناورة عبد المطلب عليه السلام

والمناورة التي حصلت إن إبرهة كَانَ يتوقّع أن يتكلّم سيد قريش - الفاضل الكريم - عَنْ بيت الله، وإذا به يتحدث عَنْ شيء آخر ألا وَهُوَ الإبل، وَهَذِهِ مناورة؛ لِأَنَّ العدو لَمْ يكن يتوقّعها، وكأنّه يقول لإبرهة: (إنَّ خسرانك محتوم لا ريب فيه؛ لِأَنَّكَ تقاتل ملك الملوك وربّ الأرباب الواحد القهار، وبالقطع واليقين أَنْتَ خاسر، فأنا أريد أن أتكلّم في شيء آخر وَهُوَ الإبل). والأمر بعينه في صلح الإمام الحسن عليه السلام مع معاوية، فَإِنَّ صياغة بنود الصلح كانت بشكل الذي يبقى على مفاصل القوّة والقُدرة للإمام عليه السلام وأهمّها: أن الحسين عليه السلام لا يُصالح، أي: يبقى كخط ساخن.

(١) المصدر نفسه. المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ١٥، ص ١٣١.

خارطة المسؤوليات في النشاط الوظيفي الديني والسياسي والاجتماعي ..... ٢١٩

والدرس المهم الذي نبع من صلح الإمام الحسن عليه السلام ومناورة جدّه عبد  
المطلب عليه السلام، أنّ الإنسان إذا كان في معركة ويتوقع الخسران من جهة فلا ينبغي  
أن يفرض في كلّ شيء، بل يتوخى من خلال محاورته ومناورته الإبقاء على بقية  
القدرات.

فإنّ خسران شيء لا يعني خسران كلّ شيء، وإنّ في باطن كلّ هزيمة  
نصر وإنّ مع العسر يسراً، فينبغي أن يتحسّس ويتحرّى ويطلع الإنسان على  
كلّ الجوانب والجهات الظاهرة والخفية، للحصول على أكثر وأكبر قدر من  
التائج والمكاسب وأنّ غلبة الخصم لا تعني إعطاء مفاتيح النصر ومصادر  
القوة إلى العدو؛ لأنّ يأسك من الحلول الغيبية يعني يأس من روح الله، ولا  
يأس من روح الله إلا القوم الكافرون.

## مناورة حُسينية في قوالب زينية

### مناورة ومران الخيارات والأساليب في النهضة الحسينية في موكب السبي...

تسالم أهل البحث والتحقيق أنّ رحلة السبي بعد معركة الطفّ دور تكميلي لتلك الملحمة العظيمة، بل إنّ الواقع يشهد بذلك، وأحد تفاسير قول الحسين عليه السلام: «إنّ الله قد شاء أن يراهن سبايا»<sup>(١)</sup>، هو ذلك، أي: شاء الله أن يجعل لزيب والسبايا دوراً تكميليّاً، أمّا عنصر المناورة فنبينه في نقاط:

١. ذكرنا سابقاً مناورة الإمام الحسن عليه السلام في صلحه مع معاوية، وذكرنا أنّ أحد أهم بنود الصلح - المناورة الحسنية - أنّ الحسين عليه السلام لا يبيع، أي: أن يبقى كخط ساخن، كذلك السبايا تبقى - مناورة - كخط إعلامي ساخن يقض مضاجع الظالمين.

٢. أول بنود المناورة الإعلامية الساخنة كانت مع أهل الكوفة، والأمر واضح في خطبة زين العابدين عليه السلام، وخطبتها عليه السلام، وكذلك خطبة أم كلثوم عليها السلام، فراجع<sup>(٢)</sup>.

٣. البند الثاني في مجلس عبيد الله بن زياد؛ حيث كان دور السجّاد عليه السلام واضحاً في مواجهة التضليل العقائدي والإعلامي الأموي، الذي كان يروج للعقيدة الجبرية، حيث قال ابن زياد للسجّاد عليه السلام: أليس قد قتل الله عليّاً؟

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٤٤، ص ٣٦٤.

(٢) أنظر: الطبرسي، أحمد بن علي، الاحتجاج: ج ٢، ص ٣١٤-٣١٧.

خارطة المسؤليات في النشاط الوظيفي الديني والسياسي والاجتماعي ..... ٢٢١

إشارة إلى العقيدة الجبرية، فقال عليه السلام: «كان لي أخ يُسمى علياً قتلته الناس»<sup>(١)</sup>، فأراد اللعين قتل السجّاد عليه السلام، فتعلقت به العقيلة وأنقذته عليه السلام.

٣. زينب عليها السلام بدأت بالهجوم على ابن زياد بشجاعة لا متناهية أرعبت وأربكت الطاغوت المتجبر، لكنها تُبدي استعطافاً فدوياً - مناورة - فتلقى بنفسها على زين العباد فتخلصه من القتل، ولولا ذلك لُقتل عليه السلام، فمن رأى هجومها - الحسيني - الكلامي والإعلامي لا يتوقع تلك المناورة - الحسينية - بإلقاء نفسها على الإمام عليه السلام لإنقاذه.

٤. كانت بين الإمام السجّاد عليه السلام وعمته عليها السلام تناغم وانسجام واضح في الأدوار، فبينما هي تلقي بنفسها وتعتنق الإمام عليه السلام - بمناورة استشهادية حُسينية - قائلة: حسبك من دمائنا... فإن قتلته فاقتلني معه، يبدي الإمام عليه السلام شجاعة مطلقة برفض الانكسار والاستعطاف والاسترحام التي ارتسمت في حيا ابن زياد ومجلسه، بقوله عليه السلام: أقبالقتل تُهددني<sup>(٢)</sup>.

٥. عندما بدأ الطاغية - ابن زياد - بالتهجم على أهل البيت عليهم السلام وردته عليها السلام ثم تصاعد غضبه، قالت عليها السلام: لعمرى، لقد قتلت كهلي... فإن كان هذا شفاك فلقد اشتفيت... كذلك مع يزيد - حين تصاعد غضبه - حيث قالت له: يا يزيد، أنت أمير تشتم ظالماً وتقهّر بسلطانك. فكأنه استحيى<sup>(٣)</sup>، وهذا أصل وقاعدة عظيمة في أسلوب المناورة تُعلّمه لنا زينب، وهي الشد والإرخاء في منزلة العدو، فأما الشد فلاضعافه، وأما الإرخاء فلاإطفاء شعلة نيرانه، كما

(١) المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد: ج ٢، ص ١١٦.

(٢) أنظر: الأصفهاني، أبو الفرج، مقاتل الطالبين: ص ٢١.

(٣) الطبرسي، أحمد بن علي، الاحتجاج: ج ٢، ص ٣٨.

هو حال المعارك الميدانية كَرَّ وفرَّ، بل إنَّ ما فعلته عليه السلام - هنا- هو صورة وأنموذج مصغَّر من حقيقة مناورة صلح الإمام الحسن عليه السلام.

٦. في الشام - في مجلس الطاغية يزيد- نشاهد زينب الكبرى تبدأ المهجوم كما فعلت في الكوفة، حيث قالت: «...ثمَّ كد كيدك، واجهد جهدك، فوالله الذي شَرَّفنا بالوحي والكتاب والنبوة والانتخاب، لا تُدرك أمدنا، ولا تبلغ غايتنا ولا تمحو ذكرنا...»<sup>(١)</sup>.

وهي بذلك تُذكِّرنا بمناورة جدِّها - الوصي - عبد المطلب عليه السلام، حين خاطب طاغية زمانه - إبرهة - بقوله: «للبيت ربُّ هو أَمْنَع له من الخلق كلِّهم وأولى به منهم...»<sup>(٢)</sup>، فكلا القولين تحدُّ - بل وتهديد - مبطن مفاده: أيها الطاغية، اصنع ما شئت فتنتجتك في العاجل أو الآجل إلى خسران وزوال.

٧. حينما أراد ذلك الشامي أن يأخذ فاطمة بنت الحسين عليها السلام، كجارية قالت له العقيلة: كذبت ولؤمت، والله، ما ذاك لك ولا له. فغضب يزيد، ثمَّ قال: إنَّ ذلك لي، ولو شئت أن أفعل لفعلت. قالت زينب عليها السلام: كلا، والله، ما جعل الله ذلك لك إلا أن تخرج من ملتنا وتدين بغير ديننا.

فهل يتصور عاقل أنه اعترف بتدوين يزيد - من قبلها عليها السلام - الذي أخرجته قبل قليل منه؟! بل هو إحراج له بأن الانفلات من يزيد فاضح له وكاشف عن خروجه من الدين! كلا، بل هي مناورة عجيبة وصعبة.

٨. حين يتخذ الإمام الأسلوب الساخن نرى زينب الكبرى عليها السلام تتخذ الأسلوب الجدلي البارد بتناغم ونسق عجيب، فحين تتكلَّم يسكت الإمام،

(١) المصدر نفسه: ج ٢، ص ٣٧.

(٢) المفيد، محمد بن محمد، الأمالي: ص ٣١٣.

خارطة المسؤوليات في النشاط الوظيفي الديني والسياسي والاجتماعي ..... ٢٢٣  
وحيثما كانت تخفض يرفع - وهو نوع إقرار وحجية لها عَلَيْهَا - والعكس أيضاً،  
وهذا يظهر بوضوح التقدير الإلهي وبصمة السماء بتدبير الحسين عَلَيْهِ، بإبقاء  
السجاد وزينب عَلَيْهِمَا كخطوط ساخنة باردة.

### همزة الوصل

هناك همزة وصل ثابتة ومُتحرّكة بين المنهج البراغماتي والمنهج المثالي، مِنْ  
دون أن تكون هناك ازدواجية في البين.

الوسطية في المسير والمسار بواسطة المناورات التي تحافظ على الثابت  
التوليقي، الذي يوازن بين النهج التقليدي والنهج الحديث العصري، وبعبارة  
أخرى: هُوَ استخراج للثابت في النهج التقليدي عَنِ القشور القديمة  
وتلبيه آليات عصريّة.

### هَلْ الوسيلة ثابتة أم مُتغيّرة

مِنْ الأمور التي ظَلَّتْ معشعشة في الأذهان فترات طويلة، ولم تكن في  
سياسات الدول القديمة والحديثة، ولم يمارسها المصلحون وحتّى الأنبياء  
والمُرسلون، هُوَ كَيْفِيَّةُ الموازنة بين الثابت والمُتحرّك - بين الآلية المُتغيّرة  
(المُتحرّكة) وبين اللبّ الثابت - فَكَانَ النَّاسُ بين الإفراط في التغيّر بإيصاله  
لللبّ الثابت وبين التفريط وتضييع الأمور بحجّة الثبات، فيصاعدون بالثبات  
إلى الآلية؛ فيسبّب عدم مرونة في الآلية، ويسبّب خسائر كبرى ويضيق  
مكاسب عظيمة على الأمة، فمثلاً - على المستوى السياسي - نجد بعض  
السياسيين في جلسة تفاوضية يُخسِرُ الأمة مكاسب مُمكنة سهلة التحصيل مِنْ  
خلال عدم استخدامه للعبارات الصحيحة المناسبة التي تجلب أكبر المكاسب،  
أو مِنْ خلال عدم موازنته بين الأهم والمهم - فمثلاً - لو جلس مَعَ خصمه

للتفاوض على أمرين لأجل الحصول على أمر واحد، فالواجب أن ينظر بدقة أيهما أهم حتى يقدمه، بل قد يكون هذا الأمر لأهميته يستدعي التنازل عن مكسبين دونه في الأهمية، فيجب أن يتنازل من أجل الهدف الأكبر، وهذا ما فعله الخضر عليه السلام في رحلته مع موسى عليه السلام.

وحتى أن موسى عليه السلام لم يتبين غاية مقصده البعيد؛ لذلك انتقد فعله الظاهري وانتقد الغاية البدوية، حيث قال: ﴿أَخْرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا﴾<sup>(١)</sup>.

والخضر في تعليقه بعد ذلك لم ينكر أنه خرقها؛ لأنه خرقها لهدف أكبر ومصصلحة كبرى بالموازنة بين الأهم المهم، وهذه سياسة أعمق من السياسة الظاهرية المقطعية، وهي (سياسة الموازنة بين الأهم والمهم وتقديم الأهم)، ولعله اشتبه الحال لدى كثيرين بين هذه القاعدة وقاعدة سياسة (دفع الأفسد بالفساد)، باعتبار أن الأفسد أشد ضرراً من الفاسد، ولكن قد أوضحنا تباين وتغاير القاعدتين وصحة الأولى وتخطئة الثانية<sup>(٢)</sup>، بل إنه في جوابه لموسى عليه السلام بين جلياً تلك المصلحة الأكبر: ﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾<sup>(٣)</sup>.

فالخضر عليه السلام حتى من خلال الجواب قال: (أردت أن أعيبها). ولم يقل: (خرقتها). بل استخدم عبارة أرفق، ولا تجعله في معرض التهمة، وهذه سياسة أخرى غير سياسة دفع (الأفسد بالفساد).

(١) الكهف: آية ٧١.

(٢) أنظر: السند، محمد، أسس النظام السياسي عند الإمامية: ج ١، ص ٢٨٧.

(٣) الكهف: آية ٧٩.



## تصريف الكلام

تصريف الكلام فنٌ وسياسةٌ أخرى وقاعدةٌ أخرى ضمن سياسة المناورة في المسير والمسار.

## وينتصر عليٌّ عليه السلام

وَمَنْ تَمَّ انبثق في العلوم المعاصرة استراتيجية المناورة، علم (التفاوض والمفاوضات)، وقد ذُكر للتفاوض عناصر ودعائم عند أمير المؤمنين عليه السلام رغم أنه مشهور بالمبدئية، إلا أن الكثير لم يكتشف جانب المرونة والبعد المروني في شخصية وأساليب أمير المؤمنين عليه السلام، إلا أن بعض الباحثين تحرى اكتشاف ذلك - في منهاج المولى أمير المؤمنين عليه السلام - وقارنه بمنهاج وعناصر التفاوض المطروحة في النظريات الغربية، فأجرى دراسة مقارنة بين السلوك التفاوضي الغربي والسلوك التفاوضي العلوي الإسلامي، فهناك عناصر مشتركة للتفاوض من المصلحة والعلاقات والبدائل والاتصال والخيارات والشريعة والالتزام، ورأى ذلك الباحث أن هناك عناصر أخرى لم يكشفها علم التفاوض الحديث رغم أن الإمام عليه السلام مارسها قبل أربعة عشر قرناً، وهي: العلم والمعرفة، والقيادة والمسؤولية، والمتغيرات والصبر والثبات والعدل.

وَمِنْ الموارد (المناورية) التي اكتشفها هذا الباحث عند رسول الله صلى الله عليه وآله هي في صلح الحديبية وعند فتح مكة، ورسائل الرسول صلى الله عليه وآله إلى الملوك والأطراف الأخرى، وموقف أمير المؤمنين عليه السلام من قتل عثمان، وموقفه في واقعة الجمل، وموقفه من التحكيم ونتائجه، وموقفه التفاوضي قبل واقعة الجمل.

## متانة الدين وسماحة الشريعة

في حين يقول رسول الله ﷺ: «إِنَّ هَذَا الدِّينَ مَتِينٌ فَأَوْغَلُوا فِيهِ بَرْقِقًا»<sup>(١)</sup>،  
ويقول أيضاً: «بُعِثْتُ بِالْحَنْفِيَّةِ السَّمْحَةِ السَّهْلَةِ الْبِيضَاءِ»<sup>(٢)</sup>.

فالدين وسيع ومتين، والشريعة سمحة سهلة لينّة، وهي من الدين،  
وهذا من أصعب الصعاب الذي حارت فيه الأبواب؛ فإنّ التوفيق بين ما هو  
ثابت ومتين وبين ما هو سهل لين هين غير ممكن في نظر المتديّنين، ولكن  
المعصوم عليه السلام لديه القدرة في الجمع بين الأمرين، وهاتين الكلمتان - الحديثان -  
من رسول الله ﷺ من جوامع الكلم، ومن القواعد الأساسية التي بنى عليها  
أهل العلم الكثير من المسائل، وإن كان تطبيقها صعباً عليهم.

وهذا منطبق على ما نريده، فإنّ الآلية يجب أن تكون سهلة سمحة  
فالمؤمن ينبغي أن ينتقي الآلية النافعة السهلة ما دامت الآليات المباحة كثيرة،  
وهذه الاستراتيجية في الآلية يوضحها النبي ﷺ في حديث آخر حيث  
يقول ﷺ: «إِنَّ الرِّفْقَ لَمْ يَوْضِعْ عَلَى شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ وَمَا نُزِعَ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ»<sup>(٣)</sup>.

فالليونة والسهولة في الآلية تعني التغيير، وتغيّر الآلية لا يعني تغيّر  
الدين الثابت، ولكن آلية الوصول إليه متغيّرة في رحاب الأفق الواسع من  
طبيعة البيئات المخلوقة له تعالى.

(١) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ٢، ص ٨٦.

(٢) الطوسي، محمد بن الحسن، الأمالي: ص ٥٢٨ باختلاف يسير. المجلسي، محمد باقر،  
بحار الأنوار: ج ٣٠، ص ٥٤٨.

(٣) البيهقي، أحمد بن الحسين، شعب الإيمان: ج ٥، ص ٣٤٨.

## الصلح خير

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ﴾<sup>(١)</sup>.

هناك قاعدة يبنى عليها الفقهاء، وهي أن (الصلح أعظم من القضاء) - أي: الصلح بحق وليس بباطل - باعتبار أن القضاء يكون فيه طرف خاسر وطرف رابح، وطرف أمر وطرف مأمور، وكأنَّ هناك نوع من القهر والإجاء للطرف الآخر، كذلك الحال بالنسبة للحرب، فإنَّ الصلح أفضل من الحرب؛ لأنَّ الغاية من الحرب - حسب الفرض - هو تحقيق العدالة، فإذا تحققت العدالة بلا حرب فهو تحقيق للغاية بوسيلة أخرى تُقلل فيها الخسائر بطريق آخر سلمي وأمني.

وهذا واضح في نهج رسول الله ﷺ وأهل بيته عليهم السلام في كل حروبهم وهو قولهم: «أكره أن أبدأهم بقتال»<sup>(٢)</sup>، أي: إنَّ النبي ﷺ وأئمة أهل البيت يفضلون الوصول إلى النتائج بالتفاوض على أسلوب الحرب.

وبالتالي؛ هو جذب الطرف المقابل للحق، فأنت تُخادع غدره وتُغالب نزعة القدر عنده؛ ولذلك كانَّ قوله ﷺ: «الحرب خُدعة»<sup>(٣)</sup>، إشارة إلى أنَّ طرف الحق يُصارع ويُنازع نزعة الباطل عند الطرف المقابل ويجذب نزعة

(١) النساء: آية ١٢٨.

(٢) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٤٥، ص ٥.

(٣) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ٧، ص ٤٦٠.

الحق، ويُحرِّك نزع الحقِّ عنده، فَهُوَ يُجَادِع خداعه وباطله، فالحرب خُدعة بهذا اللحاظ، كَمَا فِي الْحَدِيثِ عَنْ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «الوفاء لأهل الغدر غدر عند الله، والغدر بأهل الغدر وفاء عند الله»<sup>(١)</sup>.

فالآلية النظيفة غير نافعة إذا لم توضع في محلها الصحيح، فمثلاً: عندما تُريد أن تبني بيتاً فلا بدَّ من الشخص النزيه النظيف الناصح الذي لا يغشك في البناء، كذلك لا بدَّ أن تتوخى المهندس الخبير الذي يضع كُلاًّ شيء في موضعه ويزن كُلاًّ شيء بميزانه الخاص.

### تعدد الخيارات

#### تعدد السيناريو

تبيّن من خلال ما رسمه لنا أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وخصوصاً الإمام الحسن عَلَيْهِ السَّلَامُ - وكُلاًّ شيء من الحسن حسن - أنه ينبغي بالفرد في سلوكه الاجتماعي أن يتوخى الطُّرق والمسارات المختلفة للوصول إلى أهدافه الحقّة، وأن لا يُحصِر ولا يُجَبَس بطريقة وأسلوب واحد دون غيره - بشرط المحافظة على صحّة المسير والمسار - فإنَّ الطُّرق والمسارات المباحة للوصول للغاية الحقّة عديدة، في أفق لا مُتناهي فلا تجبسه طريقة دون أخرى.

---

(١) خطب أمير المؤمنين عليّ عَلَيْهِ السَّلَامُ، نهج البلاغة: ج ٤، ص ٥٧.

## تصريف الكلام

تصريف الكلام فنٌ وسياسةٌ أخرى وقاعدةٌ أخرى ضمن سياسة المناورة في المسير والمسار.

### تغيير اللفظ لا يعني تبدل المعنى

وهذه القاعدة يُبينها الإمام الصادق عليه السلام، فعن إبراهيم الكرخي عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: «حديث تدرّبه خير من ألف حديث ترويه، ولا يكون الرَّجُل منكم فقيهاً حتّى يعرف معاريض كلامنا، وأنّ الكلمة من كلامنا لتصرف على سبعين وجهاً لنا من جميعها المخرج»<sup>(١)</sup>.

بل إنّ الإمام عليه السلام يوسّع القاعدة، فعن داود بن فرقد قال سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «أنتم أفقه النَّاس إذا عرفتم معاني كلامنا، إنّ الكلمة لتصرف على وجوه، فلو شاء إنسان لصرف كلامه كيف شاء ولا يكذب»<sup>(٢)</sup>، فهنا إشارة من قبل الإمام الصادق عليه السلام إلى أنّ قاعدة (تصريف الكلام) قاعدة واسعة، يمكن للإنسان استخدامها في حياته، وإدارة شؤونه الحياتية دون كذب أو غشٍّ أو جدل، ويمكن لهذه القاعدة أن تُعيّر مجاري الأمور. ولعلّ هذه القاعدة نستشعرها من جواب الخضر عليه السلام الذي استخدم

(١) الصدوق، محمد بن علي، معاني الأخبار: ص ٢. عنه المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٢، ص ١٨٤، ح ٥.

(٢) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٢، ص ١٨٤، ح ٣.

ذلك، لِيُعَيَّرَ ما تصوّره موسى عليه السلام، حَيْثُ قَالَ: «فَأُرِدْتُ أَنْ أَعْيِيهَا». أي: إني لم أخرجها لأغرِق أهلها، بل مُجَرَّدُ إِعَابَةٍ؛ حَتَّى لَا يَأْخُذَهَا الْمَلِكُ. وهذه القاعدة باب واسع للإنسان يفتح له طريقاً في كُلِّ حياته وتعاملاته في أُسْرَتِهِ، ولعلّه ينقدح في ذهن الإنسان: ما هُوَ فرق هَذَا عَنِ الْكُذْبِ؟ وما هُوَ فرق ذَلِكَ عَمَّا كَانَ يمارسه اليهود مِنْ التحريف الذي أبطله الله في كتابه الكريم؟ قَالَ تعالى: ﴿مَنْ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾<sup>(١)</sup>.

والجواب: إِنَّ هَذِهِ الْآيَةَ - وآيات أُخْرَى قَرِيبَةَ الْمَضْمُونِ مِنْهَا - تُشِيرُ إِلَى أَنَّ التَّحْرِيفَ كَانَ عَنِ الْمَوَاضِعِ بَعْدَ الْمَوَاضِعِ، وَهَذِهِ مَا تَوَضَّحَ الْآيَةَ الْأُخْرَى، قَالَ تعالى: ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾<sup>(٢)</sup>، حَيْثُ لَا تَصْدُقُ تِلْكَ الْكَلِمَةُ إِلَّا فِي الْمَوْضِعِ الْمُنَاسِبِ، وَهُوَ التَّحْرِيفُ الْبَاطِلُ الَّذِي لَا يَسْتَنْدُ إِلَى مِيزَانِ إِرْجَاعِ الْمُتَشَابِهِ إِلَى الْمُحَكَّمِ، بَلْ بِمِيزَانِ اتِّبَاعِ الْمُتَشَابِهِ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ، وَنَفْسِ الضَّابِطَةِ وَالْمِيزَانِ يَكُونُ الْحَالُ فِي التَّوْرِيَةِ، وَلَيْسَ هَذَا مَحَلَّ تَفْصِيلِهِ.

فإِذَا؛ تَصْرِيفُ الْكَلَامِ بِمَوَازِينِ وَضَوَابِطِ هُوَ مُرَادُ الْإِمَامِ عليه السلام، وَلَيْسَ الْأَمْرُ انْفِلَاتِيًّا، وَهَذَا الْأَمْرُ وَاضِحٌ وَمَعْمُولٌ بِهِ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْعُلُومِ الْأَدْبِيَةِ، بَلْ إِنَّ الْعُلُومَ تَعْتَبِرُ قَاعِدَةَ تَصْرِيفِ الْكَلَامِ مِنَ الْقَفْزَاتِ النَّوْعِيَّةِ فِي الْعُلُومِ الْأَدْبِيَةِ وَالْقَانُونِيَّةِ<sup>(٣)</sup>.

وَهَذَا مِنَ الْمَوَازِينِ الصَّحِيحَةِ الَّتِي اسْتُخْدِمَتْهَا الْأُمَّةُ وَبِالْأَخْصِ الْإِمَامِ

(١) النساء: آية ٤٦.

(٢) المائدة: آية ٤١.

(٣) لا زالت البشرية في المستوى الابتدائي من هذا العلم الذي كشفه الإمام عليه السلام قبل أربعة عشر قرناً.

الحسن عليه السلام في صلحه مع معاوية، واستشهد لمن اعترض عليه لذلك بفعل الخضر مع موسى عليه السلام، قال عليه السلام: «أما علمتم أن الخضر لما خرقت السفينة، وأقام الجدار، وقتل الغلام كان ذلك سخطاً لموسى بن عمران عليه السلام؛ إذ خفي عليه وجه الحكمة في ذلك، وكان ذلك عند الله تعالى ذكره حكمة وصواباً»<sup>(١)</sup>.

وكان الإمام عليه السلام يشير إلى أنه بالنظر الأولي والرؤية الساذجة هناك خرقت من قبل الإمام الحسن عليه السلام لسفينة الشيعة في البحر الهائج المتلاطم الأمواج بواسطة الصلح، ولكن بالنظر العميق أن هذا الخرق حتى لا تستأصل الشيعة وتؤخذ سفينتهم غصباً، بل إن الصلح بناء لجدار عازل لأهل الحق عن أهل الباطل، وهو في نفس الوقت قتل للفتنة في مهدها ومرحلتها الغلامية، فأنتم في ضجر وسخط لخفاء وجه الحكمة، ولكن عمّا قريب ستنبأون بوجه الحكمة.

---

(١) الطبرسي، أحمد بن علي، الاحتجاج: ج ٢، ص ١٠.

### الغاية لا تبرر الوسيلة

من القواعد السياسيّة - القديمة والحديثة - قاعدة: (الغاية تُبرر الوسيلة) ومفادها:

(إنّه إذا كانت لك غاية - كتحصيل بعض المكاسب السياسيّة - فينبغي أن تسخر كلّ الوسائل المشروعة وغير المشروعة؛ لأجل الحصول على تلك الغاية وذلك المكسب)، فيمكن للإنسان أن يُبرّر وسيلته فيقتل ويفجر ويظلم ويطعن، أو حتّى يقتل سيّد شباب أهل الجنّة، بحجّة أنّه شقّ عصا المسلمين أو بحجّة حفظ النظام وغيرها. هكذا فُسرّت، ولكن هذا لا يمكن قبوله لأنّها غايات بدوّاً صحيحة، ولكن مع ذلك لا تُبرر وسائلها.

وفي مقابل هذا المسلك أطلق أمير المؤمنين عليه السلام كلمته: «ما معاوية بأدهى مني، ولكنّه يقتل ويفجر»<sup>(١)</sup>.

أي: أنّ معاوية لا يفوقني في السياسة، ولكنّه يفتك ويفجر، أي: لا حرمة للمبادئ عند معاوية في توحّي متغيّرات الآليات.

### الوسيلة لا تصحّ الغاية

بل نستطيع أن نُؤسس قاعدة مُعاكسة للقاعدة المشهورة، وهي أيضاً باطلة وهي: (الوسيلة تُبرر الغاية).

أي: إنّ الوسائل بلا أهداف وغايات مشروعة لا نفع فيها؛ لأنّها

---

(١) خطب أمير المؤمنين عليه السلام، نهج البلاغة: ج ٢، ص ١٨٠.



خارطة المسؤوليَّات في النشاط الوظيفيِّ الدينيِّ والسياسيِّ والاجتماعيِّ ..... ٢٣٣

(دجل) إذا لم توصلك لغاية صحيحة، كما هو في بعض الممارسات التي يتبعها أصحاب الرياضات الروحية، رغم أنَّها كوسائل لا إشكال فيها، ولعلَّه تكون أموراً مباحة لا حرمة فيها، أو أنَّها أمور تقوي النفس، فنقول: إنَّها وسائل لا يمكنها أن تبرر نتائجها وتصحح غاياتها.

ولذلك قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «قد يرى الحوَل القلْب وجه الحيلة ودونها مانع - من أمر الله ونهيه - فيدعها رأي العين بعد القدرة عليها، ويتهمز فرصتها من لا حريجة له في الدين»<sup>(١)</sup>، أي: هناك وسائل وطرق عديدة للوصول للنتيجة والاحتياال للوصول للهدف ولكنَّها وسائل وطرق غير مشروعة لا يمكن ارتكابها.

أي: لا بد من مراعاة الثوابت في حين توخي متغيِّرات الوسائل ومرونة الآليات.

وقول الإمام عليه السلام: (فيدعها رأي العين). لا يعني ذلك ترك كلِّ الوسائل، وترك الحبل على الغارب، كما لعلَّه يتصوّر البعض، بل يعني توخي آليات وطرق ووسائل - غير محظورة في أفق المباح الرحب - أسهل وأسمح، وهو معنى قول النبي صلى الله عليه وآله: «بُعِثْتُ بِالْحَنْفِيَّةِ السَّمْحَةِ السَّهْلَةِ الْبِيضَاءِ»<sup>(٢)</sup>.

وهناك أبحاث كثيرة تتفرّع من هذا البحث، وهناك أبحاث تفرّع منها هذا البحث نذكر منها بنحو الاختصار:

(١) المصدر السابق: ج ١، ص ٩٢.

(٢) الطوسي، محمد بن الحسن، الأمالي: ص ٥٢٨، باختلاف يسير. المجلسي، محمد باقر،

بحار الأنوار: ج ٣٠، ص ٥٤٨.

**المحجة الصحيحة مراتب**

تقدّم أنّ الغاية لا تُبرّر الوسيلة، وأنّ الوسيلة لا تصحّح غايتها، وهذا الكلام يختلف عن كون الحقيقة الواحدة ذات مراتب، وإنّ الوسائل إليها عديدة، فالمحجة لها مراتب ودرجات، وللحقّ والحقيقة مراتب، والوسائل والطُّرق للمراتب متعدّدة، فالصراط واحد، ولكن له - مثلاً - خمسين ألف موقف، فالسُّبل متعدّدة للصراط الواحد، ولكن هذا لا يعني (أنّ الطُّرق إلى الله بعدد أنفاس الخلائق)، و(أنّ هناك صراطات مستقيمة)، كما لعله يصوّر لنا الحداثيون أو الصوفيّة أو بعض العرفاء، بل هو صراط مُستقيم واحد، نصل إليه عبر قنوات متعدّدة، فهو جبل ممدود: طرف منه عند النّاس، وطرف منه عند الله، وهذا ما يصفه لنا الحديث النبويّ المتواتر، عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «إني تارك فيكم الثقلين - أحدهما أكبر من الآخر - : كتاب الله جبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، وإتّهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض»<sup>(١)</sup>.

---

(١) الطوسي، محمد بن الحسن، الخلاف: ج ١، ص ٢٧.

## للوفاء مَواطن

- قال أمير المؤمنين عليه السلام: «الوفاء لأهل الغدر غدر عند الله، والغدر بأهل الغدر وفاء عند الله»<sup>(١)</sup>.

وهذا البيان العلوي المحكم إشارة إلى أن الالتزام مع الفاتك والهاتك للحرمان شراكة معه في إفساده في الأرض، بل اللازم المناورة للتخلص من خداعه ودجله وألعيه، وهذه الوصية أصل كبير في التعاطي مع تحايل العدو ومراوغته.

١. هذه القاعدة العظيمة هي قاعدة في خصوص التعامل مع العدو، وهي قاعدة مهمة وضرورية ومكملة لمسيرة إعداد القوّة والرعاية اللتين تقدمتا.

٢. كما يجب أن يكون المؤمنون في إعداد للقوّة واستعداد كامل لصد أيّ عدوان، ومواجهة أيّ قوّة عسكريّة متوقعة أو غير متوقعة للعدو.

٣. كما يجب أن يكونوا في رعاية كاملة لبعضهم البعض وفي تحمّل المسؤولية، يجب أيضاً أن لا يُخدعوا وأن يتبهاوا تحسباً لأيّ غدر طارئ من العدو، وأنّ الصلح مع العدو - إن وجد - فهو لا يعني ترك المسؤوليات وترك الترقّب والحذر، وأنّ شعارات السلم التي يطلقها العدو يجب أن تواجه

---

(١) خطب أمير المؤمنين عليه السلام، نهج البلاغة: ج ٤، ص ٥٧. المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٧٢، ص ٩٧.

بحذر وحيطة؛ لأنّ الحرب خدعة.

٤. إنّ التخلّص من خداع العدو إذا لم يكن بقوة رادعة، فينبغي أن يكون بقوة المناورة والخداع لخداعهم، فيجب أن نلتزم بما يسهّل ويمهّد الطرف لغدرهم، ونخطّط لتفويت الفرصة عن تمكّنه لتمرير خداعه ودجله، أو نُبطل تحايله وحيله بكشف القناع عنها وبمبادرات مباغته له.

٥. إنّ غدر العدو إذا قوبل بسلميّة وبوداعة وحُسن ظنّ فهو غدر عند الله، فيصبح المؤمن - المغدور - غادراً عند الله؛ لأنّه أحسن الظنّ بأهل الغدر. نعم، نحن لا نبدأ العدو بالغدر، لكن نُخطّط لمواجهة غدره من حيث هو غادر وقد ظهرت منه بوادر الغدر، فتكون هذه الوصية أصلاً عظيماً في التعاطي مع تحايل العدو وخدعه ومرأوغته.

### هل الحقيقة مطلقة أم نسبية؟

من الأبحاث التي كانت مثار جدل بين أرباب العلوم المختلفة كالفلسفة والمناطقة وغيرهما قديماً وحديثاً، هو (هل أن الحقيقة مطلقة أم نسبية)، وهذه الجدلية أخذت أشكالاً وأزياءً مختلفة في المدارس الفلسفية والسفسطية القديمة والحديثة، ومنها ما يُعرف اليوم بالحدائث، فأين النسبية؟ وأين يكون الإطلاق؟ فنقول:

إن الحقيقة نسبية وليست بنحو النسبية التشكيكية، وهذا مذكور في لسان الوحي، قال تعالى: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾<sup>(١)</sup>، كذلك في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾<sup>(٢)</sup>.

فإذا؛ هناك عليم وهناك من هو أعلم من العليم، وهناك قول صادق وقول أصدق، وهناك حق وأحق، فإن الحقيقة لا متناهية، قال تعالى: ﴿لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لَكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفَذَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي﴾<sup>(٣)</sup>.

والقرآن يأمر الإنسان أن يطلب زيادة العلم، قال تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾<sup>(٤)</sup> أي: أطلب زيادة العلم والكمال؛ لأن درجاتها لا متناهية، لأن الحقيقة لا متناهية.

(١) يوسف: آية ٧٦.

(٢) النساء: آية ١٢٢.

(٣) الكهف: آية ١٠٩.

(٤) طه: آية ١١٤.

فإذا؛ الحقيقة نسبيّة، بمعنى ذات مراتب لا متناهية، وليست نسبية  
سفسطيّة، أي: يختلط السراب مع الحقيقة، ولكن هذه النسبية في نفس  
الحقيقة وليست في الحقّ المختلط بالباطل والوهم والسراب؛ لأنّ هذا يؤدّي  
إلى أنّ أيّ شيء يساوي أيّ شيء آخر، ولا يصبح فرق بين علمي وعلم أعلم  
العلماء، بل لا يبقى فرق بين علمي وعلم المعصوم؛ وبالتالي يصبح خلط  
للأوراق.

## القاعدة السابعة

### ضرورة توازن القوى مع العدو

في وسط مواجهة سيّد الشهداء عليه السلام مع المارد الأموي في الطفّ، أراد أحد الأنصار وعظ العدو فأجابه عليه السلام - بما مضمونه -:

إنّ المرحلة التي وصل لها العدو في عتّوه وطغيانه ليست ممّا يعالج بوعظ ونصح، بل بتجاذب القوّة معه ومناورة الشدّة، وهذا أصل هامّ في تشخيص لغة المرحلة ونمط المكافحة مع العدو، وتوضيح ذلك:

١. بعد مراحل إعداد القوّة، ومراحل الرعاية، وتحمّل المسؤولية، ومراحل التعامل مع العدو في غدره بالمناورة للتخلّص من الأعباء وخدعه وعدم الانخداع بخدعه، وعدم التصديق بكلامه المزيف، وعدم الوفاء له.
٢. نصل لمرحلة لا ينفع فيها الاقتصار على الخداع أو المحاوره والمناورة حينما يصل إلى قمة العتّو والطغيان، فإنّ هذه المرحلة لا تُعالج بوعظ أو نُصح بعد تخطّي مرحلة «أكره أن أبدأهم بقتال»، والتي هي مرحلة نُصح ووعظ وإيجاد الحلول السلمية، يأتي دور تجاذب القوّة بالقوّة وآلية العسكرية.

بعد لغة الحوار تأتي لغة السيوف، كما يقول الشاعر أبو تمام:  
السيف أصدق إنباءً من الكتبِ      في حدّه الحدّ بين الجدّ واللعبِ

٣. من المهمّ أن يعي المؤمنون لغة المرحلة الراهنة المعاشة، وما هي اللغة التي يتخاطب فيها مع عدوه، فليس دائماً تُستخدم لغة الصلح الحسني، وليس

٢٤٠ ..... التوحيد في المشهد الحسيني

دائماً نستخدم المسير والمسار الحُسَينِي أو النهج العلوي، فمع أنّ كلّهم نور واحد مع ذلك اختلفت آلياتهم وأدوارهم في التعامل مع الأعداء؛ تبعاً لمتطلبات ظروف عصرهم.



## خاتمة نفيسة في تخدام العلوم

### نظرية ترابط وتعاون وتخدام العلوم

هذا العنوان له عدّة أسماء كثيرة - فقد يُعبّر عنها بالنظرية أو القاعدة-

منها:

- نظريّة أو قاعدة ترابط وتعاون وتخدام العلوم.

- نظريّة أو قاعدة ترابط وتعاطف العلوم.

- قاعدة تزواج وتوالد العلوم.

- قاعدة تلاقح العلوم.

- قاعدة تعاون القواعد.

- قاعدة تعاطف القواعد.

- قاعدة تلاقح القواعد.

- قاعدة تزواج القواعد.

- قاعدة تخدام القواعد.

من المعلوم أنّ علماء المنطق عبّروا عن المنطق أنّه خادم العلوم، وكذلك عبّر عن علم الأصول أنّه منطق علم الفقه، أي: إنّ خادم لعلم الفقه، وعبّرنا عنه - بحسب منهجنا- (منطق العلوم الدينيّة)؛ وبالتالي يكون خادم العلوم الدينيّة والآلة القانونيّة والميزان الذي توزن به كلّ العلوم الدينيّة، وكما أمكن القول: إنّ علم المنطق خادم العلوم، وإنّ علم الأصول خادم العلوم الدينيّة،

فأنه يمكن أن يُقال: إنَّ بين العلوم تخادماً، فإنَّ بعضها يُعطف على بعض، كما أنَّ بعضها يوزن ببعض، وبعضها يخدم بعضاً - وهذا ما تمت الإشارة إليه في كتابنا الإمامة الإلهية<sup>(١)</sup> - ويتجلَّى هذا الأمر أكثر في العلوم الدينية خاصّة. والأسماء العديدة لهذه النظرية لا تحكي كلَّ زوايا النظرية - القاعدة - بل إنَّ كلَّ عنوان يحكي زاوية معيّنة، وفي العنوان الرئيس عبّرنا بـ: (الترابط)؛ باعتبار أنَّ بين العلوم ارتباطاً وترابطاً، وعبّرنا بـ: (التخادُّم)؛ باعتبار أنَّ أحدها يخدم الآخر ويكون آلة للآخر، وعبّرنا بـ: (التعاون)؛ باعتبار أنَّ أحدها يُعين الآخر، وقد عبّر بـ: (التوالد)؛ باعتبار أنَّ أحدها يولِّد الآخر بعد التزاوج.

وقاعدة أو نظرية ترابط وتعاطف - أو تعاون أو تخادُّم - العلوم أو القواعد لها إشارات في الكتاب والسنة:

ففي الكتاب، قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾<sup>(٢)</sup>.

وقوله تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِي تَقْشَعْرُ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَىٰ اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾<sup>(٣)</sup>.

(١) أنظر: السند، محمّد، الإمامة الإلهية: ج ١، ص ٣٦.

(٢) آل عمران: آية ٧.

(٣) الزمر: آية ٢٣.

وأما في السنَّة، فقولُه ﷺ: «إني تارك فيكم الثقلين ما إن تمسكتم بهما لن تظلوا، كتاب الله وعترتي أهل بيتي»<sup>(١)</sup>، كذلك يظهر من نفس الحديث - ومن غيره- أن السنَّة (يعضد بعضها بعضاً ويُعطف بعضها على بعض).

وهذا يُنتج تخادم العلوم والقواعد الشريفة الصادرة عنهم ﷺ، ومنها القواعد التي قدمناها، فمثلاً: قاعدة (الإعداد) التي منها، قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾<sup>(٢)</sup>، مع قاعدة (الرعاية) التي هي من قول النبي ﷺ: «كلُّكم راعٍ وكلُّكم مسؤولٌ عن رعيته»<sup>(٣)</sup>، فبين القاعدتين تخادُم، رغم أن إحداهما من آية قرآنية والأخرى من حديث نبويٍّ؛ باعتبار أنَّهما وحي من الله، فهما قاعدتان وحيانيتان، بل من محكَّمات القواعد.

وكما أن القرآن يُعطف بعضه على بعض، وأيضاً السنَّة يُعطف بعضها على بعض، كذلك متشابهات العقل والوجدان تُعطف على محكَّماتهما، بل إنَّ محكَّمات - الأربعة - القرآن والسنَّة والوجدان والعقل يُعطف عليها متشابهات الأربعة.

فينتج بذلك تخادُم جميع القواعد الدينيَّة، بترابط منظومي نظامي متَّصل ومتواصل بين القواعد كحلقات في سلسلة وسلاسل وطبقات - بالنظم والنظام الذي قدَّمناه- والقاعدتان المتقدمتان - اللتان سقناهما كمثال- إحداهما أكبر من الأخرى من جهة، فقاعدة الرعاية تُمنهج وتُنطق قاعدة الإعداد من جهة أن الإعداد يحتاج إلى رعاية، فليس الإعداد كيفما اتفق،

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٢، ص ٢٨٥.

(٢) الأنفال: آية ٦٠.

(٣) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٧٢، ص ٣٨.

وليس هو بشكل عشوائي ينفرد وينفلت فيه الأمر.  
وكذلك (قاعدة) الإعداد تُمنهج الرعاية وتنضبط بها الرعاية؛ لأنَّ  
الإعداد بقدر الاستطاعة، والرعاية تطالب المُعدَّ والمُسْتَعِدَّ أن يكون استعداده  
بحسب منظومة الرعاية، فالكلُّ راعٍ للكلِّ - بحسب استطاعته لا بحسب  
راحته - قال ﷺ: «كلُّكم راعٍ وكلُّكم مسؤول عن رعيته».  
كذلك قاعدة التعريض مع قاعدة التقيَّة الأُميَّة؛ حيث بينهما عموم من  
وجه، فلعل تعريضاً ليس فيه تقيَّة، ولعل تقيَّةً ليست بتعريض، وقد يكون  
التعريض بسبب التقيَّة؛ فتُسَخَّر قاعدة التعريض لتُمنهج نظام التقيَّة من  
زاويتها ويُمنهج التعريض تقيَّة لتقنين مساراته، فإحداهما تخدم الأُخرى وتُعين  
الأُخرى.

وهذه النظرية - نظرية ترابط وتخاذم القواعد في نظام منظومي - التي  
انبثقت وتولدت من نظرية اتخاذم العلوم يمكن أن نطبقها في كلِّ القواعد التي  
قدمناها، بل يمكن لكلِّ باحث أن يطبقها في كلِّ قواعد العلوم الدينيَّة،  
ويستنتج منها قواعد أُخرى، يزوج أو يلاقح قاعدة مع قاعدة أُخرى فينتج  
قاعدة ثالثة، وهكذا.. تتوالد القواعد وتتوسع العلوم<sup>(١)</sup>.

---

(١) وهذا مشروح مفصلاً في الأبحاث الأصولية - من أصول الفقه - تحت عنوان أصول  
القانون والمبادئ الأحكامية والأسس والأصول التشريعيَّة.

## الفصل الثاني

خارطة المسؤوليات في النشاط الوظيفي الديني  
للمؤمنين تجاه حركات الانحراف الديني



## مقدمة

### السفياي بين الحتم والبداء

هذه تَمَّةٌ مُهمَّةٌ وذات فوائد خطيرة وكبيرة للبحث المتقدم، ولا بدَّ قبل الولوج في هذا البحث الحساس من مُقدمة:

السفياي حدث معاصر أو مستقبلي، وهذا الحدث هو الآخر قد ينظر إليه البعض أنَّ وقوعه محتوم ومُلجَّين إلى الاستسلام أمامه، بينما الذي تعلَّمناه من عِبَر عاشوراء - وهو ما تقدَّم بحثه مفصَّلاً في القسم الأوَّل - أنَّ حتمية الشيء لا تستلزم الإلجاء في أصل الحدث أو عدم الإلجاء في تفاصيله، أو الإلجاء في تداعياته وما يترامى عنه من أمواج وأحداث.

ويجب أن ننبه أن بحثنا لم يكن على التفاصيل الدقيقة لمسرح الظهور - سواء الأمنية أو العسكرية أو السياسية أو الجغرافية أو غيرها - بقدر ما نحن في صدد بيان أن الخيارات في الأفق متعدِّدة لمجال القيام بالمسؤولية، وأنَّ الروايات رغم بيانها للمقادير وما حتم منها إلاَّ إنَّها تُنبه على إمكانية التغيير وحصول البداء ولزوم تحمُّل المسؤولية، فهذا هنا أمور لا بدَّ من التنبُّه لها، منها:

١. إنَّ أصل هذه الأحداث أو الغايات التي هي عبارة عن موازين القوى في الشرق الأوسط وإن كانت من المحتوم - أو بعض منعطفات تفاصيل الأحداث - إلاَّ أنَّ بقية التفاصيل ليست من المحتوم، مع أنَّه قد مرَّ أنَّ المحتوم يتطرَّق إليه البداء الأعظم وإمكانية التغيير، فكيف بغير المحتوم؟!

٢. إِنَّهُ قَدْ وَقَعَ الِاتِّبَاسُ لَدَى الثَّقَافَةِ الْعَامَّةِ حَوْلَ عِلَامَاتِ الظُّهُورِ، أَنَّ مَا دَامَ رَايَاتُ سَنَةِ الظُّهُورِ وَقِتَالُهَا مِنْ المَحْتَمِ فَلَاحَالٍ أَنَّ كُلَّ مَا جَاءَ فِي الرِّوَايَاتِ حَوْلَ تَفَاصِيلِ رَايَاتِ سَنَةِ الظُّهُورِ - أَيضاً تِلْكَ التَّفَاصِيلُ - هِيَ الأُخْرَى مِنْ المَحْتَمِ، وَهَذَا كَمَا تَقَدَّمَ مِنْ الغَفَلَاتِ الخَطِيرَةِ فِي الثَّقَافَةِ العِلْمِيَّةِ لِعِلَامَاتِ الظُّهُورِ.



## أهمية الموضوع

يُعتبر هذا البحث أحد الثمار لبحثنا - التوحيد في المشهد الحسيني - بل ومن أهمها، وهذا البحث - كما هو واضح لدى الجميع - محل سجل ولغظ علمي كبير في الأوساط العلمية، ومحل سؤال واستفسار لدى الناس، بكل طبقاتهم الثقافية، وستتضح من خلال البحث الصلة بين هذا البحث وبحثنا المتقدم، وستبين أيضاً الثمرة المهمة - بل الثمرات - بعد أن ندخل في طيات البحث.

ولا نُجانب الصواب لو قلنا: إن من لم يقف على معنى البداء في مفهوم النهضة الحسينية، وحقيقة البداء في حركة الحسين عليه السلام وتحركات المعصومين عليهم السلام، ومن لم يدقق في البحث المتقدم - التوحيد في المشهد الحسيني - لن يخرج بالنتيجة المرجوة من هذا البحث (السفاني بين الحتم والبداء)، والمعصومون عليهم السلام قدوة لنا على مختلف الأصعدة - العلمية والعملية - وما قالوه في الأخبار الموسومة بـ (أخبار آخر الزمان) ليس إخباراً بالغيب وبيانا تعبدياً من قبلهم عليهم السلام يجب علينا التسليم به، وهذا عظيم في نفسه، لكن ما هو أعلى وأعظم منه، وهو التعبد العلمي والتربوي، والسلوك العلمي بالافتداء بكلامهم وأفعالهم.

ومن لم يفهم حركة المعصوم عليه السلام على أساس (الحجية المجموعية النظامية

المنظومية الترابطية<sup>(١)</sup>، لم ولن يستطيع أن يفك الرموز والشفرات في الأخبار الواردة حوله، ومن لم ينتظم فهمه بالحجج المجموعية بشكلها المنظومي لم ولن يكون نعم المقتدي بسيرتهم.

وهذا بالضبط ما ترسمه لنا سورة البقرة في أول آياتها؛ حيث تقول:  
 ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ \* الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ...﴾<sup>(٢)</sup>، فالآيتان في سورة البقرة تبيان علو الحجج المجموعية (صفات القدوة) بقولها: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾، وكذلك تبين (صفات المقتدي) بقولها: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ \* الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾، فالمقتدي ليس فقط يؤمن بالغيب ويأخبار الغيب، إنما هو مهتد لأنه ساع ومتحرك وعامل بوعي الرؤية الصائبة للحدث.  
 ومن الجدير بملاحظة القارئ، أمران:

١. إننا لا ندرس السُفْياني دراسة شاملة ومُتكاملة بكل زوايا وأبعاد حركته، بل من جهة موضع الفائدة التي ترتبط بها تُريد، وإلا البحث من جميع الجهات يخرج بنا عن المقصد الأساس الذي جعل من أجله البحث؛ فلذا نرجو من القارئ الالتفات، لأنه قد يرى أن هناك نقصاً في البحث عن شخصية السُفْياني؛ وذلك للاقتصار على الروايات النافعة ذات الصلة بالمقام.
٢. من الضروري أن نعرف أن فتن وأحداث آخر الزمان ليس من

(١) ينبغي الالتفات إلى أن كل كلمة لها حسابها ووزنها الخاص، فالحجج يلزم أن تكون مجموعية، أي: باجتماع وليس حجية مفردة، هذا أولاً، وثانياً بنظم، أي: ليس بانفراط وعشوائية، وثالثاً هذا النظم يتبع وينتظم بنظم أكبر منه، ورابعاً يترابط بين هذه المجموعة بكل طبقاتها وأبعادها.

(٢) البقرة: آية ٢-٣.

خارطة المسؤوليات في النشاط الوظيفي الديني للمؤمنين تجاه حركات الانحراف الديني ..... ٢٥١

مشاهد الرعب، ولا هي قصة مُرعبة يقصّها لنا المعصوم عليه السلام وأنّ أبطالها الخراساني واليماني وغيرهم في طرف الإيمان، والسُفَياني والأصهب والأبقع في طرف الكُفر والتّفاق؛ وبالتالي تكون مسؤوليتنا التفرُّج من المنتصر والرابع في تلك المُباراة، كما لعلّه يصوّر البعض أنّ جهاد العدو ليس على كلّ مُكلّف، بل هو مسؤوليّة البعض الذي له قدرات خاصّة وله اختصاص في الجهاد، وهذا مُخالف لسيرة النبي صلى الله عليه وآله والمعصومين عليهم السلام ومُخالف لأقوالهم، وإنّما أحداث آخر الزمان بيّنها المعصوم ليُجعل المسؤولية في عاتق الجميع، نعم، من كلّ أحد حسب طاقته وقدرته.

### قبل البدء: قاعدة علوية بصياغة رضوية

#### قاعدة منهجية في المنهج

وهذه القاعدة يجب أن تكون هي المنهج المتبع لنا، بل ينبغي أن تكون لكل باحث في العلوم الدينية، ونحن نعتقد أن المعرفة عن طريق دراسة المنهج هي منهج أهل البيت عليهم السلام، فعن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «اعرف الحق تعرف أهله»<sup>(١)</sup>، وكذلك قوله عليه السلام: «لا تنظر إلى من قال، وأنظر إلى ما قال»<sup>(٢)</sup>.

وهذا الكلام من أمير البيان عليه السلام هو أصل وقاعدة تجعل الميزان في معرفة الحقائق، هو النظر إلى ما قال وليس إلى من قال، وهذا منهج موضوعي - تجردي - وضابطة مهمة لكل منصف يريد معرفة الحقيقة، وقوله عليه السلام: «اعرف الحق تعرف أهله»، أي: قبل الجري وراء الأشخاص ينبغي معرفة مناهجهم، وهذا المنهج عظيم وخطير وهو ميزان علمي وضابطة علمية في مختلف العلوم، كعلم الرجال والحديث والفقهاء وغيرها، وصالح لأن يكون قاعدة مهيمنة في كل العلوم الدينية.

وهو مسلك يُشير إلى أهمية المنهج في البحث العلمي، وهذا ما يؤكده الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام في محاورته مع الجاثليق، حيث يقول عليه السلام: «أنا

(١) النيسابوري، محمد بن الفتح، روضة الوعظين: ص ٣١.

(٢) المتقي الهندي، علي، كنز العمال: ج ١٦، ص ١٩٧. القندوزي، سليمان بن إبراهيم، ينابيع المودة: ج ٢، ص ٤١٣، ح ٩٩.

خارطة المسؤوليات في النشاط الوظيفي الديني للمؤمنين تجاه حركات الانحراف الديني ..... ٢٥٣

مُقرَّب نبوة عيسى وكتابه... وكافر نبوة كل عيسى لم يقرب نبوة محمد ﷺ وكتابه»<sup>(١)</sup>، وهذا الضابطة المعرفية العظيمة من الإمام الرضا عليه السلام، هي نفس ما رسمه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام من عدم الجري وراء العناوين والأسماء والأشخاص، وأن الأولى هو معرفة أقوالهم، أي: مناهجهم ومشاربهم المعرفية، والإمام الرضا عليه السلام يبلور ويوسع الضابطة المنهجية العلوية بجرأة وحيادية معصومية، ولم تكن هذه الأمور لتتضح لولا سعة بيانات أهل بيت العصمة والطهارة عليه السلام من جهة، وجرأتهم وصراحتهم في الحق من جهة أخرى.

والحجج مراتب فوق بعضها البعض، فحجة إلهية تهدي إلى حجة معرفة الرب تعالى، ومن بعد ذلك تلزم العباد طاعة الرسل وذروتهم سيدهم، المأخوذة طاعته على جميعهم، وهذه هي الحجة الثالثة، ثم من بعد ذلك تلزم العباد حجبة الأوصياء، إلى غير ذلك من مراتب الحجج، وكل حجة تفوق الأخرى وتبين عليها، وتحدد أمدها وحدودها؛ ولذلك أشارت الآيات إلى الاستدلال بصفات الله من أنه مالك للسموات والأرض وما فيهن، وأنه ولي كل الأولياء لبيان أن هناك مراتب في الحجية والدلائل، وتفاوت في درجاتها، واللازم مراعاة سلسلة تلك المراتب، وما هو أكبر وأبلغ، كاستدلال لدحض ما يزعمه اليهود والنصارى من لزوم اتباع ما يزعمونه من يهودية ونصرانية النبي إبراهيم والأنبياء السابقين؛ حيث إن ولاية الله فوق ولاية الأنبياء وصلاحياته في الحكم والتشريع، فكيف يترك أهل الكتاب الدلائل على المشيئة الإلهية في مقابل ما يزعمونه من حجبة يتبعونها؟ بل يكون هو الميزان

(١) الصدوق، محمد بن علي، عيون أخبار الرضا: ج ١، ص ١٤١، ح ١.

الذي يُعرف به الحقّ، كما في قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ: «عليٌّ مع الحقّ والحقّ معه، لا يفترقان حتى يردا عليّ الحوض»<sup>(١)</sup>، أي: إنّ المعصوم عَلَيْهِ السَّلَامُ يكون هو الميزان والمنهج الذي يُعرف به الحقّ.

والنتيجة: إنّهُ لو ادّعى مدعٍ أنّه عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ - أو ادّعى أنّه سفير الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ أو نائب خاص للإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ، أو ابن الأمام عَلَيْهِ السَّلَامُ، أو وصي الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ، أو أنّه اليماني أو الحسيني أو الخراساني أو النفس الزكيّة، أو أيّ عنوان آخر - فإنّنا قبل أن نطالبه برهان أو معجزة على صدق ادّعائه، ينبغي أن نرى منهجه العقائدي والفكري والسلوكي هل يطابق الثوابت العُلَيّا في الدين؟ لأنّه أقوى برهان ومعجزة من كلّ معجزة، فإنّ معاجز الأنبياء صلوات الله عليهم لا تتناول فوق التوحيد، ثمّ بعد ذلك نطلب المعجزة.

#### مسالك الانتظار

هناك مسلكان في كَيْفِيّة التعامل مع روايات ما قبل الظهور، أو ما تُعرف بروايات علامات الظهور - كما يعبر عنها - وبالتالي سوف تتحدّد مشارب ومسالك المنتظرين بحسب ما ينعكس من فهم للروايات.

**المسلك الأول:** يجعل العلامة بمثابة العلة إذا حدثت فسوف يحدث الظهور، وإذا لم تحدث سوف لا يحدث الظهور، وهذا الفهم وهذه الرؤية والنظرة الجموديّة لروايات ما قبل أو قبيل الظهور التي هي من سُنخ علامات الظهور، نستطيع تسميتها بالمسلك الجموديّ الأحادي الجبري.

وكأنّه يعلّق ظهور الإمام المهدي عَلَيْهِ السَّلَامُ على ظهور هذه العلامات، فهو

(١) الصدوق، محمد بن علي، الأمالي: ص ١٥٠.

في الحقيقة مُنتظر للعلامات برؤية جبرية للظهور، لا رؤية مسؤولة ك (لا جبر ولا تفويض ولكن أمر بين أمرين)، كما في قوله تعالى: ﴿ذَلِكِ بَيِّنَاتٌ لِّمَن يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾<sup>(١)</sup>، وليس مُنتظراً انتظار نصره وعون للمهدي عليه السلام - وسيكون من الفاشلين في الامتحان كما فشل المُتظرون في زمن نوح عليه السلام؛ حيث علّقوا انتظارهم على العلامات، وهي حصول ثمر النوى، فلمّا بدا لله في زمن الطوفان فشلوا- يأول به الحال إلى كونه مُنتظراً لليمانى وللسُفّيانى وللخراسانى وغير ذلك، وليس مُنتظراً للمهدي عليه السلام!

فإذا بدا لله في هذه العلامات - وهذا أمر ذكرته الروايات- أو تختلط على المُتظر الأمور بحسب ظهور الروايات بين السُفّيانى الأوّل والثانى والثالث فلا يُميّز، فسوف يباغته تغيّرات الأحداث، وهو في سكرة الارتقاب للعلامات.

وهذا المسلك الجبري كأنه يقول: ما دامت العلامة يمكن فيها البداء ولا يرتبط بها الظهور فلماذا أنظر إليها؟ وبما أنّ الله ناصر وليّه ومُظهر دينه على الدين كلّهُ، فما الداعي للبحث وراء العلامات ومتابعة الأحداث تسارعت أم تباطأت؟

وبين هذا وذاك هناك نظر واقعي لأحداث مسرح الظهور وعلامات الظهور ولشخصيات الظهور، وهذا النظر (أمر بين أمرين)، فلا تفويضية بجعل المحور هو العلامات أو بيد شخصيات مسرح الظهور، ولا جبرية مطلقة لا ترى أهمّية لأيّ دور وشخصية في مسرح الظهور، بل إنّها أمر بين أمرين.

(١) الأنفال: آية ٥٣.

فالصحيح هو الالتفات إلى المناهج الذي يتبعها هؤلاء الثلاثة - البيهقي والخراساني والسفياي - وغيرهم.  
 وبعبارة أخرى: إن معرفة منهاج هؤلاء الثلاثة في سنة الظهور أهم من معرفة أشخاصهم؛ لأن الميزان هو على المنهج لا على الشخص، والبصيرة هي على الحق لا على الرجال؛ ومن ثم فمن أخطاء ثقافة التعليم لعلامات الظهور شخصنة البصيرة بأشخاص، بينما البصيرة مرهونة بالمنهج والميزان، كما أن هناك ضابطة ثانية خطيرة أيضاً في قراءة علامات الظهور، وهي أن الثقافة والمعرفة بالمشروع المهدوي مبتوراً عن الثقافة والمعرفة بأصحاب الكساء، بدءاً بالمعرفة النبوية، ومعرفة المنهاج العلوي والفاطمي والحسني والحسيني، فضلاً عن التوحيد، وثمره ذلك هيمنة ثوابت الدين العليا في قراءة المشروع المهدوي.

وضابطة ثالثة: أن روايات علامات الظهور هي في الحقيقة رسم خارطة سياسية وعسكرية أمنية واجتماعية لسنين أو لسنة الظهور وأنها تقرير يرسم الوظيفة للمؤمنين فيما ينبغي عليهم القيام به والحذر منه واليقظة تجاهه، وبهذه الضوابط في قراءة روايات علائم الظهور والرايات المتجاذبة لمسرح الحدث - سواء في طرف الحق أو الباطل - وبذلك يقطع الطريق على الأعداء؛ ويكون المؤمن على بصيرة ثابتة في قراءة الأحداث، وفي انتظار صحيح للإمام المهدي عجل الله فرجه.

ومن جهة أخرى - وهي جهة أساسية ومهمة - فإن التمحوّر حول المنهجيات يكون تمحوّراً حول الإمام عجل الله فرجه؛ لأن تلك المحاور مسارات وخطوط رسمها لنا أهل البيت عليهم السلام.



### الشجرة الملعونة

قبل أن نلج في بحث السُفياني لا بدَّ أن نلتفت إلى أنَّ منهجه وطريقه شجرة مُمتدة عبر الزمن، بل هي تتصل بالآخرة (بشجرة الزقوم)، وما تلك الشجرة الخبيثة التي اجْتُثَّت من فوق الأرض - كما عبَّر القرآن: ﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ﴾<sup>(١)</sup> - إلا واقع وحقيقة هذه الشجرة، وهذا المنهج الذي في الدنيا نهج بني أمية، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُحَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا﴾<sup>(٢)</sup>.

وقد أجمع المُفسرون سنة وشيعة على أن المراد من الشجرة الملعونة في القرآن الكريم هم بنو أمية، ففي تفسير العياشي: عن الباقر عليه السلام أنه سُئل عن قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ﴾ فقال: «إنَّ رسول الله ﷺ أرى أن رجلاً من بني تيم وعدي على المنابر يردون الناس عن الصراط، القهقري. قيل: والشجرة الملعونة؟ قال: هم بنو أمية»<sup>(٣)</sup>. وعن الصادق عليه السلام مثله.

كذلك في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ

(١) إبراهيم: آية ٢٦.

(٢) الإسراء: آية ٦٠.

(٣) العياشي، محمد بن مسعود، تفسير العياشي: ج ٢، ص ٢٩٨. وعنه المجلسي، محمد

باقر، بحار الأنوار: ج ٣١، ص ٢٥٧.

فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ ﴿١﴾، قال الباقر عليه السلام: «إِنَّ هَذَا مَثَلُ بَنِي أُمِّيَّةَ» (٢)، روى  
 القمّي، عَنْ أَبِي الْجَارُودِ، عَنْ الْبَاقِرِ عليه السلام: «كَذَلِكَ الْكَافِرُونَ لَا تَصْعَدُ أَعْمَالُهُمْ  
 إِلَى السَّمَاءِ، وَبَنُو أُمِّيَّةَ لَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ فِي مَجْلِسٍ وَلَا فِي مَسْجِدٍ، وَلَا تَصْعَدُ أَعْمَالُهُمْ  
 إِلَى السَّمَاءِ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ» (٣)، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ شَجَرَةَ الزُّقُومِ \* طَعَامُ الْأَثِيمِ \*  
 كَأُلْمِهِلِ يَغِي فِي الْبُطُونِ \* كَغَلِيِّ الْحَمِيمِ﴾ (٤)، فُسر أيضاً ببني أُمِّيَّةَ.

وفي رواية عَنْ أَبِي مُحَمَّدٍ الْعَسْكَرِيِّ عليه السلام في تفسير قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ  
 الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالََةَ بِالْهُدَى﴾ (٥): «ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ﴿أَذَلِكَ خَيْرٌ نَزْلاً أُمَّ  
 شَجَرَةَ الزُّقُومِ﴾ (٦)، المَعْدَّةُ لِمُخَالَفَةِ أَخِي وَوَصِيِّ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام» (٧)،  
 وَأَيْضاً عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ وَالْحَسَنِ وَأَبُو مَالِكٍ وَسَعِيدِ بْنِ جَبْرِ وَمُجَاهِدٍ وَقَتَادَةَ  
 وَالضَّحَّاكَ وَابْنَ زَيْدٍ: «إِنَّهَا - الشَّجَرَةُ الْمَلْعُونَةُ - شَجَرَةُ الزُّقُومِ الَّتِي ذَكَرَهَا اللَّهُ  
 فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ شَجَرَةَ الزُّقُومِ \* طَعَامُ الْأَثِيمِ﴾» (٨).

وكذلك وفي مضامين أخرى عديدة فُسرَت - شجرة الزقوم - بالشجرة  
 الملعونة، وهذا متطابق مع كون الشجرة الخبيثة والملعونة والزقوم واحدة مع  
 اختلاف النشآت.

(١) إبراهيم: آية ٢٦.

(٢) الطبرسي، الفضل بن الحسن، مجمع البيان في تفسير القرآن: ج ٦، ص ٧٥.

(٣) القمي، علي بن إبراهيم، تفسير القمي: ج ١، ص ٣٦٩.

(٤) الدخان: آية ٤٣-٤٦.

(٥) البقرة: آية ١٦.

(٦) الصافات: آية ٦٢.

(٧) البحراني، هاشم، حلية الأبرار: ج ٢، ص ١٥٧.

(٨) الطوسي، محمد بن الحسن، التبيان في تفسير القرآن: ج ٦، ص ٤٦٤.

### خطورة النهج

مما ينبغي لنا فهمه أن الأهمية والخطورة تكمن في النهج، فإن الشعارات كثيرة براقه وذات ألوان عديدة، ولكن حقائقها مخالفة لشعاراتها، والجري وراء الشعارات بحسب بيان الشارح لا ينفع؛ لأن المههم هو الوصول إلى حقيقة ما يكمن خلف تلك الشعارات، وهذا ما نحاول بيانه في نقاط:

#### النقطة الأولى: (الشجرة الخبيثة)

إن القرآن حينما يقول الشجرة الملعونة فهو لا يصف أشخاصاً بعينهم، بل يصف شجرة، والشجرة لها فروع وأغصان، وحينما يصف الكلمة بالخبث يصفها بشجرة.

#### النقطة الثانية: (لا يذكرون الله)

إن الشجرة الملعونة أي: المبعدة والمطرودة عن رحمة الله، وفُسرت الشجرة الملعونة ببني أمية، وقد مرّ وصفهم من قبل الإمام الباقر عليه السلام: «... وبنو أمية لا يذكرون الله في مجلس ولا في مسجد، ولا تصعد أعمالهم إلى السماء...»<sup>(١)</sup>، وإذا كانوا كذلك فكيف لا يطردون من الرحمة الإلهية؟!

#### النقطة الثالثة: (بنو أمية نهج وسلوك)

بناءً على هذا الأساس؛ يمكن أن نُفسر روايات آخر الزمان التي ذكرت بني أمية، بأنها لا تقصد بني أمية أشخاصاً فقط، بل الأقرب الأهم لنظر الروايات هو النهج والسلوك (نهج وسلوك بني أمية).

(١) القمي، علي بن إبراهيم، تفسير القمي: ج ١، ص ٣٦٩.

## النقطة الرابعة: (سعد الخير)

إنَّ القتل والتخريب والدمار والفساد والإفساد الذي خصَّته الرواية بالسُّفْياني ما هُوَ إِلَّا رسم للسلوك العدواني والنهج الأموي. وليست القضية منوطة بشخص وأشخاص ولذلك كُـلُّ الروايات - إِلَّا قليلاً - ذكرته بلقبه (السُّفْياني) ولم تذكر اسمه، وبعضها ترفض التشبُّث بالاسم؛ ففي الرواية عَنْ عبد الله بن أبي منصور البجلي، قال: «سألت أبا عبد الله عليه السلام عَنْ اسم السُّفْياني، فقال: وما تصنع باسمه؟ إذا ملك كور الشام الخمس: دمشق، وحمص، وفلسطين، والأردن، وقنسرين، فتوقعوا عِنْدَ ذلك الفرج. فقلت: يملك تسعة أشهر؟ قال: لا، ولكن يملك ثمانية أشهر لا يزيد يوماً»<sup>(١)</sup>.

فهُنَا نرى الإمام يحاول عدم ذكر اسم السُّفْياني؛ إشارة منه إلى أَنَّ خطورة المنهج أهم من خطورة الشخص، وهي أولى بالبحث والاهتمام من الأشخاص، كما أَنَّ مركز الاهتمام في أغلب روايات المعصومين عليهم السلام ليست عَلَى الانتساب من جهة الآباء أو العشيرة، بل عَلَى الانتساب للمنهج.

كما في رواية أبي حمزة قال: «دخل سعد بن عبد الملك فقال أبو جعفر عليه السلام: ما يبكيك يا سعد؟ فقال: وكيف لا أبكي وأنا من الشجرة الملعونة في القرآن. فقال له: لست منهم، أنت أموي من أهل البيت؛ أما سمعت قول الله (عَزَّ وَجَلَّ) يحكي عَنْ إبراهيم عليه السلام فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي»<sup>(٢)</sup>.

## النقطة الخامسة: (اللَّعن للمؤسسين أشد)

وَرَدَ في الزيارة المعروفة بزيارة عاشوراء «لعن الله أُمَّة أسَّست أساس

(١) الصدوق، محمد بن علي، إكمال الدين: ج ٢، ص ٦٥١.

(٢) المفيد، محمد بن محمد، الاختصاص: ص ٨٥.

الظلم والجور عليكم... ولعن الله الممهدين...»<sup>(١)</sup>.

بحسب هذا النص هناك تأسيس، وكذلك هناك تمهيد للفساد والإفساد ولقتل المصلحين (محمد وأهل بيته عليهم السلام)، في حين كانت الشجرة الطيبة (محمد وآله عليهم السلام) تؤسس وتمهد لكل خير وصلاح وسنة وملة حسنة، كانت أمية تؤسس للفساد والإفساد وسن سنن الغدر والغيلة ونقض العهد، كما فعلت هند مع سيد شهداء زمانه حمزة عليه السلام، وكما فعل معاوية بنقض العهد مع الإمام الحسن عليه السلام، وكما أسس يزيد وسن سنن تخريب المدن وحرب مدينة رسول الله صلى الله عليه وآله، وانتهك المدن المقدسة والأماكن المقدسة وهدم الكعبة.

وما يفعله السفيفاني عين ذلك، فهو يغدر وينقض العهود ويحرب المدن وينتهك الحرمات ويحرب المقدسات ويهدم الكعبة... وهكذا تستمر هذه الشجرة الملعونة بسن السنن وإحداث البدع إلى يومنا هذا، في مقابل هذه الشجرة الملعونة شجرة طيبة مباركة وهي شجرة أهل البيت عليهم السلام (كما وصفها القرآن)، فهي تسن السنن الطيبة، كالتضحية والنفداء والإيثار وزرع البر والخير والمحبة والسلام في ربوع الدنيا، وهذا ما تشير إليه رواية عمار بن أبي الأحوص، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: «... أما علمت أن إماره بني أمية كانت بالسيف والعسف والجور، وأن إمامتنا (إمارتنا) بالرفق والتألف، والوقار والتقية وحسن الخلطة، والورع والاجتهاد، فرغبوا الناس في دينكم وفي ما أنتم فيه»<sup>(٢)</sup>.

(١) الطوسي، محمد بن الحسن، مصباح التهجد: ص ٧٧٤.

(٢) الصدوق، محمد بن علي، الخصال: ص ٣٥٥، ح ٣٥. الحر العاملي، محمد بن الحسن،

وسائل الشيعة: ج ١٦، ص ٦٥.

#### النقطة السادسة: (أخطر المناهج)

إنَّ وصف الشجرة الملعونة في القرآن ببني أمية يُشير إلى أنَّ أخطر المناهج هو منهج بني أمية، وأضلَّ الرايات، بعدَ الفتنة المشار إليها في الآية، وهي راية بني أمية؛ فتكون كلُّ رايات الضلالة أقلَّ خطورة وضللاً من تلك الرايات الملعونة.

#### النقطة السابعة: (إسلام وأصنام)

من الموارد المفرقة التي تبين لنا شدة ضلال النهج الأموي وتفوقه في الفساد والضللال أنه يرفع الشعارات المتضادة، ففي حين يُنادي بالإسلام هو يهدم الإسلام، وفي حين خليفته يُنادي بالقرآن وأنه خليفة المسلمين يجعل القرآن غرضاً لسهامه ويتناول جهاراً على تمزيقه، ويصلي خليفته الآخر وهو سكران، يرفع شعار الإسلام لكنه يدعو للأصنام.

#### النقطة الثامنة: (بنو العباس)

مقابل النهج الأموي السُفْياني هناك حركات ضلال كثيرة، والروايات تُبين أنها سابقة على حركة الضلال التي يتزعمها السُفْياني الأموي، وتؤكد الروايات من خلال مفاداتها أن حركة السُفْياني هي الأخطر، وأن تلك الرايات بمثابة الممهدة لحركة السُفْياني، وأن رايات الضلال يستحقها المجتمع بسوء تصرّفه وتقاعسه عن نصره الحق.

وبنو العباس أيضاً وصف لنهج وسلوك معين عدائي للإسلام ولأهل البيت عليهم السلام، ولكن الأسلوب مختلف والنهج مختلف، ويمكن أن نلاحظ على النهج العباسي أموراً تُفرّقه عن النهج الأموي:

خارطة المسؤوليات في النشاط الوظيفي الديني للمؤمنين تجاه حركات الانحراف الديني ..... ٢٦٣

١. إنَّ النهج العباسي يتوسَّل إلى كرسي الرئاسة عبر رفع شعار (الرضا من آل مُحَمَّد) من أجل ذلك، أمَّا بنو أمية لم ترفع ذلك الشعار، بل على العكس من ذلك رفعت شعار العدا لآل البيت عليهم السلام.

٢. إنَّ نهج بني العباس يحارب أهل البيت عليهم السلام كنهج إيمان بعد وصوله إلى سدة كرسي الحكم، أمَّا بنو أمية فهم يُحاربون نفس النهج الإسلامي وتتعارض كلُّ شعاراتهم مع شعارات الإسلام.

٣. عدا بني أمية عدا مباشر وواضح للإسلام، وعداء بني العباس غير مباشر للإسلام ولنهج الإيمان، ولكنه مجاهر للعداء لنهج آل البيت عليهم السلام، وحتى أن المنصور الدوانيقي كان يقوم بالدعوة لفضائل علي أمير المؤمنين عليه السلام، وذكر آل البيت عليهم السلام، وفي إحدى المرات كاد يُقتل جرَّاء إقامته لمجلس عزاء لهم في بلاد الشام.

فالنهج العباسي - إذن - أُسس على أساس الفداء لآل البيت عليهم السلام، ولكن نهج أهل البيت عليهم السلام الذي يجاسب كرسي الحكم الدنيوية يصعب على من يريد التربع على العروش الدنيوية أن يتخذه كنهج وسلوك؛ لأن ذلك النهج يجاسبه هو نفسه أشدَّ الحساب بشكل يصعب تحمُّله، فإما أن يسير معه أو ينقلب ضده، وهذا ما حصل فعلاً من المنصور وباقي بني العباس ومن تبع نهجهم إلى هذا اليوم، حيث ساروا على المعادة لآل البيت عليهم السلام ولنهجهم وسلوكهم.

### مَن هو السُّفْيَانِي؟

في هذا البحث نحْنُ لا نُريدُ أَنْ نعرف اسم السُّفْيَانِي ونسبه ونذكر الروايات في ذلك الخصوص؛ لئلا يطول بنا المقام مِنْ جهة، وَمِنْ جهة أُخرى لَيْسَ هُوَ بِحَثْ ذُو ثَمَرَةٍ تُذَكِّرُ - هُنَا بِالْخُصُوصِ - وَهَذَا مُتَطَابِقٌ مَعَ الرَّوَايَةِ الَّتِي رَوَاهَا الصَّدُوقُ بِإِسْنَادِهِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي مَنْصُورِ البجلي، قال: «سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام عَنْ اسْمِ السُّفْيَانِي، فَقَالَ: وَمَا تَصْنَعُ بِاسْمِهِ إِذَا مَلَكَ كُورَ الشَّامِ الْخَمْسِ: دِمَشْقَ، وَحِمَصَ، وَفِلَسْطِينَ، وَالْأُرْدُنَّ وَقَنْسَرِينَ، فَتَوَقَّعُوا عِنْدَ ذَلِكَ الْفَرَجَ. قُلْتُ: يَمْلِكُ تِسْعَةَ أَشْهُرٍ؟ قَالَ: لَا، وَلَكِنْ يَمْلِكُ ثِنَايَةَ أَشْهُرٍ لَا يَزِيدُ يَوْمًا»<sup>(١)</sup>.

إِذْنًا؛ مَا نُرِيدُهُ هُوَ التَّعَرُّفُ عَلَى هَوِيَّتِهِ الْعَقَائِدِيَّةِ وَالسِّيَاسِيَّةِ وَالْعَسْكَرِيَّةِ مِنْ خِلَالِ حَرَكَتِهِ، وَهَذِهِ الْهَوِيَّةُ تَبَيَّنَتْ بِمَجْمُوعِ رَوَايَاتِ رُوتِ أَفْعَالِهِ وَمُعْتَقَدَاتِهِ، وَالرَوَايَاتِ الَّتِي تَصِفُ شَخْصِيَّةَ السُّفْيَانِي كَثِيرَةٌ مِنْهَا:

عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: «إِنَّكَ لَوْ رَأَيْتَ السُّفْيَانِي رَأَيْتَ أَحْبَبَ النَّاسِ، أَشْقَرُ أَحْمَرَ أَزْرَقُ يَقُولُ: يَا رَبِّ، يَا رَبِّ، يَا رَبِّ، ثُمَّ لِلنَّارِ. وَلَقَدْ بَلَغَ مِنْ حُبِّهِ أَنَّهُ يَدْفِنُ أُمَّهُ وَوَلَدَ وَهِيَ حَيَّةٌ خَافَةٌ أَنْ تَدُلُّ عَلَيْهِ»<sup>(٢)</sup>. وَأَيْضًا: «... يَقْبَلُ السُّفْيَانِي مِنْ بِلَادِ الرُّومِ مُتَنَصِّرًا فِي عُنُقِهِ صَلِيبٌ وَهُوَ صَاحِبُ الْقَوْمِ»<sup>(٣)</sup>.

(١) الصدوق، محمد بن علي، إكمال الدين: ج ٢، ص ٦٥١.

(٢) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٥٢، ص ٢٠٦.

(٣) الطوسي، محمد بن الحسن، الغيبة: ص ٤٦٣. المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار:

ج ٥٢، ص ٢١٧.



خارطة المسؤوليات في النشاط الوظيفي الديني للمؤمنين تجاه حركات الانحراف الديني ..... ٢٦٥

وعن مُحَمَّد بن مُسْلِم، عَن أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قال: «السُّفْيَانِي أَحْمَر، أَشْقَر،  
أَزْرَق، لَمْ يَعْبُدِ اللَّهَ قَطًّا، وَلَمْ يَرِ مَكَّةَ وَلَا الْمَدِينَةَ قَطًّا، يَقُولُ: يَا رَبِّ، ثَأْرِي وَالنَّارَ،  
يَا رَبِّ، ثَأْرِي وَالنَّارَ»<sup>(١)</sup>.

وفي إلزام الناصب: «ولا يزال السُّفْيَانِي يقتل كُلَّ مَنْ اسْمُهُ مُحَمَّدٌ، وَعَلِيٌّ،  
وَحَسَنٌ، وَحُسَيْنٌ، وَفَاطِمَةٌ، وَجَعْفَرٌ، وَمُوسَى، وَزَيْنَبٌ، وَخَدِيجَةٌ، وَرُقِيَّةٌ؛  
بُغْضًا وَحَقًّا لَأَلِّ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله»<sup>(٢)</sup>، هذه الرواية وروايات أخرى بنفس المضمون  
تبيّن العقيدة التي يحملها السُّفْيَانِي:

أولاً: مِنْ حَيْثُ عَقِيدَتُهُ، فَهُوَ: لَمْ يَعْبُدِ اللَّهَ قَطًّا، وَكَذَلِكَ لَمْ يُؤْمِنْ بِالنَّبِيِّ،  
وَلَا بِالْعَقَائِدِ الْحَقَّةِ، وَلَا بِالْمَقْدَسَاتِ، وَلَا بِعَقِيدَةِ التَّوَسُّلِ، وَلَا بِالشَّفَاعَةِ  
وغيرها، لذلك قالت الرواية: «لَمْ يَرِ مَكَّةَ وَلَا الْمَدِينَةَ قَطًّا»، وَمِنْ جِهَةِ أُخْرَى  
فَهُوَ لَا يُؤْمِنْ بِفُرُوعِ الدِّينِ وَلَيْسَ فَقَطُّ بِأُصُولِهِ؛ لِأَنَّهُ لَوْ آمَنَ بِالْفُرُوعِ لَرَأَى  
مَكَّةَ فِي حَجٍّ أَوْ عَمْرَةٍ، وَمَنْ لَا يُؤْمِنْ بِمَكَّةَ كَمَشْهَدٍ وَمَعْلَمٍ وَكَبَيْتِ اللَّهِ لَا يُؤْمِنْ  
ببَاقِي الْمَشَاهِدِ الْمَشْرُفَةِ؛ وَبِالتَّالِي لَا يُؤْمِنْ بِأَيِّ شَعِيرَةٍ مِنَ الشَّعَائِرِ، وَلَا يَعْظُمُ  
شَعَائِرَ اللَّهِ، لِأَنَّ (الصِّفَا وَالْمُرُوءَةَ) مِنَ الشَّعَائِرِ، وَهُمَا فِي بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ الَّذِي لَمْ  
يُؤْمِنْ بِقُدْسِيَّتِهِ وَلَمْ يَعْظُمُ حَرَمَتَهُ، وَسَتَاتِيكَ لِمِحَّةٍ نَافِعَةٍ عَن حَادِثَةٍ فِي فَهْمِ هَذِهِ  
النَّقْطَةِ فَانْتَظِرْ.

ثانياً: قَوْلُهُ عليه السلام: «لَوْ رَأَيْتَهُ رَأَيْتَ أَخْبَثَ النَّاسِ»، وَهَذَا كَلَامٌ عَن صِفَاتِهِ  
الْبَاطِنِيَّةِ وَمَكُونَاتِ شَخْصِيَّتِهِ الدَّاخِلِيَّةِ، وَالتَّعْبِيرُ بِالْخَبْثِ تَعْبِيرٌ عَن نَجَاسَةِ  
بَاطِنِيَّةٍ - بِطَبْعِهَا - تَضَادُّدٌ وَتُعَاكُسٌ وَتَتَقَاطَعُ ذَاتًا وَصِفَةٌ مَعَ مَعْدَنِ الطُّهْرِ

(١) النعماني، محمد، الغيبة: ص ٣١٨.

(٢) اليزدي، علي، إلزام الناصب في إثبات الحجّة الغائب: ج ٢، ص ١٧٣.

والطيب، وهم مُحَمَّد وآله سَلَّمَ اللهُ عَلَيْهِمْ وَآلِهِمْ وَسَلَّمَ.

وقوله: «أشقر، أحمر، أزرق». إشارة إلى التذبذب والتلوّن الباطني باعتبار أنّها جاءت في سياق ذكر الخبائث الباطنيّة، وكذلك لعلّه إشارة إلى التلوّن في عقيدته - ولا يُنافي ذلك إرادة الأوصاف الحسيّة أيضاً - وهذا التلوّن مع خبث السّريرة كاشف عن أنّ نجاسته الباطنيّة إلى ما شاء الله من أنواع الخبائث والنجاسات.

ورؤية الخبائث عادة إشارة إلى الباطن الخبيث، وإشارة إلى الرؤية للباطن بالرؤية التفرّسية.

والرؤية الظاهرية للخبائث تقود للرؤية الباطنيّة، بل هي أشدّ في حقيقة الأمر؛ وذلك لأنّه - السّفياني - من الخبائث الشديدة بحيث طفحت وبرزت على قسّمات وجهه وفي لحن كلامه وقوله، من حيث نصبه وعدائه لأهل البيت عليهم السلام وأتباعهم، وفي هذا المجال وردت عدّة نصوص في ذلك - ونحن نذكر واحدة منها اختصاراً - ومضامين هذه النصوص الروائيّة تصبّ في العداء لأهل البيت عليهم السلام وأتباعهم، ومنها ما ذكرنا، وهي أنّه يقتل كلّ من يتسمّى بأهل البيت عليهم السلام وأسماء ذريّتهم، وكذلك ما يفعل بالحوامل والنساء من الفجور والتعدّي، فعن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «يُخرَج السّفياني ويده حربة ويأمر بالمرأة ويدفعها إلى بعض أصحابه فيقول له: افجر بها في وسط الطريق. فيفعل بها، ثمّ يأمر ببقر بطنها ويسقط الجنين من بطن أمّه، فلا يقدر أحد أن يُنكر عليه...»<sup>(١)</sup>، والرواية طويلة وهذا موضع الشاهد منها.

والمهم هو توجّهاته السياسيّة والثقافيّة والدينيّة:

(١) المصدر السابق: ج ٢، ص ١٧٣.

خارطة المسؤوليات في النشاط الوظيفي الديني للمؤمنين تجاه حركات الانحراف الديني ..... ٢٦٧

حَيْثُ وَرَدَتْ إشارات عديدة إلى عمالته لليهود والنصارى، وعلى نصبه وعدائه السياسي لكل المؤسسات والدول والسياسات التي تدعو إلى أهل البيت عليهم السلام وإلى الإسلام الحقيقي الذي يمثله أهل البيت عليهم السلام؛ ولذلك فإن الرواية حينما تقول «يقبل السفنياني من بلاد الروم متنصراً»<sup>(١)</sup>؛ إشارة إلى عقيدته، وكذلك إشارة إلى التنصر السياسي، أي: التحالفات التي تصب في صالح الصهيونية الصليبية المعادية للإسلام الصحيح الذي يرفض الذوبان في الأطراف التي تجانب الحق ودين الحق. وهذه الإشارة يؤكدها ذيل الرواية حيث فيها: «في عنقه الصليب، وهو صاحب القوم»<sup>(٢)</sup>، كلها إشارات إلى الاتفاقات السياسية الدينية العقائدية<sup>(٣)</sup>، التي تصب في خدمة المشروع الصليبي الغربي السلفي الوهابي، وحينما تقول الرواية: «في عنقه الصليب»<sup>(٤)</sup>، إشارة إلى بيعة صليبية صهيونية تُعادي المسيحية الحقّة وكلّ دين حقّ وهو الإسلام الحقّ، المتمثّل بأهل البيت عليهم السلام؛ لأنّ العنق - أو الرقبة - إشارة إلى تبعيته الكاملة للغرب؛ ولذا يوصف عتق العبد ب (عتق الرقبة)، وقد ورد: «يقوم القائم عليه السلام وليس في عنقه بيعة»<sup>(٥)</sup>.

والرواية حينما تقول: «ياربّ، ثأري والنار، ياربّ، ثأري والنار».

(١) الطوسي، محمد بن الحسن، الغيبة: ص ٤٦٣. المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٥٢، ص ٢١٧.

(٢) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٥٢، ص ٢١٧.

(٣) حينما نقول: (صفات سياسية عقائدية). لا يمنع إشارة الرواية أساساً إلى توجهاته الشخصية العدائية لأهل البيت عليهم السلام.

(٤) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٥٢، ص ٢١٧.

(٥) الصدوق، محمد بن عليّ، إكمال الدين: ص ٤٨٠.

تُذَكِّرُنَا بِإِبْلِيسَ الَّذِي يَعْتَقِدُ بِاللَّهِ، وَلَكِنَّهُ لَا يُؤْمِنُ بِخَلِيفَتِهِ وَلَا يَسْجُدُ لِخَلِيفَتِهِ، وَهُوَ قَدْ فَضَّلَ النَّارَ عَلَى السَّجُودِ لِلْخَلِيفَةِ، وَلَيْسَ ذَلِكَ إِلَّا لِلتَّكَبُّرِ وَالْأَنَا وَالْحَقْدِ وَالْحَسَدِ وَالثَّأْرِ الَّذِي هُوَ عَقِيدَةُ الْإِنْتِقَامِ مِنَ الطَّرْفِ الْآخِرِ مَهْمَا كَانَ عَظِيمًا أَوْ بَسِيطًا، وَمَهْمَا كَانَتْ الْعِدَاوَةُ بَسِيطَةً أَوْ كَبِيرَةً، فَهُوَ يَنْتَقِمُ مَهْمَا كَانَ الثَّمَنُ وَلَوْ كَانَ النَّارَ، فَقَوْلُ: «يَا رَبِّ، ثَأْرِي وَالنَّارَ». دَعَاءٌ لِرَبِّهِ أَنْ يَمَكِّنَهُ مِنَ الثَّأْرِ مِنْ عَدُوِّهِ وَلَا يَهْمَهُ بَعْدَ ذَلِكَ حَتَّىٰ لَوْ كَانَ ثَمَنُ ذَلِكَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا، كَمَا هُوَ حَالُ إِبْلِيسَ الَّذِي طَلَبَ مِنَ اللَّهِ الْبَقَاءَ لِثَأْرِ مَنْ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَوُلْدِهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾<sup>(١)</sup>، وَكَمَا أَنَّ إِبْلِيسَ يَطْلُبُ ثَأْرَهُ مِنَ الْخَلِيفَةِ كَذَلِكَ السُّفْيَانِي - وَكَمَا هُوَ وَاضِحٌ - يَطْلُبُ ثَأْرَهُ مِنْ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ وَمِنْ شِيعَتِهِمْ، وَمِنْ كُلِّ مَنْ يَهْتَدِي بِهِدْيِهِمْ، وَفِي الْأَحْدَاثِ الْأَخِيرَةِ وَالرَّوَايَاتِ كِفَايَةِ لِمَعْرِفَةِ مَا هِيَ الثَّأْرُ وَمَنْ يَطْلُبُهُ.

#### حادثة مُثِيرَةٌ

وَفِي هَذَا السِّيَاقِ يُمْكِنُ أَنْ نَذَكَرَ مَحَاوِرَةً تُشِيرُ إِلَى تَوَجُّهِ الْفِكْرِ السَّلْفِيِّ الْوَهَابِيِّ - السُّفْيَانِيِّ - لِلْقَضَاءِ عَلَى الْإِسْلَامِ بِشَكْلِ عَامٍ، وَلَيْسَ فَقَطِ الْإِسْلَامَ الْحَقِيقِي الَّذِي هُوَ إِسْلَامُ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَأَتْبَاعِهِمْ، وَهَذَا هُوَ الْمَشْرُوعُ الصَّهْبِيُّ الصَّلِيبِيُّ الْغَرِيبِيُّ، وَالْحَادِثَةُ هِيَ حِوَارٌ جَرَى بَيْنَ أَحَدِ أَتْبَاعِ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَبَيْنَ أَحَدِ أَفْرَادِ مَا يُسَمَّى بِهَيْئَةِ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ عِنْدَ قَبْرِ حَمْزَةَ عَلَيْهِ السَّلَامُ - وَمُضْمُونُهُ -:

- الشيعي: لماذا تحوطون قبر الحمزة عليه السلام بسياج إسمنتي؟

- الوهابي: لكي لا يأخذ منه بعض الجهلة الأحجار والتراب للتبرك.
  - الشيعي: لو تركتموها مدروسة وغير معلّمة لنجوت من المحذور.
  - الوهابي: لو كان الأمر بيدنا لمحونا كل القبور.
  - الشيعي: حتى قبر النبي ﷺ؟
  - الوهابي: نعم، وهذا مما يرضي النبي، وهذا هو التوجه الذي يريده النبي ﷺ فهو أراد أن يمحو كل قبر.
  - الشيعي: إذاً، لماذا لم يفعل النبي ﷺ ذلك؟
  - الوهابي: لولا خوف الفتنة، لمحاها النبي ﷺ، ألم يقل لعائشة: «لولا حداثة عهد قومك بالكفر لنقضت البيت»<sup>(١)</sup>؛ لأنها - الأحجار - إذا بقيت سيعود الناس إلى عبادة الحجارة والأصنام، فالأفضل أن تسوى بالأرض، ولكن هذا الأمر أضمره النبي ولم يعلنه خوف الفتنة، فإنه أظهر شيئاً وأخفى شيئاً؛ لأن الناس لا تتحمل ذلك.
  - الشيعي: هذا خلاف تنمة الحديث؛ لأنه قال في تنمته: «لنقضت البيت فبنيت على أساس إبراهيم»<sup>(٢)</sup>، وخلاف سلوك إبراهيم عليه السلام، بل خلاف القرآن حيث يقول: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ﴾<sup>(٣)</sup>، بل إن الله جعل حجرين وهما جبل الصفا وجبل المروة من شعائر الله وأمر
- 
- (١) النسائي، أحمد بن شعيب، السنن الكبرى: ج ٢، ص ٣٩١، ح ٣٨٨٧. المتقي الهندي، عليّ، كنز العمال: ج ١٢، ص ٢٠٢، ح ٣٤٦٦٧.
- (٢) النسائي، أحمد بن شعيب، السنن الكبرى: ج ٢، ص ٣٩١، ح ٣٨٨٧. المتقي الهندي، عليّ، كنز العمال: ج ١٢، ص ٢٠٢، ح ٣٤٦٦٧.
- (٣) البقرة: آية ١٢٧.

بتعظيمها، قال تعالى: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾<sup>(١)</sup>.

كُلُّ هذه الحجارة التي تُريد محوها تمثل الدِّين والشعائر والمقدّسات، فإذا محوتها محوت الدِّين. فسكت الوهابي ولم يحز جواباً.

وهذه الحادثة ليست بالحدث الطارئ والحالة الجزئية أو رأي شخصي لفرد من أفراد الوهابية السُّفْيانية، بل هو كاشف عن مبانٍ وأسس أُسس عليها المذهب الوهابي واعتقادات قديمة وحديثة كما في مذكرات مستر همفر<sup>(٢)</sup>، وهو مطابق لما في الروايات أن السُّفْياني يقصد المدينة لهدم قبر النبي ﷺ ونبش قبره ﷺ وقبر فاطمة عليها السلام والتوجه بعد ذلك لهدم الكعبة المشرفة، وهذا الكلام ليس من تأويل الأحاديث، بل صريح الأخبار وواقع الأمر شاهد على ما نقول، وكيفيك مُتابعة بسيطة لكتبهم - خصوصاً التنظيرات والبحوث الحديثة - حتى تجد صواب كلامنا، ومن يترصد مواقعهم في الإنترنت يجد ذلك جلياً واضحاً؛ حيث أعلنوا قبل وقت قريب عن عقد البيعة للمهدي السُّفْياني وعن التحالف مع اليهود والنصارى ضد الرافضة.

وما دامت شرعنة القتل وسفك الدماء أسهل من السهل، فمن الممكن شرعنة أيّ قانون آخر، كالزنا بعنوان جهاد النُّكاح، والاعتصاب، وسبي النساء والولدان بحجة الفتح والفتوحات، فهم وأسيادهم من عشاق الفتح، لكن أيّ فتح!!؟

وقديماً كان سيدهم وقوتهم أبو سفيان ومعاوية ويزيد - الذي هدم

(١) البقرة: آية ١٥٨.

(٢) أنظر: مذكرات مستر همفر الأصل الثاني.

خارطة المسؤوليات في النشاط الوظيفي الديني للمؤمنين تجاه حركات الانحراف الديني ..... ٢٧١

الكعبة- مِنْ عَشَاقِ فَتْحِ الْفُجُورِ وَالْفُسُوقِ .

فهي عقيدة غربية يهودية صهيونية أموية يزيدية سلفية وهابية سُفْيَانِيَّة،

فما أعجبها مِنْ عَجِينَةٍ وَمَا أَخْبَثَهَا مِنْ طِينَةٍ!!؟

### معالم مشروع السفيناني

كتميم لما تقدّم نذكر بعض النقاط التي توضّح مشروع السفيناني  
ومراماته:

أولاً: هدم الكعبة<sup>(١)</sup> ففي حديث طويل<sup>(٢)</sup> رواه الخصبي، عن الفضل بن عمر، عن الصادق عليه السلام، قال: «... كنت وأخي في جيش السفيناني وخربنا الدنيا من دمشق إلى الزوراء وتركناها جمّاء، وخربنا المدينة وكسرنا المنبر، وراثت بغالنا في مسجد رسول الله ﷺ وخرجنا منها وعددنا ثلاثمائة ألف رجل نريد إخراج البيت، وقتل أهله، فلما صرنا في البيداء عرسنا فيها فصاح بنا صائح: يا بيداء، أيدي القوم. فانفجرت الأرض وابتلعت كل الجيش...»<sup>(٣)</sup>.

(١) في مذكرات مستر همفر أن أحد أهداف الوهابية والسلفية الرئيسة هو هدم الكعبة، والغريب المفظع أن بعضهم يستدلّ بحديث النبي ﷺ - الذي أوردناه سابقاً - «لولا حداثة عهد قومك بالكفر لنقضت البيت»، والمضحك المبكي أن هذا الحديث يصبّ في قداسة الكعبة وليس العكس؛ لأنّ تتمته: «لنقضت البيت فبنيت على أساس إبراهيم»، فإذا؛ الهدم هو لإعادتها إلى الأساس الذي بناه آدم وإبراهيم وإسماعيل، وليس للإبادة كما يقول ويهدف هؤلاء أعداء الدين.

(٢) هذا المقطع من الحديث هو كلام للبشير الذي جاء إلى الإمام المهدي عليه السلام بعدما خُسف بجيش السفيناني وكان هو أحد أفراد الجيش.

(٣) الخصبي، الحسين بن حمدان، الهداية الكبرى: ص ٣٩٨. عنه المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٥٣، ص ١٠.



خارطة المسؤوليات في الشاط الوظيفي الديني للمؤمنين تجاه حركات الانحراف الديني ..... ٢٧٣

ثانياً: نبش قبر النبي ﷺ وقبر فاطمة ؓ وهدم المسجد النبوي، هذا فضلاً عن بقية قبور الأولياء والصالحين، ففي رواية في البدء والتاريخ: «... ويبعث جيشاً إلى المدينة فيقتلون ويأسرون ويحرقون، ثم ينبشون عن قبر النبي ﷺ وقبر فاطمة ؓ، ثم يقتلون كل من اسمه محمد وفاطمة ويصلبونهم على باب المسجد، فعند ذلك يشتد غضب الله عليهم فيخسف بهم الأرض، وذلك قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ فَرَعُوا فَلَا قَوْتَ وَأَخَذُوا مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾<sup>(١)</sup>»<sup>(٢)</sup>.

ثالثاً: تخريب المدن، وهذا واضح في الرواية التي أوردناها في النقطة الأولى: «وخرابنا الدنيا...». وكذلك عن أمير المؤمنين ؓ: «ألا وإن السُفْياني يدخل البصرة ثلاث دخلات يذلّ العزيز ويسبي فيها الحريم، ألا يا ويل المنتفكة وما يحلّ بها، من سيف مسلول، وقتيل مجدول، وحرمة مهتوكة...»<sup>(٣)</sup>، وليس بعيداً مما يجري في سوريا من قتل وتخريب وهتك حرّامات واستباحة العرض والدم الحرام، وكذلك ما يجري في العراق.

وهذا له بُعد مدني، وهو إبادة البعد المدني في المدن والبُلدان، وليس فقط التخريب للمعالم الدينية والعقائدية، وهو مطابق لمشروع ضرب البنى التحتية لكلّ دول الشرق الأوسط الذي يستهدفه المشروع الغربي الجديد، لتكون بلدان المنطقة في حالة انفلات وخراب، بغض النظر عن لون وطبيعة ومُصدّاقة الأنظمة فيها.

رابعاً: قتل كلّ من سُمّي بأسماء أهل البيت ؓ، كما عن أمير

(١) سبأ: آية ٥١.

(٢) البلخي، أحمد بن سهل، البدء والتاريخ: ص ١٧٨.

(٣) اليزدي، علي، إلزام الناصب في إثبات الحجّة الغائب: ج ٢، ص ١٦٥.

المؤمنين عليه السلام: «ويصلب على بابها [أي: الكوفة] كل من اسمه حسن وحسين، ثم يسير إلى المدينة فينهبها في ثلاثة أيام، ويُقتل فيها خلق كثير، ويصلب على مسجدها كل من اسمه حسن وحسين؛ فعند ذلك يغلي دماؤهم كما غلى دم يحيى بن زكريا...»<sup>(١)</sup>.

كذلك عن أمير المؤمنين عليه السلام: «... ويقتل من كان اسمه محمداً وأحمد وعلياً وجعفر وحمزة وحسناً وحسيناً وفاطمة ورقيّة وأم كلثوم وخديجة وعاتكة؛ حقاً وبغضاً لبيت آل رسول الله صلى الله عليه وآله، ثم يبعث فيجمع الأطفال، ويغلي الزيت لهم، فيقولون: إن كان أبأؤنا عصوك فنحن ما ذنبنا؟ فيأخذ منهم اثنين اسمهما حسناً وحسيناً فيصلبهما...»<sup>(٢)</sup>.

---

(١) المتقي الهندي، عليّ، البرهان في علامات مهدي آخر الزمان: ص ٧٦-٧٧. المقدسي،

يوسف بن يحيى، عقد الدرر في أخبار المنتظر: ص ٩٤.

(٢) المتقي الهندي، عليّ، البرهان في علامات مهدي آخر الزمان: ص ٧٦-٧٧. المقدسي،

يوسف بن يحيى، عقد الدرر في أخبار المنتظر: ص ٩٣.

### السفياني ويأجوج ومأجوج

ينبغي بيان هذا العنوان في نقاط:

١. إن خراب العمران والطابع المدني والإفساد وسفك الدماء والهرج والمرج هي صفة يأجوج ومأجوج التي ذكرها القرآن الكريم، وقد ذكر في جملة من الروايات الواردة في ملاحم آخر الزمان نبوءة عن خروج يأجوج ومأجوج في آخر الزمان، والظاهر أن المراد به عنوان وصفي، لا أنه عنوان واسم علم لجنس مخلوق وإن كان المعنى الوصفي يؤول للمعنى الثاني من الحقيقة النوعية؛ وذلك بناء على تجسم الأعمال وتجوهر الذات بسنخ الأعمال، أي: إن الذات والروح والنفس وما لها من أبدان تنمسخ ويتكون بها جوهر مسانخ لطبيعة العمل، فالصورة صورة إنسان، وأما الروح فقد تبدلت إلى جنس يأجوج ومأجوج.

٢. إن هذا الوصف لهم في القرآن (يأجوج ومأجوج) مادة مشتق من أجاج، والأجاج تلهب النار وصوت النار، أو صوت لهبها وصوت ضرامها والتوقد والاشتعال، وأج بينهم شرراً أوقده، وأجاج القوم اختلاط كلامهم مع حفيف مشيهم، والقوم في أجة في اختلاط، وأج يؤج أجاً أسرع، والأجاج شدة الحر، والأجة شدة الحر، وتوهجه كأجة الصيف، وماء أجاج، أي: ملح مر شديد المرارة، وقيل: شديد الحرارة أو شديد الملوحة والمرارة والمحرق من ملوحته، ويأجوج يفعول أو فاعول، ومأجوج مفعول<sup>(١)</sup>.

(١) أنظر: ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب: ج ٢، ص ٢٠٦، مادة (أجاج).

كُلُّ هذه المعاني مُتقاربة لأصل ومعنى واحد، وهُوَ اشتعال صفة شيء في جهة الشرّ الشديدة المريرة وتوقّده في ذلك، وهُوَ مطابق للأوصاف المذكورة في القرآن ليأجوج ومأجوج.

ولعلّ الوصف بيأجوج (اسم فاعل) ومأجوج (اسم مفعول) هو أنّ إحدى النمطين أو القبيلتين هُوَ أساس وفاعل الفساد، والنمط الثاني مسخر وتابع للأوّل.

وكذلك قول الراغب الأصفهاني: «قال تعالى: ﴿هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾<sup>(١)</sup>، شديد الملوحة والحرارة مِنْ قولهم: أُجيج النار وأجّتها وقد أجّت. وائتجّ النهار، ويأجوج ومأجوج منه شَبَّهوا بالنار المضطربة والمياه المتموجة لكثرة اضطرابهم، وأجّ الظلم إذا عدا أجيحاً؛ تشبيهاً بأجيج النار»<sup>(٢)</sup>.

٣. اليأجوج والمأجوج كما ذكرهما القرآن في قوله تعالى: ﴿قَالُوا يَا ذَا الْقُرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾<sup>(٣)</sup>، وكذلك قوله تعالى: ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ﴾<sup>(٤)</sup>، فهاتان الآيتان - مِنْ سورة الكهف - تشيران إلى أن يأجوج ومأجوج طبيعة لا يمكن معايشتهم لما هم عليه مِنْ الفساد والإفساد في الأرض، والذين شكوا الذي القرنين مِنْ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ نفس أولئك القوم الشاكين هُم قوم متخلفون، كما

(١) الفرقان: آية ٥٣.

(٢) الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد، المفردات في غريب القرآن: ص ١٠، مادة (أجّ).

(٣) الكهف: آية ٩٤.

(٤) الكهف: آية ٩٩.

يصفهم القرآن الكريم: ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ۗ قَالُوا يَا ذَا الْقُرْآنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾<sup>(١)</sup>. فرغم أنهم لا يكادون يفقهون قولاً لجهلهم وأميتهم وتخلّفهم، فإنهم لا يطبقون التعايش مع قوم يأجوج ومأجوج، فلا يمكن معاشتهم بحال من الأحوال.

ومن ثم؛ ما أن يزول السدّ يصف القرآن هرجهم ومرجهم بتموج بعضهم في بعض تبياناً لعدم انضباطهم بمبدأ ولا ناموس ولا قاموس يُتعاطى معه في المعيشة، وإذا كان اليهود بنو قريظة وبنو النضير نتيجة غدرهم في ذمّة التعايش المدني مع مجتمع المسلمين أجلاهم وأبعدهم النبي ﷺ عن أرض الحجاز، نتيجة خفرهم لذمّة الالتزام والتعهد في التعايش المدني أجلاهم النبي ﷺ، فكيف بمن يفسدون في الأرض من كلّ حدب وصوب؟ فهؤلاء لا يكفي فيهم الإجماع والإبعاد عن النسيج المدني، كما في اليهود، بل لا بدّ من إقامة سدّ عازل يحول بينهم وبين انطلاق أمواج فسادهم تجاه المجتمع المدني الإنساني الآمن، فضلاً عن المجتمع المؤمن المسلم.

وهذا ما وصفه القرآن: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فَتَحْتَ بِأُجُوجَ وَمَأْجُوجَ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ﴾<sup>(٢)</sup>. وهو تصوير وإشارة إلى تموجهم في الإفساد بنحو متداع مترام لا يقف ولا يتوقّف.

كما أنّ تعدّد وجهات الإفساد يعطيه عنوان كلّ حدب، وأيضاً يُعطي محاولة سيطرتهم على المكان المستشرف، أي: مواقع السيطرة في المجتمع والحياة الأرضية، كما مرّ في سورة البقرة وسورة محمد والجمع بين الصفتين - كلّ

(١) الكهف: آية ٩٣-٩٤.

(٢) الأنبياء: آية ٩٦.

حذب ينسلون- يعطي أن أمواجهم في الإفساد وإحداثهم الإفساد ينطلق من بُعد وصولهم إلى مواقع السيطرة في المجتمع.

٤. ولا يتعد مفاد الروايات في وصفهم عن هذا المتحصّل من مفاد الآيات والمعنى اللغوي، فعن حذيفة اليمان عن النبي ﷺ، قال: «أول الآيات: الدجال، ونزول عيسى، ونار تخرج من قعر عدن تسوق الناس إلى المحشر تقيل معهم إذا قالوا، والدخان، والدابة، ثم يأجوج ومأجوج. قال حذيفة: قلت: يا رسول الله، ما يأجوج ومأجوج؟ قال: يأجوج ومأجوج أمم كلّ أمة أربعمئة ألف لا يموت الرّجل منهم حتى يرى ألف عين تطرف بين يديه من صلبه وهم وُلد آدم، فيسيرون إلى خراب الدنيا ويكون مقدمتهم بالشام وساقتهم بالعراق، فيمرّون بأنهار الدنيا فيشربون الفرات ودجلة وبحيرة طبرية حتى يأتوا بيت المقدس، فيقولون: قد قتلنا أهل الدنيا فقاتلوا من في السماء. فيرمون بالنشاب إلى السماء فترجع نشابتهم مخرّبة بالدم، فيقولون: قد قتلنا من في السماء»<sup>(١)</sup>.

حدّثنا زيد بن أسلم، عن أبيه، عن النبي ﷺ قال: «يفتح يأجوج ومأجوج، يخرجون على الناس كما قال الله عزّ وجلّ: ﴿مِن كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ﴾ فيغشون الأرض وينحاز المسلمون عنهم إلى مدائنهم وحصونهم ويضمّون إليهم مواشيهم ويشربون مياه الأرض حتى إنّ بعضهم ليمرّ بالنهر فيشربون ما فيه حتى يتركوه يبساً، حتى إنّ من بعدهم ليمرّ بذلك النهر فيقول: قد كان ههنا ماء

(١) الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ج ١٧، ص ١١٥. السيوطي، جلال الدين، الدر المنثور: ج ٤، ص ٣٣٧، عن جامع البيان. المتقي الهندي، عليّ، كنز العمال: ج ١٤، ص ٢٥٩، ح ٣٨٦٤٥.

مرّة، حتّى إذا لم يبقَ منّ الناس أحدٌ إلا في حصن أو مدينة، قال قائلهم: هؤلاء أهل الأرض قد فرغنا منهم، بقي أهل السماء. قال: ثمّ يهزّ أحدهم حربته، ثمّ يرمي بها إلى السماء فترجع متخضبة دماً للبلاء والفتنة فيبينها هم على ذلك إذ بعث الله دوداً في أعناقهم كنغف الجراد الذي يخرج في أعناقهم فيصبحون موتى...»<sup>(١)</sup>.

٥. إنّ مناهج وسلوك ومسار يأجوج ومأجوج هوَ بعدم التقيّد وعدم الالتزام بأيّ ثابت، ونسف الثوابت الدينيّة والفطريّة المنتشرة بصورة ارتكازات عقلائيّة، ومنّ ثمّ يستلزم ذلك المهرج والمرج والانقلاب.

٦. وهذا ما نلاحظه في الطابع والنهج الأموي منّ أنّه نهج ينسف كلّ الثوابت الدينيّة وباسم الدّين، فمنّ جهة واقع مناهجه هي اليأجوجيّة والمأجوجيّة، وظاهر شعاره (وا إسلاماه) نظير سير الخلفاء الأمويين سابقاً، فإنّ الوليد بن عبد الملك كان يستهدف القرآن بالسهم - كغرض - زندقة، ومع ذلك يتشدّد أنّه خليفة المسلمين والراعي الأوّل للإسلام، وهذا النهج الازدواجي طابع واضح في النهج الأمويّ.

ففي الرواية عنّ عمّار بن أبي الأحوص، وفي ذيلها قوله عليه السلام: «أما علمت أنّ إمارة بني أميّة كانت بالسيف والعسف والجور، وإنّ إمامتنا [إمارتنا] بالرفق والتألف، والوقار والتقّيّة، وحسن الخلطة والورع والاجتهاد، فرغبوا الناس في دينكم وفيما أنتم فيه»<sup>(٢)</sup>.

(١) ابن ماجه، محمد بن يزيد، سنن ابن ماجه: ج ٢، ص ١٣٦٤ باختلاف يسير. وأنظر:

المروزي، نعيم بن حماد، الفتن: ص ١٦٤.

(٢) الصدوق، محمد بن علي، الخصال: ص ٣٥٤. الحر العاملي، محمّد بن الحسن، وسائل

الشيعة: ج ١٦، ص ١٦٤.

٧. هذا ما نلاحظه حالياً طابعاً مُتميّزاً في القاعدة المشكّلة من السلفية والوهابية، فإنَّ سفك الدماء الذي يُمارسونه وقتل الأبرياء وخراب المدن بلا أيّ رادع ولا وازع، وبلا التزام بثابت من الثوابت ولا تقيّد بناموس مُقدّس إلّا على مستوى الشعار كدجل إعلامي وخداع إعلاني، كقناع يلبسونه لتغطية صفة الأاجوجية والمأجوجية لديهم.

٨. ولا يخفى أنّ البلدان التي ينطلق منها السُفّيان الطابع الغالب عليها - قديماً في التاريخ وحديثاً في الزمن المعاصر - متّصفة بصفات النهج الأموي الأاجوجي والمأجوجي، فهي بيئة خصبة لترعرع المشروع السُفّيان.

٩. من خصائص صفات النهج الأموي وطبيعة الأاجوج والمأجوج ما أشار إليه القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ \* وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ \* وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْيِهَادُ﴾<sup>(١)</sup>.

فالآية تذكر عدّة صفات:

منها: إنّ هذا البعض من الناس لسانه وشعاره وإعلانه معسول، وفي الباطن هو من النواصب اللدودين في الخصومة والعداء مع من أمر الله بمودّتهم.

ومنها: قصد هذا البعض الاستيلاء وتقلد الأمور العامّة على الناس. ومنها: إفساده في الأرض، أي: تخريب العمران والطابع المدني والتمدني سواء، في الجانب المادي والعمراني أو طابع التمدن في الأخلاق والإسفاف بها

(١) البقرة: آية ٢٠٤-٢٠٦.



خارطة المسؤوليات في النشاط الوظيفي الديني للمؤمنين تجاه حركات الانحراف الديني ..... ٢٨١

إلى الحالة الوحشية والأوباشية التي هي طبيعة يأجوج ومأجوج المنطبق على طبيعة النهج الأموي.

ومنها: التعصب الشديد الأعمى في التمسك بهذه الوحشية الأوباشية من إهلاك الحرث والنسل، وبنحو يتعزز ويفتخر بها، وهذا ما ورد في روايات الفريقين من صفة يأجوج ومأجوج أنهم يتباهون بسفك الدماء وتخريب تمدن الأرض ومدنيتها وطابعها المدني.

وكذلك قوله تعالى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾<sup>(١)</sup>.

وهي وصف للذين في قلوبهم مرض والذين قال عنهم القرآن أيضاً: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْعَانَهُمْ﴾<sup>(٢)</sup>، أي: إنهم يحملون الضغينة تجاه من أمر الله بمودتهم وهو الضغينة لقربى النبي الذي أمر الله بمودتهم، وهذا ما يتصف به النهج الأموي من البغض والضغينة لأهل البيت عليهم السلام بجانب الإفساد في الأرض ومحاولة المسك بزمام مقاليد الحكم، والمراد بتقطيع الأرحام؛ لأنها أعظم رحم أوصى القرآن بصلتها، حتى جعل أجر كل الرسالة مودة ذوي القربى وصلتهم وبرهم، وهي - تقطيع الأرحام - بعينها صفات الياجوج والمأجوج والسفياي.

(١) محمد: آية ٢٢.

(٢) محمد: آية ٢٩.

## الرجعة قبيل الظهور

### هي محور أدوار مسرح أحداث الظهور

إنَّه قد كُتِبَ في ظهور الإمام الثاني عشر المهدي الحجة بن الحسن عليه السلام كتبٌ ودراسات وبحوث كثيرة، وتمَّ فيها تنقيح كثير من الأمور وتوضيح الرؤية وصلفها لجملة من الأحداث، إلاَّ أنَّه يجدر تسجيل الملاحظة عليها بجملة من المؤاخذات والنقود البنيوية الرئيسة:

١. إنَّ معرفة حقيقة الظهور وحقيقة دولة العدل للإمام الثاني عشر عليه السلام لا تتمُّ بدون معرفة الغاية من الظهور والغاية من الدولة؛ لأنَّ غاية كلِّ شيء هو أبين أمر في تعريف الشيء، حتَّى إنَّه قيلَ في علم المنطق: إنَّ الأجزاء الركنيَّة القواميَّة التي يتكوَّن منها الشيء ليست بمثابة من الأهميَّة في تعريف الشيء بقدر تعريفه بغايته.

وقد دلَّت الروايات المُستفيضة والمتواترة على أنَّ الغاية من ظهوره عليه السلام وإقامة دولته هو التمهيد لرجعة آباءه عليهم السلام، وأنَّ ظهوره ودولته فاتحة لظهور آباءه برجعتهم إلى دار الدنيا مرَّة أُخرى، وإقامة دولتهم ذات الشأن العظيم. فإذا تقرَّر ذلك؛ فيتبيَّن أنَّ بحوث الظهور والدراسات حول ظهور ودولة الإمام الثاني عشر غيَّب فيها ما هو لب لباب معرفتها، وما هو محور كنه حقيقتها، وهذه النقطة بيَّناها في مباحث كتاب (الرجعة بين الظهور والقيامة)؛ وبسبب هذا التغييب لحقيقة الظهور ودولة الإمام الثاني عشر عليه السلام سهل على

كثير من الحركات والتيارات المنحرفة للأدعياء والدجالين مسخ ماهية الظهور وماهية دولة العدل للإمام الثاني عشر، فأخذوا يرسمون لها ماهيات مسوخة عن أصل حقائق ثوابت الدين بتلاوين مارقة عن صبغة الدين الحنيف.

٢. إن هذه الدراسات والبحوث جعلت نجوم ومحاور مسرح أحداث سنة الظهور عبارة عن الخراساني والبياني والسفنياني، بينما الظاهر من روايات مستفيضة أن محور محاور أحداث سنة الظهور هو حصول الرجعة في أوائل رجب، أي: ستة أشهر قبل الظهور، وأن الذي يرجع عدد غفير من الموتى من المؤمنين، يكون لهم دور بالغ الخطورة في توازن معادلات الأحداث في سنة الظهور، لا سيما السبعة والعشرين نفرًا وفردًا من أفراد الحكومة المركزية لدولة الإمام الثاني عشر، وهم الخلية المركزية في أصحابه الثلاثمائة وثلاثة عشر، ويقومون بدور تمهيدي عظيم رئيسي في العراق، ثم في مكة، ومن عظم هذا الدور لهم وردت المقولة المستفيضة عن المعصومين عليه السلام: «العجب كل العجب ما بين جمادي ورجب»<sup>(١)</sup>، حتى أن أمير المؤمنين عليه السلام كان يرددها باستفاضة على منبر الكوفة، وكان الكثير من الجلساء تحت منبره يستحفونه السؤال عن سبب هذا التعجب، فيخبرهم بحصول رجعة للمؤمنين في ذلك التوقيت، وأنه يكون لهم دور خطير في سنة الظهور في العراق ثم في مكة، بل لم يأت في كلام أمير المؤمنين عليه السلام ذكر للحسني والبياني وللسفنياني بقدر ما كان يذكر العجب في رجب أو ما بين جمادي ورجب؛ مما يؤثر على مزيد اهتمامه عليه السلام بها لهذه المجموعة الراجعة من دور خطير في مسرح الأحداث لسنة الظهور،

(١) القندوزي، سليمان بن إبراهيم، ينابيع المودة: ج ٣، ص ٤٣٤، باب ٩٩، ح ٤.

ثم روايات العجب روايات صحيحة، منها ما عن الأصمغ بن نباتة قال: خطب أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام بالكوفة، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: «... فيا لهفاه على ما أعلم! رجب شهر ذكّر، رمضان تمام السنين، شوال يُشال فيه من القوم، ذو القعدة يقعدون فيه، ذو الحجة الفتح من أول العشر، ألا إنّ العجب كلّ العجب بعد جمادي ورجب، جمع أشتان وبعث أموات وحديثات هونات هونات بينهن موتات، رافعة ذيلها داعية عولها معلنة قولها، بدجلة أو حولها، ألا إنّ منّا قائماً عفيفة أحسابه، سادة أصحابه، تنادوا عند اصطلام أعداء الله باسمه واسم أبيه في شهر رمضان ثلاثاً، بعد هرج وفتال، وضنك وخبال، وقيام من البلاء على ساق، وإني لأعلم إلى من تخرج الأرض ودائعها، ويُسلم إليه خزائنها، ولو شئت أن أضرب برجلي فأقول: أخرجوا من ها هنا بيضاً ودروعاً»<sup>(١)</sup>.

وكذلك خطب عليّ عليه السلام بعد انقضاء النهران، فقال: «ذلك أمر الله وهو كائن وقتاً مريحاً، فيا بن خيرة الإمام متى ننتظر، أبشر بنصر قريب من ربّ رحيم، فبأبي وأمي من عدّة قليلة، أسماؤهم في الأرض مجهولة، قد دان حينئذٍ ظهورهم، يا عجباً كلّ العجب بين جمادي ورجب! من جمع شتات، وحصد نبات، ومن أصوات بعد أصوات. ثمّ قال: سبق القضاء سبق»<sup>(٢)</sup>.

٣. إنّ هذه الدراسات والبحوث تُركّز على شخوص الحسيني والبياني والسّفياني، والتدقيق في أشخاصهم وشخصيتهم وخصوصياتهم الشخصية،

(١) ابن المنادي، أحمد بن جعفر، الملاحم: ص ٣٠٤-٣٠٧. المتقي الهندي، عليّ، كنز العمال: ج ١٤، ص ٥٩٤-٥٩٤، ح ٣٩٦٧٩ بتفاوت يسير.

(٢) القندوزي، سليمان بن إبراهيم، ينابيع المودة: ج ٣، ص ٤٣٤، باب ٩٩، ح ٤.

مع أنّ الأهم بحسب الروايات في الأحداث ليس أشخاص الثلاثة وغيرهم ممن ذكرت أسماؤهم في أحداث سنة الظهور، بل الأهم هو بيان طبيعة المناهج الثلاثة، وطبيعة المسار والمنطلق العقائدي والفكري والفقهّي لكلّ من التيارات البشرية الثلاثة، وبيان المنهج لهذه التيارات أعظم في ميزان البصيرة وقواعد صحّة الرؤية من شخوص الأشخاص.

فبوصلة البحث في دراسات الظهور أخذت منحىً صوري، بدل أن تدخل في عمق الأسباب المؤثرة في الأحداث وحقيقة القوى الفاعلة في التيارات؛ ومن ثمّ وردّ في الروايات أنّ الحسني والسياني والسفياني وإن كان من المحتوم، إلا أنّ إمكانية وقوع البداء في الثلاثة، وإمكانية البداء فيها له عدّة تفسيرات وتأويلات قد تقدّم بعض منها، إلا أننا نضيف في المقام تأويلاً آخر، وهو الإشارة إلى ما نحن فيه من أهميّة المنهج وخطورته للتيارات الثلاثة بدرجة تفوق شخوص الأشخاص الثلاثة، وأنّ أشخاص الثلاثة لا ينحصر بهم وقوع مسرح الأحداث، بل المناهج الثلاثة في التيارات البشرية هي العمدة في التأثير في أحداث سنة الظهور، فالبحث في المنهج والمسلك وشعارات كلّ راية من الرايات الثلاث هي أعظم وأخطر بدرجة بالغة عن الحديث عن الأشخاص، فكم حصل تغييب للباب الأحداث؟ ويتركز ذلك على سطح الأمور، واللباب هو التفسير المنطقيّ العقائديّ الفقهّي لكلّ تيار كي يكون المؤمن على بصيرة قواعد الموازين، ولا تلبس عليه اللوالب في كيفية تحمّل المسؤولية والوظيفة؛ ومن ثمّ وقع التركيز على سطح الأمور في تلك الدراسات والبحوث ممّا مهّد الأرضية لخداع جملة من الأدعياء والدجالين لتقمّص صورة هؤلاء الثلاثة، فغيّب الوعي بالمنهج الذي هو قوام البصيرة،

واستبدل واختزل في أسماء لأشخاص وشخص. .

٤. إنَّ بلورة العقيدة المهدويّة بالإمام الثاني عشر وظهوره ودولته تمَّ صياغتها وقولبتها بعيداً عن ماهية منهاج آباءه، كالمناهج العلويّ والفاطميّ والحسنيّ والحسينيّ وبقية الأئمّة، فصار البيان لماهية الظهور - ومشروع الدولة للإمام الثاني عشر - مبتوراً عن لبّه الحقيقي ومجتثاً عن جذوره الأصليّة، وكانّنا منهج الحسين عليه السلام مُعَيَّب لونه في منهج الظهور وإقامة دولة الظهور، وكذلك منهج أصحاب الكساء، بل الأعظم منهج سيّد الأنبياء الذي هو السيّد الأكبر وإمام الأئمّة عليه السلام؛ وَمِنْ ثَمَّ سَهَلَ عَلَى الأَدْعِيَاءِ والدجّالين المُدَّعِينِ للمهدويّة إبداء منهج مهديّ مُناقض للمنهج الحسينيّ، ومُعَيَّب فيه منهج أصحاب الكساء وثوابت ومُحكّمات القرآن العظيم؛ كُلٌّ ذلك بسبب البلورة المتبورة لحقيقة العقيدة بالإمام الثاني عشر ومشروعه العظيم.

### السفياني بين المحتوم والموقوف

وردت روايات كثيرة أكدّت أنّ السفياني من المحتوم، وبعضها حدّد وقت خروجه، فعن معلى بن خنيس، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «من الأمر محتوم، ومنه ما ليس بمحتوم، ومن المحتوم خروج السفياني في رجب»<sup>(١)</sup>، وكذلك عن عبد الملك بن أعين، قال: «كنت عند أبي جعفر عليه السلام فجرى ذكر القائم عليه السلام فقلت له: أرجو أن يكون عاجلاً ولا يكون سفياني، فقال: لا والله، إنّه من المحتوم الذي لا بدّ منه»<sup>(٢)</sup>، وكذلك رواية حمران بن أعين، عن أبي جعفر محمد بن علي عليه السلام في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ﴾<sup>(٣)</sup>، فقال: «إنّهما أجلان، أجل محتوم، وأجل موقوف، فقال له حمران: ما المحتوم؟ قال: الذي لله فيه المشيئة، قال حمران: إنّي لا أرجو أن يكون أجل السفياني من الموقوف. فقال أبو جعفر عليه السلام: لا والله، إنّه لمن المحتوم»<sup>(٤)</sup>.

وكذلك وردت روايات كثيرة في شأن حركة السفياني وأنها من المحتوم، كما أنّها فصلت في الفترة التي يتحرّك فيها وفي وقتها، وما هي مساحة سلطانه، وهذا التفصيل إشارة إلى إمكان البداء في تفاصيل حركته - كما سنبيّن - فقد ورد عن عيسى بن أعين، عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه قال: «السفياني

(١) النعماني، محمد، الغيبة: ص ٣١١، باب ١٨، ح ٢.

(٢) المصدر نفسه: ص ٣١٢، باب ١٨، ح ٤.

(٣) الأنعام: آية ٢.

(٤) النعماني، محمد، الغيبة: ص ٣١٢، باب ١٨، ح ٥.

مِنَ الْمُحْتَمِ، وخروجه في رجب، وَمِنَ أَوَّلِ خُرُوجِهِ إِلَى آخِرِهِ خَمْسَةَ عَشَرَ شَهْرًا  
سِتَّةَ أَشْهُرٍ يُقَاتِلُ فِيهَا، فَإِذَا مَلَكَ الْكُورَ الْخَمْسَ مَلَكَ تِسْعَةَ أَشْهُرٍ وَلَمْ يَزِدْ عَلَيْهَا  
يَوْمًا»<sup>(١)</sup>.

وفي تفسير القمّي: سُئِلَ الْإِمَامُ أَبُو جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: سَأَلْتَهُ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى:  
﴿عُلِبَتِ الرُّومُ \* فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ﴾<sup>(٢)</sup>، قَالَ: أَبُو عبيدة:  
قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «إِنَّ هَذَا تَأْوِيلًا لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنَ الْأُمَّةِ، إِنَّ  
رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا هَاجَرَ إِلَى الْمَدِينَةِ وَقَدْ ظَهَرَ الْإِسْلَامَ كَتَبَ إِلَى مَلِكِ الرُّومِ كِتَابًا  
وَبَعَثَ إِلَيْهِ رَسُولًا يَدْعُوهُ إِلَى الْإِسْلَامِ، وَكَتَبَ إِلَى مَلِكِ فَارِسَ كِتَابًا وَبَعَثَ إِلَيْهِ  
رَسُولًا يَدْعُوهُ إِلَى الْإِسْلَامِ، فَأَمَّا مَلِكُ الرُّومِ فَإِنَّهُ عَظَّمَ كِتَابَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ  
وَأَكْرَمَ رَسُولَهُ، وَأَمَّا مَلِكُ فَارِسَ فَإِنَّهُ مَزَّقَ كِتَابَهُ وَاسْتَخَفَّ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ  
وَكَانَ مَلِكُ فَارِسَ يُقَاتِلُ يَوْمئِذٍ مَلِكَ الرُّومِ وَكَانَ الْمُسْلِمُونَ يَهُوونَ أَنْ يَغْلِبَ  
مَلِكُ الرُّومِ مَلِكَ فَارِسَ، وَكَانُوا لِنَاحِيَةِ مَلِكِ الرُّومِ أَرْجَى مِنْهُمْ لِمَلِكِ فَارِسَ،  
فَلَمَّا غَلَبَ مَلِكُ فَارِسَ مَلِكَ الرُّومِ بَكَى لَذَلِكَ الْمُسْلِمُونَ وَاعْتَمَّوْا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ:  
﴿عُلِبَتِ الرُّومُ \* فِي أَدْنَى...﴾. يَعْنِي غَلَبَهَا فَارِسُ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ، وَهِيَ الشَّامَاتُ  
وَمَا حَوْلَهَا، ثُمَّ قَالَ، وَفَارِسٌ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمُ الرُّومِ سَيُغْلِبُونَ فِي بَضْعِ سَنِينَ.

وقوله: ﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ﴾، أَنْ يَقْضِيَ بِمَا يَشَاءُ، قَوْلُهُ: ﴿وَيَوْمَئِذٍ  
يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ \* بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ﴾. قُلْتُ: أَلَيْسَ اللَّهُ يَقُولُ: ﴿فِي بَضْعِ  
سَنِينَ﴾، وَقَدْ مَضَى لِلْمُسْلِمِينَ سَنُونَ كَثِيرَةٌ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفِي إِمَارَةِ أَبِي بَكْرٍ  
وَأِنَّمَا غَلَبَ الْمُؤْمِنُونَ فَارِسَ فِي إِمَارَةِ عَمْرٍ؟

(١) المصدر السابق: ص ٣١٠، باب ١٨، ح ١.

(٢) الروم: آية ٢-٣.



فقال: ألم أقل لك: إن لهذا تأويلاً وتفسيراً والقرآن - يا أبا عبيدة - ناسخ ومنسوخ، أما تسمع قوله: ﴿لله الأمر من قبل ومن بعد﴾؟ يعني المشيئة في القول أن يؤخر ما قدم ويقدم ما أخر إلى يوم يحتم القضاء بنزول النصر فيه على المؤمنين، وذلك قوله: ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ \* بَنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ﴾<sup>(١)</sup>.  
والرواية المتقدمة تُشير إلى أن الانتصارات تكون بمشيئة الله وإرادته (عز وجل)، وحتى غلبة الروم في كل معاركهم، ومنها معركتهم مع أتباع أهل البيت عليهم السلام - بواسطة السفياني - لله فيها الأمر من قبل ومن بعد، أي: له فيها البداء.

في مقابل هذه الروايات هناك بعض الروايات تُصرح بإمكان البداء في حركة السفياني، حدثنا أبو هاشم داود بن القاسم الجعفري، قال: «كُنَّا عِنْدَ أَبِي جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ الرِّضَاءِ عليه السلام فَجَرَى ذِكْرَ السُّفْيَانِيِّ وَمَا جَاءَ فِي الرِّوَايَةِ مِنْ أَمْرِهِ مِنَ الْمَحْتَمِ، فَقُلْتُ لِأَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام هَلْ يَبْدُو لِلَّهِ فِي الْمَحْتَمِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قُلْنَا لَهُ: فَخَافَ أَنْ يَبْدُو لِلَّهِ فِي الْقَائِمِ. فَقَالَ: إِنَّ الْقَائِمَ مِنَ الْمِعَادِ، وَاللَّهُ لَا يَخْلُفُ الْمِعَادَ»<sup>(٢)</sup>.

ومعنى كونه محتوم لا يعني عدم تطرق البداء فيه؛ لأن المحتوم ليس الذي وقع ووجد، إنما قدر تقديراً باتاً ولما يقع، وقد اكتملت أسباب وقوعه، أي: شارفت أسباب وقوعه على الاكتمال ولما يقع، وعلى ضوء ذلك فإمكان

(١) القمي، علي بن إبراهيم، تفسير القمي: ج ٢، ص ١٥٢. المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٤، ص ١٠٠.

(٢) النعماني، محمد، الغيبة: ص ٣١٥، باب ١٨، ح ١٠. المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٥٢، ص ٢٥٠.

هيمنة تقدير آخر حاكم ووارد.

وإنما سُمِّي محتوماً لأن أسباب وقوعه قد تكاملت وشارفت على الاكتمال، بخلاف التقدير الذي لما تجمع أسباب وقوعه، لا يسمَّى تقديراً محتوماً وكذلك الحال بالنسبة للقضاء المُبرَم؛ ومن ثمَّ ورد عنهم: «فإنَّ الدعاء... يردُّ البلاء وقد قُدر وقُضي ولم يبقَ إلَّا إمضاءه»<sup>(١)</sup>، وأنَّ: «الدعاء يردُّ القضاء بعدما أُبرم إبراماً»<sup>(٢)</sup>، كما هو الحال في قوم يونس عليه السلام عندما تحقق جملة من أسباب وقوع العذاب في المحيط والبيئة خارجاً، حتى أنَّ العذاب أظلمهم، أي: قُرب من أكنافهم إلَّا أنَّهم لما دعوا وتضرَّعوا وتابوا واستكانوا كُشف عنهم العذاب.

نعم، البداء بكل مراتبه حتى الأعظم منه لا يتطرَّق احتمالاً وإمكانه فيما وعد الله؛ لأنَّ الله تعالى لا يخلف الميعاد، كذلك الحال فيما أخبر الله (عزَّ وجلَّ) عنه من أمور مستقبلية تقع لاحقاً، فإنَّه لا يتخلف ما أخبر عنه تعالى، وقد تقدَّم سابقاً شطر من الكلام في ذلك فراجع.

### دروس تربوية في البداء

من جهة أخرى المعصوم عليه السلام يُربي المؤمنين علمياً وعملياً على كيفية التعاطي مع البداء، فعن الإمام أبي جعفر عليه السلام، قال: قلتُ: لهذا الأمر وقت؟ فقال عليه السلام: «كذب الوقَّاتون، كذب الوقَّاتون، إنَّ موسى عليه السلام لما خرج وافداً إلى ربِّه، واعدَّهم ثلاثين يوماً، فلما زاده الله على الثلاثين عشراً، قال قومه: قدَّ أخلقنا موسى. فصنعوا ما صنعوا، فإذا حدَّثناكم الحديث فجاء على ما

(١) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ٢، ص ٤٧٠.

(٢) المصدر نفسه.

خارطة المسؤوليات في النشاط الوظيفي الديني للمؤمنين تجاه حركات الانحراف الديني ..... ٢٩١

حدّثناكم به، فقولوا: صدق الله، وإذا حدّثناكم الحديث فجاء على خلاف ما حدّثناكم به، فقولوا: صدق الله. تؤجروا مرّتين»<sup>(١)</sup>.

وفي مُناظرة الإمام الرضا عليه السلام مع سليمان المروزي: «لقد أخبرني أبي، عن آباءه أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: إنّ الله (عزّ وجلّ) أوحى إلى نبيّ من أنبيائه أنّ أخبر فلان الملك: أنّي متوفيه إلى كذا وكذا. فأتاه ذلك النبيّ فأخبره، فدعا الله الملك وهو على سريره حتّى سقط من السرير، وقال: يا ربّ، أجلني حتّى يشبّ طفلي وأقضي أمري. فأوحى الله (عزّ وجلّ) إلى ذلك النبيّ أنّ ات فلان فأعلمه أنّي قد أنسيت أجله وزدت في عمره إلى خمس عشرة سنة. فقال ذلك النبيّ: يا ربّ، إنّك لتعلم أنّي لم أكذب قط. فأوحى الله (عزّ وجلّ) إليه: إنّما أنت عبد مأمور فأبلغه ذلك، والله لا يُسئل عمّا يفعل»<sup>(٢)</sup>.

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾<sup>(٣)</sup> عن الإمام أبي عبد الله عليه السلام: عن آباءه عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: «إنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال: قال الله تعالى: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ فإنّ من شأنه أن يغفر ذنباً ويفرّج كرباً ويرفع قوماً ويضع آخرين»<sup>(٤)</sup>.

وعن سليمان الطلحي قال: «قلتُ للإمام أبي جعفر عليه السلام أخبرني عمّا أخبرت به الرُّسُل عن ربّها وأنها ذلك إلى قومها أيكون لله البداء فيه؟ قال:

(١) المصدر السابق: ج ١، ص ٣٦٨.

(٢) الصدوق، محمّد بن عليّ، عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج ١، ص ١٦١. المجلسي، محمّد باقر، بحار الأنوار: ج ٤، ص ٩٥.

(٣) الرحمن: آية ٢٩.

(٤) البحراني، هاشم، البرهان في تفسير القرآن: ج ٥، ص ٢٣٧.

أَمَّا إِنِّي لَا أَقُولُ لَكَ: إِنَّهُ يَفْعَلُ، وَلَكِنْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ فَعَلَ»<sup>(١)</sup>.

وكذلك عَنْ أَبِي بصير عَنْ أَحَدِهِمَا: «إِنَّ رَأْسَ الْمَهْدِيِّ الْعَبَّاسِيِّ يُهْدَى إِلَى مُوسَى بْنِ عِيسَى عَلَى طَبَقٍ. قُلْتُ: فَقَدْ مَاتَ هَذَا وَهَذَا؟ قَالَ: فَقَدْ قَالَ اللَّهُ: ﴿ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾، فَلَمْ يَدْخُلُوهَا وَدَخَلَهَا الْأَنْبَاءُ - أَوْ قَالَ أَبْنَاءَ الْأَنْبَاءِ - فَكَانَ ذَلِكَ دُخُولَهُمْ. فَقُلْتُ: أَوْ تَرَى أَنَّ الَّذِي قَالَ فِي الْمَهْدِيِّ وَفِي ابْنِ عِيسَى يَكُونُ مِثْلَ هَذَا؟ فَقَالَ: نَعَمْ يَكُونُ فِي أَوْلَادِهِمْ»<sup>(٢)</sup>.

وأيضاً عَنْ ضَرِيْسِ الْكِنَاسِيِّ قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ الْإِمَامِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَعِنْدَهُ أَبُو بصير، فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «إِنَّ دَاوُدَ وَرَثَ عِلْمِ الْأَنْبِيَاءِ، وَإِنَّ سَلِيمَانَ وَرَثَ دَاوُدَ، وَإِنَّ مُحَمَّدًا عَلَيْهِ السَّلَامُ وَرَثَ سَلِيمَانَ، وَإِنَّا وَرَثْنَا مُحَمَّدًا عَلَيْهِ السَّلَامُ وَإِنَّ عِنْدَنَا صُحُفَ إِبْرَاهِيمَ وَأَلْوَاحَ مُوسَى. فَقَالَ أَبُو بصير: إِنَّ هَذَا هُوَ الْعِلْمُ، فَقَالَ: يَا أَبَا مُحَمَّدٍ، لَيْسَ هَذَا هُوَ الْعِلْمُ، إِنَّمَا الْعِلْمُ مَا يَحْدُثُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ يَوْمًا بِيَوْمٍ وَسَاعَةً بِسَاعَةٍ»<sup>(٣)</sup>.

وعن الإمام أبي جعفر عليه السلام قال: «إِنَّ اللَّهَ لَمْ يُدْعِ شَيْئاً كَانَ أَوْ يَكُونُ إِلَّا كَتَبَهُ فِي كِتَابٍ، فَهُوَ مَوْضُوعٌ بَيْنَ يَدَيْهِ يَنْظُرُ إِلَيْهِ فَمَا شَاءَ مِنْهُ قَدَّمَ، وَمَا شَاءَ مِنْهُ أَخَّرَ، وَمَا شَاءَ مِنْهُ مَحَا، وَمَا شَاءَ مِنْهُ كَانَ، وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ»<sup>(٤)</sup>.

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٤، ص ١٢٢. نخبة من الرواة، الأصول الستة عشر: ص ١١٠.

(٢) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ١٣، ص ١٧٩-١٨٠.

(٣) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ١، ص ٢٢٥.

(٤) القمي، علي بن إبراهيم، تفسير القمي: ج ١: ٣٦. المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٤، ص ١١٨-١١٩.

## البداء واخفاق مشروع السُفياني

### روايات البداء بلسان البشارة

هُنا يحسن بنا تطبيق قواعد البحث السابق على مشروع السُفياني المستقبليّ؛ بياناً لآفاق الاختيار والمسؤوليّة في ظلّ كونه من المحتوم، إلا أنّ حتميته لا تفلت من البداء، ولم يكن تقريراً ضمن المباحث السابقة.

هُناك روايات عديدة بيّنت أنّ نفس ظهور حركة السُفياني فيها بشارة؛ حيث إنّها علامة من علامات الفرج بظهور صاحب الأمر عليه السلام، ونفس معنى أو عنوان (البشارة) فيه إشارة إلى إمكان البداء في حركة السُفياني تعجلاً بالفرج. فعن هشام بن سالم، عن أبي عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام أنّه قال: «إذا استولى السُفياني على الكور الخمس فعُدّوا له تسعة أشهر. وزعم هشام أنّ الكور الخمس: دمشق، وفلسطين، والأردن، وحمص، وحلب»<sup>(١)</sup>، ومن الواضح هنا أنّ السُفياني يملك الكور الخمس فتكون منها فلسطين، وهُنا إشارة إلى أنّ إسرائيل قد تكون زائلة، وإلا فكيف يحكمها أو يسيطر عليها، ومن غير المحتمل أن يكون هو الذي أسقطها. ومن جهة أخرى تُبيّن أنّ لبنان خارجة عن سيطرة السُفياني، منه ما رواه

---

(١) النعماني، محمد، الغيبة: ص ٣١٦. عنه المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٥٢، ص ٢٥٢.

الصدوق، بإسناده عن عبد الله بن أبي منصور البجلي، قال: «سألت أبا عبد الله عليه السلام عن اسم السُفْياني، فقال: وما تصنع باسمه؟ إذا ملك كور الشام الخمس: دمشق، وحمص، وفلسطين، والأردن، وقنسرين فتوقعوا عند ذلك الفرج. قلت: يملك تسعة أشهر؟ قال: لا، ولكن يملك ثمانية أشهر لا يزيد يوماً»<sup>(١)</sup>.

إذاً؛ في هذه الروايات إشارات كثيرة لنصر المؤمنين، رغم أنّها تصوّر لنا شدة البأس الذي يلقاه المؤمنون من السُفْياني، فإنّ زوال إسرائيل بحدّ ذاته نصر عظيم وفرح كبير وفرح عظيم وبشارة كبرى، وحتى قول الإمام عليه السلام: «إنّ السُفْياني يملك ثمانية أشهر». هذا نصر آخر؛ باعتبار أنّ قُصر فترة حكمه كاشفة عن شدة مقاومة المؤمنين لمشروعه، ولذلك الإمام عليه السلام يجعل الاستيلاء والسيطرة على الكور الخمس بحدّ ذاته علامة ومؤشّر لحصول النصر للمؤمنين؛ حيث يقول: «فتوقعوا الفرج».

نعم، هناك روايات ذكرت أنّ مُدّة ملكه تسعة أشهر، وبعضها (حمل جمل)<sup>(٢)</sup>. فقد جاء عن عيسى بن أعين، عن أبي عبد الله عليه السلام: «السُفْياني من المحتوم وخروجه في رجب، ومن أول خروجه إلى آخره خمس عشر شهراً، ستة أشهر يقاتل فيها، فإذا ملك الكور الخمس ملك تسعة أشهر ولم يزد عليها يوماً»<sup>(٣)</sup>. ولعلّ هذا التفاوت - الذي ذكرته الروايات - في مُدّة ملكه إشارة لجهة البداء الذي من أسبابه همّة المؤمنين الأبطال الغيارى في مواجهته.

(١) الصدوق: محمد بن عليّ، إكمال الدين: ص ٦٥٢. المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار:

ج ٥٢، ص ٢٠٦.

(٢) أنظر: الطوسي، محمد بن الحسن، الغيبة: ص ٤٥٠.

(٣) النعماني، محمد، الغيبة: ص ٣١٠، باب ١٨، ح ١.

## رجفة الشام

عن المغيرة بن سعيد، عن أبي جعفر الباقر عليه السلام أنه قال: «قال أمير المؤمنين عليه السلام: إذا اختلف الرحمان بالشام لم تنجل إلا عن آية من آيات الله. قيل: وما هي يا أمير المؤمنين؟ قال: رجفة تكون بالشام، يهلك فيها أكثر من مائة ألف، يجعلها الله رحمة للمؤمنين وعذاباً على الكافرين، فإذا كان ذلك فأنظروا إلى أصحاب البراذين الشهب المحذوفة، والرايات الصفرة تُقبل من المغرب حتى تحل الشام، وذلك عند الجزع الأكبر والموت الأحمر، فإذا كان ذلك فأنظروا خسف قرية من دمشق يُقال لها: حرستا، فإذا كان ذلك خرج ابن آكلة الأكباد من الوادي اليابس حتى يستوي على منبر دمشق، فإذا كان ذلك فانتظروا خروج المهدي عليه السلام»<sup>(١)</sup>.

ومن هذه الرواية يمكن استفادة عدة أمور:

١. في هذه الرواية يُبين أمير المؤمنين عليه السلام أن الاختلاف والصراع في الشام هو رحمة للمؤمنين وعذاب للكافرين، أي: إن النصر للمؤمنين إن شاء الله.

٢. إن الرايات الصفرة الظاهر أنها كناية عن الغرب، حيث يتدخلون بجيوشهم تدخلاً مباشراً بعد أن فشلت مخططاتهم في الشام من خلال إحداث الفتن بين أبناء الإسلام، وبعد أن تفشل مخططاتهم في استئصال أهل الحق.

٣. وقد يستظهر من الرواية أن السفيناني هو الخيار الأخير للغرب الكافر، وهو يأتي بعد (فشلين) في مرحلتين: مرحلة الاقتتال في الشام،

(١) المصدر نفسه: ص ٣١٧، باب ١٨، ح ١٦. الطوسي، محمد بن الحسن، الغيبة:

ومرحلة التدخّل الغربي المباشر، وليس كما يتصوّر أنّه هو الذي يخوض المعارك في الشام، بل هو يسيطر عليها بدعم مباشر من الغرب الكافر، بعد حروب طويلة فيسيطر على فلسطين، فمن البعيد أنّه هو الذي يزيل الكيان الصهيوني عنها؛ لأنّه حليف لهم، ولعلّ في ذلك إشارة - وبشارة - بسقوط إسرائيل قبل خروج السّفياني وزوال دولتها، فإذا ظهر سيطر عليها بعد سقوطها. فحينها تقول الرواية، عن عبد الله بن جعفر بن منصور البجلي، قال: «سألت أبا عبد الله عن اسم السّفياني، فقال: وما تصنع باسمه؟ إذا ملك كور الشام الخمس: دمشق، وحمص، وفلسطين، والأردن، وقنسرين فتوقّعوا عند ذلك الفرج»<sup>(١)</sup>. فكونه يسيطر على فلسطين يعني أنّها خارجة عن سيطرة إسرائيل؛ وبالتالي هو نبوءة بسقوط إسرائيل وفشل المشروع الإسرائيلي الغربي في المنطقة بجهود المؤمنين من أهل الحق، وكما قلنا هما فشلان: فشل في جعل المسلمين يأكل بعضهم بعضاً، وفشل آخر بالتدخّل العسكري المباشر من قبل الغرب الكافر، حينها يخرجون صنيعتهم وورقتهم الرابعة - كما يتصورون - السّفياني.

#### روايات (البداء) بلسان أن السّفياني نقمة للمؤمنين

عن محمد بن مسلم، قال: سمعت أبا جعفر الباقر عليه السلام يقول: «اتقوا الله واستعينوا على ما أنتم عليه بالورع والاجتهاد في طاعة الله، فأشدّ ما يكون أحدكم اغتباطاً بما هو فيه من الدّين لو قد صار في حدّ الآخرة وانقطعت الدّنيا عنه، فإذا صار في ذلك الحدّ عرف أنّه قد استقبل النعيم والكرامة من الله والبشرى بالجنة، وأمن ممّا كان يخاف، وأيقن أنّ الذي كان عليه هو الحقّ، وأنّ من خالف دينه على باطل، وأنّه هالك فابشروا، ثمّ ابشروا بالذي تريدون،

(١) الصدوق: محمد بن عليّ، إكمال الدّين: ص ٦٥٢، ح ١١.



ألستم تريدون أعداءكم يقتتلون في معاصي الله ويقتل بعضهم بعضاً على الدنيا دونكم وأنتم في بيوتكم آمنون في عزلة عنهم؟ وكفى بالسُّفْياني نقمة لكم من عدوكم وهو من العلامات لكم، مع إنَّ الفاسق لو قد خرج لمكثتم شهراً أو شهرين بعدَ خروجه لم يكن عليكم بأس حتى يقتل خلقاً كثيراً دونكم.

فقال له بعض أصحابه: فكيف نصنع بالعيال إذا كان ذلك؟ قال: يتغيّب الرجال منكم عنه فإنَّ حنقه وشرهه (حرصه) إنّما هي على شيعتنا، وأما النساء فليس عليهن بأس إن شاء الله. قيل: فإذن، أين مخرج الرجال ويهربون منه؟ فقال: من أراد منهم أن يخرج إلى المدينة أو إلى مكة أو إلى بعض البلدان. ثم قال: ما تصنعون بالمدينة وإنّما يقصد جيش الفاسق إليها، ولكن عليكم بمكة فإنّها جمعكم، وإنّما فتنته حمل امرأة تسعة أشهر لا يجوزها إن شاء الله<sup>(١)</sup>.

وهذه الرواية أيضاً يمكن جعلها من روايات (البداء بلسان البشارة) حيثُ بيّن فيها الإمام الباقر عليه السلام أنّ في فتن آخر الزمان رحمة للمؤمنين وبشارة لهم، إنّهم آمنون في بيوتهم وأعدائهم يقتل بعضهم بعضاً، بل هو عليه السلام يجعل نفس السُّفْياني الذي فيه ما فيه وعليه ما عليه بشارة؛ لأنّه نقمة من الأعداء، ومع ذلك الإمام لم ينكر أنّه يقتل منهم خلقاً كثيراً، بسبب تخاذلهم، أي: إنّهم لو لم يتخاذلوا لكفكفوا نشاطه.

### الإعلام المزيف للسُّفْياني

الرواية المتقدمة تبين أنّ حرصه على قتل رجال الشيعية، وليس على النساء والأطفال من بأس، وقد قرأنا أنّه يبقر بطون الحوامل ويزني بالمرأة في

(١) النعماني، محمد، الغيبة: ص ٣١١، باب ١٨، ح ٣.

وسط الطريق، فهل هناك مُنافاة أم هو بيان لشيء آخر؟

فنقول: هذه الرواية هي بيان ما يعلنه من شعار وما يحاول أن يمارسه من أعمال، يحاول من خلالها إظهار مدى التزامه بالإسلام وتعاليم النبي ﷺ حينما يكون أمام الملاء وأمام الرأي العام، أمّا الروايات الأخرى فهي تُبيّن واقعه وما يمارسه بشكل عام من قتل كل من تبع أهل البيت ﷺ، بل كل من يقف في طريقه، وأنه لا يُبل عنده ولا يُخلق ولا إنسانية، وكذلك تُبيّن بعض ممارساته التي لا يُريد إظهارها للإعلام والتي تكشف حقيقته وواقعه وتُبيّن زيف شعاراته.

فإذا؛ بعض الروايات يشير إلى واقع وحقيقة السُفْياني، وبعضها يشير إلى الإعلام الذي ينشره السُفْياني بين الناس؛ وبالتالي هي ترسم كلا الأمرين حتى يتمكن المؤمن أن يحتمي من عدوّه، حيث يفهم أن عدوّه لو كان بعيداً عن الإعلام كيف يكون؟ فيتصرّف بحسب مُقتضى الحال، وإذا كان عدوّه في العلن كيف يكون فيتصرّف بما يُناسب.

ثم إن الرواية تُبيّن أين يكون هم السُفْياني حتى يلتفت المؤمن كيف وأين تكون نجاته منه.

وفي أمالي الطوسي عن هشام بن سالم، قال: قال أبو عبد الله ﷺ وذكر السُفْياني، فقال: «أمّا الرجال، فتواري وجوهها عنه، وأمّا النساء فليس عليهن بأس»<sup>(١)(٢)</sup>.

(١) محمد بن الحسن، الطوسي، الأمالي: ص ٦٦١. المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار:

ج ٥٢، ص ٢٧٥.

(٢) وهذه الروايات وروايات كثيرة لا تتعارض مع ضرورة القيام بالمسؤولية وأهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وحماية الدين ضد الانحراف والباطل والضلالة،

هذه الرواية وروايات أخرى كثيرة هي في صدد المعالجة والإنقاذ والنجاة في البعد الفردي، مع لسان روايات أخرى تتعرض لمقتضى القاعدة الأولية من تحمّل المسؤولية في البعد الجماعي من تشكيل مقاومات ومجاميع مواجهة مع مشروع السفّيانى، وأنّ التخاذل عن هذه المسؤوليات عصيان كبير، وهذا ما يظهر من الرواية في عقد الدرر: «ثمّ يدخل الكوفة فيصير أهلها ثلاث فرق: فرقة تلحق به وهم أشّر خلق الله، وفرقة تقاتله وهم عند الله

وهذه العناوين على الجملة من ضروريات الدين ولا يمكن تركها وإهمالها؛ فلا بدّ أن يكون المراد من التواري عن السفّيانى أو معنى الاختباء والاختفاء معانٍ عديدة فنقول:

١. معنى أن «الرجال تواري وجوها عنها»، هو أن لا يكونوا صيداً سهلاً ويعطوا أنفسهم له، وهو تنبيه لضرورة التدبير وجمع القوة وعلى التدابير والحيلة لمواجهة السفّيانى.

٢. قول الرواية «ليس على النساء بأس»، إشارة إلى أن السفّيانى لا يقتل النساء ولا يفجرهنّ، كما هو في الروايات الأخرى، فهل تكون هذه الرواية وأمثالها تعارض تلك؟ كلا، بل هو إشارة إلى أن الاستهداف المباشر للرجال، وأمّا النساء فالاستهداف لهنّ غير مباشر.

٣. الرواية حينما قالت: «ليس عليهنّ بأس»، أي: ليس عليهنّ بأس وشدة بقدر البأس والشدة على الرجال. نعم، المعلن والمقرر على الرجال، وليس هو عدم للبأس مطلقاً.

من جهة أخرى، إن الرجال ينبغي أن يتواروا ليس لمجرد حفظ النفس، بل لأجل نصر أكبر، أي: لا يكونوا صيداً سهلاً للاعتقال أو القتل، بل ليجمعوا قواهم لأجل نصر أكبر وليس - كما لعله يفهم البعض - هو الهروب والتقاعد وترك المسؤوليات، بل هي إشارات أمنية واستخبارية لتحمل المسؤولية.

شهداء، وفرقة تلحق بالأعراب وهم العصاة... فيبلغ الخبر أهل البصرة فيركبون إليهم في البر والبحر فيستنقذون أولئك النساء من أيديهم<sup>(١)</sup>. وهذه الرواية حاكم ومحكم على الرواية المتقدمة وبقية المتشابهات.

### الخسف عنوان للبداء في حركة السفيناني

نُقل في عقد الدرر عن النقاش المقرئ - في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فَزِعُوا فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ﴾<sup>(٢)</sup> - رواية وهي: «ثمَّ يَدْخُلُ الْكُوفَةَ فيصير أهلها ثلاث فرق: فرقة تلحق به وهم أشر خلق الله تعالى، وفرقة تقاتله وهم عند الله شهداء، وفرقة تلحق الأعراب وهم العصاة، ثم يغلب على الكوفة فيفتض أصحابه ثلاثين ألف عذراء، فإذا أصبحوا كشفوا شعورهن، وأقاموهن في السوق يبيعوهن فعند ذلك كم من لاطمة خدّها كاشفة شعرها بدجلة أو على شاطئ الفرات، فيبلغ الخبر أهل البصرة، فيركبون إليهم في البر والبحر، فيستنقذون أولئك النساء من أيديهم، فيصير أصحاب السفيناني ثلاث فرق: فرقة تسير نحو الري، وفرقة تبقى في الكوفة، وفرقة تأتي المدينة وعليهم رجل من بني زهرة، فيحاصرون فيقبلون جميعاً، فيقتل بالمدينة مقتلة عظيمة حتى يبلغ الدم الرأس المقطوع ويقتل رجل من أهل بيت النبي ﷺ وامرأة، واسم الرجل محمد، ويُقال: اسمه علي، والمرأة فاطمة فيصلبونها عرابة؛ فعند ذلك يشتد غضب الله تعالى عليهم، ويبلغ الخبر إلى ولي الله تعالى، فيخرج من قرية من قرى جرش في ثلاثين رجلاً فيبلغ المؤمنين خروجه، فيأتونه من كل أرض يحنون إليه كما تحن الناقة إلى فصيلها، فيجيء فيدخل مكة فتقام الصلاة

(١) المقدسي، يوسف بن يحيى، عقد الدرر في أخبار المنتظر: ص ٧٧.

(٢) سبأ: آية ٥١.

خارطة المسؤوليّات في النشاط الوظيفيّ الدينيّ للمؤمنين تجاه حركات الانحراف الدينيّ ..... ٣٠١

فيقولون: تقدّم يا ولي الله. فيقول: لا أفعل أنتم الذين نكثتم وغدرتم. فيصلي بهم رجل، ثمّ يتداعون عليه بالبيعة تداعي الإبل الهيم يوم ورودها حياضها، فيبايعونه، فإذا أفرغ من البيعة تبعه الناس ثمّ يبعث خيلاً إلى المدينة عليهم رجل من أهل بيته ليقاتل الزهري، فيقتل من كلا الفريقين مقتلة عظيمة، ثمّ يرزق الله تعالى وليّه الظفر فيقتل الزهري ويقتل أصحابه، فالخائب يومئذ من خاب من غنيمة كلب ولو بعقال، فإذا بلغ الخبر السُفياني خرج من الكوفة في سبعين ألفاً حتّى بلغ البيداء وعسكر بها، وهو يريد قتال وليّ الله، وخراب بيت الله، فبينما هم كذلك بالبيداء إذ نفر فرس لرجل من العسكر، فيخرج الرّجل في طلبه وبعث الله إليه جبرائيل فضرب الأرض برجله ضربة، فيخسف الله تعالى بالسُفياني وأصحابه، ويرجع الرّجل ليقود فرسه، فيستقبله جبرائيل عليه السلام فيقول: ما هذه الضجّة في العسكر؟ فيضربه جبرائيل عليه السلام بجناحه فيحول وجهه مكان القفا. ثمّ يمشي القهقري فهذه الآية نزلت فيهم ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فَزَعُوا فَلَا قُوَّةَ﴾ <sup>(١)</sup> <sup>(٢)</sup>.

هذه رواية بيّنت جوانب عديدة من حركة السُفياني يمكن الإشارة إلى

بعضها:

١. يجب تحمّل المسؤولية أمام حركة السُفياني؛ لأنّ الرواية وصفت الفرقة التي تواجه حركة السُفياني بأنّ أصحابها شهداء وفي طريق الحقّ الصحيح، ووصفت الفرقة التي تهرب للأعراب بأنّ تكون عصاة ووصفت الفرقة التي تلحق الأعراب بأنّها أشرّ الخلق، وهذا بحدّ ذاته ليس وصفاً لما

(١) سبأ: آية ٥١.

(٢) المقدسي، يوسف بن يحيى، عقد الدرر في أخبار المنتظر: ص ٧٧-٧٩.

يحدث، وليس إخباراً بحوادث تاريخية؛ فإنه ليس من دأب المعصوم عليه السلام أن يكون قصاصاً، بل هو إشارة إلى مسؤولية المؤمن في عصر الغيبة وضرورة القيام بالمسؤولية الدينية؛ ولذلك الرواية صنفت المواقف تجاه السُفْياني من حيث القيام بالمسؤولية إلى أصناف عديدة.

إذا؛ الرواية تحذّر المؤمن وتقول له: إياك أن تكون من الفرقة الأولى التي تلحق به؛ لأنها شرّ الخلق وكذلك تحذّر من يترك المسؤولية - ليس من ينحرف فقط - ويلحق بالأعراب، وتمدح الفرقة التي تواجهه وتقول: إن أصحابها شهداء.

٢. إن هذه الرواية تشير إلى مسألة البداء، ولكن ليس بالصراحة وبصورة مباشرة، بل بالإشارة إلى أن نفس القيام بالمسؤولية سوف يقلل من النشاط المتزايد للسُفْياني ويكفكف من توسعته، فمثلاً حينما تقول: «فرقة تقاتله، وهم عند الله شهداء». إشارة إلى صدّ المؤمنين لتحركاته، كذلك حينما تقول الرواية: «فيبلغ الخبر أهل البصرة، فيركبون إليهم في البرّ والبحر، فيستنقذون أولئك النسوة من أيديهم»، فليس معنى الحتمية في حركة السُفْياني هو الحتم الجبري أو القسري الذي يؤدي إلى ترك المسؤوليات وترك المواجهة، كما بينا ذلك.

### الوظيفة الأولى للمؤمنين هي المقاومة

هناك روايات عديدة أشارت إلى أن الوظيفة الأولى للمؤمنين هي

المقاومة:

الرواية الأولى: في عقد الدرر، عن النقاش المقرري في تفسير قوله تعالى:

﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فَرَغُوا فَلَا قُوَّةَ وَأُخِذُوا مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾<sup>(١)</sup>:

«ثمَّ يدخُل الكوفة، فيصير أهلها ثلاث فرق: فرقة تلتحق به وهم أشر خلق الله، وفرقة تقاتله وهم عند الله شهداء، وفرقة تلتحق الأعراب وهم العصاة، ثمَّ يغلب على الكوفة فيفتض أصحابه ثلاثين ألف عذراء، فإذا أصبحوا كشفوا شعورهنَّ، وأقاموهنَّ في السوق يبيعهن، فعند ذلك كم من لاطمة خدّها كاشفة شعرها بدجلة أو على شاطئ الفرات، فيبلغ الخبر أهل البصرة؛ فيركبون إليهم في البرّ والبحر، فيستنقذون أولئك النساء من أيديهم، فيصير أصحاب السُفّيانى ثلاث فرق: فرقة تسير نحو الري، وفرقة تبقى في الكوفة، وفرقة تأتي المدينة وعليهم رجل من بني زهرة...»<sup>(٢)</sup>.

وفي الرواية مواضع دالة على أن الوظيفة الأولى والمسؤولية هي المقاومة والمواجهة لمشروع السُفّيانى؛ وذلك عند قوله: «فيصير أهلها ثلاث فرق: فرقة تلتحق به وهي أشر خلق الله»، وهو يشير إلى حرمة الانقياد والذوبان مع

(١) سبأ: آية ٥١.

(٢) المقدسي، يوسف بن يحيى، عقد الدرر في أخبار المنتظر: ص ٧٧.

مشروعه؛ لأنّه يوجب الخسران الأبدي ومقتضاه لزوم مقاومته.

ثمّ قوله عليه السلام: «وفرقة تقاتله وهم عند الله شهداء»: في هذا البيان منه عليه السلام دلالة على أنّ القاعدة الأولى والوظيفة والمسؤولية هي مقاومة مشروعه ومواجهته بلغ ما بلغ، ولا ريب أنّ هذه الوظيفة ليست مقرّرة قبل دخوله الكوفة أيضاً من كلّ البلدان حتّى في الشام؛ لأنّ مشروعه - كما مرّ - إيادة للدين باسم الدّين، كما هي شاكلة النهج الأموي.

وقوله عليه السلام: «وفرقة تلحق الأعراب وهم العصاة»، وهذا أيضاً بيان منه عليه السلام إلى أنّ ترك مقاومة السّفياني والتخاذل عن هذه المسؤولية والاهتمام بنجاة النفس معصية كبيرة جداً.

ووجه الدلالة على أنّها كبيرة أنّ هذا العنوان - العصاة - والتوصيف قد ورد نظيره في الذين خالفوا رسول الله صلى الله عليه وآله في مواطن عدّة، نظير ما ورد في الصوم في السفر من جماعة كانوا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وبقوا صياماً سأمهم النبي صلى الله عليه وآله العصاة، وبقي ذلك الوصف عليهم.

وقوله عليه السلام: «ثمّ يغلب على الكوفة». أيضاً دالّ على أنّه ستكون مقاومة قويّة من المؤمنين، ولا يسيطر بسهولة من دون تلك المعارك. وكما لا يخفى أنّ الكوفة ليس المقصود منها خصوص مدينة الكوفة، بل الفرات الأوسط كلّه إلى قرب بغداد<sup>(١)</sup>، وفيها دلالة على أنّ الوظيفة هي مقاومته ومواجهته العسكريّة، وإذا كانت الوظيفة هي ذلك فاللازم على المؤمن إعداد العدة في كلّ العراق، بل الشام وليس في الكوفة فقط؛ لأنّ الفتنة إنّما تخمد وتوآد في

(١) وهذا أمر معروف لا يخفى على المتبع لما هو المعروف في ذلك الزمن عن مساحة مدينة الكوفة.



خارطة المسؤوليات في النشاط الوظيفي الديني للمؤمنين تجاه حركات الانحراف الديني ..... ٣٠٥

مهدها أصلح وأنجع، وهذا دليل على أن ما قدمناه<sup>(١)</sup> من تفسير: «كُنْ حِلْسًا مِنْ أَحْلَاسِ بَيْتِكَ»<sup>(٢)</sup>، إنما هو التزام منهاج أهل البيت عليهم السلام والبقاء والثبات عليه، لا الهروب من المسؤولية العامة.

وقوله عليه السلام: «فيلغ الخبر أهل البصرة؛ فيركبون إليهم في البر والبحر، فيستنقذون أولئك النساء من أيديهم». دال - هو الآخر - على أن المسؤولية هي التعبئة والمقاومة في مجاميع ضد عسكر السُفياني، ودال أيضاً على أنه يلقي مقاومة من المؤمنين وتصيبه إخفاقات عديدة، وهذه الظاهرة متكررة في الروايات، وهي: أن سيطرة جيش السُفياني - على كل منطقة يسيطر عليها - لا تبقى ثابتة، بل دوماً بين كرّ وفرّ، بل في كثير من المدن يكون الفرار لأصحابه وانحسارهم من دون كرّ أشبه ما يرى حالياً في اقتتال سوريا أو البُلدان التي سيطرت عليها القاعدة كالصومال وأفغانستان. ولا يخفى أن المراد من البصرة ليس خصوص البصرة، بل مدن الجنوب كما هو الإطلاق التاريخي في ذلك الأوان.

وقوله عليه السلام: «فيصير أصحاب السُفياني ثلاث فرق»، يدل على أن جيوب المقاومة من المؤمنين تُضعف عمق السيطرة بجيش السُفياني وتبدد قواه.

الرواية الثانية: «وتهرّب خيل السُفياني»

عن علي عليه السلام: «إذا خرجت خيل السُفياني إلى الكوفة بعث في طلب أهل خراسان، ويخرج أهل خراسان في طلب المهدي، فيلتقي هو والهاشمي برايات سود، على مقدمته شعيب بن صالح، فيلتقي هو والسُفياني بباب إصطخر

(١) قد تقدّم ذلك في القاعدة الأولى، قاعدة (كن حِلْسًا)، فراجع.

(٢) المتقي الهندي، علي، كنز العمال: ج ١١، ص ٢١٤.

فتكون ملحمة عظيمة، فتظهر الرايات السود وتهرب خيل السُفَياني، فعند ذلك يتمنى الناس المهدي ويطلبونه»<sup>(١)</sup>.

وموضع الشاهد من الرواية هو:

قوله عليه السلام: «إذا خرجت خيل السُفَياني إلى الكوفة، بعث في طلب أهل خراسان، ويخرج أهل خراسان في طلب المهدي، فيلتقي هوَ والهاشمي برايات سود... فيلتقي هوَ والسُفَياني بباب إصطخر، فتكون ملحمة عظيمة».

وهذا المقطع يشير إلى شدة مقاومة جيش السُفَياني بباب إصطخر، وهي نقطة التقاء جيش السُفَياني مع الحسيني أو الهاشمي، وهي نقطة التقاء محافظة خوزستان ومحافظة أصفهان؛ فتكون نهاوند ثانية، إلا أن هذه المرة تكون الهزيمة لجيش السُفَياني، وهذه الرواية تُظهر أن انكسار جيش السُفَياني في هذه الملحمة تكسر شوكة السُفَياني؛ لقوله عليه السلام: «فعند ذلك يتمنى الناس المهدي ويطلبونه».

وهذا ما تُشير إليه الرواية الأخرى التي منها هذا المقطع: «بقتل كل من اسمه مُحَمَّد، وعليّ، وحسن، وحسين، وفاطمة، وجعفر، وموسى، وزينب، وخديجة، ورُقِيّة بُغضاً وحنقاً لآل مُحَمَّد عليه السلام، وذلك لما يصنع الهاشمي الذي يخرج على أصحابه من المشرق، يقول [السُفَياني]: ما هذا البلاء كُلّه وقتل أصحابي إلا من قبلهم [بني هاشم]».

الرواية الثالثة: السُفَياني يفشل في البصرة

في إلزام الناصب (في ذيل خطبة البيان): «... فيأتي البصرة، فيقتل

---

(١) المتقي الهندي، عليّ، كنز العمال: ج ١٤، ص ٥٨٨، ح ٣٩٦٦٧. اليزدي، عليّ، إلزام الناصب في إثبات الحجّة الغائب: ج ٢، ص ١٧٣.

خارطة المسؤوليات في النشاط الوظيفي الديني للمؤمنين تجاه حركات الانحراف الديني ..... ٣٠٧

ساداتها ويسبي حريمها، فإني لأعرف كم وقعة تحدث بها وبغيرها، وتكون بها وقعات بين تلول وآكام، فيقتل بها اسم ويُتعبَد بها صنم... ألا وإنَّ السُّفْياني يدخُل البصرة ثلاث دخلات، يذلُّ العزيز، ويسبي فيها الحرِّيم<sup>(١)</sup>. وكذلك في نفس المصدر عن عليٍّ عليه السلام: «ألا وإنَّ السُّفْياني يدخُل البصرة ثلاث دخلات، يذلُّ العزيز ويسبي فيها الحرِّيم، ألا يا ويل المتنفكة وما يحلُّ بها من سيف مسلول وقتيل مجذول وحرمة مهتوكة...».

وتدلُّ هاتان الروايتان على أنَّ السُّفْياني يُلاقي مُقاومة مجاميع مؤمنة، فلا تستتبُّ له السيطرة على المناطق التي دخلها، بل يكون هناك كَرٌّ وفَرٌّ، وهذا يعطي استراتيجية ثانية، وهي الرفع بعد الاستراتيجية الأولى التي هي الدفع، أي: دفع سيطرته قبل السيطرة. فكلا الاستراتيجيتين دالتان على لزوم شدة المقاومة وصلابتها حدوثاً وبقاءً، وفي كُـلِّ الظروف، وأن لا تهدأ مجاميع المؤمنين عن المقاومة، حتى لو تحقَّق لجيش السُّفْياني سيطرة نسبية في بعض المناطق؛ فإنَّ ذلك لا يعني بقاء تلك السيطرة والقدرة له على تلك المناطق على درجة ووتيرة واحدة، بل بالإمكان إضعافها وإزالتها، وهذه الدلالة نجدها في روايات كثيرة دالة على هشاشة بقاء سيطرة السُّفْياني فيما يسيطر عليه من مناطق، وهذا مفتاح أمل لبقاء ومسؤولية المقاومة والمواجهة لمشروعه.

الرواية الرابعة: السُّفْياني ضعيف في عاصمته

عنه عليه السلام: «إذا بعث السُّفْياني إلى المهدي جيشاً فحُـسِف بهم البيداء، وبلغ ذلك أهل الشام قالوا لخليفته: قد خرج المهدي فبايعه وادخل في طاعته وإلا

(١) اليزدي، علي، إلزام الناصب في إثبات الحجّة الغائب: ج ٢، ص ١٦٥.

قتلناك. فيرسل إليه بالبيعة ويسير المهدي حتى ينزل بيت المقدس...»<sup>(١)</sup>.

وهذه الروايات تشير إلى هشاشة سيطرة السُفْياني وقاعدته حتى في عاصمة دولته، فضلاً عن بقية المناطق التي يحاول السيطرة عليها، فإنَّ تزلُّل سيطرته ونفوذه فيها أضعف بكثير حتى بعد سيطرته، وهذا ما أكدنا عليه من وجود دلالة - في كثير من الروايات - على أن مشروعَه وإنَّ كان في بدو الصخب العسكري له مرعب إلاَّ أنَّه هَشٌّ ثباتاً، ويتزلزل بسرعة ومسارة؛ لأنَّ طبيعة تمدُّه وتوسُّعه من قبيل فورة، سرعان ما تتبدد فقاعتها.

الرواية الخامسة: أهل مكة يقومون بواجبهم

عن كعب الأخبار: «... وإذا خرج السُفْياني... ويكثر القتل في الدنيا، فعند ذلك يجتمعون أهل مكة إلى السُفْياني يخوفونه عقوبة الله (عزَّ وجلَّ) فيأمر بقتلهم وقتل العلماء والزُّهاد في جميع الآفاق، فعند ذلك يجتمعون إلى رجل من قريش له اتصال برسول الله ﷺ لهلاك السُفْياني ويتصل بمكة، ويكونون على عدد أهل بدر - ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً - ثمَّ تجتمع إليه المؤمنون عدد أهل بدر ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً، ثمَّ تجتمع إليه المؤمنون وينكسف القمر ثلاث ليالي متواليات، ثمَّ يظهر المهدي بمكة...»<sup>(٢)</sup>.

وفي هذه الرواية إشارة إلى أنَّ أهل مكة ضدَّ السُفْياني، وأنَّ أغلب أهلها يقومون بمسؤولية التصدي لحركة السُفْياني؛ حيث إنَّهم يأتونه ويتكلمون بكلمة الحقِّ عند السُفْياني (الجائر) وينذرونه من عقوبة الله، بل إنَّ الهاشميين في مكة والمدينة يقاتلون جيش السُفْياني وهزمونه شرَّ هزيمة، فعن حنش بن

(١) المتقي الهندي، علي، كنز العمال: ج ١٤، ص ٥٨٩، ح ٣٩٦٦٩.

(٢) المقدسي، يوسف بن يحيى، عقد الدرر في أخبار المنتظر: ص ٨٠.

خارطة المسؤوليات في النشاط الوظيفي الديني للمؤمنين تجاه حركات الانحراف الديني ..... ٣٠٩

عبد الله سمع ابن عباس (رض) يقول: «يبعث صاحب المدينة إلى الهاشميين بمكة جيشاً فيهمز موهم، فيسمع بذلك الخليفة بالشام؛ فيقطع إليهم بعثاً فيهم ستمائة عريف، فإذا أتوا البيداء فنزلوها في ليلة مُقَمَّرَة أقبل راعي ينظر إليهم ويعجب... فينصرف إلى غنمه، ثم يرجع فلا يرى أحداً فإذا هم قد حُسِف بهم...»<sup>(١)</sup>.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: «يُخْرَجُ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ: السُّفْيَانِيُّ فِي عَمَقِ دِمَشْقٍ، وَعَامَّةٌ مَنْ يَتَّبِعُهُ مِنْ كَلْبٍ، فَيَقْتُلُ حَتَّى يَبْقُرَ بَطُونَ النِّسَاءِ، وَيَقْتُلُ الصَّبِيَانَ، فَتَجْمَعُ لَهُمْ قَيْسٌ فَيَقْتُلُهَا حَتَّى لَا يَمْنَعُ ذَنْبٌ تَلْعَةً، وَيُخْرَجُ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي فِي الْحَرَّةِ فَيَبْلُغُ السُّفْيَانِيَّ، فَيَبْعَثُ إِلَيْهِ جُنْدًا مِنْ جُنْدِهِ فَيَهْزِمُهُمْ، فَيَسِيرُ إِلَيْهِ السُّفْيَانِيُّ بِمَنْ مَعَهُ حَتَّى إِذَا صَارَ بِيَدَاءٍ مِنَ الْأَرْضِ حُسِفَ بِهِمْ، فَلَا يَنْجُو مِنْهُمْ إِلَّا الْمَخْبِرُ عَنْهُمْ»<sup>(٢)</sup>.

والعبارة المهمّة في هذا المجال هي: «ويخرج رجل من أهل بيتي في الحرّة فيبلغ السُّفْيَانِيَّ، فَيَبْعَثُ إِلَيْهِ جُنْدًا مِنْ جُنْدِهِ فَيَهْزِمُهُمْ»، وهي دالّة على أنّ المسؤولية والفريضة لا تسقط عن بلد من البلدان، فالكلّ مسؤول ومكلف بالدِّفاع عن حرّمات الدِّين؛ حيث يستهدفها مشروع السُّفْيَانِيَّ، لا أنّه يُرفض بالتخاذل والتخلّي والهروب عن المسؤولية.

#### الرواية السادسة: بطولة أهل الكوفة

في تفسير الطبري: حدّثنا عصام بن رُوْد بن الجراح، قال: حدّثنا أبي

(١) المروزي، ابن حمّاد، الفتن: ج ١، ص ٢٠٢.

(٢) الحاكم النيسابوري، محمد بن عبد الله، المستدرک: ج ٤، ص ٥٢٠. المتقي الهندي، عليّ، البرهان في علامات مهدي آخر الزمان: ص ١١٣، عن المستدرک.

قال: حدّثنا سفيان بن سعيد، قال: حدّثني منصور بن المعتمر، عن ربي بن حراش قال: سمعت حذيفة بن اليمان، يقول: قال رسول الله ﷺ - وذكر فتنة تكون بين أهل المشرق والمغرب - قال: «فبينما هم كذلك إذ خرج عليهم السّفِياني من الوادي اليابس... ثمّ ينحدرون إلى الكوفة فيُخربون ما حولها، ثمّ يخرجون مُتوجهين إلى الشام، فتخرج راية هُدى من الكوفة فتلحق ذلك الجيش منها على الفئتين، فيقتلونهم فلا يفلت منهم مُحبر، ويستنفذون ما في أيديهم من السبي والغنائم... ويحلّ جيشه الثاني بالمدينة... يخسف الله بهم، فذلك قوله في سورة سبأ: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فَزِعُوا فَلَا فَوْتَ﴾ الآية...»<sup>(١)</sup>.

وهذه الرواية بهذا المضمون وَرَدَتْ مِنْ طُرُقٍ عديدة مَعَ تَغْيِيرٍ في بعض عباراتها، وكلّها مَعَ ذلك التَغْيِيرُ أوردت - في تفاسير العامّة - لتفسير الآية الكريمة المُتقدّمة، وهذه الرواية أيضاً أوردتها الطبرسي في مجمع البيان<sup>(٢)</sup> مُرسلاً عن حذيفة بن اليمان، وبنفس هذا المضمون وردت روايات كثيرة عن الباقر والصادق عليهما السلام، والذي يهمننا من الرواية عبارتان:

الأولى: «فينحدرون إلى الكوفة فيُخربون ما حولها، ثمّ يخرجون متوجهين إلى الشام».

الثانية: «فتخرج راية هُدى من الكوفة، فتلحق ذلك الجيش منها على الفئتين، فيقتلونهم فلا يفلت منهم مُحبر».

(١) الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ج ٢٢، ص ١٢٩.

المقدسي، يوسف بن يحيى، عقد الدرر في أخبار المنتظر: ص ٧٥.

(٢) أنظر: الطبرسي، مجمع البيان في تفسير القرآن: ج ٨، ص ٢٢٨. وقال: أورده الثعلبي في تفسيره، وروى أصحابنا في أحاديث المهدي، عن أبي عبد الله وأبي جعفر عليهما السلام مثله.

خارطة المسؤوليات في النشاط الوظيفي الديني للمؤمنين تجاه حركات الانحراف الديني ..... ٣١١

والعبارة الأولى تدلُّ بظاها على انكسار جيش السُفْياني في العراق قبل دخوله الكوفة، بل ظاهر الرواية أنه ينكفي راجعاً إلى الشام، فضلاً عن أن يتوجّه إلى المدينة، ولا تنافي بين مفاد هذه الرواية وكثير من الروايات الأخرى الدالة على دخول جيش السُفْياني الكوفة وتوجّهه بعد ذلك إلى المدينة والبصرة وغيرهما، كخراسان.

ووجه المنافاة: أنه تُحمل هذه الروايات على اختلاف المقادير والقدر تجاه مصير جيش ومشروع السُفْياني بحسب تحمّل وقيام المؤمنين بمسؤولياتهم، فبقدر ما يقومون به من أداء المسؤولية والواجب يحصل إخفاق في مشروع السُفْياني، وإن الإخفاق في مشروعه مُقدّر على تقادير مُختلفة، ففي بعضها أنه لا يظفر بعد الشام إلا بشمال العراق ثم ينكفي، وفي بعضها بالكوفة فينكفي، ويتجه للمدينة بمقاومة أهل البصرة وجنوب العراق، وفي بعضها إلى باب إصطخر - أي: أصفهان - فينكفي ويكسر جيشه وفي بعضها إلى شيراز، وهذه كلها لا تضارب بينها، وإنما تُبين مقادير مُختلفة لما يبرم الوقوع على أحدها، وتنبه على ضرورة القيام بالمسؤولية وتحملها وحسن تدبير أدائها بفتنة، وأن المجال والباب للمقاومة وصد مشروع السُفْياني مفتوح على مصراعيه أمام خيارات مُتعددة.

من جهة أخرى تنصيص وفيه (البداء) يأخذ مساحات مُتحرّكة وليست جامدة، ولفظ (البداء) مفاده أن التقدير مُتحرّك غير جامد على حدّ ومدى واحد؛ وبالتالي فروايتان من روايات البداء في السُفْياني حاکمة على طوائف الروايات ومُفسّرة لوجه الاختلاف، كما هو الحال في قضية قوم يونس عليه السلام أخبره الله بعدابهم، ثم بعدما تضرّعوا بدا فيهم، وكذلك قوم نوح عليه السلام، حيثُ

حصل فيهم البداء مرّات كثيرة قبل زمن حصول الطوفان.

وأما العبارة الثانية: «فتخرج راية هُدى من الكوفة...»، فهي صريحة في أنّ أهل الكوفة - أو أهل الفرات الأوسط عموماً- إذا قاوموا جيش السُفّيانى قبل وصوله إلى المدينة أو مناطق أخرى فلا تقوم له قائمة، كما تُبيّن هذه الروايات أنّ الدّفاع عن القباب المقدّسة لا يتمُّ عند حدود مُدنها، بل الدّفاع الضامن لأمنها هو بالتقدّم لمواجهة السُفّيانى في عقر داره، بل إنّ الدّفاع عن الحرمين الشريفين بيت الله الحرام ومسجد وقبر النبي ﷺ، وقبر فاطمة الزهراء عليها السلام وقبور أئمة البقيع عليهم السلام إنّما يتمُّ بمقاومة وكسر جيشه في العراق والشام لا بفتح المجال له لينفلت ويتقدّم باتجاه الحجاز ليهتك الحرمات وليهدم المقدّسات.



### البداء في خاتمة السُفياني

وحتى إنَّ خاتمة السُفياني قابلة للبداء ويمكن هنا أن تُورد عِدَّة مقاطع من عِدَّة روايات، تُشير إلى أنَّ خاتمة السُفياني بالقتل مُرَدَّدة بين عِدَّة أماكن؛ ممَّا يدلُّ على أنَّ إمكان البداء حتى في مكان قتله، وبالتالي هو يُشير إلى ضيق أو سعة حركته، فيبقى أمر السُفياني في تفاصيل حركته قابل للبداء، فتتضيق حركته وتُقهَر في عقر دارها إذا قام المؤمنون بمسؤولياتهم، ففي الرواية عن النَّبي ﷺ قال: «لتركنَّ المدينة أحسن ما كانت حتى يجيء الكلب فيشغر على سارية المسجد... ثمَّ تسير خيل السُفياني تُريد مكة... فيُخسف بهم... ويأتي البشير المهدي وهو بمكة، فيخرج معه اثنا عشر ألفاً، فهم الأبدال والأعلام حتى يأتي المباء (المياه) فيأسر السُفياني ويغير على كلب...»<sup>(١)</sup>.

وعن محمد بن عليّ عليه السلام، قال: «إذا سمع العائد الذي بمكة بالخسف خرج مع اثني عشر ألفاً فيهم الأبدال حتى ينزلوا إيليا... ويؤدِّي إليه السُفياني الطاعة ثمَّ يُخرج... فيأتيه إلى إيليا، فيقول: أقلني. فيقول: إني غير فاعل... فيأمر به عند ذلك فيُذبح على بلاطة إيليا...»<sup>(٢)</sup>.

وكذلك عن جراح، عن أرطاة، قال: «يدخل الصخري<sup>(٣)</sup> الكوفة...

(١) البلخي، أحمد بن سهل، البدء والتاريخ: ج ٢، ص ١٧٨-١٧٩.

(٢) المروزي، نعيم بن حماد، الفتن: ص ٢١٥. المتقي الهندي، عليّ، البرهان في علامات مهدي آخر الزمان: ص ١٢٣، عن الفتن.

(٣) الصخري هو (السُفياني) نسبة إلى صخر جد بني أمية.

فإذا تشافت الخيلان ولّت كلب أدبارها وأخذ الصخري فيذبح على الصفا  
المعترضة على وجه الأرض عند الكنيسة التي في بطن الوادي...»<sup>(١)</sup>.

وأيضاً عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ: «إن المهدي والسفياني وكلباً  
يقتتلون في بيت المقدس حين يستقبله البيعة، فيؤتى بالسفياني أسيراً فيأمر به،  
فيذبح على باب الرحبة، ثم تُباع نساؤهم وغنائمهم على درج دمشق»<sup>(٢)</sup>.

وهذه الروايات الأربع - التي ذكرنا منها موضع الشاهد - يتضح منها  
الاختلاف في كيفية خاتمة السفياني، وهو إشارة لإمكان البداء فيها.

---

(١) المروزي، نعيم بن حماد، الفتن: ص ٢١٨. المتقي الهندي، عليّ، البرهان في علامات  
مهدي آخر الزمان: ص ١٢٥-١٢٦.

(٢) المروزي، نعيم بن حماد، الفتن: ص ٢١٦. أنظر: الحاكم النيسابوري، محمد بن عبد  
الله، المستدرک: ج ٤، ص ٤٣١. المقدسي، يوسف بن يحيى، عقد الدرر في أخبار  
المنتظر: ص ٨٤، عن المستدرک.

## أمرهم عليه السلام بالوجوب العيني والتعيني

### لتصدي شيعة العراق بالخصوص للسفنياني بقوة وحزم

إنَّ الأئمة عليهم السلام بالنسبة للانخراط في بعض الرايات الشيعة الحقّة يوجبون الانخراط فيها ومناصرتها وغير ذلك، وحينما تذكر مناصرة الحركات المهذوية في مناطق كثيرة لا تركّز على ضرورة مناصرة راية الحقّ فيها ولم تصف المتخاذل بأنّه عاصٍ، فعن أبي جعفر عليه السلام: «كأنّي بقوم قد خرجوا بالمشرق يطلبون الحقّ فلا يُعطونه... قتلاهم شهداء، أما إنّي لو أدركت ذلك لأبقيت نفسي لصاحب هذا الأمر»<sup>(١)</sup>.

أمّا في العراق، فالأمر عيني تعيني، وواجب وفريضة كبرى، بحيث يكون التخلّف عنها يوسم المتخاذل بوصف العصاة إلى يوم القيامة، ولم يكن التعبير بهذه الشهادة والتأكيد في الروايات التي ذكرت البلدان الأخرى، ففي رواية عقد الدرر المتقدمة: «ثمّ يدخل الكوفة فيصير أهلها ثلاث فرق: فرقة تلتحق به وهم أشرّ خلق الله، وفرقة تقاتله وهم عند الله شهداء، وفرقة تلتحق الأعراب وهم العصاة»<sup>(٢)</sup>.

والروايات التي ذكرت أنّ المؤمن يخفي نفسه إنّما يتوسّل الهروب أو الاختفاء إذا وصلت المرحلة إلى دخول جماعات السفنياني وغلبتهم؛ حيث

(١) النعماني، محمد، الغيبة: ص ٢٨٢، باب ١٤، ح ٥٠.

(٢) المقدسي، يوسف بن يحيى، عقد الدرر في أخبار المنتظر: ص ٧٧.

يكون التصدي لهم يعرض المؤمن للهلاك بلا أدنى فائدة تُذكر، فينبغي التوسُّل بالهروب لأجل جمع القوى والاصطفاف مع الحركات المحققة، لأجل مواجهة جيش السُفْياني، أمَّا في غير هذا الفرض فالوظيفة الأصلية هي المقاومة والدِّفاع.

### الشعوب كلها ضد السفيناني

في الرواية عن حذيفة، عن النبي ﷺ أنه قال: «إذا دخل السفيناني أرض مصر أقام فيها أربعة أشهر يقتل ويسبي أهلها، فيومئذ تقوم النائحات، فباكية تبكي على استحلال فرجها، وباكية تبكي على ذلها بعد عزها، وباكية تبكي على قتل أولادها، وباكية تبكي على قتل رجالها، وباكية تبكي شوقاً إلى قبورها»<sup>(١)</sup>، وكذلك عن عليؑ، قال: «إذا خرجت خيل السفيناني إلى الكوفة بعث في طلب أهل خراسان، ويخرج أهل خراسان في طلب المهدي فيلتقي هو والهاشمي برايات سود، على مقدمته شعيب بن صالح، فيلتقي هو والسفيناني بباب إصطخر، فتكون ملحمة عظيمة، فتظهر الرايات السود، وتمرب خيل السفيناني، فعند ذلك يتمنى الناس المهدي ويطلبونه»<sup>(٢)</sup>.

وقال المتقي الهندي في كنز العمال: «إذا بعث السفيناني إلى المهدي جيشاً فحسب بهم بالبدياء وبلغ ذلك أهل الشام قالوا لخليفتهم: قد خرج المهدي فبايعه وأدخل في طاعته وإلا قتلناك. فيرسل إليه بالبيعة ويسير المهدي حتى ينزل بيت المقدس وتُنقل إليه الخزائن...»<sup>(٣)</sup>.

(١) المروزي، نعيم بن حماد، الفتن: ص ١٥٨.

(٢) المتقي الهندي، علي، كنز العمال: ج ١٤، ص ٥٨٨، ح ٣٩٦٦٧. المروزي، نعيم بن حماد، الفتن: ص ١٩٢. اليزدي، علي، إلزام الناصب في إثبات الحجّة الغائب: ج ٢، ص ١٧٣.

(٣) المتقي الهندي، علي، كنز العمال: ج ١٤، ص ٥٨٩، ح ٣٩٦٦٩.

وهذه الروايات وأمثالها روايات أخرى كثيرة تشير إلى أمور أهمها:  
 أولاً: إنَّ المَدنَ العربيَّةَ بجملتها ضدَّ السُّفْيانيِّ إلاَّ قلةً مِنَ المؤيِّدين  
 لحركته؛ لذلك هُوَ يَحْرِبُ المَدنَ ويقتلُ الناسَ، ولو كَانَ الناسُ معه فلماذا  
 يقتلهم؟ ولماذا يبقى في مصر أربعة أشهر يقتل أهلها ويسبي نساءها، كذلك  
 المدينة المنورة التي يتصوّر الناس أنّها أموية أو وهابية، حيثُ ظهرَ مِنَ الرواية  
 المتقدِّمة أنّها ضدّه؛ لأنّه يقتل أهلها، بل حتّى أهل الشام ضدّه، لأنّهم  
 يتظاهرون ضدّه: أن ادخل في بيعة المهدي عليه السلام. فيبايع مُكرهاً، بل يصل الأمر  
 أن يُهدد بالقتل من قبلهم، وهذا دليل على عدم سيطرته وضعفه وقلة تأييده  
 من قبل الشعوب في المنطقة.

ثانياً: من جهة أخرى بيّنت عدّة روايات هزائمه المتكرّرة، ومنها هزيمته  
 أمام رايات أهل خراسان والبصرة، وهي مسؤوليّة كبرى على عاتق المؤمنين  
 أمام هذه الحركات الضالّة المضلّة، الفاسدة المُفسِدة، القويّة ظاهراً، الضعيفة  
 واقعاً، بل إنّها مسؤوليّة تتحمّلها حتّى ملائكة السماء، كما في الرواية عن أمير  
 المؤمنين عليه السلام: «ويخرج السُّفْيانيُّ ويده حربة ويأمر بالمرأة فيدفعها إلى بعض  
 أصحابه فيقول له: افجر بها في وسط الطريق. فيفعل بها، ثمّ يأمر ببقرة بطنها  
 ويُسقط الجنين من بطن أمه، فلا يقدر أحد ينكر عليه ذلك، قال: فعندها  
 تضطرب الملائكة في السماوات، ويأذن الله بخروج القائم من ذريّتي، وهو  
 صاحب الزمان، ثمّ يشيع خبره في كلّ مكان، فينزل حينئذٍ جبرائيل على  
 صخرة بيت المقدس، فيصيح في أهل الدنيا: قد جاء الحقّ وزهق الباطل، إنّ  
 الباطل كان زهوقاً...»<sup>(١)</sup>.

(١) اليزدي، عليّ، إلزام الناصب في إثبات الحجّة الغائب: ج ٢، ص ١٧٣.

خارطة المسؤوليات في الشاط الوظيفي الديني للمؤمنين تجاه حركات الانحراف الديني ..... ٣١٩

فيظهر من ذلك أن القضية تتدخل فيها الملائكة وتصح إلى الله، أو تقف إلى جانب من يجارب السفياي، وتكون تلك الفتن - والإفساد الذي يحدثه اللعين ويهتز له عرش الرحمن - تعجياً في خروج مولانا المهدي صاحب العصر والزمان عجل الله فرجه.

## الرايات المناهضة لمشروع السفيناني

### القيام بالمسؤولية

عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام، قَالَ: «خروج الثلاثة - الخراساني والسفيناني والبياني - في سنة واحدة، في شهر واحد، في يوم واحد، وليس فيها راية بأهدى مِنْ راية البياني يهدي إلى الحق»<sup>(١)</sup>.

عَنْ أَبِي بصير، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ مُحَمَّدَ بْنَ عَلِيِّ عليه السلام أَنَّهُ قَالَ: «خروج السفيناني والبياني والخراساني في سنة واحدة، وشهر واحد، وفي يوم واحد، نظام كنظام الخرز يتبع بعضه بعضاً، فيكون البأس مِنْ كُلِّ وَجْهٍ، وَيَلْ لِمَنْ نَاوَاهُمْ»<sup>(٢)</sup>.

عَنْ عبيد بن زُرارة، ذَكَرَ عِنْدَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام السِّفِينَانِي، قَالَ: «أَنِّي يُخْرَجُ ذَلِكَ وَلَمْ يُخْرَجْ كَاسِرِ عَيْنِهِ بِصَنْعَاءَ»<sup>(٣)</sup>.

وهذه الروايات بمجموعها تُشير إلى أَنَّ هُنَاكَ مَنْ يَتَحَمَّلُ الْمَسْئُولِيَّةَ، نَعَمْ هِيَ تُبَيِّنُ أَنَّ الْبِيَانِي رَايَتَهُ أَهْدَى، وَبِذَلِكَ هِيَ تَدْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ لِلْقِيَامِ

(١) المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد: ج ٢، ص ٣٧٥. الطوسي، محمد بن الحسن، الغيبة: ص ٤٤٦، ص ٤٤٣. الطوسي، الفضل بن الحسن، إعلام الوري بأعلام الهدى: ج ٢، ص ٢٨٤.

(٢) النعماني، محمد، الغيبة: ص ٢٦٤.

(٣) النعماني، محمد، الغيبة: ص ٢٨٦. المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٥٢، ص ٢٤٥.



خارطة المسؤوليات في النشاط الوظيفي الديني للمؤمنين تجاه حركات الانحراف الديني ..... ٣٢١

بواجباتهم ومسؤولياتهم تجاه الأخطار وحركات الضلال؛ فإنَّ الياسي ليس هو من الملائكة المقربين ولا الأنبياء والمرسلين، بل هو مؤمن قام بواجبه وتحمل مسؤوليته، وبالتالي هو قدوة للآخرين - من هذه الجهة - حيث لا ينبغي لهم القعود وترك المسؤوليات، ومن جهة أخرى هي تؤكد أنَّ حركة السُفياني رغم قسوتها وشدتها يمكن للمؤمنين أن يقهروها، أو يقللوا من توسعها، فيكفون شرّها بالجملة أو في الجملة، مُضافاً إلى سلامة التوجه الذي يدعو إليه، من مركزية إمامة الأئمة الاثني عشر عليهم السلام، وإمامة الإمام الثاني عشر عليه السلام.

### الرايات الممهدة للسُفياني

عَنْ جَابِرِ الْجَعْفِيِّ، قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا جَعْفَرٍ عَنِ السُّفْيَانِيِّ، فَقَالَ: «وَأَنِّي لَكُمْ بِالسُّفْيَانِيِّ حَتَّى يَخْرُجَ قَبْلَهُ الشَّيْبَانِيُّ، يَخْرُجُ مِنْ أَرْضِ كَوْفَانَ، يَنْبَعُ كَمَا يَنْبَعُ الْمَاءُ، فَيَقْتُلُ وَفِدَكُمْ، فَتَوَقَّعُوا بَعْدَ ذَلِكَ السُّفْيَانِيَّ وَخُرُوجَ الْقَائِمِ عَلَيْهِ السَّلَامُ»<sup>(١)</sup>.

وَعَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي حَمْزَةَ، قَالَ: رَافَقْتُ أَبَا الْحَسَنِ مُوسَى بْنَ جَعْفَرٍ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ، فَقَالَ لِي يَوْمًا: «يَا عَلِيُّ، لَوْ أَنَّ أَهْلَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ خَرَجُوا عَلَى بَنِي الْعَبَّاسِ، لَسَقَيْتُ دِمَاؤَهُمُ الْأَرْضَ حَتَّى يَخْرُجَ السُّفْيَانِيُّ. قُلْتُ لَهُ: يَا سَيِّدِي، أَمْرُهُ مِنَ الْمُحْتَمِمْ؟ قَالَ: نَعَمْ. ثُمَّ أَطْرَقَ هُنَيْئَةً، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ، وَقَالَ: مُلْكُ بَنِي الْعَبَّاسِ مَكْرٌ وَخِدَاعٌ، يَذْهَبُ حَتَّى يُقَالَ: لَمْ يَبْقَ مِنْهُ شَيْءٌ. ثُمَّ يَتَجَدَّدُ حَتَّى يُقَالَ: مَا مَرَّ بِهِ شَيْءٌ»<sup>(٢)</sup>.

فهذه الروايات وغيرها تُؤكِّدُ أَنَّ قَبْلَ حَرَكَةِ السُّفْيَانِيِّ هُنَاكَ حَرَكَاتٌ ضَالَّةٌ وَمُضَلَّةٌ وَبَاطِلَةٌ تَفْتِنُ الْمُؤْمِنِينَ، وَكَأَنَّهَا تُشِيرُ إِلَى أَنَّ السُّفْيَانِيَّ نَتِيجَةُ سَلْبِيَّةٍ مَتَوَلِّدَةٍ مِنْ سَلْبِيَّةٍ أُخْرَى؛ وَهِيَ عَدَمُ قِيَامِ الْمُؤْمِنِينَ بِمَسْئُولِيَّاتِهِمْ تَجَاهَ أَنْفُسِهِمْ وَتَجَاهَ الْمُجْتَمَعِ، بِالتَّصَدِّي لَتِلْكَ الْحَرَكَاتِ وَوَأَدَهَا فِي مَهْدَهَا، وَلِعَدَمِ تَوْعِيَةِ الْمُجْتَمَعِ لِلْقِيَامِ بِمَسْئُولِيَّتِهِ بِالتَّحَرُّكِ الصَّحِيحِ وَالتَّصَرُّفِ الْمُتَّقِنِ.

(١) النعماني، محمد، الغيبة: ص ٣١٤. المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٥٢، ص ٢٥٠.

(٢) النعماني، محمد، الغيبة: ص ٣١٤. الحر العاملي، محمد بن الحسن، إثبات الهداة: ج ٣، ص ٧٤٠.

## الشيبباني

الأوصاف للحركات التي قبل السُفباني (المعروف) عديدة، بعض الحركات يصفها المعصوم عليه السلام بحركة السُفباني، ومن الواضح أنه ليس اسماً للسُفباني الذي قبيل ظهور الإمام عليه السلام، وهناك حركة الأصهب والأببع وغيرهما.

وأيضاً حركة الشيبباني، وهذا الوصف لعله - والله العالم - وصف مُركب من كلمتين دُجتا في كلمة واحدة، والكلمتان هما (شيطان، صبي)؛ فتصير (شيببان)، كما هو موجود في كثير من المصطلحات، فمثلاً: يدجون الزمان مع المكان فتصير (زمكان). فالنتيجة أن حكومة شيببان حكومة شيطانية صيبانية، لا تُحسن التصرف كالصبي، وتنحدر في مهاوي الفسق والفجور والرذيلة كالشيطان، وبطابع مُراهق انفلاقي نحو الوجوم، وهذه الحكومة مُقدمة وأرضية لفجور وفسق ودمار وتقايس أكبر بواسطة تسلط السُفباني.

## حكومة بني العباس

كذلك حكومة بني العباس، فالإمام موسى بن جعفر عليه السلام يقول في الرواية المُتقدمة: «إن ملكهم لقائم»، ومن الواضح أنه لا يقصد أشخاصهم ولا أولادهم؛ لأنه يقول ملكهم، أي: حكمهم وسياستهم، فحكمهم وسياستهم قد بُنيت وأُسست على (الرضا من آل مُحَمَّد)، ولكنه مجرد شعار ليس فيه إلا الخُداء والتضليل الإعلامي، وكأن كل حكومة تُؤسس بنبانها على ذلك الشعار انتهازاً لغرض الوصول للحكم؛ لأن الأرضية العامة للمسلمين تهتف بأهل البيت عليهم السلام؛ لأجل ذلك كله يُسميها المعصوم عليه السلام حكومة بني العباس.

فأُستشعر من لسان الروايات أنَّ المؤمنين وجماعتهم إذا لم يقوموا بالمسؤولية الملقاة على عاتقهم، ولم يُدركوا بوعي - وهمّة عالية وبعُد في النظر - عمق الخطر المُحدق بهم فسوف تستمر حكومات المكر والخداع والتضليل الإعلامي، وكذلك الحكومات الشيطانية التي لا تُحسن التصرف بالتسلُّط عليها، وسيذوقون الذلَّ والهوان، ثمَّ يدخلون فيها هو أتعس، وهو تسلُّط السُّفياي، فهذا لا يكون حتماً عليهم إلا بتلك المُقدِّمات المهيأة لأشْرٍ وأقسى حكومة عرفها تاريخ البشرية، فالمعصوم عليه السلام حينما يُفصل في تعاقب الحكومات الباطلة (شيبباني، بني العباس، سفياني)، ليس ذلك نبوءة فلكية، بل هو ما قدّمناه سلفاً، من أنه قراءة هدفها التوصية، وإيجاد الوعي في كيفية تحمّل المسؤولية، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾<sup>(١)</sup>.

## شخصيات في مسرح الظهور

### نفاق الإيمان (البترية)

البترية: هي ظاهرة تلفيقية مزجية مخلطة؛ لأنهم يخلطون مع ولاية أهل البيت عليهم السلام ولاية الشيخين، وأول من ساءهم هذا الاسم هو زيد بن علي بن الحسين عليه السلام في محضر أخيه الباقر عليه السلام.

فَعَنْ سَدِيرٍ، قَالَ: «دَخَلْتُ عَلَى أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام، وَمَعِيَ سَلْمَةُ بْنُ كَهَيْلٍ، وَأَبُو الْمُقَدَّامِ ثَابِتُ الْحَدَّادِ، وَسَالِمُ بْنُ أَبِي حَفْصَةَ، وَكَثِيرُ النَّوَاءِ، وَجَمَاعَةٌ مَعَهُمْ، وَعِنْدَ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام أَخُوهُ زَيْدُ بْنُ عَلِيٍّ عليه السلام، فَقَالُوا لِأَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام: نَتَوَلَّى عَلَيْكَ وَحَسَنًا وَحُسَيْنًا، وَنَتَبَرَّأُ مِنْ أَعْدَائِهِمْ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالُوا: نَتَوَلَّى أَبَا بَكْرٍ وَعَمْرًا، وَنَتَبَرَّأُ مِنْ أَعْدَائِهِمْ! فَالْتَفَتَ إِلَيْهِمْ زَيْدُ بْنُ عَلِيٍّ، قَالَ لَهُمْ: أَتَتَبَرَّؤُونَ مِنْ فَاطِمَةَ؟! بَتَرْتُمْ أَمْرًا بَتَرْتُمْ اللَّهَ! فَيَوْمئِذٍ سُمِّوا الْبَتْرِيَّةُ»<sup>(١)</sup>.

وهناك مللٌ ونحلٌ كثيرة شبيهة بمسلك البترية كالسليمانية وغيرهم، ولكن ذكرنا البترية؛ لأهميتها هذا العنوان ووضوحه من جهة، وسلوك بعض المحسوبين على الشيعة اليوم هذا المسلك من جهة أخرى، ومن جهة ثالثة إن روايات آخر الزمان تذكر فرقة البترية ضمن المحاربين للإمام عليه السلام، كما سَنُبِّينُ.

(١) الطوسي، محمد بن الحسن، اختيار معرفة الرجال: ج ٢، ص ٥٠٥. المجلسي، محمد

باقر، بحار الأنوار: ج ٦٩، ص ١٧٨.

### أما أسباب انحراف البترية فكثيرة منها:

(أ) إنهم فرقة من فرق الزيدية والمعروف أن فرق الزيدية ترى أن الإمامة لمن يقوم بالسيف، وهم حريصون على إنهاض جميع الأمة؛ ومن هنا تحاول السلطة تفكيكهم بالمكر والحيلة، بواسطة إحراجهم حول موقفهم من الشيخين، فإذا قالوا: نحن براء من الشيخين ونهج السقيفة، فسوف تضعف شعبيتهم وتصطف جماهير سنة الخلافة مع السلطة القائمة؛ فلذا تركوا البراءة من الشيخين. بل هم روجوا المنهج التلفيقي بين الأمة، وهو منهج جامع يجمع بين منهاج أهل البيت عليهم السلام وولاية منهاج السقيفة؛ غرضه الحصول على الخضوة الجماهيرية عند الجميع (شيعة وسنة).

(ب) إن البراءة من أعداء آل البيت عليهم السلام والتخطئة لمنهج الجمهور عبء ثقيل لا يمكن لكل أحد تحمله، لارتفاع ضريبته؛ فإن سواد الناس الأعظم يميل إلى الدعة والراحة والقيود عن تحمل المسؤولية، وبالتالي تصعب وتثقل البراءة والتبري، وتتولد الانهزامية والتقهقر النفسي والفكري، وبالتالي التخلي عن إنكار المنكر وتخطئة الباطل، ويكتفون في تعذير ذمتهم بالتمسك بولاية أهل البيت عليهم السلام ومحبتهم ومودتهم؛ إرضاءً لمحاسبة الضمير واكتفاءً منهم بعدم التنكر لمقامات أهل البيت عليهم السلام في القرآن والسنة.

### على طرفي نقيض

إن ظاهرة التلفيق بين منهاج أهل البيت عليهم السلام والمناهج الأخرى - وعدم التبري والبراءة من تلك المناهج والمدارس المناوئة لأهل البيت عليهم السلام - هي ظاهرة تتكرر كظاهرة المقصرة والمارقة، وهي في كل عصر تأخذ ألواناً وأشكالاً ومسميات مختلفة تحت أطر الوحدة والتقريب بين المذاهب، وتحت

أطر وذرائع مُختلفة أُخرى.

في مقابل هذا التيار المُخلط نرى هُنَاكَ تياراً مصادماً يُشدّد على الفصل والتمييز بين مدرسة أهل البيت عليه السلام والمدارس الأخرى، ويحصر التبعية والمرجعية الشرعية الإلهية بأهل البيت عليه السلام (وهو ما يُعرف بالتولي) وسلبها، ونفي الصلاحية عن بقية المدارس، وتخطيط المسارات المباشرة للعترة (وهو ما يُعرف بالتبري)، وقد طعن على هذا التيار الثاني بالتشدّد والغلو في أهل البيت عليه السلام. وهذا التجاذب بين الظاهرتين جدلية تتكرر في الأزمنة المُختلفة، وهي قائمة في الزمان الحاضر أيضاً، ورُبّما يُبرّر التيار الأوّل بمنهجه المزجي والتلفيقي بجملة من الذرائع، كما أنه قد تُسجّل على التيار الثاني جملة من المؤاخذات؛ بسبب صراحتة الصارخة وعدم مداراته، وعدم اتّخاذ أسلوب الرّفق واللين في تبيين الحقائق، ومفاجأة الوسط العام بخطاب لم تهياً له الذهنية العامّة في الوسط الخاص فضلاً عن الوسط العام.

وهُنَاكَ أسباب عديدة لتجدّد ظاهرة البترية في كلّ جيل:

- (١) السطحية وعدم العمق والغور في حقيقة أهل البيت عليه السلام.
- (٢) روح الانهزام أمام سيطرة وتسلّط المذاهب الإسلامية الأخرى.
- (٣) التأثير أمام السيل الإعلامي السلطوي المتكرّس عبر التاريخ في بطون الكتب، وأعماق الأذهان في الأجيال المُزيفة للحقائق.

ويظهر من جملة من النصوص أنّ هذه الظاهرة - البترية - تستمر حتى

ظهور الإمام المهدي عليه السلام في الوسط الشيعي كحالة نفاقية في الإيوان.

فقد روى الطبرسي في دلائل الإمامة - في باب وجوب معرفة القائم -

بإسناده عن الحميري ... «عن أبي الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: سألته:

متى يقوم قائمكم؟ قال: يا أبا الجارود، لا تدركون ... ويسير إلى الكوفة، فيخرج منها ستة عشر ألفاً من البتريّة شاكين في السلاح قراء القرآن، فقهاء في الدين، قد قرحوا جباههم، وشمروا ثيابهم، وعمهم النفاق، وكلهم يقولون: يا بن فاطمة، ارجع لا حاجة لنا بك. فيضع السيف فيهم على ظهر النجف عشية الإثنين من العصر إلى العشاء، فيقتلهم أسرع من جزر جزور، فلا يفوت منهم رجل، ولا يُصاب من أصحابه أحد، دماؤهم قربان إلى الله»<sup>(١)</sup>.

وروى المفيد في الإرشاد بهذا اللفظ، قال: روى أبو الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام - في حديث طويل - «إنه إذا قام القائم عليه السلام سار إلى الكوفة، فيخرج منها بضعة عشر ألف نفس - يُدعون البتريّة - عليهم السلاح، فيقولون له: ارجع من حيث جئت؛ فلا حاجة لنا في بني فاطمة. فيضع فيهم السيف حتى يأتي على آخرهم، ويدخل الكوفة فيقتل بها كل منافق مُرتاب»<sup>(٢)</sup>.

وهذا الخبر يُشير إلى تكرّر هذه الظاهرة واستمرارها في الوسط الشيعي إلى عام الظهور، وأن أصحاب هذا التيار البتري التوفيقي التلفيقي يعتمدون المسحة العلميّة، ويتضرّعون بالمبررات الفقهيّة لهذا المنهج، ونداؤهم وخطابهم القائم عليه السلام ببني فاطمة إشارة إلى نهج فاطمة عليها السلام في الإنكار على مسار السقيفة، والبراءة من الانحراف، فكان الميزان المائز لهم رفض التبرّي من أعداء فاطمة عليها السلام، كما أنّهم في بداية أمرهم أنكروا البراءة من الشيخين، وأظهروا البراءة من أعدائهما، فالتفت إليهم زيد بن علي في محضر أخيه

(١) الطبري، محمد بن جرير، دلائل الإمامة: ص ٤٥٥.

(٢) المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد: ج ٢، ص ٣٨٤. المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار:



خارطة المسؤوليات في الشاط الوظيفي الديني للمؤمنين تجاه حركات الانحراف الديني ..... ٣٢٩

الباقريؑ، وقال لهم: أاتبروون من فاطمة؟! بترتم أمرنا بتركم الله. فيومئذ سَمُوا البترية<sup>(١)</sup> فعدم المعادة مع الشيخين يؤول إلى مُعادة فاطمة؛ ولذلك يُخاطبون الحجةؑ «ارجع يا بن فاطمة، لا حاجة لنا فيك. أي: لا حاجة لنا في النهج الفاطمي الذي ينطلق من البراءة لأعداء آل مُحَمَّد ﷺ».

---

(١) أنظر: الطوسي، محمد بن الحسن، اختيار معرفة الرجال: ج ٢، ص ٥٠٥.

### الغاية من استعراض روايات سنة الظهور

سؤال يُطرح بإلحاح: إنَّه ما هي الغاية والهدف من بيان الأئمة لتفاصيل مشروع السُّفْياني ورايته، ثمَّ للرايات المناهضة - الشيعة - له المناصرة لمشروع الإمام المهدي عَلَيْهِ السَّلَام بروايات مُستفيضة جداً.

فهل يُظن من ذلك أنَّ هذه الروايات لأجل السمر في تاريخ المُستقبل، والتفرُّج الجذَّاب للحديث المُثير للمشاهدين لمشهد تصويري، أو أنَّ هُنَاكَ حكمة وغاية من هذا التأكيد والإصرار في البيان من أئمة أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَام بهذه الأحداث الخطيرة، الجواب في نقاط:

(١) ليس هي مُجرَّد تكهنات يتنبأ بها الكُهَّان والعياذ بالله؛ ليحوزوا ويكسبوا موقع في قلوب المستمعين والقُرَّاء، أو كما يفعلُه القصاصون أو كتنبؤات المُنجِّمين والفلكيين؛ لأجل كسب مودَّة ومساحة من جمهور، بل إنَّ أئمة أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَام أئمة دين، ووظيفتهم ومنصبهم الإلهي من الله تعالى هي تعليم الناس وإرشادهم إلى المسؤولية، والوظيفية المُلقاة على عاتقهم، فغاية كُلِّ هذه الروايات هي بيان وتقرير المسؤولية والوظيفة الشرعيَّة، ولزوم الالتزام بموقف وجدوى المنهاج الذي رسموه في ميدان العمل.

(٢) وبعبارة أُخرى: إنَّ سرَّ استعراض هذه الروايات المُستفيضة المُتكاثرة لتفاصيل عسكريَّة وأمنيَّة، وإحداثيات جغرافيَّة، وملفات سياسيَّة، وملفات ومعلومات أمنيَّة، عن طبيعة حركة السُّفْياني، ونقاط الضعف والقوة فيها، وكذلك في الرايات الشيعيَّة المناهضة لها، فهل يا ترى هذه معلومات قمر

خارطة المسؤوليات في النشاط الوظيفي الديني للمؤمنين تجاه حركات الانحراف الديني ..... ٣٣١

صناعي عن المستقبل؟ كلا، بل هو دعوة للمؤمنين للاطلاع على هذه المعلومات ليرسموا لأنفسهم استراتيجية وبرنامج مقاومة ومواجهة، وهذه القراءة لنصوص علامات الظهور تختلف عن القراءة السائدة لها كتنبؤات فلكية أو تكهنات كهان أو أبراج فلكية للمنجمين.

(٣) إنَّ فحوى مفاد هذه الروايات - التي رُبَّما تكون متواترة حول ملامح آخر الزمان وعلامات الظهور - هي كتنبؤات القرآن عن المعاد والقبر والقيامة؛ لغاية تحشيد الهمم والإرادات والعزائم للقيام بالمسؤولية، وتخطيط برنامج يقوم بعبء ضخامة الحدث: «ونصرتي لكم مُعَدَّة»<sup>(١)</sup> - وهذا النص ورد مُستفيضاً في زياراتهم - سواء في جانب الملف الأمني، أو العسكري، أو التعبوي للنفوس، ولحماس الهمم، أو في الملف السياسي، أو في الملف العقدي والفكري والإيديولوجي في الملفات الأخرى من الرعايات الحزمية التي يلزم على المؤمنين النهوض بها.

(٤) سيأتي في الروايات الدعوة الأكيدة لجيوش المقاومة في كلِّ المناطق وتشكيل مجاميع المواجهة، سواء قبل مجيء عساكر السُفْياني أو بعد مجيئها، لا سيَّما أنَّ الروايات تُشير إلى إمكانية تغيير القضاء والقدر والبداء في أصل مشروع السُفْياني، أو في درجة نجاحه، أو في درجة توسعه، أو درجات إخفاقه، وأنَّ كلَّ هذه الخيارات مفتوحة للتغيير بقدر ما يقوم المؤمنون به من مسؤولية المقاومة والمواجهة، أو إجهاض لمشروعه وهو أعلاها همّة وأوقاها تعهداً، ولا سيَّما إذا كان في مهد أراضِي الشام.

(٥) إنَّ الروايات تؤكِّد ظاهرة مُهمّة في مشروع السُفْياني، وهو عدم

---

(١) الشهيد الأوَّل، محمد بن مكي، المزار: ص ١٢٥.

ثبات سيطرته في المناطق التي يتمدد ويتوسّع فيها حتى في مهد عاصمته، وهي الشام فضلاً عن المناطق الأخرى؛ وذلك نظراً للفساد والإفساد في البلاد والعباد الذي يُحدثه مشروع السُفياني.

(٦) هُنَاكَ محاور مُهمّة يجب استخراجها واستنباطها من الروايات المُستفيضة عن أهل البيت عليهم السلام حول ذلك، واللازم قيام دراسات تخصصية دقيقة في هذه الملفات والمجالات التي تستعرضها الروايات لتخرج المجاميع المؤمنة بروى وخيارات عديدة، في كيفية المواجهة لمشروع السُفياني الذي هو مشروع غربي في الأصل بتحالف أموي ناصبي.

(٧) وهذه القراءة لهذه الروايات المُستفيضة والمتواترة، حاكمة بياناً ومخطّئة للقراءة المعهودة من لسان الروايات المُتقدّمة المُتضمّنة لـ «كُنْ حَلَساً مِنْ أَحْلَاسِ بَيْتِكَ»<sup>(١)</sup>، بمعنى التفريج والاستكانة والإحجام والنكول والوهن والاستضعاف بالضراعة.

(٨) بل يُؤكّد ما سبق استظهاره من هذا اللسان بمعنى الثبات على منهاج أهل البيت عليهم السلام بقوة الحذر وشدة الكتمان، والإخفاء لآليات النشاط والتحصين عن التأثير بالتيارات المنحرفة عن الولاء لأهل البيت عليهم السلام، اعتقاداً أو اصطفاً سياسياً، أي: المنحرفة في الموقف الاعتقادي أو السياسي عن أهل البيت عليهم السلام، بأن لا يصبّ مشروع تلك الجماعات في صالح الموالين لآل البيت عليهم السلام، «وَلِيٌّ لِمَنْ وَالَاكْمَ وَعَدُوٌّ لِمَنْ عَادَاكُم»<sup>(٢)</sup>، وهو بمعنى الولاء السياسي فضلاً عن الولاء القلبي.

(١) النمازي، علي، مُستدرك سفينة البحار: ج ٢، ص ٣٦٦. المتقي الهندي، علي، كنز العمال: ج ١١، ص ٢١٣.

(٢) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ٣٣٠. المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٩٩، ص ٦٥.

### دور المؤمن في عصر الفتن وخصوصاً فتنة السفيناني

قد تقدمت رواية خالاد (الصفار) عن أبي عبد الله عليه السلام، أنه قال: «السفيناني لا بد منه، ولا يخرج إلا في رجب. فقال له رجل: يا أبا عبد الله، إذا خرج فما حالنا؟ قال: إذا كان ذلك فإلينا»<sup>(١)</sup>.

وكذلك عن يونس بن أبي يعفور، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «إذا خرج السفيناني يبعث جيشاً إلينا، وجيشاً إليكم فإذا كان كذلك، فأتونا على كل صعب وذلول»<sup>(٢)</sup>.

وهاتان الروايتان وغيرهما بنفس المضمون، إشارة إلى أمور عديدة. والظاهر ظهوراً من مفاد هذه الروايات هو الأمر بالمشاركة في المجاميع التي تنطلق من مكة في ركب ظهور الإمام، وهذا المثال يقرر مسؤولية المؤمنين أن لا يتخاذلوا عن الإعداد والتعبئة لتشكيل جيش لنصرة الإمام المهدي عليه السلام. في مكة المكرمة، وهذا المفاد يكرس المسؤولية ويلزم بها، ولا يرخص في التخاذل والسكون وترك الأمور على غارها، بل يلزم المؤمن بأن يكون له موقف من نصره الحق والمشاركة في حمل العبء والمسؤولية، فليس الأمر بـ (إلينا) لأجل الهروب من السفيناني؛ لكي ينجو كل فرد بجلده، بل خروج السفيناني صفارة إنذار لبدء التعبئة وتشكيل جيش لنصرة الإمام في مكة، فهذه

(١) النعماني، محمد، الغيبة: ص ٣١٣. وعنه: المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٥٢، ص ٢٤٩.

(٢) النعماني، محمد، الغيبة: ٣١٨. الطبري، محمد بن جرير، دلائل الإمامة: ص ٤٨٧.

الطائفة من الروايات مع الطائفة السابقة الأمرة بمقاومة السُفياني كالتأهما  
تصبّ في مقاومة السُفياني وتحمل المسؤولية، إلا أن أحدهما هي في المقاومة  
والتصدّي المباشر للسُفياني، والثانية لتشكيل جيش؛ فيكون هو القوة الضاربة  
القادرة على استئصال جيشه.

وما يظهر في بعض الروايات من حثّ المؤمن على السكون وعدم  
الحركة، فإن لها تفسيرات مُتعدّدة، منها أنّها ليس السكون المُطلق وترك  
المسؤوليات التي منها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بل إنّ ذلك لوقت مُعيّن  
وفي وقت مُعيّن. عن جابر قال: قال أبو جعفر عليه السلام: «يا جابر، الزم الأرض ولا  
تحرك يداً ولا رجلاً حتى ترى علامات أذكرها لك إن أدركتها...»<sup>(١)</sup>.

والواضح من الرواية أن لزوم الأرض وعدم الحركة ليس مُطلقاً، بل  
اللزوم هو لوقت مُعيّن إلى حين رؤية بعض العلامات، فإنّ الحركة قبل ظهور  
هذه العلامات غير صحيحة؛ لأنّها تؤدي إلى إزهاق النفس دون الحصول على  
النتيجة المرجوة.

وكذلك عن أبي خالد الكابلي، عن أبي جعفر عليه السلام أنّه قال: «كأنّي بقوم قد  
خرجوا بالمشرق، ولا يدفعونها إلا إلى صاحبكم، قتلاهم شهداء، أمّا إنّي لو  
أدرت ذلك لاستبقيت نفسي لصاحب هذا الأمر»<sup>(٢)</sup>.

وهنا الإمام الباقر عليه السلام رغم أنّه يقول: إنّ تلك الحركة على حقّ وإنّ

(١) النعماني، محمد، الغيبة: ص ٢٨٩. عنه: المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٥٢،  
ص ٢٣٧.

(٢) النعماني، محمد، الغيبة: ص ٢٨٢. وعنه: المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٥٢،  
ص ٢٤٣.

خارطة المسؤوليات في النشاط الوظيفي الديني للمؤمنين تجاه حركات الانحراف الديني ..... ٣٣٥

قتلاهم شهداء، إلا أنه يقول: لو أدركتها لأبقيت نفسي للقائم، فهو بذلك يدفع المؤمن للبحث عن نصر أكبر وشهادة أعظم؛ لأن القتال بين يدي القائم عليه السلام والاستشهاد بين يديه أعلى مرتبة من تلك الشهادة رغم أن كليهما شهادة.

ونفس الكلام في رواية هشام بن سالم التي تقدمت سابقاً، قال: أبو عبد الله عليه السلام: «- وذكر السفياني - فقال: أمّا الرجال، فتواري وجوهها عنه، وأمّا النساء فليس عليهنّ بأس»<sup>(١)(٢)</sup>. والتواري عن السفياني ليس هو الهروب، بل

(١) النعماني، محمد، الغيبة: ص ٣١٠.

(٢) إن قانون الفتنة عام شامل للسابقين واللاحقين، للمؤمنين والفاستقين على حدّ سواء، بل هو حتى للكاملين، وحتى للذين استثناهم الشيطان من غوايته - إلا عبادك منهم المخلصين - والمعصوم عليه السلام يصف الفتن: أنّها كقطع الليل المظلم، ويصف زماننا بالشدّة وطول المدّة وإدبار الزمان، زمان يكون القابض على دينه كالقابض على جمرة، كيف نصنع يا إمامنا؟ قال: «إلينا». وهذه الكلمة - إلينا - تتكرّر بكثرة في الروايات التي تُخبر بظهور السفياني، وتأمّر المؤمن بالاختباء والاختفاء من السفياني إلى أن تنتهي حرّكته، فهذا الكلام وشبهه في الروايات كثير، يُشيرُ بدوّاً بأنّ التكليف يتبدّل أو يتوقّف؛ حيث إنّ هذه الروايات لو أخذ بظاهرها البدوي أنّه لا أمر بالمعروف ولا نهي عن المنكر، ولا جهاد ولا كلمة حقّ، كذلك تُشير إلى التخلّي عن كثير من الواجبات الاجتماعية، فما معنى (إلينا) وما معنى «البدوا ما البدنا»، يمكن تفسير ذلك على مستويات - وهذه المستويات لا تقاطع بينها، ولا تتنافى مع ما ذكره سماحة الشّيخ (دام ظله) أيضاً - عديدة منها:

١. إنّ اللجوء إلى أهل البيت عليهم السلام - على كلّ حال - وهو الاستمسك واللجوء العقائدي، والاستمسك بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها.
٢. اللجوء العلمي والعملي من خلال العمل برواياتهم والسير على نهجهم وخطّهم.

هو لجمع القوى لأجل الحصول على نصر أكبر؛ لأنَّ كلام الإمام عليه السلام لا يُنافي الثوابت والعموميات التي تأمر المؤمن بمواجهة الباطل وأهله، فيكون الكلام في خصوص آليات المواجهة وكيفية المواجهة؛ لأنَّ السُّفْياني جهة باطل يجب على المؤمن مواجهتها، لكن آليات المواجهة مختلفة.

٣. تطبيق حديث الثقلين، وهو التمسُّك بحبل الله الممدود، وهو كتاب الله وعترته

النَّبِيِّ عليه السلام؛ لأنَّهما بحسب - قول الرسول عليه السلام - كُنْ يَفْتَرِقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيْهِ الْحَوْضَ.

٤. إلينا: تعني التوسُّل بنا إلى الله والدعاء وطلب الحاجة بنا، وهذا لا يعني التخلِّي عَنِّ المسؤولة وترك الحبل على الغارب.

٥. إلينا: معناه الاقتداء بنا والتصرُّف كما نتصرف، والعمل بمقتضى تلك الظروف، أي: إلى حجة الله في أرضه الإمام الغائب عليه السلام وجعله قدوةً وأسوةً ونبراساً يُقتدى به، فكما هو غائب عَنِّ الظهور وليس غائباً عَنِّ الحضور والعمل، فكذلك أنتم اجعلوا غيبتكم عَنِّ الظهور للناس والأعداء، لكن لا تغيبوا عَنِّ الميدان؛ لذلك قالت الرواية: «البدو ما البدنا».

٦. إلينا: يعني لا تتصرفوا تصرفاً إلاَّ بَعْدَ مراجعتنا، مِنْ خلال ما يتوقَّر لديكم مِنْ الطُّرق العديدة والوسائل العلميَّة الصحيحة، التي تجعلكم في نِجاة إذا ما طبقتموها بالشكل الصحيح.

٧. إلينا: اتخذوا إمامكم قدوةً مِنْ حيث التَّريُّث في العمل والصبر حتى نضوج الأمر، وعدم التهور بالشكل الذي يُوَدِّي إلى أن يفقد الإنسان حياته، دون أن يتحقَّق أيُّ هدف، أو يحقِّق هدفاً بسيطاً لا قيمة له، فالفرد المؤمن ينبغي أن يسعى لتحقيق الأهداف العالية.

٨. إلينا: معناه اتخاذ الإمام المنتظر عليه السلام قدوةً، فكما أنَّه يترقَّب الفرصة الكبرى للظهور وتحقيق نصر أكبر وفتح أعظم، فكذلك أنتم تحيِّنوا ذلك النصر وتلك الفرصة المناسبة، باعتبار أنَّ الجهاد والاستشهاد درجات، وأنَّ العمل لتربية النفس والمُجْتَمَع وتوعيته بعمق مسؤوليته هي أعظم الجهاد.



## مقاطع مختارة

نذكر مقاطع مهمة من روايات - ذكرناها سابقاً- التصدي للسفياني وتحمل المسؤولية نضعها بين يدي القارئ؛ لتكون نبراساً مهماً وواضحاً يدفع المؤمن لشحن الهمم:

\* «ثم يدخل الكوفة [السفياني] فيصير أهلها ثلاث فرق: فرقة تلتحق به وهم أشرك خلق الله، وفرقة تقاتله وهم عند الله شهداء، وفرقة تلتحق بالأعراب وهم العصاة».

\* «يبلغ الخبر أهل البصرة، فيركبون إليهم في البر والبحر، فيستنقذون أولئك النساء من أيديهم، فيصير أصحاب السفياني ثلاث فرق».

\* «فيلتقي هو والهاشمي برايات سود... فيلتقي هو والسفياني بباب إصطخر؛ فتكون ملحمة عظيمة».

\* «إذا بعث السفياني إلى المهدي جيشاً، فحسف بهم البيداء...».

\* «... وبلغ ذلك أهل الشام، قالوا لخليفته: قد خرج المهدي فبايعه وادخل في طاعته وإلا قتلناك».

\* «... وإذا خرج السفياني... ويكثر القتل في الدنيا، فعند ذلك يجتمعون (كذا) أهل مكة إلى السفياني، يخوفونه عقوبة الله (عز وجل) ...».

\* «... ويخرج رجل من أهل بيتي في الحرّة، فيبلغ السفياني، فيبعث إليه جنداً من جنده فيهزمهم...».

\* «يبعث صاحب المدينة إلى الهاشميين بمكة جيشاً فيهزمونهم...».

\* «يدخل الصخري الكوفة... فإذا تصافت الخيلان ولت كلب أدبارها، وأخذ الصخري فيذبح على الصفا المعترضة على وجه الأرض...».

## خلاصة الفصل الثاني

مما تقدّم نخرج بنقاط عديدة مهمّة:

أولاً: إنّ السّفياني ثمره من تلك الشجرة الخبيثة الملعونة.

ثانياً: إنّ الروايات تؤكّد حتمية ظهور حركة السّفياني.

ثالثاً: إنّ الروايات في حين تؤكّد فيه الحتمية تؤكّد أنّ فيه البداء.

رابعاً: إنّ الروايات تُشير إلى صعوبة الظروف والتباسها، بل وشدّتها في

جملة من الموارد، وأتمّها تحتاج إلى مزيد من اليقظة والتدبير وزيادة في تحمّل

المسؤولية، وأنّ هذه الأوضاع العصيبة تتطلب المزيد من التخطيط والمراقبة

المستمرة، وتحمل العبء وأتمّها شبيهة بالإرهاصات التي سبقت ثورة الحسين،

وهي بعينها التي تسبب قيام المهدي عليه السلام بالخروج.

خامساً: إنّ الحركات الضالّة والمضلّة - والحركات المعادية للإسلام،

والمعادية لأتباع أهل البيت عليهم السلام بالخصوص - تُعلن شيئاً وتُخفي شيئاً، تُعلن

أتمّها إسلاميّة وتريد تطبيق الإسلام، وتُخفي واقعها اللانساني واللا ديني.

سادساً: إنّ الشعوب وأهالي البلدان ليست مُنقادة لحكم السّفياني

الأموي، بل مناوئة له لما ينطوي عليه من الفساد، بل تقدّم بحسب الرواية أنّ

الشام - مهد قاعدته وأرضيتها - تهتف وتميل إلى الإمام المهدي عليه السلام، كما في

الرواية عن علي عليه السلام: «وبلغ ذلك أهل الشام، قالوا خليفتهم: قد خرج المهدي،

فبايعه وادخل في طاعته، وإلا قتلناك. فيُرسل إليه بالبيعة»<sup>(١)</sup>.

(١) المتقي الهندي، علي، كنز العمال: ج ١٤، ص ٥٨٩.

خارطة المسؤوليات في النشاط الوظيفي الديني للمؤمنين تجاه حركات الانحراف الديني ..... ٣٣٩

سابعاً: إن الروايات التي تُحذّر المؤمنين من الفتن، وفتنة السُفْياني بالخصوص، وتُبشّر برحمة للمؤمنين، وهلاك لأعداء أهل البيت عليه السلام وأتباعهم على يد السُفْياني، وأنه سيتم القضاء في حركة السُفْياني على كثير من الفاسدين والمفسدين الضُّلال، ولكن ذلك لا يقتضي القعود وترك المسؤوليات؛ لأنّ ترك المسؤوليات يُؤدّي لاستبدالها بحركة باطلة أشدّ غيًّا.

ثامناً: الرواية التي تقدّمت عن علي عليه السلام تشير إلى أمور عديدة، منها: وعي الشعوب وإيمانها بمودة أهل البيت عليه السلام وطهارتهم وأحقيتهم بالأمر، وإذا كان الأمر هكذا في الشام، فكيف بك ببقية البلدان وشعوبها؟! باعتبار أنّ الشام أقرب للسُفْياني نهجاً وسلوكاً، لكن مع ذلك يثورون ضده، ويطالبونه بالبيعة للمهدي عليه السلام، وهذه بشارة عظيمة للمؤمنين: أنّ شعوب المنطقة كلّها - إلا ما ندر - تميل إلى الحقّ المتمثّل بالحجة عليه السلام، وأنّ أرضية المؤمنين كافّة تهتف وتتطلّع إلى المهدي من آل محمّد صلّى الله عليه وآله.

تاسعاً: خروج الخراساني والبياني، إشارة إلى أنّ هناك مَنْ يتصدّى للقيام بالمسؤولية، وهناك جهة حقّ، بل روايات أخرى وجهات وجماعات عديدة ذُكرت في تفاصيل الروايات، وكلّ ذلك يصبّ في تحمّل المسؤولية، كلّ حسب موقعه وقدرته.

عاشراً: تقدّم أنّ تحمّل المسؤولية يُكفّف من نشاط السُفْياني، وبعكسه تماماً التخلّي عن المسؤولية والقعود وترك الحبل على الغارب؛ لأنّه يُؤدّي إلى تفاقم واشتداد الفتن، فإنّ تسلّط الظالم لم يكن حتماً جبرياً من قبل الله، بل إنّ حتميته جاءت نتيجة ترك الناس مقاومة مَنْ هو أقلّ منه فتنةً وشدّةً، وهو الشيصباني أو غيره من أهل الضلالة والفتنة كبنّي العباس.

الحادي عشر: في رواية ذكرت الحُسف بجيش السُفياني، في عقد الدرر،  
عَنْ عبد الله بن الزبير أَنَّ عَائِشَةَ قَالَتْ: «عَبَثَ [أَي: اضْطَرَبَ] رَسُولُ اللَّهِ ﷺ  
فِي مَنَامِهِ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ: صَنَعْتَ شَيْئاً فِي مَنَاكَ لَمْ تَكُنْ تَفْعَلُهُ؟  
فَقَالَ: الْعَجَبُ أَنَّ نَاساً مِنْ أُمَّتِي يُؤْمِنُونَ بِالْبَيْتِ بِرَجُلٍ مِنْ قَرِيشٍ، قَدْ لَجَأَ  
بِالْبَيْتِ، حَتَّى إِذَا كَانُوا بِالْبَيْدَاءِ حُخِيفَ بِهِمْ، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ الطَّرِيقَ قَدْ  
تَجْمَعُ النَّاسُ.

فَقَالَ: نَعَمْ، فِيهِمُ الْمُسْتَبْصِرُ وَالْمَجْبُورُ وَابْنُ السَّبِيلِ، يَهْلِكُونَ مَهْلِكاً  
وَاحِداً، وَيَصْدُرُونَ مَصَادِرَ شَتَّى يُبْعَثُهُمُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى نِيَاتِهِمْ»<sup>(١)</sup>.  
وكذلك في عقد الدرر: عَنْ عبد الله بن القبطية، قال: «دَخَلَ الْحَارِثُ بْنُ  
أَبِي رَبِيعَةَ، وَعَبَدَ اللَّهُ بْنُ صَفْوَانَ، وَأَنَا مَعَهُمَا عَلَى أُمَّ سَلْمَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ، فَسَأَلَاهَا عَنْ  
الْجَيْشِ الَّذِي يُخْسَفُ بِهِ، وَكَانَ ذَلِكَ فِي أَيَّامِ ابْنِ الزَّبِيرِ، فَقَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:  
يَعُودُ عَائِدٌ يُبْعَثُ اللَّهُ إِلَيْهِ بَعَثًا، فَإِذَا كَانُوا بِالْبَيْدَاءِ مِنَ الْأَرْضِ حُخِيفَ بِهِمْ.

فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَيْفَ بَمَنْ كَانَ كَارِهًا؟  
قَالَ: يُخْسَفُ بِهِ مَعَهُمْ، وَلَكِنَّهُ يُبْعَثُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى نِيَّتِهِ»<sup>(٢)</sup>.  
وفي رواية أخرى في تتمتها قال أبو جعفر: «هِيَ بَيْدَاءُ الْمَدِينَةِ»<sup>(٣)</sup>، هَاتَانِ  
الرَّوَايَتَانِ وَرَوَايَاتُ أُخْرَى بِنَفْسِ الْمَضْمُونِ.

(١) المقدسي، يوسف بن يحيى، عقد الدرر: ص ٦٧. عن النيسابوري، مسلم بن الحجاج،  
صحيح مسلم: ج ٨، ص ١٨٦.  
(٢) المقدسي، يوسف بن يحيى، عقد الدرر: ص ٦٨. عن النيسابوري، مسلم بن الحجاج،  
صحيح مسلم: ج ٨، ص ١٦٦.  
(٣) المقدسي، يوسف بن يحيى، عقد الدرر: ص ٦٨. عَنْ النيسابوري، مسلم بن الحجاج،  
صحيح مسلم: ج ٨، ص ١٦٧.

خارطة المسؤوليات في الشاط الوظيفي الديني للمؤمنين تجاه حركات الانحراف الديني ..... ٣٤١

وقد أوردنا سابقاً هذا المضمون في رواية الخسف إلا أن هنا زيادة، وهي قوله ﷺ: «منهم المستبصر والمجبور وابن السبيل»، وكذلك في الرواية الأخرى حين سُئل ﷺ: «كيف بمن كان كارهاً؟ قال: يُخسف به معهم، ولكنه يُبعث يوم القيامة على نيته»<sup>(١)</sup>.

وفي هذا إشارات عديدة:

(١) ليس كل من في جيش السفنياني فاسق أو ظالم، وبالتالي ليس مصير كل الجيش إلى النار، بل يُحشرون على نياتهم؛ وذلك لأن في جيش السفنياني من هو مُعادي له، وإنما أُجئوا كما أخرجت قريش عقيلاً والعباس بن عبد المطلب، حيث أمر رسول الله ﷺ بعدم التعرض لبني هاشم؛ لأنهم أُخرجوا مُكرهين، كذلك في حرب الجمل هناك من أكره على الخروج من قريش حيث تأسف أمير المؤمنين عليه السلام على قتلهم.

(٢) إن في جيش السفنياني من يكون مجبوراً أو ابن سبيل ولعله يجمعهم عنوان الكاره؛ وبالتالي كل كاره بما لديه من درجة الكراهة يُحشر على نيته.

(٣) إن في هذا إشارة أمنية من المعصوم عليه السلام، وهي إشارة عملية مهمة، تُشير إلى إمكان اختراق جيش السفنياني من قبل المؤمنين، وبالتالي تصديعه من داخله، وإيجاد خروقات أمنية، فمكوناته خليط من الناس، مما يدل على ضعف وهشاشة هذا الجيش؛ بسبب الضعف الأمني والاستخباري الذي يؤدي إلى سهولة تفكيك هذا الجيش وهزيمته، وهو ليس على نسيج وشاكلة واحدة.

(١) وهذا النص وردت فيه روايات عديدة من طرق العامة قد تصل إلى حد التواتر أو الاستفاضة، دون الإشارة إلى أن هذا الجيش هو جيش السفنياني. نعم، أئمة أهل البيت عليهم السلام أشاروا إلى أنه جيش السفنياني.



## الفصل الثالث

خارطة المسؤوليات في النشاط الوظيفي الديني العسكري

للمؤمنين ووظيفة تقديس وحماية المقدسات





## قواعد أساسية في مراتب الجهاد الدفاعي

### وظيفة تقديس المقدّسات

- القسم الأوّل: الدفاع الوقائي الرادع عن عدوان المعتدي.
- القسم الثاني: الدفاع العلاجي.
- القسم الثالث: الدفاع الاقتصاصي.
- القسم الرابع: الجهاد الدفاعي الاستباقي.
- القسم الخامس: الجهاد الاقتصاصي في الدفاع عن المقدّسات.
- القسم السادس: الجهاد الدفاعي الاستباقي عن المقدّسات.
- القسم السابع: الجهاد الاقتصاصي تعصباً لأهل البيت عليهم السلام.
- القسم الثامن: الجهاد المواساتي.



## مقدمة

قد ورد في نهج البلاغة: «أما بعد، فإنَّ الجهادَ بابٌ من أبوابِ الجنَّةِ، فتَحَهُ اللهُ لِخاصَّةِ أوليائِهِ، وَهُوَ لِيأسِ التَّقوى، وَدِرْعُ اللهِ الحَصِينَةُ، وَجَنَّتُهُ الوَثيقَةُ، فَمَنْ تَرَكَهُ رَغْبَةً عَنْهُ أَلْبَسَهُ اللهُ ثوبَ الدُّلِّ، وَشَمَلَهُ البَلَاءُ، وَدِيثَ الصَّغارِ وَالقَمَاءِ، وَضَرَبَ عَلَى قَلْبِهِ بِالأسدادِ، وَأَدِيلَ الحَقِّ مِنْهُ بِتَضْييعِ الجهادِ، وَسِيمَ الحَسَفِ، وَمَنَعَ النِّصْفَ. أَلَا وَإِنِّي قَدْ دَعَوْتُكُمْ إِلَى قِتالِ هؤُلاءِ القَوْمِ لَيْلًا وَنَهَارًا، وَسِرًّا وَإِعْلانًا، وَقُلْتُ لَكُمْ: اغزَوْهُمْ قَبْلَ أَنْ يَغزَوْكُمْ. فَوَ اللهُ، ما غزِيَ قَوْمٌ قَطُّ فِي عَقْرِ دارِهِمْ إِلَّا ذُلُّوا، فَتَوَاكَلْتُمْ وَتَخادَلْتُمْ حَتَّى شُنَّتْ عَلَيْكُمْ الغاراتُ، وَمِلَكَتْ عَلَيْكُمْ الأوطانُ. وَهَذَا أَخُو غامِدٍ قَدْ وَرَدَتْ خَيْلُهُ الأَنْبارَ، وَقَدْ قَتَلَ حَسانَ بَنَ حَسانِ البَكْرِِيِّ، وَأَزَالَ خَيْلَكُمْ عَنْ مَسالِحِها، وَلَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ الرَّجُلَ مِنْهُمْ كانَ يَدْخُلُ عَلَى المِراةِ المُسَلِمَةِ، وَالأُخْرى المِعاهِدَةَ، فَيَتَنَزَعُ حِجْلَها وَقَلْبَها وَقلائِدَها وَرِعاثَها، ما تَمْتَنِعُ مِنْهُ إِلَّا بِالأِستِزْجاعِ وَالإِستِزْحامِ، ثُمَّ انْصَرَفُوا وَافِرِينَ، ما نالَ رَجُلًا مِنْهُمْ كَلِمٌ، وَلا أَرىقَ لُهُم دَمٌ، فَلَو أَنَّ امْرَأً مُسَلِمًا ماتَ مِنْ بَعْدِ هَذَا أَسْفًا ما كانَ بِهِ مَلُومًا، بَلْ كانَ بِهِ عِنْدِي جَدِيدًا. فَيَا عَجَبًا! عَجَبًا - وَاللهِ - يُمِيتُ القَلْبَ وَيَجْلِبُ الهَمَّ مِنْ اجْتِماعِ هؤُلاءِ القَوْمِ عَلَى باطِلِهِمْ، وَتَفَرُّقِكُمْ عَنْ حَقِّكُمْ! فَقبُّحًا لَكُمْ وَتَرَحًا! حِينَ صرُّتُمْ غَرَضًا يُرْمَى: يُغارُ عَلَيْكُمْ وَلا تُغَيَّرُونَ، وَتُغزَوْنَ وَلا تَغزَوْنَ، وَيُعصى اللهُ وَتَرْضَوْنَ!»<sup>(١)</sup>.

(١) خطب أمير المؤمنين عليؑ، نهج البلاغة: ج ١، ص ٦٨.

## الجهاد الدفاعي

### قواعد أساسية في مراتب الجهاد الدفاعي

ينقسم الجهاد الدفاعي فقهيًا بحسب الأدلة على أقسام أربعة:

#### القسم الأول: الدفاع الوقائي الرادع عن عدوان المعتدي

وهو مضمون القاعدة في الآية الكريمة: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ﴾<sup>(١)</sup>، وهذا النوع من الجهاد باب مفتوح على مصراعيه؛ لإعداد المجتمع للقوة أمام عدوان المعتدي، وليس هناك سقف مُعَيَّن يقف عنده ذلك الإعداد، وهو نحو من القوة الناعمة - في الاصطلاح الاستراتيجي الحديث - لأنه لا تُراق فيه محجمة دم، ولا تنشب فيه نار تشتعل، بل قُوَّة ردع واقية عن العدوان، ومن خصائص هذا القسم أنه لا يُعطل في حال من الأحوال، كما أنه عيني على الجميع استغراقاً، كُل بحسب قدرته وطاقته، فضلاً عن كفايته بحسب مراتب الإعداد.

#### القسم الثاني: الدفاع العلاجي

وهذا القسم يُقرَّر أنَّ الدفاع بَعْدَ وقوع الاعتداء؛ لرفع العدوان والغزو وطرده من بقاع الإيوان، مكانيةً كانت أو جغرافيةً أو غيرهما، وهو المعهود في الأذهان والثقافة الفقهية.

---

(١) الأنفال: آية ٦٠.

### القسم الثالث: الدفاع الاقتصاصي

وهذا القسم غايته الردع عن تكرّر العدوان، وهو مفاد قاعدة ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾<sup>(١)</sup>. ومن الواضح أنّ عدّة مضامين قرآنيّة تصبّ في هذا المفاد، وهي:

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ الْحَرْبُ بِالْحَرْبِ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأَنْثَى بِالْأُنثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتَّبَعْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنْ اعْتَدَى بِعَدْوٍ فَدَابَّ عَلَيْهِ عَذَابٌ أَلِيمٌ \* وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

وكذلك قوله تعالى: ﴿الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾<sup>(٣)</sup>.  
وأيضاً قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ \* وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ \* وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ \* إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ \* وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ الْأُمُورِ﴾<sup>(٤)</sup>.

في خطبة المخزون لأمر المؤمنين عليه السلام: «... فابشروا بنصر من الله عاجل وفتح يسير، يُقرّ الله به أعينكم، ويذهب بحزنكم، كُفّوا ما تنهى الناس عنكم، فإنّ ذلك لا يخفى عليكم، إنّ لكم عند كلّ طلعة عوناً من الله، يقول على الألسن

(١) البقرة: آية ١٧٩.

(٢) البقرة: آية ١٧٨-١٧٩.

(٣) البقرة: آية ١٩٤.

(٤) الشورى: آية ٣٩-٤٣.

ويثبت على الأفتدة، وذلك عون الله لأوليائه يظهر في خفي نعمته لطيفاً، وقد أثمرت لأهل التقوى أغصان شجرة الحياة، وإنَّ فرقاناً من الله بين أوليائه وأعدائه، فيه شفاء للصدر، وظهور للنور، يعز الله به أهل طاعته، ويذلُّ به أهل معصيته، فليعد امرؤ لذلك عدته، ولا عُدة له إلا بسبب بصيرة وصدق نية...»<sup>(١)</sup>.

فقوله **عَلَيْهِ السَّلَامُ**: «كُفُّوا مَا تَنَاهَى النَّاسَ عَنْكُمْ». مفاده ولسانه لسان الروايات المُستفيضة في الهدنة مع المخالفين، ولفظ الناس مُستعمل في الروايات كناية عنهم، وهو مُطابق للسان: «الرَّمَّ بَيْتَكَ وَكُنْ حَلِيساً مِنْ أَحْلَاسِهِ...»<sup>(٢)</sup>.

ورغم ذلك، فقد قيّد أمير المؤمنين هذا الكفّ «الأمر بالهدنة». بالكف ما لم يكن هناك عدوان منهم علينا، وإلا فالدفاع لا يُعطّل في حال من الأحوال، وهذا ما عليه إجماع وتسالم علماء الإمامية من وجوب الجهاد الدفاعي، وإن بنو علي تعليق بقية أبواب الجهاد؛ ومن ثمَّ هذه الرواية وأمثالها كالمفسر الحاكم لمستفيض روايات الهدنة والروايات الآمرة بالكون حليساً من أحلاس البيت، وإذا تقرّر وجوب الجهاد الدفاعي، فهذا يُقرّر ما أسلفناه من قاعدة وجوب إعداد القوة والعُدّة والعدد على الدوام وبلا استمرار من دون توقّف، ومدح الانتصار بعد الظلم، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مَن سَبِيلٍ﴾<sup>(٣)</sup> - كما هو مفاد الآيات التي أوردناها في القسم

(١) الحلبي، حسن بن سليمان، مختصر بصائر الدرجات: ص ١٩٦. المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٥٣، ص ٧٨.

(٢) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ٨، ص ٢٦٤. الحر العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج ١٥، ص ٥١.

(٣) الشورى: آية ٤١.

الثالث - حكمته وغايته في الاقتصاص الرادع عن تكرار العدوان، فيدخل الاقتصاص في الدفاع الوقائي بنمط آخر كما أن ذلك مفاد الحفاظ على الحياة كفلسفة وحكمة للقصاص، كما أن الآية الثانية من سورة البقرة: ﴿ولكم في القصاص﴾. تُبين أن حكمة وغاية القصاص أيضاً هي الوقاية، وأن القصاص هو مُقتضى التقوى، ولا يخفى أن أعظم أقسام الجهاد الدفاعي هو القسم الأول الوقائي؛ لأن الوقاية خير من العلاج؛ ومن ثمَّ أكّدت الآية على وجوب الاستعداد والتعبئة، وتنامي القوة على نحو الدوام والاستمرار، وأن يكون بقدر الاستطاعة لا بقدر العادة ولا بقدر الراحة، بل بتمام وكمال الاستطاعة، أي: است فراغ الوسع، ثمَّ تُبيِّن الآية أن فلسفة هذا النمط من الإعداد هو الدفاع والوقاية والردع؛ لقوله تعالى: ﴿تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفِّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

كما أن القسم الثاني في جملة من الموارد وإن كان هو المعروف المعهود من الجهاد الدفاعي، إلا أن من الواضح بحسب الأدلة المتقدمة أنه لا يختص به، بل يشمل الأول والثالث، بل في جملة من الموارد، ولو اقتصر عليه - الثاني - فإنه لا تحصل غاية الدفع وهي تحصيل الأمن، إلا من القسم الثالث، نظير ما يفصل في قتال البغاة بين من لهم فئة يرجعون إليها، فيجوز الإجهاز على جريحهم وإتباع مدبرهم وقتل أسيرهم، وبين من ليس لهم فئة فلا يتبع لهم مدبر، ولا يُجهز على جريحهم، ولا يُقتل لهم مأسور، فإن حكمة التفصيل هو تكرُّر البغي، أو فيمن لهم فئة؛ فيكون الإجهاز على الجريح وقتل الأسير والمدبر قطعاً عن استمرار البغي وتكرره.

(١) الأنفال: آية ٦٠.

### القسم الرابع: الجهاد الدفاعي الاستباقي

وهو يُقام به في المورد الذي يعلم بأنَّ العدو مُترَبِّصٌ لشنِّ عدوان قريب، قد أخذ أهبته في ذلك وبدت علامات ولوائح ذلك شاهرة ظاهرة، والقدر المُتيقَّن منْ مشروعية هذا القسم، ما إذا كان عدم الاستباق بالحرب والتواني عنْ المُبادرة، يستلزم عدم القُدرة على الجهاد الدفاعي منْ القسم الثاني وهو العلاجي، أو أنه سيُكبَّد المؤمن والمسلمين خسائر كبيرة في الأرواح والثروات، ويُشير إلى ذلك قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ﴾<sup>(١)</sup>.

والإشارة في الآيات والروايات كثيرة منها: دُعاء لأمير المؤمنين عليه السلام كان يدعو به، وهو منْ أدعية الصحيفة السجادية أيضاً، قال: «والحمد لله الذي منَّ علينا بمحمد نبيه صلى الله عليه وآله دون الأمم الماضية... كما نصب لأمرك نفسه، وعرض فيك للمكروه بدنه، وكاشف في الدعاء إليك حامته، وحارب في رضاك أسرته، وقطع في إحياء دينك رحمه، وأقصى الأذنين على جحودهم، وقرب الأقصين على استجابتهم لك، ووالى فيك الأبعدين، وعادى فيك الأقربين، وهاجر إلى بلاد الغربية ومحلّ النأي عنْ موطن رحله، وموضع رحله، ومسقط رأسه، ومأنس نفسه، إرادة منه لإعزاز دينك، واستنصاراً على أهل الكُفْر بك، حتّى استتب له ما حاول في أعدائك، واستتم له ما دبّر في أوليائك، فنهد إليهم مستفتحاً بعونك، ومتقوياً على ضعفه بنصرك، فغزاهم في عُقر ديارهم، وهجم عليهم في بُجوحة قرارهم، حتّى ظهر أمرك، وعلت كلمتك،

(١) الأنفال: آية ٥٨.



خارطة المسؤوليات في النشاط الوظيفي الديني العسكري للمؤمنين ووظيفة تقديس وحماية المقدّسات ... ٣٥٣

ولو كره المشركون...»<sup>(١)</sup>.

وموضع الشاهد المناسب للقسم الرابع من أقسام الجهاد الدفاعي هو قوله ﷺ: «فنهذ إليهم مستفتحاً بعونك، ومتقوياً على ضعفه بنصرك، فغزاهم في عُقر ديارهم، وهجم عليهم في بُحبوحة قرارهم، حتّى ظهر أمرك، وعلت كلمتك، ولو كره المشركون». أي: إنّ رسول الله ﷺ نهض إلى المشركين الذين كانوا يعدّون العُدّة ويتربصون الدوائر بالنبي ﷺ وبالمسلمين، بصورة سريعة ومباغته بلا توانٍ أو كسلٍ، رغم أنّ العدو أقوى وأكثر عدّة وعدد منه، لكنّه مع ذلك بادرهم حتّى لا تكون الخسارة أكبر... معتمداً على الله وحده ومتقوياً به لنصره، فغزاهم في عُقر ديارهم وهجم عليهم في بُحبوحة قرارهم حتّى ظهر أمره، وعلت كلمته، ولو كره المشركون.

---

(١) ابن أبي الحديد، عبد الحميد، شرح نهج البلاغة: ج ٦، ص ١٦٨. أدعية الإمام السجاد ﷺ، الصحيفة السجادية: ص ٥٢.

### قواعد لا محيص عنها في الدفاع عن المقدسات

ثم إنَّها هُنَا أقساماً أُخرى مِنْ أقسام الدفاع، وهي كالأقسام السابقة إلا أنَّها أعظم منها؛ لأنَّ هذه الأقسام للدفاع عَنِ الأراضِي المُقدَّسة، أي: البلاد التي فيها مراقد المعصومين عليهم السلام، وفيها المساجد المشرفة، فالحرم المكي أرض مُقدَّسة والحرم المدني كذلك، بل يشمل ما هو أوسع مِنَ الحرم المكي والمدني، فيشمل أرض الحجاز كُلِّها، فهذه الأرض ينبغي تطهيرها مِنْ دنس المنتهكين لُقُدسيَّتها وحرمتها، كذلك النجف و كربلاء، والكاظمية وسامراء، وخراسان، مدنٌ يجب الدفاع عنها وحمايتها وقطع أيدي الباطل عنها إنَّ كانت في أيديهم، بل حماية المُقدَّسات تُوجب حماية كُلِّ أرض العراق، وهذا حال وحكم كُلِّ البلدان التي فيها المُقدَّسات.

فهُنَاك واجبان: واجب للدفاع عَنِ عموم كُلِّ بلاد المُسلمين، وواجب آخر هو لخصوص الأراضِي المُقدَّسة، وهو أعظم مِنَ الواجب الأوَّل، ونفس الضوابط التي ذُكرت في الأقسام السابقة مِنَ الجهاد الدفاعي، تُذكر هُنَا.

### نظام تعدد مراتب الدفاع طويلاً متعكساً مع قاعدة الرفق المرن

إنَّ مراتب الدفاع عَنِ الأراضِي المُقدَّسة - وباقِي الأقسام السابقة كمراتب الأمر بالمعروف والنهي عَنِ المنكر - لا تجوز المرتبة اللاحقة إلاَّ بَعْد العجز عَنِ السابقة، فكما أنَّ مراتب الأمر بالمعروف والنهي عَنِ المنكر تبدأ مِنْ اليد وتنتهي بالقلب، فكذلك في مراتب الجهاد الدفاعي، كما في الحديث عَنِ

خارطة المسؤوليات في النشاط الوظيفي الديني العسكري للمؤمنين ووظيفة تقديس وحماية المقدّسات ... ٣٥٥

أبي سعيد الخدري أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَاسْتَطَاعَ أَنْ يَغْيِرَهُ بِيَدِهِ فَلْيَفْعَلْ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبَلْسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَوْضَعُ الْإِيمَانِ»<sup>(١)</sup>.

وهذا عين ما رسمه سيّد الشهداء عليه السلام؛ لأنّه وصف جهاده لأهل الباطل بأنّه أمرٌ بالمعروف ونهيٌ عن المنكر، حيث يقول: «ما خرجت أشراً ولا بطراً ولا ظالماً ولا مفسداً، إنّما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي رسول الله ﷺ، أريد أن أمر بالمعروف وأنهي عن المنكر وأسير بسيرة جدي وأبي، فمن قبلني بقبول الحقّ فالله أولى بالحق، ومن ردّ عليّ أصبر حتّى يحكم الله وهو خير الحاكمين»<sup>(٢)</sup>، فالشارع المقدّس لا يسمح للمكلف مع توفّر ظروف الردع باليد أن يردع بلسانه، بل قيّد مرتبة ردع المنكر باللسان بعدم الاستطاعة لمرتبة اليد.

أمّا قاعدة الرفق المرن، فهي قاعدة إعدادية تبدأ من الدرجة البسيطة، ثمّ تتصاعد إلى الدرجات العليا.

### القسم الخامس: الجهاد الاقتصادي في الدفاع عن المقدّسات

سبق أن تكلمنا عن الجهاد الدفاعي الاقتصادي، وكان الكلام فيه بشكل عام شامل لكلّ حُمي ومعامل وأراضي المسلمين، سواء كان فيها المقدّسات أو ليس فيها، بينما الكلام في هذه القاعدة في خصوص الجهاد الدفاعي الاقتصادي، وفي الدفاع عن المقدّسات، أو البلدان التي فيها المقدّسات.

(١) الطوسي، محمد بن الحسن، الخلاف: ج ١، ص ٦٦٤. ابن حنبل، أحمد، مسند أحمد: ج ٣، ص ٢٠.

(٢) ابن شهر آشوب، محمد بن علي، مناقب آل أبي طالب: ج ٣، ص ٢٤١.

ونفس الآيات التي ذُكرت في الجهاد الدفاعي الاقتصاصي تذكر هنا، فإنَّ الاقتصاص عام وهو أن يشمل غير المقدّسات، فإنّه يشمل المقدّسات بطريق أكد وأشدّ مُضافاً إلى الآيات الخاصّة بأراضي المقدّسات، فراجع ما ذكرنا هناك.

#### القسم السادس: الجهاد الدفاعي الاستباقي عن المقدّسات

ثمَّ إنّها هنا قسماً سادساً وهو متولّد من القسم الرابع ومتفرّع عليه، ولكنه أعظم منه ونفس الترتيب الذي ذكرناه هناك يأتي هنا، أي: إنّ وجوب الجهاد الدفاعي الاستباقي عن المقدّسات الذي هو القسم السادس ينضبط بالمراتب، فكما لا يصحّ القسم الثاني وهو الجهاد العلاجي إلاّ بعد العجز عن القسم الرابع مع توفّر شروط القسم الرابع (الاستباقي)، والقسم الأوّل لا يصحّ إلاّ بعد العجز عن القسم الثاني والرابع.

والقسم الأوّل لا يمكن بحال من الأحوال التنازل عنه؛ لأنّه لا سقف له، وفتح فيه الباب على مصراعيه؛ لإعداد المُجتمع للقوة أمام عدوان المعتدي، وليس هناك سقف يقف عنده ذلك الإعداد، كما هو مفاد الآية الكريمة: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ...﴾.

فتحصل ممّا تقدّم أنّ الدفاع عن المقدّسات هو من أمّهات الواجبات، ولا محيص من الدفاع عن تلك المقدّسات، ولكن آليات الدفاع مُختلفة من حيث الزمان والمكان والأفراد... إلخ.

#### القسم السابع: الجهاد الاقتصاصي تعصباً لأهل البيت (عليه السلام)

هناك أدلّة عديدة تُشير إلى أنّ مشروع أهل البيت (عليه السلام) كان بعد شهادة الحسين (عليه السلام) هو الانتقام له من أعدائه، وهذه القاعدة من أقسام الجهاد

خارطة المسؤوليات في النشاط الوظيفي الديني العسكري للمؤمنين ووظيفة تقديس وحماية المقدسات ... ٣٥٧

الدفاعي تختلف عَن القاعدة السابقة (الجهاد الاقتصادي في الدفاع عَن المقدسات)، وإن كان كلاهما اقتصاصاً؛ لأنَّ الاقتصادي هنا لأجل ذات المعصوم، وليس لأجل الأراضي المقدسة أو المقدسات الأخرى.

### أهمية ذات المعصوم كركن من أركان الدين

وهذه القاعدة لها أدلة وشواهد كثيرة في روايات أهل البيت عليهم السلام وزياراتهم وأدعيتهم، وهنا ابتداءً نُبين أهمية ذات المعصوم عليه السلام كركن من أركان الدين:

(١) (فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم):

هناك آيات كثيرة تُشير إلى أهمية ذات المعصوم وأنَّ ذاته تُمثل الدين، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكُهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾<sup>(١)</sup>.

القرآن هنا يجعل الهجرة إلى الله مقرونة بالهجرة إلى النبي صلى الله عليه وآله، وكان من لم يقرن مع هجرته لله الهجرة للرسول صلى الله عليه وآله، فهجرته باطلة كما لا يتشهد الشهادة الثانية مُبيناً أهمية ذات المعصوم كأساس في الدين؛ لذلك فإنَّ القرآن يقول حكايةً عن إبراهيم عليه السلام: ﴿فَجَعَلَ أَفئدةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ﴾<sup>(٢)</sup>.

فإنَّ أهمية ذات المعصوم يُبينها الوحي في القرآن على لسان إبراهيم، بأنَّ تهوي القلوب إليهم ولا تهوي إلى بيت الله، أي: ذات المعصوم أكثر قدسية من نفس الأرض المقدسة، بل إنَّ قدسية الأرض كانت من قدسيته، ولعلَّ في سورة يوسف إشارات كثيرة منها: ﴿يَا بَنِي إِدْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يَوْسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا

(١) النساء: آية ١٠٠.

(٢) إبراهيم: آية ٣٧.

تَيَأَسُوا مِنْ رُوحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيَأَسُ مِنْ رُوحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴿١﴾، وهُنَا قَرَنَ اليَأَسَ مِنَ الْمَعْصُومِ بِالْيَأَسِ مِنَ رُوحِ اللَّهِ وَهُوَ الْكُفْرُ، وَهُنَا مِنَ الْمُحْتَمَلِ جَدًّا أَنَّهُ لَيْسَ الْبَحْثُ عَنِ جَسَدِ الْمَعْصُومِ بِمَا هُوَ، بَلْ بِمَا هُوَ زَعِيمُ الدِّينِ؛ وَلِذَا فَإِنَّهُ لَيْسَ هُنَاكَ يَأَسٌ مِنْ أَخِي يُوسُفَ مِنْ حَيْثُ جَسَدِهِ، لِأَنَّ مَكَانَهُ مَعْرُوفٌ فِي مِصْرَ وَلَيْسَ هُوَ خَفِيًّا حَتَّى يَحْصَلَ الْيَأَسُ مِنْهُ؛ فَيَكُونُ الْمَقْصُودُ مِنَ التَّحَسُّسِ هُوَ التَّحَسُّسُ فِي الْبَحْثِ عَنِ الْمَعْصُومِ عَلَيْهِ السَّلَامُ الَّذِي يُمَثِلُ الدِّينَ؛ لِذَلِكَ قَالَ: ﴿مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾؛ لِأَنَّ الْبَحْثَ أَوَّلًا وَبِالذَّاتِ عَنِ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَثَانِيًا وَبِالْعَرَضِ عَنِ أَخِيهِ.

(٢) فِي رِوَايَةِ مَرَّتٍ فِي قَوَاعِدِ دِفَاعِيَّةٍ سَابِقَةٍ، نَرَى فِيهَا التَّخَاذُلَ عَنِ دُخُولِ الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ يُفَسِّرُهُ الْإِمَامُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِالتَّخَاذُلِ عَنِ عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِاعْتِبَارِ تَكَرَّرِ السَّنَنِ الْإِلَهِيَّةِ، فَعَنْ حَرِيزٍ عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِهِ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: «قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَتُرَكَّبَنَّ سَنَنٌ مِنْ قَبْلِكُمْ حَذُوا النَّعْلَ بِالنَّعْلِ وَالْقَدَّةَ بِالْقَدَّةِ، حَتَّى لَا تُخْطِئُونَ طَرِيقَهُمْ، وَلَا يَخْطِئُكُمْ سَنَةٌ بَنِي إِسْرَائِيلَ»، ثُمَّ قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ: ﴿يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾، فَرَدُّوا عَلَيْهِ... فَتَاهُوا أَرْبَعِينَ سَنَةً؛ لِأَنَّهُمْ عَصَوْا فَكَانَ حَذُوا النَّعْلِ بِالنَّعْلِ. إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمَّا قُبِضَ لَمْ يَكُنْ عَلَى أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا عَلِيٌّ وَالْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ، وَسُلَيْمَانُ وَالْمُقَدَّدَادُ وَأَبُو ذَرٍّ، فَمَكَّثُوا أَرْبَعِينَ سَنَةً حَتَّى قَامَ عَلِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَمَقَاتَلَ مِنْ خَالَفَهُ»<sup>(٢)</sup>.

(١) يوسف: آية ٨٧.

(٢) العياشي، محمد بن مسعود، تفسير العياشي: ج ١، ص ٣٠٣. المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ١٣، ص ١٨٠.

خارطة المسؤوليات في النشاط الوظيفي الديني العسكري للمؤمنين ووظيفة تقديس وحماية المقدّسات ... ٣٥٩

نُلاحظ هنا أنّ الدفاع عن الأراضي المقدّسة متولّد أساساً من نصرّة المعصوم عليه السلام، فبالأساس النصرّة كانت للمعصوم عليه السلام، والدفاع المذكور متفرّع عليها، فيظهر هنا سوء عاقبة من يتخاذل عن نصرّة المعصوم عليه السلام، وبالمقابل نعرف حسن عاقبة من ينصر المعصوم عليه السلام.

فإنّ سبب قدسيّة الأرض المقدّسة هو الأنبياء؛ فإنّ تقديسها بسبب الإشعاع الذي لدى الأنبياء، فكيف بنفس الأنبياء؟! فالأصل هو المعصوم وهدايته، والتهيه عن الأرض المقدّسة هو بلحاظ التيه عن المعصوم وهدايته، لذلك ورد: «إنّما أمروا أن يطوفوا بها، ثمّ ينفروا إلينا، فيعلمون ولايتهم»<sup>(١)</sup>.

بل إنّ القرآن يؤكّد هذا المعنى في قوله تعالى: ﴿فَجَعَلْ أَفِيْدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ﴾<sup>(٢)</sup>؛ فتكون الغاية من الأراضي المقدّسة والوفود عليها هو الوفود على المعصوم، فالوفود على بيت الله الحرام والحج غايته هوى القلوب إليهم؛ لأنّهم الباب الأقصد، وقوله تعالى - كما في الرواية المتقدمة -: ﴿يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتُدُّوا عَلَىٰ آدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ \* قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَدْخُلُهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ \* قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَىٰ اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ \* قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّا لَن نَدْخُلُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ \* قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرِقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾<sup>(٣)</sup>.

(١) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ١، ص ٣٩٢.

(٢) إبراهيم: آية ٣٧.

(٣) المائدة: آية ٢١-٢٥.

فآيات تُشير إلى وجوب الدفاع وتحرير الأراضي المقدسة الذي هو من الجهاد الدفاعي، وهو نوع من الاقتصاص واسترداد الأرض، وأن لا تكون تحت هيمنة وسلطة الجبارين، بل تحت ولاية الأولياء المصطفين، كل هذا الحمى والدفاع عن الأرض المقدسة إنما هو بلحاظ الصفوة المعصومة من الأنبياء والأوصياء والحجج.

والروايات التي تُشير إلى أن ذات المعصوم عليه السلام هي الأصل الذي يتفرع عليه قدسية الأراضي المقدسة، وبالتالي يكون وجوب الدفاع عن الأراضي المقدسة متفرعاً على وجوب الدفاع عن ذات المعصوم عليه السلام.

ومن هذه الروايات ما ورد عن أبي عبد الله الصنابحي، عن علي عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «يا علي، أنت بمنزلة الكعبة، يؤتى إليها ولا تأتي»<sup>(١)</sup>. كذلك عن أبي ذر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «مثل علي فيكم كمثل الكعبة المستورة - أو المشهورة - النظر إليها عبادة، والحج إليها فريضة»<sup>(٢)</sup>.

(٣) عن علي بن الحسين عليه السلام قال: «لم يدخل الجنة حمية غير حمية حمزة بن عبد المطلب؛ وذلك حين أسلم غضباً للنبي صلى الله عليه وآله، في حديث السِّل الذي ألقى على النبي صلى الله عليه وآله»<sup>(٣)</sup>، ومن الواضح أن الحمية تبقى حمية ومع ذلك تدخل الجنة؛

(١) الطبري، محمد بن جرير، المسترشد: ص ٣٨٧. المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٤٠، ص ٧٨.

(٢) ابن المغازلي، علي بن محمد، مناقب علي بن أبي طالب عليه السلام: ص ١١١. ابن شهر آشوب، محمد بن علي، مناقب آل أبي طالب: ج ٣، ص ٦. ابن عساكر، علي بن الحسن، تاريخ مدينة دمشق: ج ٤٢، ص ٣٥٦.

(٣) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ٢، ص ٣٢٣.



خارطة المسؤوليات في النشاط الوظيفي الديني العسكري للمؤمنين ووظيفة تقديس وحماية المقدّسات ... ٣٦١

والسبب في ذلك، أنّها أضيفت لذات المعصوم عليه السلام - تعصباً لذات المعصوم - بل إنّ الكثير من الماهيات السيئة ظاهراً تتبدل هكذا إلى حسن وحسنة بإضافتها إلى المعصوم عليه السلام.

وهذا المضمون له إشارات قرآنية وروائية عديدة، تُشير إلى أنّ هنا ماهيات سيئة تتبدل إلى حسنة بإضافتها إلى المعصوم، كما في قول يعقوب عليه السلام مُعللاً شدة جزعه على يوسف عليه السلام وذهاب عينيه من الحزن فهو كظيم، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾<sup>(١)</sup>، كذلك قول أمير المؤمنين عليه السلام - ساعة دفن النبي صلى الله عليه وآله -: «إِنَّ الصبر لجميل إلا عنك، وإنّ الجزع لقبیح إلا عليك»<sup>(٢)</sup>؛ فإنّ الجزع رغم أنّه قبيح، لكنّه على المعصوم عليه السلام يكون جميلاً.

#### بيت المقدس قُدس لوجود الأنبياء فيه

بيت المقدس إنّما صار قبلةً وقُدس؛ لعبادة الأنبياء فيه ولقُدسيتهم، كما في الرواية عن ابن عباس (رض): «فسار بهم موسى فانطلقوا يؤمّون الأرض المقدّسة وهي فلسطين، وإنّما قدّسها؛ لأنّ يعقوب عليه السلام وُلد بها، وكانت مسكن أبيه إسحاق عليه السلام، ويوسف عليه السلام وُلد بها، ونقلوا كلّهم بعد الموت إلى أرض فلسطين»<sup>(٣)</sup>.

ومنّ هنا؛ يظهر وجه كون الكعبة مُقدّسة، وأنّها كانت قبلة لآدم حسب

(١) يوسف: آية ٨٦.

(٢) خطب أمير المؤمنين عليه السلام، نهج البلاغة: ج ٤، ص ٧١. المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٧٩، ص ١٣٤.

(٣) قطب الدين الراوندي، سعيد بن هبة الله، قصص الأنبياء: ص ١٧٦.

الروايات، وقد ورد أن جميع الأنبياء قد حجّوا بيت الله في مكة المكرمة، ولعلّ تحوّل القبلة إلى بيت المقدس في شريعة النبي موسى وشريعة النبي عيسى؛ نظراً لتحوّل مكة إلى عبادة الأوثان من جهة، وانقطاعها عن تويّي وولاية الأنبياء والأوصياء، بينما بيت المقدس صار مركزاً وقطب رحي لتواجد الأنبياء والأوصياء؛ فصارت القبلة إليه فلما بُعث سيّد الأنبياء استعادت مكة المكرمة استحقاق اتجاه الاستقبال لها، بعدما بُعث سيّد الأنبياء فيها وأهل بيته عليهم السلام وشارف الأمر على تويّي النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام على المسجد الحرام بفتح مكة، وإن كان تغيير القبلة في السنة الثانية للهجرة.

ومن ذلك يظهر أن القبلة في الأرض والبقعة المقدّسة، إنّما هو بلحاظ الاتجاه إلى هداية المعصوم عليه السلام من الأنبياء والأوصياء.

ومن هنا؛ قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعِ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلٰى عَقْبَيْهِ﴾<sup>(١)</sup>، فغاية القبلة وحقيقتها اتباع الرسول صلى الله عليه وآله.

كذلك ما أوحى الله لموسى وهارون عليهما السلام قال تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾<sup>(٢)</sup>.

لا ترفعوا أصواتكم ....

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ \* يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ \* إِنَّ الَّذِينَ

(١) البقرة: آية ١٤٣ .

(٢) يونس: آية ٨٧ .

خارطة المسؤليات في النشاط الوظيفي الديني العسكري للمؤمنين ووظيفة تقديس وحماية المقدسات ... ٣٦٣

يَغْضُونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِتَتَّقُوا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ  
وَأَجْرٌ عَظِيمٌ<sup>(١)</sup>.

في هذه الآيات أحكام عديدة كُلُّهَا تُشير إلى أهميّة تعظيم و قدسية ذات  
النبي ﷺ، وأنّه يحرم هتك هذه القدسية، وفي قِبال ذلك تعتبر الآيات  
الكريبات مَنْ يُقدّس النَّبي ويراعي حرمة أنّه ممتحن للتقوى:

١. ﴿لَا تَقْدَمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾، قال المفسرون: إنّ أحد تفاسير  
هذه الآية هو «عدم تقديم شيء ما من الحكم، قبال حكم الله ورسوله»<sup>(٢)</sup>،  
فكان حكم الرسول ﷺ له من الهيبة والاحترام والقدسية والطاعة ما يؤدّي  
للمنع من إبداء المقترحات أو الرغبات الشخصية أو الفئويّة، بل مُطلقاً؛ لأنّ  
إحاطته ﷺ أكبر وأوسع من إحاطة كلّ المخلوقات، فإذا كانت القدسية لحكم  
النبي ﷺ فقدسية ذاته أعلى وأولى بالاحترام والتقديس.

٢. الآية الثانية جعلت رفع الصوت (مُجرّد رفعه) فوق صوت النبي ﷺ  
يؤدّي إلى حبط الأعمال، دون أن يشعر المؤمن بذلك، بل حتّى الجهر له  
بالقول، فيكون مُجرّد إساءة الأدب في التعامل مع النبي ﷺ يؤدّي إلى ذلك،  
فكيف بك بقدسية واحترام ذات النبي ﷺ أو المعصومين عليهم السلام من أهل بيته  
الذين هم امتداد لنوره و قدسيته.

٣. في قبال ذلك؛ فإنّ مَنْ يُعظّم النبي ﷺ ويُقدّس ذاته يكون ناجحاً في  
الامتحان الإلهي، بل هو من المتقين وله مغفرة وأجر عظيم، وهذا المعنى  
عظيم. فإذا؛ مَنْ ينتهك القدسية ويستهن بعمله ويعتبره بسيطاً يحبط عمله

(١) الحجرات: آية ١-٣.

(٢) الطباطبائي، محمد حسين، الميزان: ج ١٨، ص ٢٤٩.

العظيم، وَمَنْ يُعْظَمُ النَّبِيَّ يَأْتِيهِ عَظِيمُ الْأَجْرِ، وَلَعَلَّهُ لَا يَعْلَمُ، وَتَكُونُ لَهُ  
المفاجأة يوم القيامة كما يُفاجئ الطرف الآخر بأن لا عمل له.

### المعصوم عليه السلام مِنْ مُقَدَّسَاتِ الدِّينِ

وردت روايات كثيرة تُشير إلى أَنَّ مَنْ سَبَّ أَحَدَ الْمُعْصُومِينَ عليهم السلام - النَّبِيَّ صلى الله عليه وآله،  
أو أحد أهل بيته عليهم السلام - قُتِلَ، وهذه إشارة إلى أهمية ذات المعصوم عليه السلام  
وقُدسيتهَا، وَأَنَّهَا مِنْ أَهَمِّ مُقَدَّسَاتِ الدِّينِ الَّتِي لَا يَجُوزُ انْتِهَاكُهَا كَمَا فِي  
صحيحه هشام بن سالم، قال: قلت: لأبي عبد الله عليه السلام «ما تقول في رجل سبَّ  
علي عليه السلام؟ قال: فقال لي: حلال الدم - والله - لولا أَنَّ تَعَمَّ بِهِ بَرِيئاً...»<sup>(١)</sup>.

كذلك عِنْدَ عبيد بن زُرَّارة، عَنِ أَبِيهِ، عَنِ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام، قال: «مَنْ قَعَدَ فِي  
مَجْلِسٍ يُسَبُّ فِيهِ إِمَامٌ مِنَ الْأُمَّةِ يَقْدِرُ عَلَى الْإِنْتِصَافِ مِنْهُ فَلَمْ يَفْعَلْ أَلْبَسَهُ اللَّهُ (عَزَّ  
وَجَلَّ) الذِّلَّ فِي الدُّنْيَا، وَعَذَّبَهُ فِي الْآخِرَةِ، وَسَلَبَهُ صَالِحَ مَا مَنَّ بِهِ عَلَيْهِ مِنْ مَعْرِفَتِنَا»<sup>(٢)</sup>.

كذلك معتبرة علي بن هدير، قال سمعت مَنْ سَأَلَ أَبَا الْحَسَنِ الْأَوَّلَ عليه السلام  
فقال: إِنِّي سَمِعْتُ مُحَمَّدَ بْنَ بَشِيرٍ يَقُولُ: إِنَّكَ لَسْتَ مُوسَى بْنَ جَعْفَرِ الَّذِي أَنْتَ  
إِمَامُنَا وَحِجَّتُنَا فِيمَا بَيْنَنَا وَبَيْنَ اللَّهِ. قال: فقال: «لعنه الله - ثلاثاً - أذاقه الله حرَّ  
الحديد، قتله الله أخبث ما يكون مِنْ قَتْلَةٍ. فقلت له: إِذَا سَمِعْتَ ذَلِكَ مِنْهُ، أَوْ  
لَيْسَ حَلَالٌ لِي دَمُهُ، مَبَاحٌ كَمَا أُبَيِّحُ دَمَ السَّابِّ لِرَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وَالْإِمَامِ؟ قال:  
نَعَمْ، حَلَّ وَاللَّهِ، حَلَّ وَاللَّهِ دَمُهُ، وَأَبَاحَهُ لَكَ وَلَمْ يَسْمَعْ ذَلِكَ مِنْهُ. قلت: أَوْ لَيْسَ

(١) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ٧، ص ٢٦٩. الطوسي، محمد بن الحسن،

تهذيب الأحكام: ج ١٠، ص ٨٦.

(٢) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ٢، ص ٣٧٩. الحر العاملي، محمد بن الحسن،

وسائل الشيعة: ج ١٦، ص ٢٦٢.

خارطة المسؤوليات في النشاط الوظيفي الديني العسكري للمؤمنين ووظيفة تقديس وحماية المقدسات ... ٣٦٥

ذلك بسبب لك؟ قال: هذا سبب لله، وسبب لرسول الله ﷺ، وسبب لأبائي وسببي، وأي سبب ليس يقصر عن هذا ولا يفوقه هذا القول. فقلت رأيت إذا أنا لم أخف أن أغمر بذلك بريئاً، ثم لم أفعل ولم أقتله، ما علي من الوزر؟ فقال: يكون عليك وزره أضعاف مضاعفة من غير أن ينقص من وزره شيء، أما علمت أن أفضل الشهداء درجة يوم القيامة من نصر الله ورسوله بظهر الغيب، ورد عن الله وعن رسوله ﷺ<sup>(١)</sup>.

يظهر من هذه الروايات المتفق عليها فتوى عند الأصحاب وروايات كثيرة - لم نوردتها اختصاراً - عقوبة من يسب المعصوم، وشدة عقوبة من يسكت عن من يسب المعصوم عليه السلام، وهو قادر على رده، وفي الرواية - المتقدمة - أحكام عديدة بينها الإمام موسى بن جعفر عليه السلام:

١. إنه عليه السلام لعن ثلاثاً من أنكر حجته وعصمته.
٢. دعاه عليه السلام عليه بأن يموت قتلاً وبأخبت ما يكون من القتل.
٣. إنه عليه السلام أباح دمه وألحقه بمن يباح دمه؛ لأجل سب رسول الله ﷺ أو أحد المعصومين عليه السلام، بل جعل سبه عليه السلام سباً لله ولرسوله ﷺ ولآبائه.
٤. إنه عليه السلام جعل من يستطيع قتل الساب ولا يقتله أنه يلحقه من الوزر أضعافاً مضاعفة من غير أن ينقص من وزره شيء.
٥. جعل عليه السلام الناصر لله ولرسوله ﷺ بظهر الغيب من أفضل الشهداء درجة عند الله، بل في الرواية المتقدمة، نرى أن من يتخاذل عن المعصوم عليه السلام له عقوبة دنيوية ويسلبه الله صالح معرفتهم.

(١) الطوسي، محمد بن الحسن، اختيار معرفة الرجال: ج ٢، ص ٧٧٨. الحر العاملي، محمد

بن الحسن، وسائل الشيعة: ج ٢٨، ص ٢١٧

## سب المعصوم عليه السلام ارتداد عن الدين كما عن جماعة من الأصحاب

### أقوال العلماء في ذلك:

١. الجواهري، قال: بالإجماع على قتل مَنْ سبَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أو أحد الأئمة عليهم السلام، بل هو ينقل عبارة المسالك «في إلحاق باقي الأنبياء بذلك قُوَّة؛ لأنَّ كمالهم وتعظيمهم من دين الإسلام ضرورة، فسبَّهم ارتداد، وتبعه عليه غير واحد»<sup>(١)</sup>.

٢. في الرياض من المغنية الإجماع عليه.

٣. الشهيد الثاني في المسالك يقول: مَنْ سبَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جاز لسامعه قتله، ما لم يخف الضرر على نفسه أو ماله أو غيره من أهل الإيمان، وكذا مَنْ سبَّ أحد الأئمة عليهم السلام<sup>(٢)</sup>.

٤. قال السيّد الخوئي في مسألة (٢١٤): يجب قتل مَنْ سبَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على سامعه ما لم يخف الضرر على نفسه أو عرضه أو ماله الخطير، ويلحق به سبَّ الأئمة عليهم السلام، وسبَّ فاطمة الزهراء عليها السلام، ولا يحتاج إلى الإذن من الحاكم الشرعي<sup>(٣)(٤)</sup>.

يظهر من الروايات المتقدمة التي تُشير إلى أنَّ سبَّ المعصوم عليه السلام هو سبَّ لله ولرسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهتك حرمة الإسلام، بل حَكَم بعض الفقهاء على مَنْ يفعل

(١) الجواهري، محمد حسن، جواهر الكلام: ج ٤١، ص ٤٣٦.

(٢) الشهيد الثاني، زين الدين بن علي، مسالك الأفهام: ج ١٤، ص ٤٥٢.

(٣) الخوئي، أبو القاسم، مباني تكملة المنهاج: ج ١، ص ٢٦٤.

(٤) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ٧، ص ١٧٥-١٨٥. الحر العاملي، محمد بن

الحسن، وسائل الشيعة: ج ٢٨، ص ١٣.

خارطة المسؤوليات في النشاط الوظيفي الديني العسكري للمؤمنين ووظيفة تقديس وحماية المقدّسات ... ٣٦٧

ذلك بالارتداد عن الدين، وبالقتل، باعتباره هتك لأعلى وأعظم المقدّسات.  
وإذا كان الشارع يحتاط في الدماء والفروج والأموال، ويجعل لها حرمة  
وكرامة لكرامة المؤمن، فإن كرامة وحرمة المعصوم عليه السلام أعلى؛ لأنّها حرمة  
للدين وصيانتها صيانة للدين والمقدّسات، وإذا كانت الدماء والفروج  
والأموال لها حرمة وكرامة على المستوى الفردي، فإن هتك حرمة المعصوم عليه السلام  
هتك لحرمة من الحرّمات والحقوق العامّة، فهو انتهاك لحرمة كلّ المؤمنين، بل  
ولكلّ حرّمات الله والدين.

### تعطيل الحدود يُؤثر في التكوين والتشريع

١. ما ورد من أن تعطيل حدّ من حدود الله هو عنادٌ لله، وكذلك إقامة الحدّ أفضل من مطر أربعين صباحاً، قال أبو جعفر عليه السلام: «حدّ يُقام في الأرض أزكى فيها من مطر أربعين ليلةً وأيامها»<sup>(١)</sup>.
٢. فإذا كان حدّ يسير لمخالفة جنائية - يسيرة لفرد اعتيادي - غرض الشارع فيه قائم بهذا المستوى، وتأثيره في التكوين هكذا، فكيف بأمر وحدّ مرتبط بأعظم مقدّسات الدين، وهو المعصوم من أهل البيت عليهم السلام، والذي عظم القرآن من شأنهم.
٣. ومن ثمّ ورد في سبّ المعصوم حدّ القتل، فإذا كان ذلك في سبّ المعصوم، فكيف بقتال المعصوم، وكيف إذا كان القاتل فئة من الناس وجماعة كثيرة.
٤. فكيف بسبّ عرض رسول الله صلى الله عليه وآله، وقد اشتركت في ذلك فرقة من

(١) الطوسي، محمد بن الحسن، تهذيب الأحكام: ج ١٠، ص ١٤٦. الحر العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج ٢٨، ص ١٢.

الأمة، أي: الحزب الأموي ومن تبعهم.

٥. ومما يبين مدى خطورة هذا الأمر في الدين وعند الشارع ما جرى من ظواهر كونية وبروز الدم تحت كل حجر ومدر بعد قتل أمير المؤمنين عليه السلام، وقتل الحسين عليه السلام.

٦. ما ورد في الفقيه عن أبي عبد الله عليه السلام: «لو أن رجلاً دخل الكعبة فبال فيها مُعانداً أخرج منها ومن الحرم، وضربت عنقه»<sup>(١)</sup>.

ومن الواضح أن قول الإمام عليه السلام: (ضربت عنقه)، أي: لأنه انتهك قدسية الكعبة، فما بالك بمن هتك ما هو أعظم حرمة وقدسية من الكعبة، وهو المعصوم عليه السلام؟! بل ما بالك بمن قتل المعصوم عليه السلام؟!!

٧. كذلك ما ورد عن سداد بن أوس - بعد أن شارك في معركة الجمل إلى جنب أمير المؤمنين عليه السلام - قال: لما كان يوم الجمل... فدخلت على أم سلمة... قالت: نعم ما عملت، لقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «من حارب علياً فقد حاربني، ومن حاربني فقد حارب الله»<sup>(٢)</sup>.

فيظهر من هذه الرواية أن الحرب لأحد المعصومين عليه السلام هي حرب لرسول الله صلى الله عليه وآله والله تعالى؛ فيكون الطلب بشأ المعصوم عليه السلام والدفاع عن المعصوم عليه السلام دفاعاً عن الله وعن دين الله ورسوله، ويكون التخاذل عن ذلك تخاذلاً عن الله ورسوله صلى الله عليه وآله. كما ورد ذلك في مستفيض الزيارات (ثار الله) و(وتر الله الموتور).

٨. عن علي بن الحسين عليه السلام: «خرجنا مع الحسين عليه السلام فما نزل منزلاً ولا

(١) الصدوق، محمد بن علي، من لا يحضره الفقيه: ج ٢، ص ٢٥١.

(٢) القمي، علي بن محمد، كفاية الأثر: ص ١٨١.



خارطة المسؤوليات في النشاط الوظيفي الديني العسكري للمؤمنين ووظيفة تقديس وحماية المقدسات ... ٣٦٩

ارتحل عنه إلا وذكر يحيى بن زكريا...». ثم ذكر قصة قتل يحيى عليه السلام، وكيف خسف الله الأرض بتلك المرأة التي حرّضت الملك على قتل يحيى عليه السلام، «وسلّط الله عليهم بُخْت نصر، فجعل يرمي عليهم بالمجانيق ولا يعمل شيئاً، فخرجت عليه عجوز من المدينة فقالت: إنّ هذه مدينة الأنبياء - أي: إنّها مُقدّسة قُدّست لوجود الأنبياء فيها- لا تُفتح إلا بما أدلّك عليه. قال: لك ما سألت. قالت: ارمها بالخبث والعذرة. ففعل فتقطّعت، فدخلها، فقال: عليّ بالعجوز. فقال لها: ما حاجتك؟ قالت: في المدينة دم يغلي فاقتل عليه حتى يسكن. فقتل عليه سبعين ألفاً حتى سكن.

يا ولدي يا عليّ، والله، لا يسكن دمي حتى يبعث الله المهدي عليه السلام، فيقتل على دمي من المنافقين الكفرة الفسقة سبعين ألفاً»<sup>(١)</sup>.

٩. في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّوكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذَا لَا يَلْبِثُونَ خِلَافَكَ إِلَّا قَلِيلًا \* سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا﴾<sup>(٢)</sup>.  
جاء في تفسير الآيتين أنّ الاستفزاز لرسول الله ﷺ ليخرجوه من مكة، أنّهم لو أخرجوه من مكة لما لبثوا - أقاموا - فيها إلا قليلاً، وقال عباس والضحاك: المدة التي لبثوا بعده، هي ما بين خروج النبي من مكة، وقتلهم يوم بدر.  
وقوله تعالى: ﴿سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا...﴾. أي: إنّ عدم لبثهم خلاف خروج النبي ﷺ وهلاكهم بعد خروجه هو سنة في كلّ الأنبياء الذين كانوا قبله<sup>(٣)</sup>.

(١) ابن شهر آشوب، محمد بن علي، مناقب آل أبي طالب: ج ٣، ص ٢٣٨. المجلسي، محمد

باقر، بحار الأنوار: ج ٤٥، ص ٢٢٩.

(٢) الإسراء: آية ٧٦-٧٧.

(٣) أنظر: الطوسي، محمد بن الحسن، التبيان في تفسير القرآن: ج ٦، ص ٥٠٨.

وَمِنْ هُنَا؛ تَظْهَرُ قُدْسِيَّةُ ذَاتِ الْمُعْصُومِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَحَرَمَةُ ذَاتِهِ الْمُقَدَّسَةِ، مِنْ الْأَهْمِيَّةِ بِمَكَانٍ؛ حَيْثُ تُعَجَّلُ لِمَنْ يَنْتَهِكُهَا الْعُقُوبَاتُ الدُّنْيَوِيَّةُ قَبْلَ الْعُقُوبَاتِ الْأُخْرَوِيَّةِ.

### موقف زينب العقبيلة عليها السلام من وجوب أخذ الثأر

ما ورد في الأخبار، عَنْ زَيْنَبِ عليها السلام أَنَّهَا كَانَتْ كَأُمَّهَا الزَّهْرَاءَ عليها السلام فِي اتِّخَاذِ أُسْلُوبِ الْحَرْبِ السَّاخِنَةِ، فَكَانَتْ تُحَرِّضُ النَّاسَ فِي الْمَدِينَةِ عَلَى الثَّأْرِ مِنْ قَتْلَةِ الْحُسَيْنِ عليه السلام.

فَقَدْ رُوِيَ فِي الْخَبَرِ مُسْنَدًا عَنْ مُصْعَبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: كَانَتْ زَيْنَبُ بِنْتُ عَلِيٍّ وَهِيَ بِالْمَدِينَةِ، تَوْلَّبَتِ النَّاسَ عَلَى الْقِيَامِ بِأَخْذِ ثَأْرِ الْحُسَيْنِ عليه السلام (١).

وهذا بعينه موقف الزهراء عليها السلام حين كان أمير المؤمنين عليه السلام في حرب باردة، وعدم المواجهة مع الطرف الآخر، كانت الزهراء عليها السلام تحرض الأنصار على القتال، وكذلك زين العابدين عليه السلام يختار الحرب الباردة، في حين تختار زينب وهي العاملة غير المعلمة والفهمه غير المفهمه - كما وصفها الإمام زين العابدين عليه السلام - لم تكن لتصرف إلا فيما يأمر به الشرع وتحت نظر الإمام عليه السلام.  
فهنأ نهجان يسيران في عرض بعضهما - وكلاهما تحت نظر ورعاية الإمام السجادة عليه السلام - بلا اختلاف وبلا تقاطع، بل كمال الوئام والتوافق، وبسبب ذلك السلوك الزينبي - أسلوب الحرب الساخنة - أضطر الوالي إلى إخراج زينب إلى مصر، كما في تنمة الخبر الذي أوردناه، وهو: «فخطبت فيهم زينب عليها السلام وصارت تولبهم على القيام للأخذ بالثأر، فبلغ ذلك عمر بن سعيد، فكتب إلى يزيد يعلمه الخبر، فكتب إليه: أن فرق بينها وبينهم. فأمر أن يُنادى عليها بالخروج من المدينة والإقامة حيثُ تشاء، فقالت: قد علم الله ما صار

(١) أنظر: التستري، محمد تقي، قاموس الرجال: ج ١١، ص ٤١.

خارطة المسؤوليات في النشاط الوظيفي الديني العسكري للمؤمنين ووظيفة تقديس وحماية المقدّسات ... ٣٧١

إلينا، قتل خيرنا، وسقنا كما تُساق الأنعام، ومُحملنا على الأقتاب، فوالله، لا  
خرجنا وأن أُهريقَت دماؤنا...»<sup>(١)</sup>.

وهذا يُشير إشارة قوية إلى الثورة والثأر، وضرورة المطالبة بثأر  
الحسين عليه السلام من أعدائه مهما كانت الظروف ومهما كلف الأمر، كما قد كلف  
زينب الخروج من المدينة.

نعم، قد تختلف الآليات فمرة تكون الآلية باردة، ومرة تكون ساخنة،  
بل إنّه حسب ما تذكر القصة نفسها أنّها رفضت الخروج لولا إلهام  
الهاشميات، قال: «أبّت الخروج، ثمّ اجتمع عليها نساء بني هاشم وتلطفن  
معها في الكلام، فاخترت مصر»<sup>(٢)</sup>.

وفي هذا إشارة إلى أنّ زينب عليها السلام كانت مُصرّة على الاستمرار في الثورة  
لولا إلهام الهاشميات، وكذلك يُشير إلى أنّ حكومة بني أميّة لم تستطع  
مواجهة الثورة الزينية، إلاّ بالأساليب القذرة في الضغط على بني هاشم،  
وهذا أمر بالغ الأهمية أغفله الكثير.

### استمرار برنامج الثأر والثورة

قوله في الزيارة: «السلام عليك يا ثار الله وابن ثأره والوتر الموتور»<sup>(٣)</sup>.  
الثورة والثأر للإمام الحسين عليه السلام مُستمر إلى يومنا هذا وإلى يوم الظهور  
وما بعده، بل حتّى في الرجعة التي هي بعد الظهور، كما في الدعاء: «فأخرجني

(١) المصدر نفسه.

(٢) الخطي، علي محمد، وفيات الأئمة: ج ٥، ص ٤٦٥.

(٣) المشهدي، محمد بن جعفر، المزار: ص ٤٢٢. المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار:

ج ١٤، ص ٤٩١.

من قبري، مؤتزرًا كفني، شاهراً سيفي، مجرداً قناتي، مُلبياً دعوة الداعي»<sup>(١)</sup>.

وهذا يُشير إلى أن برنامج الثأر والثورة مُستمر.

وهو فرع التعصب لذات المعصوم عليه السلام، فليس التعصب مختصاً بحياة المعصوم عليه السلام، بل لما بعد حياة الإمام المعصوم، كما يظهر من قوله عليه السلام: «لو أن عبداً زنجياً تعصّب لنا...»، فيكون التعصب غير مقيد بزمان أو مكان ما دام يصبّ في نصرتهم ويضاف نسبته إليهم، وإذا كنّا نقول في زيارة أبي الفضل عليه السلام: «أنتهكت بقتلك حرمة الإسلام»<sup>(٢)</sup>، فكيف بك بمن هو أعظم حرمةً وقدسيتهاً من المعصومين؟! كالنبي صلى الله عليه وآله وأهل البيت عليهم السلام.

#### ما ورد في الإذن والحث على الأخذ بشار الحسين عليه السلام

قال جعفر بن نما: ... فقد رويت عن والدي عليه السلام أنه قال لهم محمد بن الحنفية: قوموا بنا إلى إمامي وإمامكم علي بن الحسين عليه السلام، فلما دخل ودخلوا عليه، خبره بخبرهم الذي جاءوا لأجله، قال عليه السلام: «يا عم، لو أن عبداً زنجياً تعصّب لنا أهل البيت، لوجب على الناس مؤازرته، وقد وليتُك هذا الأمر، فاصنع ما شئت»<sup>(٣)</sup>. فخرجوا، وقد سمعوا كلامه وهم يقولون: أذن لنا زين العابدين عليه السلام ومحمد بن الحنفية<sup>(٤)</sup>.

(١) المصدر نفسه.

(٢) المشهدي، محمد بن جعفر، المزار: ص ٦٦٤. الكفعمي، إبراهيم، المصباح: ص ٥٥١.

(٣) الشهيد الأول، محمد بن مكي، المزار: ص ١٧٧. المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار:

ج ٩٨، ص ٢١٩.

(٤) ابن نما، محمد بن جعفر، ذوب النصار: ص ٩٧. وعنه: المجلسي، محمد باقر، بحار

الأنوار: ج ٤٥، ص ٣٦٥.

خارطة المسؤوليات في النشاط الوظيفي الديني العسكري للمؤمنين ووظيفة تقديس وحماية المقدّسات ... ٣٧٣

وهذه الرواية وردت في جماعة كان لهم ارتياب في حركة المختار، وكانوا قد سألو محمد بن الحنفية، فأجابهم، ثم جاء بهم إلى الإمام زين العابدين عليه السلام يسألونه، فالإمام عليه السلام يُعطيهم ضابطة عامّة مهمّة، وهي أنّ التعصب لذات المعصوم عليه السلام، من أعظم مواطن النصر التي لا تحتاج إلى ضمّ قرائن أخرى للثأر، وهذه الرواية من أهمّ المستندات لقاعدتنا.

كذلك ما ورد عن الإمام أبي عبد الله عليه السلام: «ما امتشطت فينا هاشمية ولا اختضبت، حتى بعث إلينا المختار برؤوس الذين قتلوا الحسين عليه السلام»<sup>(١)</sup>.  
كذلك ما ورد عن الإمام الباقر عليه السلام: «لا تسبوا المختار؛ فإنه قتل قتلنا، وطلب بثأرنا، وزوج أراملنا، وقسم فينا المال على العسرة»<sup>(٢)</sup>.  
كذلك قول السجّاد عليه السلام: «الحمد لله الذي أدرك ثأري من أعدائي، وجزى الله المختار»<sup>(٣)</sup>.

نلاحظ من الروايات أموراً:

أولاً: إنّ الدعاء للمختار إشارة إلى أهميّة وعظمة ما فعله المختار، من الثأر لأهل البيت عليهم السلام.

ثانياً: إنّ دعاء الإمام عليه السلام للمختار إشارة إلى ضرورة تحمّل المؤمنين مسؤولية الدفاع عن ذات المعصوم عليه السلام والتعصّب له، وليس هو مجرد وصف لحالة تاريخية وقعت، بل هو رسم لمنهاج عمل، ودعوة للمؤمنين للسير في ذلك الطريق؛ لأنّ لازم الدعاء هو كون ما أتى به المختار على السنن الشرعية

(١) الطوسي، محمد بن الحسن، اختيار معرفة الرجال: ج ١، ص ٣٤١.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) المصدر نفسه.

والمنهاج الديني اللازم الأخذ به، ويُشير إلى أهميّة ما فعله المختار بالتعصب لأهل البيت عليهم السلام، وهو بالتالي دعوة للسّير في مسيرة طلب الثأر للحسين عليه السلام من أعدائه.

ثالثاً: إنّه قد استُفيض في الزيارات للحسين عليه السلام، ولعموم أهل البيت عليهم السلام الحثّ على توطين النفس، والعزم على الأخذ بثأرهم، وطلب وترهم كتعاليم مكررة لترسيخها لدى المؤمن الزائر لمراقدهم.

#### طلب الثأر لآل محمد صلوات الله عليهم

ورد في دعاء التُّدْبَةِ: «أين الطالب بدم المقتول بكر بلاء؟»<sup>(١)</sup>، من شعارات مشروع الحجّة هو (طلب الثأر لآل محمد صلوات الله عليهم).

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْقَاسِمِ الْبَطَلِ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ﴾<sup>(٢)</sup>، قَالَ: «قَوْمٌ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ قَبْلَ خُرُوجِ الْقَائِمِ عليه السلام، لَا يَدْعُونَ وَتَرَاءَ لآلِ مُحَمَّدٍ إِلَّا قَتْلَهُ، وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا»<sup>(٣)</sup>، وَتَقْرِيبَ دَلَالَةِ الرَّوَايَةِ: أَنَّ مَا تَقُومُ بِهِ تِلْكَ الْجَمَاعَةُ الْمُؤْمِنَةُ هُوَ مِنْ الْأَعْرَاضِ الدِّينِيَّةِ وَالشَّرْعِيَّةِ الْبَالِغَةِ الْأَهْمِيَّةِ؛ وَمِنْ ثَمَّ كَانَ لِسَانَ الرَّوَايَةِ الْمَدْحَ لَهُمْ، وَقَدْ ذَكَرَ فِي صَدْرِ الرَّوَايَةِ قَتْلَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام، وَطَعْنَ الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ عليهما السلام.

(١) المشهدي، محمد بن جعفر، المزار: ص ٥٧٩. ابن طاووس، علي بن موسى، إقبال الأعمال: ص ٥٠٩.

(٢) الإسراء: آية ٥.

(٣) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ٨، ص ٢٠٦. الحلي، حسن بن سليمان، مختصر بصائر الدرجات: ص ٤٨.

خارطة المسؤوليات في النشاط الوظيفي الديني العسكري للمؤمنين ووظيفة تقديس وحماية المقدسات ... ٣٧٥

وهناك روايات أخرى تُشير إلى نفس المضمون الذي أوردناه أعلاه: «ونزول أربعة آلاف ملك لنصرته فوجدوه قد قُتل، فهم عند قبره شعث غبر، إلى أن يقوم القائم فيكونون من أنصاره وشعارهم: يا لثارات الحسين»<sup>(١)</sup>، وكذلك عن الصادق عليه السلام في وصف أصحاب الحجّة عليه السلام: «ويتمنون أن يُقتلوا في سبيل الله، شعارهم: يا لثارات الحسين عليه السلام. إذا ساروا يسير الرعب أمامهم مسيرة شهر، يمشون إلى المولى إرسالاً، بهم ينصر الله إمام الحق»<sup>(٢)</sup>، وكذلك ما رواه المشهدي في أحد زيارات الإمام عليه السلام «السلام على الإمام العالم الغائب عن الأبصار، والحاضر في الأمصار، الغائب عن العيون، الحاضر في الأفكار، بقية الأخبار، الوارث ذا الفقار، الذي يظهر في بيت الله ذي الأستار، الذي ينادي بشعار يا لثارات الحسين، أين الطالب بالأوتار؟»<sup>(٣)</sup>.

#### القسم الثامن: الجهاد المواساتي

من أقسام الجهاد (الجهاد للمواساة) وهو يغاير الجهاد؛ لأجل الدفاع أو الدعوة، حيث إن غايته ليس حصول الدفاع والنجاة، ولا الدعوة واستجابة الطرف والخصم، بل مواساة المعصوم عليه السلام في القتل والقتال، فهو وإن تحقق منه التحامي والذبّ والدفع، لكنّه لا يصل إلى نتيجة إنقاذ حياة المعصوم عليه السلام، كما هو الحال في مشهد كربلاء، سواء بلحاظ ليلة العاشر عندما أعطاهم الرخصة وأذن لهم الحسين عليه السلام في الذهاب، عندما بان انقطاع المدد للنصر، أو بلحاظ

(١) الصدوق، محمد بن علي، عيون أخبار الرضا: ج ١، ص ٢٦٨. الصدوق، محمد بن

علي، الأمالي: ص ١٩٢. المشهدي، محمد بن جعفر، المزار: ص ٣٢٨.

(٢) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٥٢، ص ٣٠٨.

(٣) المشهدي، محمد بن جعفر، المزار: ص ١٠٧.

وسط المعركة نهار العاشر، فإن قتال الأصحاب وأهل البيت عليهم السلام عنه لم يكن إلا مواساةً له في القتل كما ورد ذلك، لاسيما في أبي الفضل العباس عليه السلام.

وهذا القسم - الثامن - متفرّع عن القسم السابع من أقسام الجهاد، وهو قسم آخر؛ لأنّه وإن كان يتفق من حيث الموضوع مع القسم السابع، إلا أنّه قسم مستقل برأسه، وهو عبارة عن الجهاد الذي يكون من أجل ذات المعصوم عليه السلام في حياته، بلا رجاء إنقاذ حياته، بل للمواساة فقط.

والجهاد الذي مرّ سابقاً بغضّ النظر عن حياة المعصوم عليه السلام، بل هو يدافع عن مقام الذات المقدّسة وعن كلّ ما يتصل بها من شؤونات وحيثيات، وبعبارة أخرى: إنّ الدفاع من أجل ذات المعصوم عليه السلام في حياة المعصوم عليه السلام يكون لأجل إنقاذ حياة المعصوم عليه السلام. أمّا مع اليقين بالمصير المحتوم للمعصوم عليه السلام - بقطع النظر عن فكرة الإيثار بالبداء - يكون القتال لأجل جهة أخرى غير الجهة التي ينزع إليها فكر الأفراد العاديين، وهي جهة المواساة. فكما يكون الجود بالمال كذلك يكون بالنفس، والجود بالنفس أقصى غاية الجود، وكذلك المواساة قد تكون بالمال، أو بالجاه، أو بالنفس، وهي أعلى وأنبل أنواع المواساة.

وقد يستغرب بعض من هذا العنوان؛ لعدم وجوده في البحوث الفقهيّة، أو في الثقافة الفقهيّة لدى المشرّعة، بل إنّ بعض يرفض وجود هكذا قسم، وعلى أحسن الأحوال يرجعه للقسم السابق - الجهاد تعصباً لذات المعصوم عليه السلام - وكيف كان، فنحن سنحاول أن نُشير إلى وجود هذا العنوان في جملة التراث الحديثي والروائي، وفي ارتكاز المشرّعة، وفي الثقافة الفقهيّة الجهاديّة العامّة التي كانت في زمن المعصوم عليه السلام، والتي أصبحت نسياً منسياً - هذا اليوم -



خارطة المسؤوليات في النشاط الوظيفي الديني العسكري للمؤمنين ووظيفة تقديس وحماية المقدّسات ... ٣٧٧  
كما أنّ سنحاول إيجاد الفرق بين هذا القسم والقسم السابق، وأنّ هناك تغيّراً  
بين القسمين:

### أولاً: التغيّرات الثبوتية (الماهوية)

يمكن القول: إنّ عنوان الجهاد المواساتي مغاير لعنوان الجهاد الذي من  
أجل ذات المعصوم عليه السلام، من جهة أنّه خاص بحياة المعصوم عليه السلام، وليس دفاعاً  
عن مطلق مقام ذات المعصوم عليه السلام كالقسم السابق.  
ومن جهة أخرى، هو لا يتبغى من حيث الغاية الحفاظ على حياة  
المعصوم عليه السلام، بعد يقينه بشهادة المعصوم عليه السلام وشهادته، ولكنّه يقاتل ويُقتل  
مواصاة مع المعصوم عليه السلام.

### ثانياً: التغيّرات الإثباتية

هناك شواهد عديدة في معركة الطفّ تُشير إلى أنّ جهاد المواصاة يرتكز  
من حيث الثقافة العامّة، وكان مقرراً، لكنّه من حيث الظهور الجلي - بلورة -  
لم يظهر بصورته الواضحة إلاّ في ساحة الطفّ، حيث كان أصحاب  
الحسين عليه السلام يتسابقون للشهادة بين يديه مع يقينهم بشهادته عليه السلام وشهادتهم.  
فهذا حبيب بن مظاهر الأسدي يقول لمسلم بن عوسجة - حين صُرع - : «عزّ  
عليّ مصرعك يا مسلم، أبشر بالجنة». فقال له مسلم قولاً ضعيفاً: «بشرك الله بخير». فقال له حبيب: «لولا أعلم أنّي في الأثر، لأحببت أن توصيني بكلّ ما أمّك». فقال مسلم: «فإني أوصيك بهذا وأشار بيده نحو الحسين عليه السلام، فقاتل  
دونه حتى تموت»<sup>(١)</sup>.

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٤٥، ص ٢٠.

والحسين عليه السلام مشى إلى مسلم قبل حبيب، وهو يؤكد هذا المعنى بقوله عليه السلام: «رحمك ربك يا مسلم بن عوسجة، فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً»<sup>(١)</sup>.

وقد كان من قبل يقول لحبيب (رض): «حسبك يا أخا أسد، فقد قضى القضاء وجفَّ القلم، والله بالغ أمره، والله، إنِّي لأشوق إلى جدِّي وأبي وأخي وأسلافي من يعقوب إلى يوسف وأخيه، ولي مصرع أنا لاقيه»<sup>(٢)</sup>.

وحبيب يُبين معنى جهاد المواساة بشكل واضح وجلي حين يخاطب الإمام عليه السلام قائلاً: «يا أبا عبد الله، نفسي لك الفداء، إنِّي أرى هؤلاء قد اقتربوا منك، ولا والله، لا تُقتل حتى أُقتل دونك إن شاء الله، وأحبُّ أن ألقى ربي وقد صلَّيت هذه الصلاة التي قد دنا وقتها»<sup>(٣)</sup>.

بل إن ارتكاز باب ومنهاج المواساة - العظيمة - كانت حتى عند أم وهب النصراني، حيث جاء في الإرشاد: «فأخذت أم وهب امرأته عموداً، ثمَّ أقبلت نحو زوجها تقول له: فداك أبي وأمي، قاتل دون الطيبين ذرية محمد، فأقبل إليها يردّها نحو النساء، فأخذت تجاذب ثوبه، ثمَّ قالت: إنِّي لن أدعك دون أن أموت معك»<sup>(٤)</sup>، فهنا نرى أم وهب تحثُّ أبا وهب على مواساة الحسين عليه السلام بنفسه، وتوطن نفسها على مواساة زوجها؛ لأنَّه يواسي ذرية

محمد صلى الله عليه وآله.

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٤٥، ص ٢٠.

(٢) الخوارزمي، محمد بن أحمد، مقتل الحسين: ص ٢٠٩.

(٣) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك: ج ٤، ص ٣٣٤.

(٤) المصدر نفسه.

خارطة المسؤوليات في النشاط الوظيفي الديني العسكري للمؤمنين ووظيفة تقديس وحماية المقدّسات ... ٣٧٩

والأخرى التي أخذت عمود الخيمة وهي تقول:  
أنا عجوز في النساء ضعيفة      بالية خاوية نحيفة  
أضربكم بضربة عنيفة      دون بني فاطمة الشريفة<sup>(١)</sup>

وفي رجز الحجاج الجعفي (رض) حين برز يتضح المعنى أكثر من  
جواب الحسين عليه السلام له، قال الحجاج الجعفي (رض):  
فدتك نفسي هادياً مهدياً      اليوم ألقى جدك النبا  
ثمّ أباك ذا النداء علياً      ذاك الذي نعرفه الوصيا  
فقال له الحسين عليه السلام: «نعم، وأنا ألقاهما على أترك»<sup>(٢)</sup>. فرجع يُقاتل حتّى  
قُتل (رض).

كذلك الطبري حينما يروي قصة الغفاريين لم يغفل عن مفهوم المواساة  
حيث قال: «فلما رأى أصحاب الحسين أنّهم قد كثروا، وأنّهم لا يقدرّون على  
أنّ يمنعوا حسيناً ولا أنفسهم تنافسوا أن يقتلوا بين يديه»<sup>(٣)</sup>.  
وأوضح الشواهد رثاء الإمام الحجّة عليه السلام في الزيارة المعروفة بزيارة  
الناحية المقدّسة؛ حيث رثى أصحاب الحسين عليه السلام واحداً بعد واحد، مشيراً إلى  
مفهوم (الجهاد المواساتي).

قال عليه السلام: «السلام على مسلم بن عوسجة الأسدي، القائل للحسين - وقد  
أذن له في الانصراف -: أنحن نُخلي عنك؟! وبم نعتذر عند الله من أداء

(١) الخوارزمي، محمد بن أحمد، مقتل الحسين: ص ٢٢٨.

(٢) الأمين، محسن، أعيان الشيعة: ج ٤، ص ٥٦٨.

(٣) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك: ج ٤، ص ٣٣٧.

حقك؟! لا والله، حتى أكرس في صدورهم رمحي هذا، وأضربهم بسيفي ما ثبت قائمه في يدي ولا أفارقك، ولو لم يكن معي سلاح أقاتلهم به لقدفتهم بالحجارة، ولم أفارقك حتى أموت معك، وكنْتُ أوَّل مَنْ شرى نفسه، وأوَّل شهيد شهد الله، وقضى نحبه، ففزت وربّ الكعبة. شكر الله استقدامك، ومواساتك إمامك؛ إذ مشى إليك وأنت صريع، فقال: يرحمك الله يا مسلم بن عوسجة، وقرأ: فمنهم مَنْ قضى نحبه ومنهم مَنْ ينتظر وما بدلو تبديلاً<sup>(١)</sup>.

كذلك في سلامه على سعد الحنفي (رض): «السلام على سعد بن عبد الله الحنفي، القائل للحسين - وقد أذن له في الانصراف -: لا والله، لا نخليك حتى يعلم الله أن قد حفظنا غيبة رسول الله ﷺ، والله، لو أعلم أيُّ أُقتل، ثمَّ أحمي، ثمَّ أُحرق، ثمَّ أُذرى، ويُفعل ذلك بي سبعين مرّة، ما فارقتك حتى ألقى حمامي دونك، وكيف أفعل ذلك؟ وإنما هي موتة أو قتلة واحدة. ثمَّ هي بعدها الكرامة التي لا انقضاء لها أبداً. فقد لقيت حمامك، وواسيت إمامك، ولقيت من الله الكرامة في المقامة، حشرنا الله معكم في المستشهدين، ورزقنا مرافقتكم في أعلى عليين»<sup>(٢)</sup>.

#### أعظم المواساة مواساة أبي الفضل عليه السلام

وبما تقدّم تضح عظمة الشهادة بجهاد المواساة التي شهدها المعصوم عليه السلام لأبي الفضل عليه السلام؛ فقد ورد معنى المواساة في زيارة أبي الفضل عليه السلام التي رواها - بسند معتبر - أبو حمزة الثمالي عن الإمام الصادق عليه السلام، قال: «... أشهد لك بالتسليم والتصديق، والوفاء والنصيحة لخلف النبي ﷺ...»

(١) المشهدي، محمد بن جعفر، المزار: ص ٤٩٢.

(٢) المصدر نفسه.

خارطة المسؤوليات في النشاط الوظيفي الدينبي العسكري للمؤمنين ووظيفة تقديس وحماية المقدسات ... ٣٨١

أشهد لقد نصحت لله ولرسوله، فنعيم الأخ المواسي»<sup>(١)</sup>.

فما معنى المواساة التي كانت عند أبي الفضل عليه السلام التي يشهد بها المعصوم عليه السلام؟! كما أنه يشهد له بالتسليم والتصديق، والوفاء والنصيحة، فالإمام الصادق يشهد بأن أحد أوصاف أبي الفضل هو بذله لنفسه مواساةً لأخيه الحسين، فما هو هذا المعنى العظيم الذي يُسجل المعصوم شهادة له عند الله وهو عنوان وباب المواساة.

---

(١) المفيد، محمد بن محمد، المزار: ص ١٢١. المشهدي، محمد بن جعفر، المزار: ص ١٧٧.

## المقدسات ركن الدين

### جهاد بلادهم

إنَّ الآلية التي اتَّفَقَ عليها جميع الفقهاء - ولم يُشكك فيها أحد منهم - هي قاعدة (إعداد القوة). واستدلَّ لهذه القاعدة بقوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْحَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخِرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾<sup>(١)</sup>. فهنا نرى الآية الكريمة تُبَيِّنُ لنا أنَّ قاعدة الإعداد مُطلقة عن الزمان وعن المكان، ولم تُخصَّصْ بفرد أو مجتمع، أو رئيس أو مرؤوس، أو شاب أو شيخ، رجل أو امرأة، كُلٌّ بحسبه تَحْتَ ضابطة: «كلِّكم راع وكلِّكم مسؤول عن رعيته»<sup>(٢)</sup>. وهي ضابطة نفيسة من جوامع الكلم، حيث تُبَيِّنُ أنَّ الجميع راع، والآية الكريمة أيضاً لم تُخصَّصْ القوة بنوع معين من السلاح، بل إعداد مُطلق القوة، والمساعدة على ذلك الإعداد العالي بالجهد والمال، وبكُلِّ أنواع الطاقات والقدرات، ففي ذلك سعادة وعزَّة، وأمن وأمان للمؤمنين، كما أنَّ الآية الكريمة تُبَيِّنُ أنَّ ذلك يجعل عدو الله وعدوكم في خوف ورعب منكم، بل حتَّى بعض الأعداء الذين أنتم في غفلةٍ عنهم - ولعلَّهم يعيشون

(١) الأنفال: آية ٦٠.

(٢) المجلسي، محمد تقي، روضة المتقين: ج ٥، ص ٥١٥. البخاري، محمد بن مسلم، صحيح البخاري ج ٦، ص ١٤٦.

خارطة المسؤوليات في النشاط الوظيفي الديني العسكري للمؤمنين ووظيفة تقديس وحماية المقدّسات ... ٣٨٣  
بينكم أيضاً- تدخلهم الرهبة وتحققون الانتصارات الداخلية والخارجية  
بمجرد إعداد القوة والاستعداد واليقظة؛ لأنّ العدو الداخلي لا يواجهه  
بالسلاح، وإنّما باليقظة والحسّ الاستخباري العالي والحيلة والحذر وعدم  
التهاون والضعف.

ونفس هذا المنطق (منطق أعدّوا) موجود في كثير من مضامين الآيات  
والروايات، بل هو عرف عقلائي ومنطق إنساني موجود في كلّ الدول  
والمجتمعات، ويقرُّ به جميع العقلاء، وهي آلية أمنيّة نظيفة توفّر الحماية والدفاع  
بلا دم.

### سلاح السلام لا الاستسلام

وهذا المقدار المتفق عليه دينياً وشرعياً وعقلائياً، العدو يرفضه  
ويتهمونا بالأوباشية، ويحاولون قصّ أظافرنا وأجنحتنا بحجّة أنّها مخالِب  
عدوانية، نقول لهم: إنّها ليست للعدوان؛ بل للدفاع عن أنفسنا، نريد حماية  
أنفسنا، لم ولن نبدأ الآخرين بعدوان، هذا هو منطق ديننا ومنطق قادتنا  
المعصومين عليهم السلام ولكن أنتم الذين بدأتُم الحرب وأججتم نار الفتنة في مجتمعنا.  
من الذي أجج الحرب العالمية الأولى والثانية وغيرهما. بل كذلك هم  
يكرهون حتّى تديننا لأئمتنا ومواساتنا لهم، كذلك هم يُعبّرون عن شعائرنا  
بأنّها صراخ وضجيج وإرهاب، ولسان حالهم لسان حال أسلافهم، قال  
تعالى: ﴿وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾<sup>(١)</sup>. شعاراتنا هي  
إرخاص النفوس واسترخاص الموت لأجل ديننا ومذهبنا وقادتنا

(١) البقرة: آية ١٢٠.

المعصومين عليهم السلام، وليس الخلود للدنيا وحرهم مفتوحة ضدّ ديننا وضدّ شعائرنّا بالإعلام والشعارات، بل يتّهمنا بعض المحسويين علينا بأنّ بعض الشعائر توهن المذهب. نَعَمْ، هي توهن مذهب الدنيويين الوادعين الفاكهين، والمُهم في هذا الكلام أنّنا إذا تركنا هذه المرتبة والنوع من الدفاع من إعداد القوة والقدرة، فلنْ تقوم لنا قائمة ولنْ نُتارك.



## الدفاع عن المقدسات واجب من أصول الاعتقاد

### وليس من مستحبات الشريعة

الدين من الأمور ذات المراتب، فهناك مرتبة العقائد وهي أعلى مراتب الدين، ثم تأتي مرتبة الأخلاق، ثم مرتبة فروع الدين، كما بيّنها الحديث النبوي الذي هو من جوامع الكلم، فعن النبي ﷺ: «العلم ثلاثة: آية محكمة، أو فريضة عادلة، أو سنة قائمة...»<sup>(١)</sup>. ومن الواضح أن هذه المراتب رُتبت من حيث الأهمية؛ وبالتالي يكون الواجب في كل مرتبة أوجب من الواجب في المرتبة الأخرى، فمثلاً: الصلاة ركن من أهم أركان فروع الدين، لكن لا تقاس بواجب ركني اعتقادي رغم ركنيتها، فضلاً عن أن تُقاس بأصل من أصول الاعتقاد كالولاية.

وهذا ما تُبيّنه الآيات والأحاديث الشريفة في مواطن عديدة، منها:  
١. قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصَدِيَةً فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾<sup>(٢)</sup>. فالصلاة رغم عظمتها حالها بدون ولاية الله ورسوله وأولي الأمر حركات ضوضائية كالتصفيق والتصفير، وهذه الصلاة مُكاء وتصديّة حتى لو كانت بزعم ولاية الله وحده دون نبيه وأهل بيته ﷺ؛

(١) المجلسي، محمد تقي، روضة المتقين: ج ١٢، ص ١٥٨. ابن قدامه، عبد الله، المغني:

ج ٧، ص ٢.

(٢) الأنفال: آية ٣٥.

ولذلك رغم أنَّهم يؤمنون بالله، أي: يقرّون بالشهادة الأولى ولا يقرّون بالشهادة الثانية للرسول، يعد ويعتبر الله سُبحانَهُ وتعالى طوافهم وحجّهم وعبادتهم وتقربهم إليه بعداً عنه ونجاسة، ينبغي إزالتها وإبعادها عن المسجد الحرام، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا﴾<sup>(١)</sup>.  
 فتحصّل: إنّ الولاية ركنٌ، والأصول والصلاة ركنٌ الفروع، والركن الفرعي متقوم بالركن الأصولي (الاعتقادي)، ولا ينفع الفرع بلا أصل يقومه.

٢. والولاية التي لم يُنادَ بشيء كما تُودي بها... لها وجه وعنوان آخر وهو المودّة (مودّة الله ورسوله وأهل بيته عليهم السلام). (وقد عظم الله سُبحانَهُ وتعالى في القرآن المودّة، حيث قال تعالى: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾<sup>(٢)</sup>. فجعل أجر الرسالة - بل الرسالة كُلّها - في هذه المودّة، كما في آية أُخرى أيضاً؛ حيث ربطت الولاية بالرسالة، حيث كانت هي الرسالة، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾<sup>(٣)</sup>. فإذا كانت المودّة أجر الرسالة، وإذا كانت المودّة وكُلّ المودّة تجعل في ذي القربى، أي: لا مودّة إلا مودّتهم، فلا آباء ولا أبناء، ولا زوجة ولا بيت ولا أيّ عنوان دنيوي إلا عنوان مودّتهم؛ لذلك ننادي المعصوم عليه السلام: «بأبي أنت وأُمِّي يا بن رسول الله»<sup>(٤)</sup>، بل ولا حتّى مودّة الصلاة

(١) التوبة: آية ٢٨.

(٢) الشورى: آية ٢٣.

(٣) المائدة: آية ٦٧.

(٤) الطوسي، محمد بن الحسن، مصباح المتهدّد: ص ٧٨٩.

خارطة المسؤوليات في النشاط الوظيفي الديني العسكري للمؤمنين ووظيفة تقديس وحماية المقدسات ... ٣٨٧

تعديل مودتهم، وإذا كنت تودّ الصلاة وتحبّ الصلاة دون مودّتهم، عملك باطل وحبك عاطل.

٣. والمودّة لها أشكالٌ مُختلفة وممارسات منها: تعظيم شعائرهم والتي عظمها الله في القرآن ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾<sup>(١)</sup>. ومنها: تعاهد قبورهم بالزيارة والفرح لفرحهم والحزن لحزنهم؛ ولذلك قضية مودّتهم وولايتهم والبراءة من أعدائهم قضية لا تقبل المزايدة، وكذلك تعميق تلك المودّة بالأشكال المختلفة أيضاً، وهو أمر لا يقبل المزايدة.

ومنّ العجيب أن بعضاً من أوساطنا الشيعية من يقول: إنَّ أيّ شيء يمسّ حجاب المرأة ولو من بعيد مرفوض ولا تُقاس به الزيارة؛ لأنّها مستحبة، وهذا خلط وخبط وعدم تمييز ومعرفة بمراتب الدين، فأيهما هو المُستحبّ وأيهما هو الواجب؟! بلّ الزيارة تتضمن عدّة واجبات كفاية، وأخرى واجبات عينية منها: ترويج الدين وإرشاد وتعاهد المؤمن لولاية أهل البيت عليهم السلام، وعمارّة المقدّسات، وغيرها من العناوين الواجبة المنطبقة.

نعم، الزيارة على المستوى الفردي كعمل فردي مستحبة، ولكن إذا كان عنوان الزيارة عنواناً لتعاهد الدين وعنواناً لتعظيم الشعائر، وعنواناً للمودّة التي جعلت أجراً للرسالة، فلا يُقاس بها من هذه الناحية فرع من فرع الدين لا حجاب ولا صلاة.

٤. لا بدّ من ضابطة لمن يريد أن يتكلّم حول نقد الشعائر حتّى لا يصبح خلطاً وخبطاً، وتخبّطاً يولّد اشتباهات لدى عامّة المُكلّفين، والضابطة هي كما بيّناها مُلخصها: (إنّ مودّة أهل البيت وولايتهم عليهم السلام والبراءة من

(١) الحج: آية ٣٢.

أعدائهم من أصول الدين، ويجب حفظها وتعاهدها؛ لأنَّ حفظها هو حفظ لإيمان المؤمن، وبدونها لا تنفع صلاة ولا صوم، ولا أيّ فرع من فروع الدين من الأركان أو الواجبات فضلاً عن المستحبات).

٥. تُبَيَّنُ أَنَّ مَوْقِعِيَّةَ مَوَدَّةِ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ مِنْ حَيْثُ كَوْنِهَا أَجْرًا لِكُلِّ الرِّسَالَةِ، وَمَنْ لَمْ يُعْطِ أَجْرًا أَجْرَتَهُ فَهُوَ مَلْعُونٌ عِنْدَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، كَمَا فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَلَا مَنْ عَقَّ وَالِدِيهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ، أَلَا مَنْ أَبَقَ مِنْ مَوَالِيهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ، أَلَا مَنْ ظَلَمَ أَجْرًا أَجْرَتَهُ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ...»<sup>(١)</sup>، فَيَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ الدِّفَاعُ عَنْ هَذِهِ الْمَوَدَّةِ بِمُقَدَّارِ وَحَجْمِ تِلْكَ الْمَوَدَّةِ فِي الدِّينِ وَفِي الْحَدِيثِ: «مَنْ مَاتَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ»<sup>(٢)</sup>. وَبِمَا أَنَّ الْمَوَدَّةَ فِيهَا حِفْظُ الدِّينِ فَيَكُونُ فِي الدِّفَاعِ عَنْ الْمُقَدَّسَاتِ حِفْظُ الدِّينِ وَالشَّهَادَةُ فِي سَبِيلِهِ أَعْظَمُ شَهَادَةٍ.

### بِشَارَةٌ وَنَذَارَةٌ

وَرَدَ فِي الرَّوَايَةِ عَنْ يَعْقُوبَ بْنِ السَّرَّاجِ، قَالَ: «قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: مَتَى فَرُجَ شَيْعَتِكُمْ؟ قَالَ: فَقَالَ: إِذَا اخْتَلَفَ وُلْدُ الْعَبَّاسِ، وَوَهَى سُلْطَانُهُمْ، وَطَمَعَ فِيهِمْ مَنْ لَمْ يَكُنْ يَطْمَعُ فِيهِمْ، وَخَلَعَتِ الْعَرَبُ أَعْتَتَهَا، وَرَفَعَ كُلُّ ذِي صَيْصِيَّةٍ صَيْصِيَّتَهُ، وَظَهَرَ الشَّامِيُّ، وَأَقْبَلَ الْيَمَانِيُّ، وَتَحَرَّكَ الْحُسَيْنِيُّ...»<sup>(٣)</sup>. وَالرَّوَايَةُ هُنَا تُشِيرُ إِلَى بَشَارَةٍ؛ لِأَنَّهَا تُبَشِّرُ الشَّيْعَةَ عِنْدَ اخْتِلَافِ بَنِي الْعَبَّاسِ وَضَعْفِ سُلْطَانِهِمْ، وَتُبَيِّنُ أَنَّ النَّاسَ تَتَّجِهَ نَحْوَ الْإِسْلَامِ وَبِالْخُصُوصِ نَحْوَ نَهْجِ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ كَمَا فِي رَوَايَاتٍ أُخْرَى، وَلَكِنْ هِيَ تُعْطِي نَذَارَةً مِنْ جِهَةِ

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٤٠، ص ٤٥.

(٢) الطبراني، سليمان بن أحمد، المعجم الأوسط: ج ٨، ص ٩٣.

(٣) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٥٢، ص ٣٠١.

خارطة المسؤوليات في النشاط الوظيفي الديني العسكري للمؤمنين ووظيفة تقديس وحماية المقدّسات ... ٣٨٩

أخرى؛ لأنّ أبواب الشرّ ستُفتح على مصراعها، وينبغي من هذه الناحية على الجميع تحمّل كامل المسؤولية في مواجهتها، بعدم ترك الاستعداد، ولا قطع استمراره والمواجهة بمختلف الطُّرق وبكُلّ الإمكانيات، بجهود مُتضافرة ومُتعاضده. وتؤكد من جديد أهميّة الوقاية، فالوقاية خير من العلاج؛ لأنّها دائماً أسهل وأقلّ مؤنة، ولا بدّ أن يكون زمام المبادرة بيد المؤمنين الواعين الحركيين، وعلى الجميع التضافر لأجل جعل القيادة بأيديهم، لا بأيادي غير المؤمنين.

## ركنية الأراضي المقدسة

### الأرض المقدسة

قال تعالى: ﴿يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ \* قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَدْخُلُهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ \* قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَانكَبُوا عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَعَلَىٰ اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ \* قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّا لَن نَدْخُلُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ \* قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ \* قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾<sup>(١)</sup>.

فهنا دعوة من القرآن على لسان موسى بدخول الأرض المقدسة التي كتب الله لهم دخولها، فعن أبي بصير عن أحدهما: «إن رأس المهدي - العباسي - يهدي إلى موسى بن عيسى على طبق. قلت: فقد مات هذا وهذا؟ قال: فقد قال الله: ﴿ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم﴾، فلم يدخلوها، ودخلها الأبناء. أو قال: أبناء الأبناء»<sup>(٢)</sup>.

وكذلك عن حريز، عن بعض أصحابه، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: قال

(١) المائدة: آية ٢١-٢٦.

(٢) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ١٣، ص ١٧٩.

رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده، لتركبن سنن من كان قبلكم حذو النعل بالنعل والقدة بالقدة، حتى لا تخطئون طريقهم، ولا يخطئكم سنة بني إسرائيل. ثم قال أبو جعفر عليه السلام: قال موسى لقومه: ﴿يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾. فردوا عليه، وكانوا ستائة ألف، ﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَدْخُلُهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ﴾ قال رجلان من الذين يخافون أنعم الله عليهما ﴿أحدهما يوشع بن نون والآخر كالب بن يافنا﴾. قال: وهما ابنا عمه، فقال: ﴿ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ﴾ ... إلى قوله: ﴿إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾. قال: فعصى أربعون ألفاً، وسلم هارون وابناه، ويوشع بن نون، وكالب بن يافنا. فسأهم الله فاسقين، فقال: ﴿لَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾. فتاهوا أربعين سنة؛ لأنهم عصوا، فكان حذوا النعل بالنعل.

إن رسول الله ﷺ لما قبض لم يكن على أمر الله إلا علي والحسن والحسين، وسلمان والمقداد وأبو ذر، فمكثوا أربعين سنة<sup>(١)</sup> حتى قام علي عليه السلام فقاتل من خالفه<sup>(٢)</sup>.

عن مسعدة بن صدقة، عن أبي عبد الله عليه السلام: «إِنَّهُ سُئِلَ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾، قال: كتبها لهم ثم محأها، ثم كتبها لأبنائهم فدخلوها، والله يمحو ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب<sup>(٣)</sup>.

(١) هنا يُعلّق صاحب البحار على الأربعين سنة: «ولعلّه عليه السلام حسب الأربعين من زمان إظهار النبي خلافة أمير المؤمنين عليه السلام، وإنكار المنافقين ذلك بقلوبهم حتى أظهره بعد وفاته ﷺ». المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ١٣، ص ١٨٠.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) المصدر نفسه: ص ١٨١.

والإشارات القرآنية واضحة بضرورة دخول المؤمنين الأرض المقدسة، وبالتالي ضرورة إخراج الكفار والفاسق والمنحرفين منها، وإلا سيكون المؤمن الذي كتب الله له أن يدخل الأرض، هو الفاسق وسيشمله عنوان الفسق، فهو تعالى يمحو ما يشاء ويثبت: ﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾<sup>(١)</sup>، وهو تعالى لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾<sup>(٢)</sup>، فإن الأرض المقدسة - كما يقول الإمام في الرواية الأخيرة عن مسعدة بن صدقة - كتبها الله لهم، ثم محاهها عنهم، ثم كتبها للأبناء فدخلوها، والرواية التي قبل الأخير تُخبر أن الأمة ابتليت بعد رسول الله ﷺ بنصرة البيوت المقدسة، فلم يستجيبوا، فتاهوا أربعين سنة. وسنبتلى بمثلها إن تحاذلنا؛ لأن دخول الأراضي المقدسة فرض عيني على كل المؤمنين، وليست القضية مختصة بزمن النبي موسى عليه السلام، وهذا ما أراد الإمام الإشارة إليه، حيث أروى حديث النبي ﷺ: «لتركب سنن من كان قبلكم حذوا النعل بالنعل والقذة بالقذة». وطبقه على قول القرآن: ﴿ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ﴾. وأكد أن الأمة تتخاذل عن علي عليه السلام ولا تنصره، فيصيبها الله بالتيه أربعين سنة، وما دامت سنة إلهية في كل الأمم السابقة، فينبغي بنا أن نعي خطورة ما يجري وعظم المسؤولية الملقاة على عواتقنا، وإلا فسوف نبتلى بالتيه أربعين عاماً، ونكون من المؤخرين للظهور ولسنا المعجلين.

(١) الرعد: آية ٣٩.

(٢) الرعد: آية ١١.



### نتائج مهمة من الآيات المتقدمة

١. الآيات الكريمة تُبين أنّ جملة من الفروض المرتبطة بالأراضي المقدسة والتي من أعظمها - بالإضافة إلى الحرمين الشريفين المكّي والمدني - مرقد أهل البيت عليهم السلام، أهل آية التطهير، وهي قبر علي وفاطمة وأئمة البقيع، والكاظمين والرضا، والعسكريين عليهم السلام، بنصوص عدّة من آيات القرآن والأحاديث النبوية كما سيأتي، والفروض هي:

**الفرض الأوّل:** تحرير هذه الأراضي المقدسة من تسلط الظالمين والعتاة الجبارين.

**الفرض الثاني:** عمارة هذه الأراضي بالتواجد فيها والمجاورة لها، وبزيارتها وبقية أنحاء العمارة.

وسيأتي أنّ الجوار للمرقد المقدسة من الجهاد كما ورد في الرواية.

**الفرض الثالث:** الاهتداء والاستبصار بهذه الأراضي المقدسة، بالوفود عليها والاستغفار، وعبادة الله فيها؛ فإنّها أبواب الآخرة كما في قوله تعالى: ﴿فِي بُيُوتِ الَّذِينَ اللَّهُ أَنْ تَرْفَعَ وَيُذَكَّرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾<sup>(١)</sup>، وورد في ذيلها الآية من طريق الفريقين أنّها بيوت الأنبياء، بيوت النبي صلى الله عليه وآله، وأنّ من أفاضلها بيت علي وفاطمة عليهما السلام.

**فلاحظ:** تعليل الأمر في الآية ﴿ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ﴾ بـ ﴿الَّتِي كَتَبَ

(١) النور: آية ٣٦.

اللَّهُ لَكُمْ﴾، فكما كتب الصلاة والصيام والجهاد، فقد كتب دخول وإحياء وتعظيم وعمارة الأراضي المقدسة والعبادة فيها.

٢. إنَّ عدم القيام بهذه الفروض المرتبطة بالأراضي المقدسة ارتداد على الأدبار: ﴿وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ﴾، وإنَّه خُسران: ﴿فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾، فيتبدل حالهم إلى الخسران.

٣. إنَّ هذه الفروض لو توقفت على القتال، فاللازم القيام به ﴿فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا﴾، ﴿فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ﴾.

٤. إنَّ عصيان هذه الفروض يندرج العاصي في عنوان الفاسقين ﴿فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾، ﴿فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾.

٥. إنَّ الإعراض عن الأراضي المقدسة وعن حمايتها وعن التوافد إليها؛ يُسبب التيه والضلال، وإنَّ الهداية والاستقامة مُتقدِّمة على الارتباط بها والتواجد فيها.

أولاً: ورد في تفسير قوله تعالى: ﴿ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ﴾، وهي أريحا من بلاد الشام، وادخلوا باب القرية سُجداً لله؛ تعظيماً لمثال مُحَمَّد وعلي، مثل الله تعالى على الباب مثال مُحَمَّد وعلي، وأمرهم أن يسجدوا تعظيماً لذلك المثال، وأن يجددوا على أنفسهم بيعتها وذكر موالاتهما، وليذكروا العهد والميثاق المأخوذ عليهم: ﴿وَقُولُوا حِطَّةٌ﴾، أي: قولوا: إنَّ سجدنا لله تعظيماً لمثال مُحَمَّد وعلي، واعتقادنا لولايتها حِطَّةً لذنوبنا ومحو لسيئاتنا: ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ﴾. أي: لم يسجدوا كما أمروا، ولا قالوا ما أمروا، ولكن دخلوها مستقبليها بأستاهم، وقالوا: هنطا سمقانا - أي: حنطة حمراء نتقوتها أحبُّ إلينا من هذا الفعل - وهذا القول: ﴿فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾، أي: بدلوا

خارطة المسؤوليات في النشاط الوظيفي الديني العسكري للمؤمنين ووظيفة تقديس وحماية المقدسات ... ٣٩٥  
ما قيل لهم، ولم ينقادوا لولاية مُحَمَّدٍ وَعَلِيٍّ وَآلِهِمَا الطيبين: ﴿رَجْزاً مِنَ السَّمَاءِ﴾،  
والرجز الذي أصابهم، أنه مات منهم بالطاعون في بعض يوم مائة وعشرون  
ألفاً، وهم مَنْ علم الله أنهم لا يؤمنون ولا يتوبون<sup>(١)</sup>.

ثانياً: عَنْ ابن عباس (رض)، قال: قال بنو إسرائيل لموسى ﷺ حين  
جاز بهم البحر: خبّرنا يا موسى، بأيّ قوّة وبأيّ عدّة وعلى أيّ حمولة تبلغ  
الأرض المقدّسة، ومعك الذرية والنساء، والهرمي والزمني؟ فقال موسى ﷺ:  
«ما أعلم قوماً ورّثهم الله مِنْ عرض الدُّنيا ما ورّثكم... وسيجعل الله لكم  
مخرجاً. قالوا: فادعه يُطعمنا ويسقينا ويظّلنا... فأوحى الله تعالى إلى موسى: قد  
أمرت السماء أن تمطر عليهم المنّ والسّلوى، وأمرت الرّيح أن تشوي لهم  
السّلوى، وأمرت الحجارة أن تنفجر، وأمرت الغمام أن تظّلهم، وسخّرت  
ثيابهم أن تثبت بقدر ما يثبتون. فلما قال لهم موسى ذلك سكنوا، فسار بهم  
موسى فانطلقوا يؤمّون الأرض المقدّسة وهي فلسطين، وإنّا قدّسها؛ لأنّ  
يعقوب ﷺ وُلد بها، وكانت مسكن أبيه إسحاق ﷺ، ويوسف ﷺ ونقلوا  
كلّهم بَعْدَ الموت إلى أرض فلسطين»<sup>(٢)</sup>.

#### الدفاع عن المقدّسات بتعظيم باب حطّة

يظهر من الروايتين المتقدّمتين أنّ الأرض المقدّسة قُدّست لولادة  
يعقوب ﷺ، ولكونها مسكن أبيه إسحاق وولده يوسف ﷺ، وأنّ سجود بني  
إسرائيل هو تعظيم لمحمد وعليّ ﷺ، وإذا كان كذلك فإنّ بيوت المعصومين  
(مراقدهم المقدّسة) أخرى بالسجود لله والتوجّه إليه فيها، والتوجّه فيها وبها

(١) أنظر: التفسير المنسوب للإمام العسكري: ص ٢٦٠-٢٦١.

(٢) قطب الدين الراوندي، سعيد بن هبة الله، قصص الأنبياء: ص ١٧٥.

إليه تعالى والخضوع والتقديس له جَلَّ جَلَالُهُ.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَاَدْخُلُوا  
الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةً نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَزِّدِ الْمُحْسِنِينَ \* فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا  
قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةً  
وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ سَزِّدِ الْمُحْسِنِينَ \* فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ  
قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

وقد ورد مُستفيضاً لدى الفريقين أَنَّ باب حطّة في هذه الأُمَّة - كما قال  
النَّبِيُّ ﷺ - هُمْ أَهْلُ الْبَيْتِ ﷺ، بَلْ إِنَّ بَابَ حِطَّةٍ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَ؛ لِأَنَّ  
أَسْمَاءَ النَّبِيِّ وَأَهْلَ بَيْتِهِ مَكْتُوبَةٌ عَلَيْهِ اسْتِشْفَاعاً بِهِمْ كَمَا وَرَدَ فِي الرَّوَايَةِ الْمُتَقَدِّمَةِ،  
وَتُفِيدُ الْآيَتَيْنِ حِينَئِذٍ:

١. افتراض دخول باب حطّة افتراض سكنى القرية المقدّسة عمارةً  
وإحياءً لها.

٢. افتراض التوسّل والاستشفاع؛ لغفران الذنوب بباب حطّة في  
الأراضي المقدّسة، وهم أهل البيت ﷺ.

٣. لزوم الخضوع والسجود لله تعالى فيها، والعبادة له بالتوجّه بها إليه  
تعالى.

٤. إِنَّ الإِعْرَاضَ عَنِ التَّوَجُّهِ وَالتَّوَسُّلَ بِبَابِ حِطَّةٍ عَقُوبَتُهُ دُنْيَوِيَّةٌ عَاجِلَةٌ  
قَبْلَ الْآخِرَوِيَّةِ، وَبِنَزُولِ الرِّجْزِ مِنَ السَّمَاءِ عَلَى الْعَصَاةِ لِذَلِكَ.

(١) البقرة: آية ٥٨-٥٩.

(٢) الأعراف: آية ١٦١-١٦٢.

### منهجية تربوية يرسمها رسول الله ﷺ

في حديث الباقر عليه السلام مع قتادة البصري، نقله أبو حمزة الثمالي: «... قال قتادة: والله، لقد جلست بين يدي الفقهاء وقدام ابن عباس فما اضطراب قلبي قدام واحد منهم ما اضطرب قدامك. قال له أبو جعفر عليه السلام: ويحك! أتدري أين أنت؟ أنت بين يدي بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه»<sup>(١)</sup>.

ففي الرواية عن ابن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ: «من دان بديني وسلك منهاجي واتبع سنتي فليدن بتفضيل الأئمة من أهل بيتي على جميع أممي، فإن مثلهم في هذه الأمة مثل باب حطة في بني إسرائيل»<sup>(٢)</sup>.

وهذه منهجية تربوية في القرآن الكريم والسنة النبوية؛ لبيان أن مودة ومحبة والاعتقاد بأفضلية أهل البيت عليه السلام من الدين، من تفاصيل فروع الشريعة قال تعالى: ﴿فِي بُيُوتِ الَّذِينَ اللَّهُ أَنْ تَرْفَعَ وَيُذَكَّرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ \* رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ...﴾<sup>(٣)</sup>.

يذكر السيوطي - وهو من أهل السنة - في كتاب الدر المنثور: أخرج ابن مردويه، عن أنس بن مالك وبريدة، قال: قرأ رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿فِي بُيُوتِ الَّذِينَ اللَّهُ أَنْ تَرْفَعَ وَيُذَكَّرَ فِيهَا اسْمُهُ﴾. فقام إليه رجل، فقال: أي بيوت هذه يا رسول الله؟ قال عليه السلام: «بيوت الأنبياء». فقام إليه أبو بكر فقال: يا

(١) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ٢، ص ٢٥٦. المجلسي، محمد تقي، روضة المتقين: ج ٧، ص ٤٧٦.

(٢) الصدوق، محمد بن علي، الأمالي: ص ١٣٣. المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٢٣، ص ١١٩.

(٣) النور: آية ٣٦-٣٧.

رسول الله، هذا البيت منها - بيت علي وفاطمة عليهما السلام - قال صلى الله عليه وآله «نعم، من أفاضلها»<sup>(١)</sup>.

فالنبي صلى الله عليه وآله لم يقل: (نعم منها)، بل قال: «من أفاضلها»، واللافت للانتباه أنّ علياً وفاطمة لم يتوهم متوهم أنّهما من الأنبياء، فما الذي دعا أبا بكر أن يسأل هذا السؤال؟ وما العُلة بين بيت علي وفاطمة، وبين بيت الأنبياء؟ وما ذلك إلا كاشف ودال على أنّ القرآن الكريم والرسول صلى الله عليه وآله لهم تربية خاصة للمجتمع الإسلامي ولوسط المسلمين، بأن أهل البيت عليهم السلام حجج معصومون، وبالتالي هناك مناسبة، من أنّه إذا قيل شيء في الأنبياء قيل شيء أيضاً في الأوصياء.

فهذا الحديث دال على المرتكز في عقلية المسلمين، من أن بيت علي وفاطمة أفضل من بيوت الأنبياء؟

وعليه؛ فإن بيوت أهل البيت عليهم السلام بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه، فهي ليست مساجد فقط، بل من المشاعر التي شعرها الله تعالى، فإن مراقدهم عليهم السلام من المشاعر بروايات أهل السنّة فضلاً عن رواياتنا، والمشاعر أعظم من المساجد؛ إذ المسجد ربّما تنتهي وقفيته أو يزال لسبب ما، كضرورة إقامة طريق ونحوه، فإن الضرورات تُقدّر بقدرها، أمّا المشعر فلا، فإنه كالمزدلفة ومنى وغيرهما من مناسك الحج.

يقول الشيخ كاشف الغطاء رحمته الله: «هذه بيوت شعرها الله، فهي أعظم من المساجد»<sup>(٢)</sup>.

فهذه المراقد الشريفة يجب أن تُعمر وتُعظم بنصّ كلّ المسلمين، وكذا

(١) السيوطي، جلال الدين، الدرّ المنثور: ج ٥، ص ٥٠.

(٢) كاشف الغطاء، جعفر، كشف الغطاء عن مبهمات الشريعة الغراء: ص ٥٤.

أفضليتهم على الأنبياء بنصّ الرواية عند المسلمين وهذه من الدين.  
فإذن؛ يظهر من ذلك أنّ البيوت التي أمر الله أن تُرفع وتُعظّم، هي  
بيوت المعصومين ومرآدهم المقدّسة، وأنّ الأرض التي فيها قبورهم، هي  
أراضي مقدّسة أخذت قدسيّتها وشرّفتها من وجودهم الشريف.

### كيف نُقدّسهم

مع ملاحظة تلك الآيات التي وردت في بني إسرائيل، وأمرهم بدخول  
الأرض المقدّسة وتعظيمها، وأن يدخلوا الباب سُجّداً ويقولوا: (حطّة)؛ فإنّها  
خصائص خصّ بها أهل البيت عليه السلام، بل بما يفوق ذلك بحسب الروايات،  
وتعظيم أهل البيت عليه السلام بما عظمهم القرآن به ليس لهم فقط، بل للمدن التي  
هم فيها، فينبغي أن نحفظ قدسيّتهم وقُدسيّة بيوتهم ومُدنهم وذلك بـ:

أولاً: السكن فيها مع مراعاة الاحترام والحُرمة والتقديس.

ثانياً: الالتزام بالشريعة المقدّسة فيها أكثر من غيرها من الأماكن والمدن  
الأخرى، كما قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ بِظُلْمٍ نُدْفُهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾<sup>(١)</sup>.  
حيثُ اعتُبر الظلم البسيط عند البيت الحرام إلحاداً.

ثالثاً: يجب طرد أهل الباطل وتطهيرها من أسر واستحواذ أهل الشرّ.

رابعاً: حفظ الأمن فيها، وهذا له لوازم عديدة، من أهمّها وجوب الدفاع  
عنّ تلك المدن من الاعتداء الخارجي، ومنّ التخريب والفساد الداخلي.  
خامساً: إنّ موسى أمر قومه أن يدخلوا الأرض المقدّسة، ولو كان فيها  
الجبارون، ولو استلزم ذلك التضحيات الكثيرة؛ فيجب أن ندخل (نزور)  
البيوت المقدّسة - أضرحة المعصومين عليه السلام - ولو كان في ذلك تضحيات.

(١) الحج: آية ٢٥.

سادساً: إِنَّ الْمُقَدَّسَاتِ تُمَثِّلُ الْإِسْلَامَ وَحِفْظَهَا حِفْظَ الْإِسْلَامِ، وَلَا يُشَكَّلُ هُنَا مِنْ أَنَّ حَرَمَةَ الْمُؤْمِنِ وَحَرَمَةَ دَمِهِ أَعْظَمُ مِنْ حَرَمَةِ الْكَعْبَةِ؛ فَإِنَّ تَعْظِيمَ الْأَرَاضِيِّ الْمُقَدَّسَةِ هُوَ فَرِيضَةٌ فِي الْآيَاتِ الْمُتَقَدِّمَةِ كَرَكْنِ فِي السِّدِّينِ وَتَعْظِيمِ لِلْإِسْلَامِ، وَالتَّضْحِيحَةُ فِي سَبِيلِ رَفْعَتِهَا تَضْحِيحَةٌ فِي سَبِيلِ الْإِسْلَامِ، الَّذِي ضَحَّى مِنْ أَجْلِهِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

سابعاً: عمارتها المعنوية بالإضافة إلى السكن فيها، وعمارها المادية وتشيد بنائها، وتوسعة عمارتها المعنوية بكثرة الزيارة - سواء سكنها أو لم يسكنها - وشد الرحال إليها وعدم تركها لخوف الظالمين والجبارين، لكن مع الأسف، الكثير في غفلة عن هذه الفروض الإسلامية العظيمة، ولسان حال الناس كلسان حال قوم موسى، إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ، وَإِنَّا لَنُ نَدْخُلُهَا مَا دَامُوا فِيهَا، فَالنَّاسُ بِالْأَمْسِ الْقَرِيبِ يَقُولُونَ: إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ (صدام والبعث)، وَإِنَّا لَنُ نَدْخُلُهَا مَا دَامُوا فِيهَا وَمَسَلَطُونَ عَلَيْهَا، أَمَّا الْيَوْمَ فَيَقُولُونَ: إِنَّ فِيهَا الْوَهَابِيَّةَ الْجَبَّارِينَ، فَاذْهَبِ أَنْتِ وَرَبِّكِ يَا مُوسَى!؟

ثامناً: كُلُّ مَرَاقِدِ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَشَاعِرُ إِلَهِيَّةٍ، وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْهَا حَرَمُ اللَّهِ وَحَرَمُ رَسُولِهِ وَأَهْلِ بَيْتِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَكِرْبَلَاءُ حَرَمِ اللَّهِ وَحَرَمِ رَسُولِهِ وَأَهْلِ بَيْتِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَهَكَذَا النَجْفُ وَالكَاظِمِيَّةُ، وَكَذَلِكَ مَشْهَدُ وَسَامِرَاءُ وَبَاقِي مَشَاهِدِ الْمُعْصُومِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ فَيَكُونُ مِنْ التَّعْظِيمِ وَالتَّكْرِيمِ أَنْ نَتَعَهَّدَهَا بِالْعِمْرَانِ بِأَسْمَى وَأَعْظَمَ مَا يُمَكِّنُ، فَبِئْسَ مِنْهَاجِ الرَّشَادِ لِلشَّيْخِ جَعْفَرِ كَاشِفِ الْغَطَاءِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، يَنْقُلُ رِوَايَةً بِعَدَمِ جَوَازِ أَخْذِ زِينَةِ الْكَعْبَةِ، فِي الْخَبَرِ: قِيلَ لِعَمْرٍ: لَوْ أَخَذْتَ حُلِيَّ الْكَعْبَةِ فَجَهَّزْتَ بِهِ جِيُوشَ الْمُسْلِمِينَ كَانَ أَعْظَمَ الْأَجْرِ، وَمَا تَصْنَعُ الْكَعْبَةَ بِالْحُلِيِّ؟ فَهَمَّ بِذَلِكَ، فَسَأَلَ عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ لَهُ: «إِنَّ الْقُرْآنَ أَنْزَلَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»



خارطة المسؤوليات في النشاط الوظيفي الديني العسكري للمؤمنين ووظيفة تقديس وحماية المقدسات ... ٤٠١

والأموال أربعة: أموال المسلمين فقسمها بين الورثة في الفرائض، والفيء فقسمه على مستحقه، والخمس، فوضعه الله حيث وضعه، والصدقات فجعلها الله حيث جعلها، وكانت حلي الكعبة فيها يومئذ فتركه الله على حاله، ولم يتركه نسياناً، ولم يخف عليه مكاناً، فأقره حيث أقره الله ورسوله. فقال له عمر: لولاك لافتضحنا. وتركه»<sup>(١)</sup>، فعمارتها كركن في الدين لا يُقدم عليها فروض أخرى ركنية.

كذلك ما رواه البناي واعظ أهل الحجاز، عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جدّه الحسين بن علي، عن علي، أن رسول الله ﷺ قال له: «والله، لتقتلن في أرض العراق، فتدفن بها. فقلت: يا رسول الله، ما لمن زار قبورنا وعمرها وتعاهدها؟ قال: يا أبا الحسن، إن الله جعل قبرك وقبر ولديك بقاعاً من بقاع الجنة، وإن الله جعل قلوب نجباء من خلقه، وصفوة من عباده تحن إليكم، وتحتمل المذلة والأذى فيكم، فيعمرون قبوركم، ويكثرون زيارتها، تقرباً إلى الله تعالى، ومودة منهم لرسوله... يا علي، من عمّر قبوركم وتعاهدها، فكأنما أعان سليمان بن داود عليه السلام على بناء بيت المقدس. ومن زار قبوركم عدل ذلك ثواب سبعين حجة بعد حجة الإسلام، وخرج من ذنوبه حتى يرجع من زيارتكم كيوم ولدته أمه»<sup>(٢)</sup>.

تاسعاً: ذكر ملا أحمد النراقي في كتابه (المعاد)<sup>(٣)</sup>، دليلاً نقلياً وعقلياً على

(١) الزمخشري، محمود بن عمر، ربيع الأبرار: ج ٤، ص ٤٤٠.

(٢) الحسيني، عبد الكريم بن طاووس، فرحة الغري: ص ١٠٥. وعنه: المجلسي، محمد

باقر، بحار الأنوار: ج ٩٧، ص ١٢١.

(٣) النراقي، أحمد، المعاد (كتاب فارسي طبع أخيراً).

أن قبر أمير المؤمنين عليه السلام وقبور أهل البيت عليهم السلام أعظم من الجنان، فضلاً عن المساجد، والشيخ جعفر كاشف الغطاء يعتبرها مشاعر إلهية، وكثير من العلماء يقولون: (هي أفضل من المساجد)<sup>(١)</sup>.

عاشراً: تطاول الوهابية على المقدّسات.

طبعت الوهابية - إلى الآن - ثلاثة كتب لتشريع وجوب هدم قبّة النبي صلى الله عليه وآله جهاراً نهاراً، بل هم ينوون - كما أسلفنا - هدم كلّ المراقد المقدّسة، بل وهدم البيت الحرام استناداً لبعض التأويلات والتحريفات، فيما ورد عن النبي صلى الله عليه وآله أنه سيهدم الكعبة، تاركين بذلك تتمّة الحديث: «لنقضت البيت فبنيته على أساس إبراهيم»<sup>(٢)</sup>، وفي الحقيقة أنّ هذه السياسة ليس هي لتخريب المراقد والمساجد فقط، بل لتخريب الدين والدنيا والسلم والأمن المدني كما أسلفنا.

الحادي عشر: عمارة قبورهم واجب عقائدي وليس مستحباً شرعياً. إنّ نظام تعظيم المقدّسات كقبور المعصومين عليهم السلام التي هي مشاعر مقدّسة إلهية، لا ينبغي أن يكون عملاً فردياً فقط، بل هو عمل جماعي اجتماعي وعلم مؤسّساتي، بل هو عمل الدول، وهو نظام أعلى من الأنظمة التي تحكم الدول والمجتمعات، ولو جعلت الدول في مبادئها الدستورية صيانة وتعظيم وعمارة - المعنوية والمادّية - وحماية تلك المقدّسات، لأكلت من فوقها ومن تحته، ولتعمت بحياة فيها خير الدنيا والآخرة، فإنّ نظام تعظيم

(١) أنظر: الحكيم، محسن، المستمسك: ج ٥، ص ٥١٩.

(٢) النسائي، أحمد بن شعيب، السنن الكبرى: ج ٥، ص ٢١٥. المتقي الهندي، علي، كنز

العمال: ج ١٢، ص ٢٠٢.

خارطة المسؤوليات في النشاط الوظيفي الديني العسكري للمؤمنين ووظيفة تقديس وحماية المقدسات ... ٤٠٣  
المقدسات أعلى من كل نظام، به تحفظ كرامة الدول والمجتمعات والناس،  
وكل البشر على وجه الأرض، وعلى أرض المعاد.

الثاني عشر: الملائكة تدافع عن الأراضي المقدسة وتدافع عليها.

ورد في كامل الزيارات، عن ابن سنان، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «سمعت  
يقول: قبر الحسين بن علي عليه السلام عشرون ذراعاً في عشرين ذراعاً مكسراً، روضة من  
رياض الجنة، وفيه معراج الملائكة إلى السماء، وليس من ملك مقرب ولا نبي  
مرسل إلا وهو يسأل الله أن يزوره، ففوج يهبط وفوج يصعد»<sup>(١)</sup>.

فإذا؛ مراقدا المعصومين عروش إلهية، وهي ليست نظام أعلى من أنظمة  
الدنيا يجب أن تنتظم به الدول والمجتمعات والأفراد فقط، بل هو نظام  
أخروي تحتاجه الملائكة، وتنتظم به أفواجهم، وأرواح الأنبياء، فتكون زيارة  
المراقدين من الدين؛ لذلك تزورها الملائكة وأرواح الأنبياء، وليست هي من  
الشرعية فحسب، بل إن الدفاع عنها من الدين، ومكان تقدسه الملائكة  
وتدافع عنه وتنتظم به في تلك النشأة، وهي وأرواح الأنبياء ترفض أن يدنسها  
أو يهتك حرمة أحد من الناس؛ لأن ذلك بمثابة قتل لنفس المعصوم عليه السلام الذي  
ضجّت وبكت له ملائكة السماء، فعن سدير قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «يا  
سدير، ما أجفاكم بالحسين عليه السلام، أمّا علمت أن لله ألف ملك شعناً غبراً  
يكونه، ويرثونه لا يفترون، زواراً لقبر الحسين، وثوابهم لمن زاره...»<sup>(٢)</sup>.

(١) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ٢٢٢. وعنه: المجلسي، محمد باقر،  
بحار الأنوار: ج ٩٨، ص ٦٠.

(٢) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ٤٨٧. وعنه: المجلسي، محمد باقر،  
بحار الأنوار: ج ٩٨، ص ٦.

وكونهم سيكونون ويَرثونه يُشير إلى أن نفس البكاء والرثاء علم وكمال لهم، وكونهم شعناً غبراً يُشير كذلك لنفس المطلب.

الثالث عشر: سبق أن عرفنا أن مركز القدسيّة والأساس الذي كسبت منه هذه الأرض دون غيرها، هو وجود المعصوم سواء ولادته أو حياته أو مدفنه، وقد ذكرنا سابقاً أن الأرض المقدّسة قدّست لولادة يعقوب فيها، ولكونها مسكن أبيه إسحاق وولده يوسف عليهما السلام، وهذه المركزية تُشير إليها آيات وروايات عديدة، كما في قوله تعالى: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾<sup>(١)</sup>. في هذه الآية إشارة واضحة إلى أن غاية الحج هو إبراهيم؛ لأنّها قالت: «يأتوك». ولم تقل: يأتوني، أو يأتوا البيت. للدلالة على أهميّة الولاية، وأنّها مفتاح قبول الأعمال.

وكذلك قوله تعالى: ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾<sup>(٢)</sup>، وقوله: ﴿فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾<sup>(٣)</sup>، هذه الآية جعلت المركزية لمقام إبراهيم؛ حيث لا تُقبل صلاة الطائف إلا بالصلاة خلف المقام، وجعلت المركزية لمقام إبراهيم أيضاً.

الرابع عشر: إنَّ الجهاد الدفاعي المقدّس عن الأرض المقدّسة وتخليصها من براثن الفساد والتجبر، فرع وجوب تعاهدها بالزيارة؛ لأنّ التعاهد ينتج ضرورة عمرانها وتأمينها؛ وبالتالي ضرورة الدفاع عنها.

الخامس عشر: قال تعالى: ﴿وَيَصُدُّونَ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي

(١) الحج: آية ٢٧.

(٢) البقرة: آية ١٢٥.

(٣) آل عمران: آية ٩٧.

خارطة المسؤوليات في النشاط الوظيفي الديني العسكري للمؤمنين ووظيفة تقديس وحماية المقدسات ... ٤٠٥

جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءَ الْعَاكِفِ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١﴾.

فالآية تذكّر الذين يصدّون عن سبيل الله عموماً، وعن المسجد الحرام بالخصوص، وتجعل الظلم البسيط عظيماً بمنزلة الإلحاد، ففي صحيح الحلبي، قال: «سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله (عَزَّ وَجَلَّ): ﴿وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ﴾. فقال عليه السلام: كُلُّ الظلم فيه إلحاد، حتى لو ضربت خادمك ظلماً خشيت أن يكون إلحاداً؛ فلذلك كان الفقهاء يكرهون سكنى مكّة»<sup>(٢)</sup>.

السادس عشر: استفاد جملة من الفقهاء من الآية المتقدمة ﴿... الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءَ الْعَاكِفِ فِيهِ وَالْبَادِ...﴾. حرمة تملك أراضي مكّة وحرمة إجارتها؛ لاستواء استحقاق الناس لها بمقتضى الآية، وأنه لا ينبغي أن يمنع الحاج شيئاً من دور مكّة ومنازلها، وهذا ما تؤكده الرواية، كما عن الصادق عليه السلام: «فكانت مكّة ليس على شيء منها باب، وكان أول من علّق على بابها المصراعين معاوية بن أبي سفيان، وليس ينبغي لأحد أن يمنع الحاج شيئاً من الدور ومنازلها»<sup>(٣)</sup>.

السابع عشر: حفظ الأمن في البقاع المقدّسة وتأمينها واجب، كذلك تأمين الطريق للوصول إليها؛ لأنّ مقدّمة الواجب واجبة، كذلك ينبغي تسهيل أداء

(١) الحج: آية ٤٥.

(٢) الطوسي، محمد بن الحسن، تهذيب الأحكام: ج ٥، ص ٤٢٠.

(٣) العلامة الحلبي، الحسن بن يوسف، تذكرة الفقهاء: ج ١، ص ٤٠٢. العلامة الحلبي،

الحسن بن يوسف، المختلف: ج ٢، ٨٧٩. أنظر: الطوسي، محمد بن الحسن، الخلاف:

ج ٣، ص ١٨٩. ابن إدريس، محمد بن منصور، السرائر: ج ١، ص ٦٤٤.

العبادة فيها وإقامة الصلاة، والممارسات الدينية كافة كالشعائر وغيرها.  
 الثامن عشر: بما أن عمارة البيت الحرام متولدة من وجوب زيارته، فإنَّ تعاهد المساجد المُكْرَمة والمشاهد المُشْرِفة تتولد منه ضرورة عمارتها، بل إنَّ على الوالي إجبارهم إذا تركوا الحج، ففي صحيح الفضلاء، عَن أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام، قال: «لو أنَّ الناس تركوا الحج لكان على الوالي أن يُجبرهم على ذلك وعلى المقام عنده، ولو تركوا زيارة النَّبِيِّ، لكان على الوالي أن يُجبرهم على ذلك، وعلى المقام عنده، فإنَّ لم يكن لهم أموال أنفق عليهم من بيت مال المُسلمين»<sup>(١)</sup>.  
 التاسع عشر: قوله تعالى: ﴿فِي بُيُوتٍ أُذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾<sup>(٢)</sup>.

إنَّ هذه البيوت رفعها الله وأوجب بذلك على المؤمنين رفعها، وأنَّ يُذكر فيها اسمه، فهذا تشعير لها لجعلها مشاعر مُقدَّسة، ثمَّ قال بَعْدَ ذلك: (يسبِّح له فيها)، أي: التسييح جاء بَعْدَ مفروغية رفعها (تشعيرها وتقديسها)، وأنَّ لازم رفعها وتعظيمها القنوت والإخبات والضععة والتواضع فيها.

العشرون: كما في رواية عَن الحسن بن العباس بن الجريش، عَن أَبِي جَعْفَرِ الثَّانِي عليه السلام، في حديثٍ طويلٍ في شأن: «إنا أنزلناه»، قال عليه السلام: «ولا أعلم في هذا الزمان جهاداً إلاَّ الحج والعمرة والجوار»<sup>(٣)</sup>، ومفادها تنزيل الجوار للمشاهد المُشْرِفة منزل الجهاد.

(١) الحر العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج ١١، ص ٢٤.

(٢) النور: آية ٣٦.

(٣) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ١، ص ٢٥١. الحر العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج ١٥، ص ٤٧.

خارطة المسؤوليات في النشاط الوظيفي الديني العسكري للمؤمنين ووظيفة تقديس وحماية المقدّسات ... ٤٠٧

ولكن بنظرة أخرى وبفهم أعمق ولما قرّر في العلوم الروحية، وعلوم النفس، والاجتماع، من وجود الطاقات الغيبية التي تكون كأموح روحية مرسلّة، وهي بحسب من أرسلت منه، فإن كان صالحاً كانت، وبالعكس إن كان طالحاً، كما أنّ هناك إشارة أخرى تُشير إلى المعاناة التي يعانها المجاور لهم والزائر من قبل الظالمين على مرّ العصور، كما أنّ الزائر حين الزيارة يستلهم معاني الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بل وكُلّ العقائد الحقّة.

الواحد والعشرون: قال تعالى: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾<sup>(١)</sup>.

في الآية الكريمة إشارة إلى أنّ عمارة بيت الله الحرام وسقاية (خدمة) زوّار بيت الله شيءٌ عظيمٌ، كذلك سقاية (خدمة) زوّار البيوت التي أذن الله أن تُرفع ويُذكر فيها اسمه وعمارتها شيءٌ عظيمٌ، ولكن الجهاد أعظم من سقاية وخدمة الحجّاج والزوّار، وكذلك أعظم من العمارة، فيكون الجهاد في الدفاع عن المقدّسات عظيماً وأعظم، لأنّه يجمع بين عنوان الجهاد وعنوان العمارة والسقاية؛ لأنّه مُقدّمة لبقائها وعمارتها وخدمة الزائرين بها.

الثاني والعشرون: قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِداً ضُرَّاراً وَكُفْرًا وَتَفْرِيقاً بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَاداً لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفَنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ\* لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَداً لِمَسْجِدٍ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ﴾<sup>(٢)</sup>.

(١) التوبة: آية ١٩ .

(٢) التوبة: آية ١٠٧-١٠٨ .

في قصة معروفة حاول فيها المنافقون احتواء الناس، واحتواء القيادة الدينية؛ وذلك ببناء مسجد (ضرار) الذي وصفه القرآن الكريم بأنه كفر ورصد ضد المؤمنين، فالقرآن يأمر بعدم الصلاة فيه أبداً، ويطلب القيام في مسجد له صفتان: أنه أسس على التقوى. وأن فيه رجال يحبون أن يتطهروا. فإذا كان القرآن يُشيد بالتأسيس لذلك المسجد؛ لأنه أسس على التقوى سواء أسسه النبي أو أسسه المسلمون بأمر النبي ﷺ، فكيف بك بيوت هي أعظم من المساجد؛ لأن المؤسس لها هو الله؛ لأنه رفعها وعظّمها؟! وإذا كان المسجد عظيماً؛ فلأنه أسس على التقوى، فكيف بنفس التقوى ومعدن التقوى؟!!

**الثالث والعشرون:** ذهب مشهور فقهاء الإمامية إلى أن المسافر يُخير بين القصر والتمام في أربعة أماكن: في المسجد الحرام، ومسجد النبي ﷺ، والحائر الحسيني، ومسجد الكوفة، وذهب الكثير إلى أن التخيير المذكور هو في مدن تلك المقدّسات على سعتها، وبعضهم قال بالتخيير في كلّ مرآقد المعصومين عليهم السلام، وكأنّ الشريعة حين شعرت هذه الأماكن جعلتها بمثابة وطن عالمي لكلّ الناس.



### العناصر الكلية لخارطة مسؤوليات العصر الراهن

هناك عناوين أخرى لنفس هذا العنوان، تُمثل جوانب وزوايا في نفس

العنوان:

- خارطة المسير والمسار الصحيح في العصر الراهن.
  - خارطة وظائف المؤمنين في الظرف المعاصر.
  - دور الرعاية للمؤمنين في العصر الحاضر.
  - كيفية التعاطي مع لغة المرحلة الراهنة.
  - الإصرار في تحمل المضي بإدارة المسؤولية.
  - التخطيط المنهجي في تطبيق المسؤوليات.
  - برمجة المسارات الصحيحة للوصول إلى الهدف المنشود.
  - الصمود في تذليل العقبات لتحقيق الهدف المنشود.
- فيما يلي قواعد تُمثل عناصر مشتركة، أو عموميات فوقانية لكلّ القواعد التي ذكرنا والتي لم نذكر، من القواعد التي تُمثل مناهجاً للنشاط الديني والسياسي، والاجتماعي والعسكري، فهي قواعد لتلك القواعد.

### قاعدة: إعداد القوة

قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ...﴾<sup>(١)</sup>، وهذه الفريضة القرآنية العظيمة ليست مختصة بباب الجهاد، وحال مناجزة العدو،

---

(١) الأنفال: آية ٦٠.

٤١٠ ..... التوحيد في المشهد الحسيني

بل هي مطلقة على الدوام، وأن يبني المؤمنون أنفسهم وقوتهم صرحاً يهابه العدو رادعاً له عن التطاول.

#### قاعدة: (كلكم راع) وعموم المسؤولية على الجميع

- عدم سقوطها حتى لو تقاعس الأغلب.

- عدم عذرية ترك المسؤولية حتى لو تخاذل الأكثر.

قال النبي ﷺ: «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته»<sup>(١)</sup>.

وهذه الوصية النبوية الخطيرة لم تقصر المسؤولية على بعض دون بعض، ولا على النخب دون عامة آحاد الأمة، بل كلٌّ من موقعه يتحمل الثقل والعبء، سواء قام الآخرون بمسؤولياتهم أم تخلّوا عنها.

فإذا؛ أنت مسؤول عن إعداد القوة، وأنت مسؤول عن رعايتها، حتى لو تخاذل الأغلب، ولا عُذر لك حتى لو تخاذل الأكثر.

#### قاعدة: الصبر لا يعني الجمود

إنَّ الصبر والتصبر لا يعني الجمود، بل الاندفاع في النشاط والفاعلية، والرعاية والتدابير المتعددة الواسعة، كما أنَّ للصبر مواضع ومواطن يُمدح فيها وأخرى يُذم .

#### قاعدة: للوفاء مواطن

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «الوفاء لأهل الغدر غدر عند الله، والغدر بأهل الغدر وفاء عند الله»<sup>(٢)</sup>.

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٧٢، ص ٣٨.

(٢) خطب أمير المؤمنين عليه السلام، نهج البلاغة: ج ٤، ص ٥٧. المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٧٢، ص ٩٧.

خارطة المسؤوليات في النشاط الوظيفي الديني العسكري للمؤمنين ووظيفة تقديس وحماية المقدّسات ... ٤١١

وهذا البيان العلوي المحكم إشارة إلى أن الالتزام مع الفاتك والهاتك للحرمان شراكة معه في إفساده في الأرض، بل اللازم المناورة للتخلص من خداعه ودجله وألعيه، وهذه الوصية أصل كبير في التعاطي مع تحايل العدو ومراوغته.

### قاعدة: ضرورة توازن القوى مع العدو

في وسط مواجهة سيّد الشهداء عليه السلام مع المارد الأموي في الطفّ، أراد أحد الأنصار وعظ العدو، فأجابه عليه السلام - بما مضمونه-: إنّ المرحلة التي وصل لها العدو في عتوه وطغيانه ليست تُعالج بوعظ ونصح، بل بتجاذب القوة معه ومناورة الشدّة، وهذا أصل مهم في تشخيص لغة المرحلة، ونمط المكافحة مع العدو.

### العصور لنا قدوة

إنّ لنا قدوةً عظيمةً بإمام عصرنا صاحب العصر والزمان المهدي عليه السلام؛ حيث إنّ تطاول الدهور والعصور على الظهور بمشروعه الإلهي بإقامة دولة العدل والقسط في سائر أرجاء الأرض، لم يُثنه عن الاستقامة والرباط والمرابطة على الطريق؛ لتحقيق الهدف، ولا زرع طول المدّة من أمله ورجاءه بالله تعالى في تقدير وتدبير الفتح والنصر، فكم هائل وعظيم هذا الإصرار من التحمل لإدارة المضي بالمسؤولية والتخطيط عبر عشرة قرون.



# مقاطع مختارة



## مقاطع مختارة

هذه مقاطع مختارة من البحوث المتقدمة بمثابة خلاصة في نقاط:

١. إِنَّ نشاط الحسين عليه السلام عبارة عَنْ رجاء، وتعطيل شيء مِنْ النشاط يعني تعطيلاً لعنوان الرجاء، فلا بُدَّ أَنْ يبقى عنوان الرجاء مَعَ بقاء عنوان الخوف بموازاته كموازنة بين الخوف والرجاء كما نصّت الروايات.
٢. أعطى الحسين عليه السلام درساً مِنْ خلال عمله يُقتدى به، شعاره: أنا أتحرّك في إرادة الله وليس تجاوزاً عَلَى إرادة الله، بل ضمن إرادته (مِنْ الإرادة وليس عَلَى الإرادة).
٣. الحسين عليه السلام لم يتجاوز قانون الأسباب والمسببات مِنْ خلال نشاطه وحركته الدؤوبة في الطّف، بل كَانَ يَرجو - بمكابدة التدبير والتوكّل - سبباً فوق الأسباب وسبباً مُسبباً مِنْ قَبْل مُسبب الأسباب.
٤. منهاج كربلاء يرفض المسلك الجبري الذي يُحدّد ويُقيّد قدرة الله .
٥. إِنَّ مسألة الأمر بين الأمرين كَيْسَتْ مُختصة بأفعال المخلوقين، بل هُوَ قاعدة ونظام وجودي في كُلِّ علاقة بين الخالق والمخلوق، وفي كُلِّ وجوده وشؤوناته وجوده المُتصلة بخالقه هي أمر بين أمرين، وَهَذَا هُوَ دين التوحيد الخالص الذي رسمه لنا أهل البيت عليهم السلام.
٦. الجزع الممدوح - في الروايات التي أوردناها - بمعنى الإلحاح في الرجاء والدعاء والطلب مِنْ الله تعالى، وَهَذَا ميزان لموضع الحراك والفعاليّة والنشاط لإرادة التغيير قبل نزول أمر الله وقبل وقوع القضاء، أمَّا بَعْدَ وقوع

أمر الله ووقوع القضاء، فهنا موطن التسليم والرضا بما ثبت حصوله ولا يُرغب في غيره.

٧. الحركة والحراك ليس اعتراضاً على قضاء الله وقدره، بل استمطاراً من سعة بحر المشيئة، ومن طمطامه الزخار للعلم الإلهي.

٨. إنَّ يونس عليه السلام كان مسلماً لأمر الله، راضياً متفائلاً بسعة رحمة الله، ولكن الفرق أنه تحرَّك إلى خارج الحدث والمواجهة ولم يتحرَّك في الداخل - كما تحرَّك الحسين عليه السلام - تحرَّك إلى خارج معركة الهداية؛ إذ ذهب مغاضباً. فالآية القرآنية تصف يونس أنه ظنَّ أن لن يضيق الله عليه في المسؤوليَّة.

٩. العذاب رُفِعَ عَنْ قوم يونس وقد أبرم إبراماً، حيث أظلمهم قريباً منهم؛ لأنَّهم تضرَّعوا ودعوا ربَّهم دعاء المضطر، والله يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء، وهو إيمان عظيم بعظمة تدابير الله؛ وبالتالي هو إيمان بعظمة الله، والسبب أنَّ التعظيم خلق عظيم ينحدر عن عقيدة صحيحة، وعظمة ذلك أنَّهم عندما نظروا مُقدِّمات العذاب وقد تحققت أجزاء منها، وإنَّ المُخبر بالعذاب صادق؛ لأنَّه نبي من الأنبياء، مع ذلك ظنَّوا أنَّ الله أعظم من ذلك ومن الأسباب الطبيعيَّة.

١٠. إنَّ الحسم والحتم في أصل الحدث - الشهادة - والتقدير الكُلِّي والعنوان الكُلِّي لما يحدث لا يعني الحسم والحتم في العنوان الجزئي، أي: في التفاصيل الجزئية لملا بسات الحدث والواقعة، فيمكن الحركة والحراك والنشاط في صياغة وقوع التفاصيل للحدث، بنحو تُقلِّل من نتائج الخسارة، وتساعد أرقام الفتح والكيفيات الإيجابية في الظروف المحيطة بالواقعة، وهذه معرفة عميقة وقراءة ثاقبة لمعنى التوكُّل على الله تعالى والرجاء لرحمته تفوق الإيمان بالقضاء والقدر.



١١. هناك حقيقة أخرى ونظرة ثالثة بين الحتمية الجبرية من جهة، والتفويضية من جهة أخرى، وهي حتمية البداء وبدائية الحتم. وهنالك نكتة لطيفة ينبغي الالتفات إليها: فحتمية البداء لا ترى حتماً وحسباً في شيء إلا للبداء، فيكون كل شيء خاضعاً لحتمية البداء، فلا حتمية إلا له، أو قل - بعبارة أخرى -: إن الحتميات الصغرى تنصهر في الحتمية الكبرى (حتمية البداء).

١٢. إن الله تبارك وتعالى يعلم بسجود الملائكة وامتناع إبليس، ولكن (لا قصاص قبل الجريمة)، فالله لا - ولكن - يطرد إبليس من رحمته قبل صدور العصيان، وإن كان يعلم بصدور العصيان منه، وهذا أصل عظيم وقاعدة أساسية ومن محكمات المنظومة الخلقية التأديبية الإلهية في تعامل البعض مع البعض الآخر، مؤسّسة على أساس عقيدة البداء.

١٣. بعد أن أسس عليه السلام شعار «هيهات منا الذلة» طلب الموت الذي هو حياة، حيث قال عليه السلام: «إني لا أرى الموت إلا سعادة والحياة مع الظالمين إلا برماً»<sup>(١)</sup>.

#### عقيدة البداء أهم مقومات النشاط الديني والسياسي والاجتماعي للأمة عليه السلام

١٤. إن الأساليب التي اتخذها أئمة أهل البيت عليه السلام في مواجهة أعدائهم عديدة وأغلبها كانت عبارة عن حرب باردة، وهذه الحرب لا تنافي إيمانهم بسعة الرحمة وسعة البداء وحتمية القضاء، وقد خفي على كثير من

(١) ابن شهر آشوب، محمد بن علي، مناقب آل أبي طالب: ج ٣، ص ٢٢٤. الهيثمي، علي بن أبي بكر، مجمع الزوائد: ج ٩، ص ١٩٣. الطبراني، سليمان بن أحمد، المعجم الكبير: ج ٣، ص ١١٥.

السطحين الأساليب المتنوعة - العديدة والكثيرة - التي كان يواجه بها الأئمة عليهم السلام أعداءهم.

١٥. كانت أكبر دولة إسلامية تتخوف وتتحسس من الإمامين الباقر والصادق عليهما السلام، كما تبين مواقفهما عليهما السلام توازن مسيرهما السياسي، فلم يكونا في الانتماء المعلن موالين للسلطة، بحيث يغيب صراط الشرعية عن وعي الأمة.

١٦. رسم الإمام الصادق عليه السلام للمؤمن منهاجاً حياتياً يقول له: إِنَّكَ إنسان صغير والدين إنسان كبير، والمهم هو الحفاظ على الإنسان الكبير، وتكون المحافظة على الإنسان الصغير بالتبع، أي: بتبع محافظته على الإنسان الكبير.

١٧. إن الإمام الصادق عليه السلام لم يترك الخيارات الأخرى مع تمسكه بخيارات معينة، ففي حين كانت الظروف مؤاتية لتأسيس الحوزات، لم يغفل عليه السلام جوانب الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بآليات متكثرة، فكان يواجه أعداءه بحرب باردة مباشرة أو غير مباشرة بواسطة أتباعه كلما سنحت الفرصة وتوفر الظروف.

١٨. مشهد الغيبة - غيبة الإمام عليه السلام - مشهد عكس مشهد سيّد الشهداء عليه السلام، ففي المشهد الحالي رغم حتمية النصر فلا يدعوه الله ذلك إلى السكون عن النشاط، وهذا من بديع معرفة الأمة بالقضاء والقدر وعلمهم بالبداء الإلهي الأعظم.

١٩. التلطف هو في الكلام بقدر السؤال مع عدم الزيادة، والكلام بشكل إجمالي ومقتضب، أو بشكل بسيط وسلس وغير معقد؛ لأن التعقيد يزيد السؤال، فالتلطف وعدم إشعار الآخرين هو إشارة للحس الأمني العالي

الذي مارسه أصحاب الكهف، كذلك الخضر عليه السلام حينما جاء إليه موسى عليه السلام يتعلّم منه.

٢٠. تلاقي موسى والخضر عليه السلام وإن كان وعداً إلهياً وقدراً محتماً وقضاءً مُبرماً، إلا أن ذلك لم يدع موسى والخضر عليه السلام يتوانيان عن تحمّل أعلى المسؤولية وإتيان قمة النشاط، ومراعاة أشدّ الحذر وأدقّ الترقّب، مع أنّ الخضر قد شرب من عين الحياة ومضمون البقاء إلى يوم الظهور المقدّس للإمام عليه السلام، إلا أن حذره مُتصاعد حتّى مع مثل موسى نبي من أولي العزم.

٢١. هذه التقيّة من الإمام عليه السلام وأصحابه، والبرنامج الأمني المكثّف ليس تشكيكاً في وعد الله المحتوم بالنصر والعياذ بالله، ولا تشكيكاً في قدرة الله، بل هو على العكس تماماً زيادة في الإيمان بمدى سعة القدرة والمشية الإلهية، وزيادة في المعرفة بمشيئة الله وسعة قدرته التي هي البداء.

٢٢. لذلك المخلصون على خطر عظيم ووجل كبير لتهيّبهم من سعة المشيئة والعلم والقدرة والبداء، فبقدر ما لديهم من رجاء ومعرفة بالجمال لديهم خوف ومعرفة بالجلال، وهو ما يشير إليه سيّد الشهداء في دعاء عرفه: «إلهي، إن اختلاف تدبيرك وسرعة طواء مقاديرك منعاً لعبادك العارفين بك عن السكون إلى عطاء واليأس منك في بلاء»<sup>(١)</sup>.

٢٣. قد جذر ثقافة الأمل والنشاط ما ورد في زيارة الحسين عليه السلام أنّه كان - أسير الكُربات<sup>(٢)</sup> - أي: إن تعقيد الظروف كان يحيط به من كلّ جانب،

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٩٥، ص ٢٢٥.

(٢) أنظر: الطوسي، محمد بن الحسن، مصباح المتهجّد: ص ٧٨٨. المشهدي، محمد بن جعفر، المزار: ص ٥١٤.

وبرغم كُُلِّ ذلك لم يكن عَلَيْهِ مستسلماً لتلك الظروف، بل كَانَ فِي قِمَّةِ الْحَيَوِيَّةِ والنشاط.

### الإيمان بالبداء في النتائج والتداعيات المترتبة على الحدث

٢٤. إنَّ النَّتَائِجَ وَالتَّدَاعِيَاتِ الْمُرْتَبَّةَ عَلَيَّ الْحَدِيثِ غَيْرِ مَحْسُومَةٍ سَلْفًا وَمُسَبِّقًا، وَالتَّفَاصِيلَ الْأُخْرَى الْمُتَوَلِّدَةَ مِنْ الْحَدِيثِ الْخَارِجَةِ عَنْ حَاقِّ الْوَاقِعَةِ كَذَلِكَ الْمَجَالِ فِيهَا يُمَكِّنُ لِلْحَرَكَةِ وَالْحِرَاكِ وَالسَّعْيِ بِلِحَازِهَا لِإِنجَازِ أَكْبَرِ قَدْرِ مِنَ الْأَهْدَافِ الْعَالِيَةِ، فَلَا يَأْسُ وَلَا إِيَّاسُ، بَلْ عَنفَوَانُ رَجَاءٍ مَلْؤُهُ تَفَاوُلٌ بِالْخَيْرِ وَالْأَمَلِ، وَهَذِهِ مَعْرِفَةٌ غَائِرَةٌ بِالتَّوَكُّلِ عَلَيَّ اللَّهُ تَعَالَى وَالرَّجَاءِ لِرَحْمَتِهِ تَفُوقِ الْإِيْمَانِ بِالْقَضَاءِ وَالْقَدْرِ.

٢٥. التَّفَاصِيلُ مِمَّا يَتَطَرَّقُ إِلَيْهَا الْبَدَاءُ وَالتَّغْيِيرُ، فَلَا بُدَّ مِنْ الْخَوْفِ وَالْيَقِظَةِ وَالْحَذَرِ، وَهَذَا مِمَّا يُوْجِبُ الْحَيَوِيَّةَ وَالنَّشَاطَ فِي الْحِرَاكِ رَغْمَ أَنَّ الظَّفَرَ وَالنَّصْرَ مَحْتَمُونَ، إِلَّا أَنَّهُ لَا يُوْجِبُ تَرْكَ تَحْمَلِ الْمَسْئُولِيَّةِ، وَهَذَا مَعْنَى ظَرِيفِ تَفْسِيرِي لِقَاعِدَةِ لَا جَبْرَ وَلَا تَفْوِيضَ، أَي: لَا جَبْرَ فِي التَّفَاصِيلِ، رَغْمَ أَنَّهُ لَا تَفْوِيضَ فِي أَصْلِ الْحَدِيثِ وَأَصْلِ الْوُقُوعِ وَالْوَاقِعَةِ.

٢٦. هَذَا الْمَعْنَى تَفْسِيرُ تَوْحِيدِي لِقَاعِدَةِ الزَّهْدِ الَّتِي قَالَ عَنْهَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ: إِنَّهَا مَشْرُوحَةٌ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَيْكِي لَا تَأْسُوا عَلَيَّ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾<sup>(١)</sup>، أَي: لَا تَفْرَحُوا بِحَتْمِيَةِ النَّصْرِ وَتَتْرَكُوا الْخَوْفَ وَالْحَذَرَ وَالْيَقِظَةَ، كَمَا لَا تَأْسُوا مِنْ حَتْمِيَةِ الْبَلَاءِ فَتَتْرَكُوا النَّشَاطَ وَالْحِرَاكَ وَالرَّجَاءَ فِي تَحْسِينِ النَّتَائِجِ وَالتَّفَاصِيلِ.

(١) الحديد: آية ٢٣.

### التفاؤل رجاءٌ بسعة البداء

٢٧. أحد أهم تفاسير قول النبي ﷺ: «تفاءلوا بالخير تجدوه»<sup>(١)</sup>. هو إيجاد الخير بواسطة التفاؤل، فيصبح المعنى واضحاً (تفاءلوا بالخير توجدوه). فالتفاؤل حالة تكوينية تعيشها النفس والروح، تصنع المعجزات في عالم تدبير وإدارة الحدث في التكوين الخارجي، كما صنعتها في عالم التكوين الباطني للنفس، وليس الأمر مُختصاً بالأفراد، بل هو حتى على صعيد المجتمعات وعلى صعيد الدول والحكومات.

٢٨. ليس التفاؤل على إطلاقه ممدوحاً، فهناك مواطن يُذمّ فيها التفاؤل، وهي المواطن التي ينبغي فيها الحذر والخوف من سخطه تعالى - مثلاً - ونحوها، فينبغي التعرف على تلك المواطن، فإن مواضع العفو والرحمة تغاير مواضع النكال والنقمة الإلهية، وهي مواقع تكوينية لا يمكن أن يمتزج بعضها ببعض الآخر، كما في دعاء الافتتاح: «أيقنتُ أنك أنت أرحم الراحمين في موضع العفو والرحمة، وأشدُّ المعاقبين في موضع النكال والنقمة...»<sup>(٢)</sup>.

٢٩. تبليغ الولاية رغم عظمتها وخطورتها في الأمر الإلهي النازل على النبي ﷺ، إلا أن ذلك لم يدفع بالنبي ﷺ إلى الاندفاع في الحركة والحراك من دون تدبير وتخطيط في توخي الأفضل في المساحة المفتوحة، بعد أن لم يكن الأمر مُضيقاً بل موسعاً، حتى جاء الأمر مرة أخرى بالفورية والتضييق، فترك

(١) الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن: ج ١٩، ص ٧٧. الريشهري، محمد، ميزان الحكمة: ج ٣، ص ٢٣٥٣، كما ورد في قصة الحديدية وكذلك في قصة كتابه ﷺ إلى خسرو برويز.

(٢) الطوسي، محمد بن الحسن، مصباح التهجد: ص ٥٧٨.

التأخير بسبب التروّي والتحرّي إلى المبادرة والإسراع.

٣٠. وَرَدَ النَّهْيُ الشَّدِيدُ فِي السَّنَةِ الْإِلَهِيَّةِ عَنِ التَّضْيِيقِ بِكَثْرَةِ السُّؤَالِ، كَمَا فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ ضَيَّقُوا عَلَى أَنْفُسِهِمُ الْأَمْرَ الْإِلَهِيَّةَ الْمُتَّسِعَةَ ذَاتَ الْعَمُومِ بِسَبَبِ كَثْرَةِ السُّؤَالِ عَنِ التَّفَاصِيلِ وَالْقَيُودِ، كَمَا فِي أَمْرِهِ تَعَالَى لَهُمْ بِذَبْحِ الْبَقْرَةِ فَكَانَ الْمَجَالُ - فِي الْبَدءِ - مُتَّسِعاً لَهُمْ فِي التَّفَاصِيلِ وَالْحَرَكَةِ فِيهَا، إِلَّا أَنَّهُمْ أَكْثَرُوا السُّؤَالَ عَنِ الْقَيُودِ فِي التَّفَاصِيلِ لِيَحْتَمُوها عَلَى أَنْفُسِهِمْ، مَعَ أَنَّهُمْ لَمْ تَكُنْ مُبْرَمَةً بِالْقَيُودِ مُضَيِّقَةً عَلَيْهِمْ رَغْمَ إِبْرَامِ أَصْلِ الْأَمْرِ.

٣١. الْهَدَاهُ فِي قِصَّةِ سَلِيمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَدْ يَبْدُو مِنْهُ التَّكَبُّرُ عَلَى سَلِيمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ حِينَ قَالَ: ﴿فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ مَحِظُ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَأٍ يَقِينٍ﴾<sup>(١)</sup>، فَهُوَ تَصَوُّرٌ - كَمَا هُوَ حَالُ بَعْضِ مَدَّعِي الْمَعْرِفَةِ - أَنَّ مَا عَلِمَ بِهِ كُلَّ الْحَقِيقَةِ، مَعَ أَنَّهُ جَهْلٌ مَا عَدَا ذَلِكَ، وَمِنْ ثَمَّ وَقَعَ فِي صِفَةِ غَيْرِ مَحْمُودَةٍ بِسَبَبِ الْجَهْلِ وَاجْتِلَاطِهِ مَعَ مَرْتَبَةِ الْعِلْمِ لَدَيْهِ.

### الفتح الحسيني

٣٢. لَمْ تَكُنْ شَجَاعَةُ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ شَجَاعَةً فَرْدٍ أَوْ شَجَاعَةً فَرْدِيَّةً فَحَسَبَ، بَلْ كَانَتْ شَجَاعَةً فِي التَّدْبِيرِ وَشَجَاعَةً فِي الْحِكْمَةِ وَفِي التَّخْطِيطِ وَالتَّقْدِيرِ، وَهِيَ مَا يُسَمَّى: (بشجاعة القيادة وشجاعة إدارة الأزمات وإمامة الأمة).

٣٣. هُنَاكَ نَفُوسٌ وَاسِعَةُ الْأَمَلِ وَالرَّجَاءِ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَحْوَلَ الْهَزِيمَةَ إِلَى نَصْرٍ، تَحْوَلَ الْغِصَّةَ إِلَى فُرْصَةٍ.

٣٤. إِنَّ الْحُسَيْنَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَإِنْ كَانَ يَبْحَثُ عَنِ الْفَتْحِ الَّذِي هُوَ أَعْظَمُ مِنْ

(١) النمل: آية ٢٢.

النصر، لكن ذلك لا يعني مُطلقاً التفريط بالجوانب الأخرى وعدم البحث عن الانتصارات فيها - الجوانب الأخرى - فيما هو ممكن ومقدور.

٣٥. كثير من الانتصارات التي انتصر فيها النبي ﷺ رغم ذلك أن القرآن لم يسمّها فتحاً، فما هي الأبعاد التي حملها صلح الحديبية حتى سمّاه القرآن (فتحاً)؟ بل وزاد في وصفه فسّماه (فتحاً مُبيناً) رغم أن الكثير من المسلمين وخصوصاً المشكّكين والمرجفين يرونها هزيمة وفشلاً.

٣٦. في قمة الضيق والمضيق الذي يمرّ به النهر يفتح على البحار والمحيطات العظيمة، هكذا كان الحسين عليه السلام يؤسّس لبناء معرفي ويوصل رسالة للناس، في أن الفتح غير النصر، والنصر العسكري الخارجي قد يكون مُحالفاً للفتح؛ فتصبح الخسارة فتحاً وإن لم تكن نصراً، قال عليه السلام: «مَنْ لِحَقِّ بِي اسْتَشْهَدَ، وَمَنْ لَمْ يَلْحَقْ بِي لَمْ يَدْرِكِ الْفَتْحَ»<sup>(١)</sup>.

٣٧. كَانَ الْمُسْلِمُونَ يَنْتَظِرُونَ كَلِمَةَ تُشِيدُ بِالْإِنْتِصَارِ بَعْدَ الْمَعْرَكَةِ، فَإِذَا بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يُشِيرُ إِلَى الْفَتْحِ بِقَوْلِهِ: «أَنَا فَقَاتُ عَيْنَ الْفِتْنَةِ، وَلَمْ يَكُنْ لِي جِرْأُ عَلَيْهَا أَحَدٌ غَيْرِي»<sup>(٢)</sup>، ليقول عليه السلام لكل مؤمن: لا تنظر إلى ما تحت قدميك من الانتصارات، بل أنظر إلى ما هو الأهم، وهو تغيير المعادلات بظهور الحق وانقشاع الفكر الباطل، بسقوط قادة الباطل من النفوس، فإن البصيرة المعرفية في متشابه المفاهيم الدينية - كموقعية أزواج النبي ﷺ وموقعية صحابته

(١) القمي، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ١٥٧. الحلي، حسن بن سليمان، مختصر البصائر: ص ٦. باختلاف يسير.

(٢) حُطِّبَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ، نَهْجُ الْبَلَاغَةِ: ج ١، ص ١٨٢. الهلالي، سليم بن قيس، كتاب سليم بن قيس: ص ٢٥٦.

وموقعية المصحف وموقعية الراية والشعار بكلمة حقّ توظّف لغاية باطلة -  
أعظم من النصر العسكري.

### في معنى الحِلس

٣٨. إنَّ قول أبي عبد الله عليه السلام: «فكونوا أحلاس بيوتكم»<sup>(١)</sup>، أي: استقم  
على ما أنت عليه من الإيمان وبيئة المؤمنين، والتزام جماعة الإيمان وبنمط  
وروية الخفاء وكتمان موضع القوّة والضعف في المؤمنين عن الأعداء  
والمخالفين، والمواصلة في مشروع أهل البيت عليهم السلام، بدون صخب في العلانية  
تثير الأعداء وتعرقل مسيرة الإيمان.

٣٩. إنَّ المقصود من كلمة (حِلس) في الرواية وأمثالها ليس هو الجمود  
والخمول، بل المراد من (البيوت) هو تشبيه المؤمن في بيت العقيدة المستقيمة  
بالمناج الذي في البيت، يظنّ الداخل أنّه لا قيمة له، في حين أنّه من الأشياء  
البالغة الأهميّة والقيمة والفائدة الكبيرة، وأنّه لا يفارق البيت أبداً، أي: في  
حين أنّ له أهميّة ودوراً كبيراً في البيت إلاّ أنّه في غطاء أمني واحتراس خفي  
عن أن يفطن إليه العدو.

٤٠. فالمراد من أحلاس بيوتكم، أي: لا بدّ من تصاعد الحِلس الأمني في  
طبعكم وسيرتكم كيلا يفطن ولا يطمع بكم العدو في حين كونكم سبباً فاعلاً  
كبيراً في نفع وفائدة بيت العقيدة، ملازمين له لا تفارقه ولا تتأثروا بفتن  
الموجات الفكرية المختلفة عن بيت منهاج العقيدة الحقّة من تيارات فكرية

(١) النعماني، محمد، الغيبة: ص ٢٠٠. وقد نُقل نفس المضمون في روايات أخرى من طرق  
الشيعة والسنة، حيث نُقل في سنن أبي داود - وهو من مصادر السنة - عنوان  
(الأحلاس). أنظر: أبو داود، سليمان بن الأشعث، سنن أبي داود: ج ٢، ص ٣٠٥.



منحرفة وضالة، وقولهم عَلَيْهِمُ السَّلَامُ: «فاسكنوا ما سكنت السماء والأرض»<sup>(١)</sup>، أي: اثبتوا ما كنتم عليه من الحق قبل أن تعصف بكم الفتن، ولذلك فلسان هذه الروايات القيام بالواجب لحماية الدين والعقيدة بقوة الثبات العقائدي، لا التخاذل والتفرج عن حماية بيت العقيدة.

٤١. النشاط وتحمل المسؤولية لا يعني الضجيج والصخب وإعلان الأسرار للأعداء في العلانية، وكذلك الخفاء والكتمان لا يعني الجمود والانعزال والتفرج من بعيد، ولنا في الإمام المهدي عَلَيْهِ السَّلَامُ القدوة البالغة؛ فإنه عَلَيْهِ السَّلَامُ في قمة الخفاء مع قمة تحمل كافة المسؤوليات في كل الساحات والميادين الساخنة والباردة.

٤٢. لا بد أن تكون وسطياً في الحدث، فإن الوسطية بمعنى المعادل الموضوعي والعامل المشترك الذي لا غنى عنه لكثير من العمليات التديرية الحسابية.

٤٣. التمرکز لا يعني التقوقع الجغرافي بقدر ما هو تمرکز الاستراتيجية.

٤٤. هذا المعنى لا يعني السكون والركود والنكول عن هدف الانتظار، بل يعني دوام استهدافه في السعي والنشاط والحركة والحراك، والسكون والسكوت عن بقية الأهداف الأخرى الدنيوية، وكذلك هو - بتوظيف الأهداف المتوسطة لذلك الانتظار والظهور من دون الاغترار بتلك الأهداف لنفسها بنظرة موضوعية لها - تطبيق لقوله تعالى: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّ الَّذِينَ لَا يُوفُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٤٧، ص ٢٧٤.

(٢) الروم: آية ٦٠.

٤٥ . الانتظار من مادة الناظر، أي: المتطلع لشيء آتٍ، حيث يجعل مركز كلِّ برامجه وتخطيطه وخطاه وخططه السعي لذلك الهدف، والدوران حول تلك النقطة المركزية من دون رسم هدف مغاير لذلك الفرج الحقيقي؛ وذلك بعدم الاعتزاز والفرح بالانفراج النسبي الضئيل؛ وبذلك يكون السعي والعمل والنشاط أكبر من الأهداف المتوسطة، فضلاً عن الأهداف المقطعية الشخصية.

### قاعدة إعداد القوة

٤٦ . قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾<sup>(١)</sup>، هذه الآية ترسم أصلاً محكماً وقاعدة خطيرة استراتيجية، ألا وهي: (إنَّ بناء القوة ليس له سقف يقف عنده، بل هو أفق مفتوح لا يتناهى).

٤٧ . بناء القدرة والقوة ليس له سقف في دعوة القرآن، نعم استخدام القوة تجاه الآخرين ولو كانوا من الأعداء المعتدين له سقف وحدٌ محدود، كما أن استخدام القوة تجاه الآخرين حالة استثنائية واضطرارية وليست حالة أولية في منطق القرآن ومدرسة أهل البيت عليهم السلام.

٤٨ . فبين بناء القوة وإعدادها واستخدام القوة واستعمالها بون شاسع، ومن ذلك تفهم التوصية بـ «فكونوا أحلاس بيوتكم»<sup>(٢)</sup>.

### برنامج التقيّة الأمنية والإعداد الخفيّ (الذكي)

٤٩ . من الطريف أن قاعدة الإعداد الأمنيّ مُتمازجة ومُتداخلة مع أقسام الجهاد الدفاعي - التي ستأتي - ومع ذلك هي مُتعاكسة معها، وليس

(١) الأنفال: آية ٦٠ .

(٢) النعماني، محمد، الغيبة: ص ٢٠٠ .

معنى التعاكس هو التضاد، بل هو تعاكس السير المنطومي لتنامي هذه القاعدة مع تلك الأقسام.

فينبغي بالمؤمن أن يعي بذكاء ذلك السير العكسي ويستثمره بشكل صحيح.

٥٠. إن النبي ﷺ وأهل بيته عليهم السلام وسَّعوا عنوان التقيّة إلى التقيّة التعليمية (الأمن التعليمي أو المعلوماتي) والتقيّة المداراتية.

### الحذر أنواع ومراتب

٥١. ينبغي للإنسان أن يخطّط بخفاء لمواجهة مستوى الخداع أو الجهل الموجود في النفس الأمّارة بالسوء، أو عند الأزواج أو الأولاد أو الأعداء الحقيقيين، وهذا يحتاج إلى ضابط وميزان لا يسقط فيه التدبير إلى الازدواجية، بل يبقى على الاستقامة بتدبير خفي يحرس فيه الأمن؛ ولذلك حذر المعصوم عليه السلام المؤمنين من استخدام التقيّة في غير موطنها، كما في احتجاج الحسن العسكري عليه السلام - في حديث - أن الرضاء عليه السلام جفا جماعة من الشيعة، فقال لهم: «وتتقون حيث لا تجب التقيّة، وتركون التقيّة حيث لا بدّ من التقيّة»<sup>(١)</sup>.

٥٢. كتمان الإيمان دور عظيم وهو المحافظة بالتقيّة على النفس أو على جماعة الإيمان، ولكن هناك ما هو أعظم، وهي قاعدة أخرى ملازمة لقاعدة (الكتمان الذكي)، وهي قاعدة (اصطناع الكُفْر تقيّة وخداعاً للعدو)، وكلا الدورين مارسهما أبو طالب عليه السلام، فهناك رواية شُبّهته بمؤمن آل فرعون، وأخرى تشبّهه بأصحاب الكهف وهو دور ثنائي مزدوج أعظم من الدور الأوّل.

(١) الطبرسي، أحمد بن علي، الاحتجاج: ج ٢، ص ٢٣٧. الحرّ العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج ١٦، ص ٢١٧.

٥٣. قول أمير المؤمنين عليه السلام: «فأما السبّ فسبوني؛ فإنه لي زكاة ولكم نجاة، وأما البراءة فلا تتبرأوا مني...»<sup>(١)</sup>، هذه الرواية المستفيضة هي تحديد لأمد التقيّة بأن لا تصل بالإنسان في ذوبان هويته في نهج الباطل وانسلاخه عن هوية منهاج الإيمان، إذ ليس المراد تحريم البراءة اللفظيّة في مقابل تجويز السبّ لفظاً - وهذا ما كذّبه الإمام الصادق عليه السلام في نسبة ذلك لأمر المؤمنين عليهم السلام - بل المراد بالبراءة كسيرة ومنهاج عمل ينسلخ فيه عن أمير المؤمنين عليه السلام.

٥٤. إن سبب عدم استمرار النبيّ موسى عليه السلام في مصاحبة الخضر عليه السلام هو عدم صبره على الصرامة - انضباطاً - في إنفاذ الأمور بلا تتعّع سؤال وتلكؤ استنكار؛ مما يفشي سرّ المهات.

٥٥. إن أحد تفاسير: «لولا الحجّة لساخت الأرض بأهلها»، ليس أن تسيخ الأرض فقط بأهلها تكويناً بسبب الملكوت بالقضاء والقدر الإلهي، بل أيضاً بحسب الأسباب الطبيعيّة، أي: لولا رعاية الإمام عليه السلام وفعل الإنسان الكامل - بالأسباب الطبيعيّة الإداريّة والتدبيريّة والتنظيميّة - بإحداث الموازنات والمعالجات السياسيّة والأمنيّة والاجتماعيّة الظاهريّة والخفيّة وكلّ المجالات المعيشيّة الأخرى لساخت الأرض بأهلها.

#### جدلية حفظ النظام الثابت والإصلاح المتغير

٥٦. لعلّ البعض ينظر إلى الإمام الحسن عليه السلام بأنّه تحرّك في صلحه مع معاوية على أساس البراغماتية، وكان في مُنتهى الواقعية (البراغماتية) ولم يكن مثاليّاً، تطبيقاً - بحسب زعمهم - لأسس أساس مبادئ السياسة (لا توجد عداوة دائمة ولا صداقة دائمة، وإنما توجد مصلحة دائمة).

(١) الحرّ العامليّ، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج ١٦، ص ٢٢٨.

٥٧. ولكن هذا الكلام غير صحيح؛ لأنه عليه السلام تحرك على أساس (المبدئية والواقعية)، مزجاً بين الواقعية التي تتحرك على أساس النفع، والمبدئية التي تسير وفق ثوابت الدين، بابتكار سلوكي لم يسبقه أحد من الأنبياء والأولياء، نستطيع أن نسميه - كاصطلاح بين المبدئية والنفعية - (المبدئية النفعية)، وهي علاقة متوازنة بين النفع التفويضي والخبرية المبدئية (لا جبر ولا تفويض ولكن أمر بين أمرين)؛ وبالتالي يكون الإمام الحسن قد وفق بين النزعتين، أي: إنه لم يخسر أي ورقة إيجابية في هذا الطرف مع تفادي الطعون على الطرف المقابل.

٥٨. البراغماتي يطالب بالانعطاف مع الواقع - مرونة التعاطي - والإمام الحسن عليه السلام ينعطف مع الواقع مع عدم التفريط بأي مبدأ من المبادئ، وعدم خسران أي ورقة من الأوراق، حيث يمكن استثمار بدائل آلية للحفاظ على المبدأ.

٥٩. إن كلمة عبد المطلب عليه السلام لإبرهة: «ولليت ربُّ هو أمنع له من الخلق كلهم وأولى به منهم»<sup>(١)</sup>، هي كلمة تحدّ وتهديد، وقوة وقدرة في مناورة العدو للحصول على مكاسب أخرى من خلال المناورة في المسير والمسار، وفعلاً حصل على ما يريد.

٦٠. والدرس المهم الذي نبع من صلح الإمام الحسن عليه السلام ومناورة جدّه عبد المطلب عليه السلام، هو أن الإنسان إذا كان في معركة ويتوقع الخسران من جهة فلا ينبغي أن يفرط في كل شيء، بل يتوخى من خلال محاورته ومناورته الإبقاء على بقية القدرات.

(١) المفيد، محمد بن محمد، الأمالي: ص ٣١٣. المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ١٥،

### الوسطية في المسير والمسار

٦١. الوسطية قد تكون بالمناورة التي تحافظ على الثابت التوليقي الذي يوازن بين النهج التقليدي والنهج الحديث العصري.  
وبعبارة: هو استخراج لب الثابت في النهج التقليدي عن القشور القديمة وتليسه آليات عصرية.

٦٢. الناس بين الإفراط في التغيير بإيصاله للثابت، وبين التفريط وتضييع الأمور بحجة الثبات فيصاعدون بالثابت إلى الآلية، بلا موازنة بين الثابت والمتحرك، بين الآلية المتغيرة وبين اللب الثابت.

٦٣. الدين وسيع ومتين، والشريعة سمحة سهلة ليّنة، وهي من الدين، ومن أصعب الصعاب الذي حارت فيه الألباب، هو التوفيق بين ما هو ثابت ومتين وبين ما هو سهل لين هين، فالليونة والسهولة في الآلية تعني التغيير، وتغير الآلية لا يعني تغير الدين الثابت.

٦٤. قال تعالى: ﴿وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾<sup>(١)</sup>، هناك قاعدة بيني عليها الفقهاء وهي أن (الصلح أعظم من القضاء) - أي: الصلح بحق وليس بباطل - باعتبار أن القضاء يكون فيه طرف خاسر وطرف رابح، وكأن هناك نوعاً من القهر والإلجاء للطرف الآخر، ولنفس السبب هو أفضل من الحرب.

### معنى نسبية الحقيقة

٦٥. الحقيقة نسبية، بمعنى أنها ذات مراتب لا متناهية وليست نسبية سفسطية، يختلط فيها السراب مع الحقيقة، فهي نسبية في نفس الحقيقة، وليس

(١) النساء: آية ١٢٨.

في الحقِّ المختلط بالباطل والوهم والسراب؛ لأنَّ هَذَا يُوَدِّي إِلَى أَنْ أَيِّ شَيْءٍ  
يساوي أَيِّ شَيْءٍ.

### الوفاء مع أهل الغدر عند الله

٦٦. إنَّ غدر العدو إذا قوبل بسلمية وبوداعة وحسن ظنٍّ فهو غدر  
عند الله، فيصبح المؤمن - المغدور - غادراً عند الله؛ لأنَّه أحسن الظنِّ بأهل  
الغدر، فنخطط لمواجهة غدره من حيث هو غادر وقد ظهرت منه بوادر  
الغدر، وهذا أصل عظيم في التعاطي مع تحايل العدو وخدعه ومراوغته.

### نظرية تخادم القواعد

٦٧. لا شكَّ في أنَّ بين جميع القواعد الدينية تعاون بترابط منظومي  
نظامي متّصل ومتواصل بين القواعد كحلقات في سلسلة وسلاسل  
وطبقات، كنظام الولاية للمحكّمات.

وكمثال للتخادم: فإنَّ قاعدة الرعاية وقاعدة الإعداد إحداهما أكبر من  
الأخرى من جهة، فقاعدة الرعاية المستقاة من قول النَّبِيِّ ﷺ: «كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ  
مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ»<sup>(١)</sup>، تُمنِّهج وتُنطِّق قاعدة إعداد القوّة المأخوذة من قوله تَعَالَى:  
﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾<sup>(٢)</sup>، من جهة أنَّ الإعداد يحتاج إلى رعاية، فليس  
الإعداد كيفما اتَّفَق، وليس هو بشكل عشوائي ينفرد وينفلت فيه الأمر، فيمكن  
للمؤمنين في الساحات العلميّة أو العمليّة أن ييازجوا ويزاوجوا بين القواعد  
لاستيضاح بعض التكاليف والواجبات، أو لاستكشاف تكاليف جديدة.

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٧٢، ص ٣٨.

(٢) الأنفال: آية ٦٠.

### المعنى الصحيح لمفهوم الانتظار

٦٨. ينبغي أن يفهم المؤمن أنه الآن يعيش كفرد في مجتمع دولة الإمام عليه السلام الخفية، فكيف يتعامل معها؟ وكيف بينها؟ وهذه النظرة هي شكل آخر غير التعبد الديني المحض وغير فكرة إسقاط الواجب الديني - التعبدي - بل بفكرة استثمار الواجب التبعدي.

٦٩. عن أبي عبد الله عليه السلام: «يا عمّار، الصدقة - والله - في السرّ [في دولة الباطل] أفضل من الصدقة في العلانية، وكذلك عبادتكم في السرّ مع إمامكم المستتر في دولة الباطل أفضل؛ لخوفكم من عدوكم في دولة الباطل وحال الهدنة...»<sup>(١)</sup>.

٧٠. المنهج الصحيح الواقعي لقراءة أحداث مسرح الظهور ولعلامات الظهور ولشخصيات الظهور، هو منهج (الأمر بين الأمرين)، فلا تفويضية بجعل المحور هو العلامات، أو بيد شخصيات مسرح الظهور، ولا جبرية مطلقة لا ترى أهمية لأي دور وشخصية في مسرح الظهور، بل إنّ أمر بين أمرين، وذلك بالالتفات إلى المناهج الذي يتبعها هؤلاء الثلاثة (اليمني والخراساني والسفياني) وغيرهم.

٧١. لا جبر ولا حتمية مطلقة للأسباب الغيبية والإعجاز الغيبي والإدارة الغيبية بمعزل عن الأسباب الطبيعية في تعجيل الظهور، كما أنه لا تفويضية بجعل كل الأسباب بيد المؤمنين في إدارة وتنامي الحكومة الخفية للإمام عليه السلام.

٧٢. ما ذكرناه من منهج سوف يبطل منهج من يجعل العلامة بمثابة

(١) الصدوق، محمد بن علي، إكمال الدين: ص ٦٤٦.



العلة إذا حدثت حدث الظهور، وإذا لم تحدث سوف لا يحدث الظهور، وكأنه يُعلّق ظهور الإمام المهدي عليه السلام على ظهور هذه العلامات، فهو في الحقيقة مُتَنظِّر للعلامات - كاليمني والخراساني والسفنياني وغيرهم برؤية جبرية للظهور لا رؤية مسؤولة - وليس مُتَنظِّراً ينتظار نصرة وعون للمهدي عليه السلام؛ وسيكون من الفاشلين في الامتحان - لأنّ كلّ العلامات قابلة للبداء - كما فشل المُتَنظِّرون في زمن نوح عليه السلام؛ حيث علّقوا انتظارهم على العلامات (نوى التمر).

٧٣. كذلك يبطل منهج مَنْ يُعلّق أمله وعمله فقط على حدوث البداء في كلّ العلامات - وهذا مسلك جبري - لأنّه يقول: ما دامت العلامة يمكن فيها البداء ولا يرتبط بها الظهور فلماذا أنظر إليها؟ وبما أنّ الله ناصر وليّه ومظهر دينه على الدين كلّه، فما الداعي للبحث وراء العلامات ومتابعة الأحداث تسارعت أم تباطأت؟

والمنهج الصحيح يتضح بضوابط ثلاث:

(أ) ضابطة معرفة المنهج:

إنّ معرفة منهج هؤلاء الثلاثة (اليمني والخراساني والسفنياني) في سنة الظهور أهمّ من معرفة أشخاصهم؛ لأنّ الميزان هو على المنهج لا على الشخص، والبصيرة هي على الحقّ لا على الرجال؛ ومن ثمّ فمن أخطاء ثقافة التعليم لعلامات الظهور شخصنة البصيرة بأشخاص، بينما البصيرة مرهونة بالمنهج والميزان.

(ب) ضابطة النظرة المجموعيّة:

وهي ضابطة خطيرة أيضاً في قراءة علامات الظهور، وهي أنّ الثقافة والمعرفة بالمشروع المهديّ مبتوراً عن الثقافة والمعرفة بأصحاب الكساء، بدءاً بالمعرفة النبويّة ومعرفة المنهاج العلويّ والفاطميّ والحسنيّ والحسينيّ، فضلاً

عن التوحيد، وثمره ذلك هيمنة ثوابت الدين العُليا في قراءة المشروع المهدويّ.

ج) ضابطة في كنيّة قراءة روايات علامات الظهور بالعلامة المركزيّة (محموريّة الرجعة):

\* إنّ روايات علامات الظهور هي في الحقيقة إحدائيات ومعلومات استطلاعية بُغية التحفيز للقيام بالممانعة عن وقوع مخططات العدو، والوقاية عن حصول الإخفاقات والدعوة إلى إطلاق مبادرات استباقية تستهدف أوكار ومعاقل العدو، ورسم خارطة سياسية وعسكريّة أمنيّة واجتماعيّة لسنين أو لسنة الظهور، وأتّما تقرير يرسم الوظيفة الاستراتيجية والتكتيكية والتقنيّة واللوجستيّة للمؤمنين فيما ينبغي عليهم القيام به والحذر منه واليقظة تجاهه، لا أنّها أنباء عن مقدرات لا بدّيّة الغرض منها التفرج والخروج عن الخوض مع اللاعبين في لعبة المواجهة.

\* إنّ معرفة حقيقة الظهور وحقيقة دولة العدل للإمام الثاني عشر عليه السلام لا تتمّ بدون معرفة الغاية من الظهور، والغاية من الدولة؛ فإنّ غاية كلّ شيء هوّ أبن أمر في تعريف الشيء حتّى أنّه قيل في علم المنطق: إنّ الأجزاء الرُكنيّة القواميّة التي يتكوّن منها الشيء ليست بمثابة من الأهميّة في تعريف الشيء بقدر تعريفه بغايته.

\* إنّ هذه الدراسات والبحوث جعلت نجوم ومحاور مسرح أحداث سنة الظهور، عبارة عن الخراساني والسياني والسُفّاني، بينما الظاهر في روايات مُستفيضة أنّ محور محاور أحداث سنة الظهور هوّ حصول الرجعة لثلاثة من الأموات في الكوفة هم سبعة وعشرون نفراً، وهم الدائرة المركزيّة من الـ (٣١٣)

أعضاء الحكومة المركزيّة لدولة المهدي عجل الله فرجه.

\* إذا؛ لهؤلاء الراجعين دور بالغ الخطورة في توازن معادلات الأحداث، ومنّ عظم هذا الدور لهم وردت المقولة المُستفيضة عنّ المعصومين عليهم السلام: «العجب كُّلّ العجب ما بين جمادي ورجب»<sup>(١)</sup>.

\* من غير الصحيح بلورة العقيدة المهدويّة بالإمام الثاني عشر وظهوره ودولته بصياغتها وقولبتها بعيداً عنّ ماهيّة منهاج آباءه، كالمنهاج العلويّ والفاطميّ والحسنيّ والحسينيّ وبقية الأئمة عليهم السلام، فصار البيان لماهيّة الظهور ومشروع الدولة للإمام الثاني عشر - هذا البيان - مبتوراً عنّ لبّه الحقيقي ومجتثاً عنّ جذوره الأصليّة.

\* وبهذه الضوابط يُقطع الطريق على الأدياء، ويكون التمحور بهذه الضوابط تمحوراً حول منهج الإمام عليه السلام؛ لأنّ تلك المحاور مسارات وخطوط هم عليهم السلام رسموها لنا.

---

(١) القندوزي، سليمان بن إبراهيم، ينابيع المودّة: ج ٣، ص ٤٣٤، باب ٩٩، ح ٤.

## إرهاصات الظهور

### الرايات المناهضة لمشروع السفيناني

#### (القيام بالمسؤولية)

٧٤. عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام، قَالَ: «خروج الثلاثة (الخراساني والسفنياني والبياني) في سنة واحدة في شهر واحد في يوم واحد، وليس فيها راية بأهدى مِنْ راية البياني يهدي إلى الحق»<sup>(١)</sup>.

٧٥. البياني يتحمل المسؤولية: وهذه الروايات بمجموعها تُشير إلى أَنَّ هُنَاكَ مَنْ يَتَحَمَّلُ الْمَسْئُولِيَّةَ، نَعَمْ هِيَ تُبَيِّنُ أَنَّ الْبَيَّانِي رَايَتَهُ أَهْدَى، وَبِذَلِكَ هِيَ تَدْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ لِلْقِيَامِ بِوَأْجِبَاتِهِمْ وَمَسْئُولِيَّاتِهِمْ تَجَاهِ الْأَخْطَارِ وَحَرَكَاتِ الضَّلَالِ، فَإِنَّ الْبَيَّانِي لَيْسَ هُوَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ الْمُقَرَّبِينَ وَلَا مِنَ الْمُعْصَمِينَ عليهم السلام، بَلْ هُوَ مُؤْمِنٌ قَامَ بِوَأْجِبِهِ وَتَحَمَّلَ مَسْئُولِيَّتِهِ؛ وَبِالتَّالِي هُوَ قَدْوَةٌ لِلآخِرِينَ - مِنْ هَذِهِ الْجِهَةِ - حَيْثُ لَا يَنْبَغِي لَهُمُ الْقَعُودُ وَتَرْكُ الْمَسْئُولِيَّاتِ.

٧٦. السفيناني حركة مقهورة: إِنَّ حَرَكَةَ السَّفِينَانِي رَغْمَ قَسْوَتِهَا وَشِدَّتِهَا يُمْكِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَقْهَرُوهَا أَوْ يُقَلِّلُوا مِنْ تَوْسَعِهَا؛ فَيَكْفُونَ شَرَّهَا بِالْجُمْلَةِ أَوْ فِي الْجُمْلَةِ، مُضَافًا إِلَى سَلَامَةِ التَّوَجُّهِ الَّذِي يَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ مَرَكِزِيَّةِ إِمَامَةِ الْأُئِمَّةِ الْإِثْنِي عَشَرَ وَإِمَامَةِ الْإِمَامِ الثَّانِي عَشَرَ.

(١) المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد: ج٢، ص ٣٧٥. الطوسي، محمد بن الحسن، الغيبة:

ص ٤٤٦-٤٤٣. إعلام الوري بأعلام الهدى، الفضل بن الحسن الطبرسي: ج٢، ص ٢٨٤.

### الرايات الممهدة للسُفياني

٧٧. الأوصاف للحركات التي قبل السُفياني عديدة، بعض الحركات يصفها المعصوم عليه السلام بحركة السُفياني، وَمِنْ الواضح أَنَّهُ لَيْسَ للسُفياني - الذي قُبيل ظهور الإمام عليه السلام - اسم، فهُنَاكَ حركة الأصهب والأبقع وغيرهما.

٧٨. السُفياني نتيجة لتقاعس المؤمنين: هذه الروايات وغيرها تؤكد أَنَّ قَبْل حركة السُفياني هُنَاكَ حركات ضالَّة ومضلَّة وباطلة تفتن المؤمنين، وكأَنَّهَا تشير إلى أَنَّ السُفياني نتيجة سلبية متولَّدة مِنْ سلبية أُخرى، وَهِيَ عدم قيام المؤمنين بمسؤولياتهم تجاه أنفسهم وتجاه المُجتمَع بالتصدِّي لتلك الحركات، ووَأدَهَا في مهدها ولعدم توعية المُجتمَع للقيام بمسؤوليته بالتحرك الصحيح والتصرُّف المتقن.

### الشيصباني

٧٩. هَذَا الوصف (الشيصباني) لعلَّه - والله العالم - وصف مُركَّب مِنْ كلمتين دُججتا في كلمة واحدة، والكلمتان هُمَا (شيطان وصبي)، فتصير (شيصبان) كما هُوَ موجود في كثير مِنْ المصطلحات، فمثلاً يدجون الزمان مَعَ المكان فتصير (زمكان).

٨٠. فالنتيجة: أَنَّ حكومة شيصبان حكومة شيطانية صبيانية لا تحسن التصرُّف كالصبي، وتنحدر في مهاوي الفسق والفجور والرذيلة كالشيطان، وبطابع مُراهق انفلاقي نحو الوجوم، وهذه الحكومة مُقدَّمة وأرضية لفجور وفسق ودمار وتقاعس أكبر بواسطة تسلُّط السُفياني.

### حكومة بني العباس

٨١. الروايات تؤكد أَنَّ ملكهم - بني العباس - لقائم، وَمِنْ الواضح أَنَّهُ لا

يقصد أشخاصهم ولا أولادهم؛ لأنه يقول (ملكهم)، أي: حكمهم وسياستهم، فحكمهم وسياستهم قد بُنيت وأُسست على (الرضا من آل مُحَمَّد ﷺ)، ولكنه مجرد شعار ليس فيه إلا الخُذاع والتضليل الإعلامي، وكأنَّ كلَّ حكومة تُؤسس بنائها على ذلك الشعار انتهازاً لغرض الوصول للحكم - لأنَّ الأرضية العامة للمُسلمين تهتف بأهل البيت ﷺ - يسميها المعصوم حكومة بني العباس، ولو كانت في هذا الزمن!

٨٢. حكومة المكر والخُذاع: المُستشعر من لسان الروايات أنَّ المؤمنين وجماعتهم إذا لم يقوموا بالمسؤولية المُلقاة على عاتقهم ولم يدركوا - بوعي وهمة عالية وبعُد في النظر - عمق الخطر المُحدق بهم سوف تستمر حكومات المكر والخُذاع والتضليل الإعلامي، وكذلك الحكومات الشيطانية التي لا تُحسن التصرف بالتسلط عليها، وسيذوقون الذلَّ والهوان، ثمَّ يدخلون فيما هو أتعس وهو تسلط السُفْياني، فهذا لا يكون حتماً عليهم إلا بتلك المُقدمات المُهَيأة لأشْر وأقسى حكومة عرفها تاريخ البشرية، فالمعصوم ﷺ حينما يفصل في تعاقب الحكومات الباطلة (شيبباني، بني العباس، سفْياني)، ليس هو نبوءة فلكية، بل هي قراءة هدفها التوصية وإيجاد الوعي في كيفية تحمّل المسؤولية، قَالَ تعالى: ﴿لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾<sup>(١)</sup>.

### السفْياني وداعش<sup>(٢)</sup> ويأجوج وماجوج وجوه لعملة واحدة

٨٣. إنَّ خراب العمران والطابع المدني والإفساد وسفك الدماء والهرج

(١) الرعد: آية ١١.

(٢) هذا المصطلح هو عبارة عن حروف يرمز بها إلى (الدولة الإسلامية في العراق والشام).

والمرج هي صفة يأجوج ومأجوج التي ذكرها القرآن الكريم، وقد ذُكر في جملة من الروايات الواردة في ملاحم آخر الزمان نبوءة عن خروج يأجوج ومأجوج في آخر الزمان، والظاهر أن المراد به عنوان وصفي، لا أنه عنوان واسم علم لجنس مخلوق، وإن كان المعنى الوصفي يُأول للمعنى الثاني من الحقيقة النوعية؛ وذلك بناءً على تجسّم الأعمال وتجوهر الذات بسنخ الأعمال، أي: إن الذات والروح والنفس وما لها من أبدان تنسخ ويتكوّن بها جوهر مسانخ لطبيعة العمل، فالصورة صورة إنسان، وأمّا الروح فقد تبدّلت إلى جنس يأجوج ومأجوج.

٨٤. لا ناموس ولا قاموس لهم: يصف القرآن هرجهم ومرجهم بتموّج بعضهم في بعض عندما يزول السدّ - المعنوي - تبياناً لعدم انضباطهم بمبدأ، ولا ناموس ولا قاموس يتعاطى معه في المعيشة بشكل لا يُطاق حيث لم يتحمّله أولئك الأقوام البدائيين رغم جهلهم وأمّيتهم وتخلّفهم، وإذا كان يهود (بنو قريظة وبنو النضير) نتيجة غدرهم في ذمّة التعايش المدني مع مجتمع المسلمين أجلاهم وأبعدهم النبي ﷺ عن أرض الحجاز، فكيف بمن يفسدون في الأرض من كلّ حدب وصوب؟ فهو لاء لا يكفي فيهم الإجماع والإبعاد عن النسيج المدني - كما في اليهود - بل لا بدّ من إقامة سدّ عازل يحول بينهم وبين انطلاق أمواج فسادهم تجاه المجتمع المدني الإنساني الآمن، فضلاً عن المجتمع المؤمن المسلم.

٨٥. هذا ما نلاحظه حالياً طابعاً متميّزاً في القاعدة المشكّلة من السلفية والهابية وداعش، فإنّ سفك الدماء الذي يُمارسونه وقتل الأبرياء وخراب المدن بلا أيّ رادع ولا وازع، وبلا التزام بثابت من الثوابت، ولا تتقيّد

بناموس مُقدّس إلاً على مُستوى الشعار كدجل إعلاميّ وخداع إعلانيّ،  
كقناع يلبسونه لتغطية صفة اليأجوجيّة والمأجوجيّة لديهم.

### شخصيات في مسرح الظهور نفاق الإيمان (البتريّة)

البتريّة: هي ظاهرة تلفيقية مزجية مخلّطة؛ لأنّهم يخلطون مع ولاية أهل  
البيت عليهم السلام ولاية الشيخين.

٨٦. الروايات تُشير إلى تكرّر هذه الظاهرة واستمرارها في الوسط الشيعيّ  
إلى عام الظهور كحالة نفاقية في الإيمان، وإنّ أصحاب هذا التيار البتري التوفيقي  
التلفيقي يعتمدون المسحة العلمية، ويتصرّعون بالمبررات الفقهية لهذا المنهج،  
ونداؤهم وخطابهم القائم ببني فاطمة إشارة إلى نهج فاطمة عليها السلام في الإنكار على  
مسار السقيفة والبراءة من الانحراف، فكأنّ الميزان المائز لهم هو رفض التبري من  
أعداء فاطمة عليها السلام، كما أنّهم في بداية أمرهم حيث أنكروا البراءة من الشيخين  
وأظهروا البراءة من أعدائهما، «فالتفت إليهم زيد بن عليّ في محضر أخيه  
الباقر عليه السلام، وقال لهم: أتتبرأون من فاطمة؟! بترثم أمرنا بتركم الله. فيومئذ سُموا  
البتريّة»<sup>(١)</sup>، فعدم المعادة مع الشيخين يأول إلى مُعادة فاطمة؛ ولذلك يُحاطبون  
الحجّة عليه السلام: «ارجع يا بن فاطمة، لا حاجة لنا فيك». أي: لا حاجة لنا في النهج  
الفاطمي الذي ينطلق من البراءة لأعداء آل محمد عليهم السلام.

### على طرفي نقيض

٨٧. إنّ ظاهرة التلفيق بين منهاج أهل البيت عليهم السلام والمناهج الأخرى - وعدم  
التبرّي والبراءة من تلك المناهج والمدارس المناوئة لأهل البيت عليهم السلام كظاهرة

(١) الصدوق، محمد بن عليّ، من لا يحضره الفقيه: ج ٤، ص ٥٤٤.



المُقَصَّرَة والمارقة- هي ظاهرة تتكرّر في كُلِّ عصر، تأخذ ألواناً وأشكالاً ومُسمّيات مُختلفة، نَحَتْ أطر الوحدة والتقريب بين المذاهب، ونَحَتْ أطر وذرائع مُختلفة أُخرى.

٨٨. التيّار المصادم: في مقابل هذا التيّار المخلط نرى هُنَاكَ تيّاراً مصادماً يُشدّد على الفصل والتمييز بين مدرسة أهل البيت عليهم السلام والمدارس الأخرى، ويحصر التبعية والمرجعية الشرعية الإلهية بأهل البيت عليهم السلام، وهو ما يُعرف بـ (التولي)، وسلبها ونفي الصلاحية عن بقية المدارس، وتخطئة المسارات المباشرة للعترة، وهو ما يُعرف بـ (التبري)، وقد طعن على هذا التيار الثاني بالتشدّد والغلو في أهل البيت عليهم السلام.

وهذا التجاذب بين الظاهرتين جدلية تتكرّر في الأزمنة المختلفة، وهي قائمة في الزمان الحاضر أيضاً، ورُبَّما يُبرّر التيار الأوّل بمنهجه المزجي والتلفيقي بجملة من الذرائع، كما أنّه قد تُسجّل على التيار الثاني جملة من المؤاخذات بسبب صراحته الصارخة وعدم مداراته وعدم اتّخاذه أسلوب الرفق واللين في تبين الحقائق، ومفاجأة الوسط العام بخطاب لم تُتهيأ لها الذهنية العامة في الوسط الخاص، فضلاً عن الوسط العام.

٨٩. إنّ سرّ استعراض هذه الروايات المُستفيضة المتكاثرة لتفاصيل عسكرية وأمنية، وإحداثيات جغرافية، وملفات سياسية، وملفات ومعلومات أمنية عن طبيعة حركة السفيناني ونقاط الضعف والقوة فيها، وكذلك في الروايات الشيعية المناهضة لها، فهل ياترى كُلُّ هذا إنّما هو كمعلومات قمر صناعي عن المُستقبل؟! كلا، بل هو دعوة للمؤمنين بالاطلاع على هذه المعلومات ليرسموا لأنفسهم استراتيجية وبرنامج مقاومة ومواجهة،

وهذه القراءة لنصوص علامات الظهور تختلف عن القراءة - الخاطئة - السائدة، كتنبؤات فلكية أو كهانات أو أبراج فلكية للمنجمين.

### صور عديدة للبداء في مشروع السفيناني

٩٠. قواعد البداء التي ذكرناها تنطبق على مشروع السفيناني المستقبلي بياناً لآفاق الاختيار والمسؤولية في ظل كونه من المحتوم، إلا أن حتميته لا تفلت من البداء، ولم يكن تقريراً ضمن المباحث السابقة.

٩١. المحتوم من شارفت أسباب وقوعه: معنى كونه محتوماً لا يعني عدم تطرق البداء فيه؛ لأن المحتوم ليس الذي وقع ووجد، إنما قدر تقديراً باتاً ولما يقع، وقد اكتملت أسباب وقوعه، أي: شارفت أسباب وقوعه على الاكتمال ولما يقع، وعلى ضوء ذلك فإمكان هيمنة تقدير آخر حاكم ووارد.

٩٢. استراتيجية الدفع: تدل الروايات على أن السفيناني يلاقى مقاومة مجاميع مؤمنة، فلا تستتب له السيطرة على المناطق التي يسيطر عليها، بل يكون هناك كثر وفتر، وهذا يعطي استراتيجية ثانية وهي الرفع بعد الاستراتيجية الأولى التي هي الدفع، أي: دفع سيطرته قبل السيطرة.

٩٣. مفتاح الأمل: كلا الاستراتيجيتين دالتان على لزوم شدة المقاومة وصلابتها حدوثاً وبقاءً وفي كل الظروف، وأن لا تهدأ مجاميع المؤمنين عن المقاومة حتى لو تحقق لجيش السفيناني سيطرة نسبية في بعض المناطق، فإن ذلك لا يعني بقاء تلك السيطرة والقدرة له على تلك المناطق على درجة ووتيرة واحدة، بل بالإمكان إضعافها وإزالتها، وهذه الدلالة نجدها في روايات كثيرة دالة على هشاشة بقاء سيطرة السفيناني فيما يسيطر عليه من مناطق، وهذا مفتاح أمل لبقاء ومسؤولية المقاومة والمواجهة لمشروعه.

٩٤. في عقد الدرر: «ثمَّ يدخُل الكوفة فيصير أهلها ثلاث فرق: فرقة تلحق به وهم أشْر خلق الله، وفرقة تقاتله وهم عِنْدَ الله شُهَدَاء، وفرقة تلحق بالأعراب وهم العصاة... فيبلغ الخبر أهل البصرة، فيركبون إليهم في البرّ والبحر، فيستنقذون أولئك النساء مِنْ أيديهم»<sup>(١)</sup>.  
 الرواية - حاكم ومُحكّم - وفيها مواضع دالّة على أنّ الوظيفة الأولى والمسؤوليّة هي المقاومة والمواجهة.

### لمشروع السُفياني:

أ) حرمة الخضوع للسُفياني: ذلك عِنْدَ قوله: «فيصير أهلها ثلاث فرق: فرقة تلحق به وهي أشْر خلق الله»، وهو يشير إلى حرمة الانقياد والذوبان مع مشروع؛ لأنّه يوجب الخسران الأبدي ومقتضاه لزوم مقاومته.

ب) ثمَّ قوله ﷺ: «وفرقة تقاتله وهم عِنْدَ الله شُهَدَاء»، في هذا البيان منه ﷺ دلالة على أنّ القاعدة الأولى والوظيفة والمسؤوليّة هي مقاومة مشروع ومواجهته بلغ ما بلغ، ولا ريب في أنّ هذه الوظيفة ليست مقرّرة - قبل دخوله الكوفة أيضاً - من كلّ البلدان حتّى في الشام؛ لأنّ مشروع - كما مرّ - إبادة للدين باسم الدّين، كما هي شاكلة النهج الأمويّ.

ج) وقوله ﷺ: «وفرقة تلحق الأعراب وهم العصاة»، وهذا أيضاً بيان منه ﷺ إلى أنّ ترك مقاومة السُفياني والتخاذل عن هذه المسؤولية والاهتمام بنجاة النفس معصية كبيرة جدّاً، ووجه الدلالة على أنّها كبيرة أنّ هذا العنوان (العصاة) والتوصيف قد وردَ نظيره في الذين خالفوا رسول الله ﷺ في مواطن، نظير ما وردَ في الصوم في السفر من جماعة كانوا مع رسول الله ﷺ

(١) المقدسي، يوسف بن يحيى، عقد الدرر: ص ٧٧.

وبقوا صياماً سّاهم النبي ﷺ العُصاة وبقي ذلك الوصف عليهم.  
٩٥. خصوصية أهل العراق: ذكر عائلاً البصرة والكوفة<sup>(١)</sup> إشارة  
لخصوصية - خاصة - لأهل العراق، فالأمر - بالنسبة إليهم - عيني تعيني  
وواجب وفريضة كبرى، بحيث يكون التخلّف عنها معصية، ويوسم  
المتخاذل بوصف العصاة إلى يوم القيامة، ولم يكن التعبير بهذه الشهادة  
والتأكيد في الروايات التي ذكرت البلدان الأخرى.

---

(١) من المعروف بحسب النقول التاريخية أنّ البصرة تشمل الجنوب، والكوفة تشمل  
الفرات وبعض مناطق الوسط.

## الجهاد الدفاعي

ينقسم الجهاد الدفاعي فقهيًا بحسب الأدلة إلى أقسام أربعة:

القسم الأول: الدفاع الوقائي الرادع عن عدوان المعتدي:

وهو مضمون القاعدة في الآية الكريمة: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾<sup>(١)</sup> وهذا النوع من الجهاد الباب مفتوح على مصراعيه لإعداد المجتمع للقوة أمام عدوان المعتدي، وليس هناك سقف معين يقف عنده ذلك الإعداد، وهو نحو من القوة الناعمة - في الاصطلاح الاستراتيجي الحديث - لأنه لا تراق فيه محجمة دم ولا تنشب فيه نار تشتعل، بل قوة ردع واقية عن العدوان، ومن خصائص هذا القسم أنه لا يعطل في حال من الأحوال، كما أنه عيني على الجميع استغراقاً كل بحسب قدرته وطاقته، فضلاً عن كفايته بحسب مراتب الإعداد.

القسم الثاني: الدفاع العلاجي:

وهذا القسم يُقرّر أنّ الدفاع بعد وقوع الاعتداء لرفع العدوان والغزو، وطرده من بقاع الإيمان مكانية كانت أو جغرافية أو غيرهما، وهو المعهود في الأذهان والثقافة الفقهية.

القسم الثالث: الدفاع الاقتصادي:

وهذا القسم غايته الردع عن تكرّر العدوان، وهو مفاد قاعدة: ﴿وَلَكُمْ

(١) الأنفال: آية ٦٠.

فِي الْقِصَاصِ حَيَاةً يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١﴾ . وَمِنْ الْوَاضِحِ أَنَّ عِدَّةَ مَضَامِينٍ قُرْآنِيَّةٍ تَصَبُّ فِي هَذَا الْمَفَادِ .

#### القسم الرابع: الجهاد الدفاعي الاستباقي:

وَهُوَ يُقَامُ بِهِ فِي الْمُرُودِ الَّذِي يُعْلَمُ أَنَّ الْعَدُوَّ مُتْرَبِّصٌ لَشَنْ عَدْوَانٍ قَرِيبٍ قَدْ أَخَذَ أَهْبَتَهُ فِي ذَلِكَ، وَبَدَتْ عِلَامَاتٌ وَلَوَائِحُ ذَلِكَ شَاهِرَةٌ ظَاهِرَةٌ، وَالْقُدْرَةُ الْمُتَيَقِّنُ مِنْ مَشْرُوعِيَّةِ هَذَا الْقِسْمِ مَا إِذَا كَانَ عَدَمُ الْإِسْتِبَاقِ بِالْحَرْبِ وَالتَّوَانِي عَنِ الْمُبَادَرَةِ يَسْتَلْزِمُ عَدَمَ الْقُدْرَةِ عَلَى الْجِهَادِ الدِّفَاعِيِّ مِنَ الْقِسْمِ الثَّانِي - وَهُوَ الْعِلَاجِيُّ - أَوْ أَنَّه سَيَكْبَدُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُسْلِمِينَ خَسَائِرَ كَبِيرَةً فِي الْأَرْوَاحِ وَالثَّرَوَاتِ، وَيَشِيرُ إِلَى ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّمَا تَخَافَنَ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةٌ فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ﴾ (٢) .

ثُمَّ إِنَّهَا هُنَا أَقْسَامًا أُخْرَى مِنْ أَقْسَامِ الدِّفَاعِ وَهِيَ:

القسم الخامس والسادس: الجهاد الاستباقي والاقتصاصي للدفاع عن المقدَّسات:

وهذه الأقسام أعظم من الأقسام السابقة؛ لأنَّ هذه الأقسام للدفاع عن الأراضي المقدَّسة، أي: البلاد التي فيها مراقد المعصومين عليهم السلام وفيها المساجد المشرفة، فالحرم المكي أرض مقدَّسة والحرم المدني كذلك، بل يشمل ما هو أوسع من الحرم المكي والمدني فيشمل أرض الحجاز كلها، فهذه الأرض ينبغي تطهيرها من دنس المنتهكين لقدسيتها وحرمتها، كذلك النجف و كربلاء والكاظمية وخراسان وسامراء، مدنٌ يجب الدفاع عنها وحمايتها وقطع أيدي

(١) البقرة: آية ١٧٩ .

(٢) الأنفال: آية ٥٨ .

الباطل عنها إن كانت في أيديهم، بل حماية المقدّسات توجب حماية كلّ أرض العراق، وهذا حال وحكم كلّ البلدان التي فيها المقدّسات، وهذا يشير إلى أنّ برنامج الثأر والثورة مُستمرّ.

### القسم السابع: الجهاد تعصباً لأهل البيت عليهم السلام:

بيت المقدّس إنّما صار قبلة وقُدّس لعبادة الأنبياء فيه ولقُدسيّتهم، كما في الرواية عن ابن عباس t: «فسار بهم موسى فانطلقوا يؤمّون الأرض المقدّسة وهي فلسطين، وإنّما قدّسها لأنّ يعقوب عليه السلام وُلد بها، وكانت مسكن أبيه إسحاق عليه السلام، ويوسف عليه السلام ونُقلوا كلّهم بعد الموت إلى أرض فلسطين»<sup>(١)</sup>، إذا كان الدفاع عن الأرض المقدّسة أعظم من الدفاع عن باقي الأراضي، فبالأولى الدفاع تعصباً لذات المعصوم عليه السلام يكون أعظم، فليس التعصب مختصاً بحياة المعصوم عليه السلام، بل لما بعد حياة الإمام المعصوم، كما يظهر من قول السجاد عليه السلام: «لو أنّ عبداً زنجياً تعصّب لنا أهل البيت لوجب على الناس مؤازرته»<sup>(٢)</sup>، فيكون التعصب غير مقيّد بزمان أو مكان ما دام يصبّ في نصرتهم، ويُضاف نسبته إليهم وإذا كنّا نقول في زيارة أبي الفضل عليه السلام: «انتَهكت بقتلك حرمة الإسلام»<sup>(٣)</sup>.

٩٦. حرب باردة وحرب ساخنة: بعد معركة الطف يختار الإمام زين العابدين عليه السلام الحرب الباردة، في حين تختار زينب عليها السلام وهي العاملة غير المعلّمة

(١) قطب الدين الراوندي، سعيد بن هبة الله، قصص الأنبياء: ص ١٧٦، ح ٢٠٠.

(٢) الحلي، ابن نما، ذوب النصار: ص ٩٧. المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٤٥، ص ٣٦٥.

(٣) المشهدي، محمّد بن جعفر، المزار: ص ٣٩١. الكفعمي، إبراهيم بن عليّ، المصباح: ص ٥٥١.

والفهمة غير المفهمة - كما وصفها الإمام زين العابدين عليه السلام - نهجاً آخر، وهي لم تكن لتتصرف إلا فيما يأمر به الشرع وتحت نظر الإمام عليه السلام، فهنا نهجان يسيران في عرض بعضهما، وكلاهما تحت نظر ورعاية الإمام السجاد عليه السلام.

٩٧. وهذا بعينه موقف الزهراء عليها السلام حين كان أمير المؤمنين عليه السلام في حرب باردة وعدم مواجهة مع الطرف الآخر، في حين كانت الزهراء عليها السلام تحرض الأنصار على القتال، فقد روي في الخبر مسنداً عن مصعب بن عبد الله، قال: «كانت زينب بنت علي وهي بالمدينة تؤلب الناس على القيام بأخذ ثأر الحسين عليه السلام»<sup>(١)</sup>، فبلغ ذلك عمر بن سعيد، فكتب إلى يزيد يعلمه الخبر، فكتب إليه: أن فرق بينها وبينهم، فأمر أن يُنادي عليها بالخروج من المدينة والإقامة حيث تشاء، فقالت: «قد علم الله ما صار إلينا، ما صار إلينا، فقتل خيرنا، وانسقتنا كما تُساق الأنعام، ومحملنا على الأقتاب، فوالله، لا خرجنا وإن أُهريقَت دماؤنا...»<sup>(٢)</sup>.

٩٨. استمرار الثأر والثورة: وهذا يشير إشارة قوية إلى الثورة والثأر وضرورة المطالبة بثأر الحسين عليه السلام من أعدائه مهما كانت الظروف ومهما كلف الأمر، كما قد كلف زينب الخروج من المدينة - نعم قد تختلف الآليات فمرة تكون الآلية باردة ومرة تكون ساخنة - بل إنه حسب ما تذكر نفس القصة أنّها رفضت الخروج لولا إلحاح الهاشميات، قال: «فأبت الخروج، ثم اجتمع عليها نساء بني هاشم وتلفن معها في الكلام، فاخترت مصر»<sup>(٣)</sup>.

(١) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك: ج ٥، ص ٤٦٥.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) المصدر نفسه.



٩٩. وفي هذا إشارة إلى أن زينب عليها السلام كانت مُصرّة على الاستمرار في الثورة لولا إلحاح الهاشميات، وكذلك يشير إلى أن حكومة بني أمية لم تستطع مواجهة الثورة الزينية إلا بالأساليب القذرة في الضغط على بني هاشم، وهذا أمر بالغ الأهمية أغفله الكثير.

١٠٠. من أقسام الجهاد (الجهاد للمواساة): وهو يغير الجهاد لأجل الدفاع أو للدعوة؛ حيث إن غايته ليس حصول الدفاع والنجاة ولا الدعوة واستجابة الطرف والخصم، بل مواساة المعصوم عليه السلام في القتل والقتال، وهو وإن كان يتفق من حيث الموضوع مع القسم السابق إلا أنه قسم مستقل برأسه، وهو عبارة عن الجهاد الذي يكون من أجل ذات المعصوم عليه السلام في حياته بلا رجاء إنقاذ حياته، بل للمواساة فقط.

وهذا القسم كان واضحاً في الثقافة الإسلامية في زمن المعصوم عليه السلام وإن أغفلته ثقافتنا اليوم، وفي زيارة الناحية المقدسة يشير الإمام عليه السلام إلى هذا القسم:

١٠١. قال: «السلام على مسلم بن عوسجة الأسدي، القائل للحسين - وقد أذن له في الانصراف -: أنحن نُخلي عنك؟! وبِمَ نعتذر عند الله من أداء حقك؟... وكنت أول من شرى نفسه وأول شهيد شهد الله وقضى نحبه، ففزت وربّ الكعبة، شكر الله استقدامك ومواساتك إمامك...»<sup>(١)</sup>.

١٠٢. وكذلك في سلامه عليه السلام على سعد t: «السلام على سعد بن عبد الله الحنفي، القائل للحسين - وقد أذن له في الانصراف -: لا والله، لا نخليك حتى يعلم الله أن قد حفظنا غيبة رسول الله صلى الله عليه وآله... ثم هي بعدها الكرامة التي

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٤٥، ص ٦٩.

لا انقضاء لها أبداً، فقد لقيت حمامك وواسيت إمامك...»<sup>(١)</sup>.

١٠٣. أعظم المواساة مواساة أبي الفضل عليه السلام: وبما تقدم تتضح عظمة الشهادة بجهاد المواساة التي شهدها المعصوم عليه السلام لأبي الفضل عليه السلام، فقد ورد معنى المواساة في زيارة أبي الفضل عليه السلام التي رواها - بسند معتبر - أبو حمزة الثمالي عن الإمام الصادق عليه السلام، قال: «... أشهد لك بالتسليم والتصديق والوفاء والنصيحة لخلف النبي صلى الله عليه وآله وسلم... أشهد لقد نصحت لله ولرسوله، فنعم الأخ المواسي»<sup>(٢)</sup>.

١٠٤. سلاح للسلام لا للاستسلام:

إن الآلية التي اتفق عليها جميع الفقهاء، ولم يشكك فيها أحد منهم هي قاعدة (إعداد القوة)، واستدل لهذه القاعدة من قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾<sup>(٣)</sup>، وهذا المقدار المتفق عليه دينياً وشرعياً وعقلائياً، العدو يرفضه ويتهموننا بالأوباشية، ويحاولون قصّ أظافرنا وأجنحتنا بحجة أنّها مخالِب عدوانية، نقول لهم: إنّها ليست للعدوان، بل للدفاع عن أنفسنا، نريدُ حماية أنفسنا، لم ولن نبدأ الآخرين بعدوان، هذا هو منطق ديننا ومنطق قادتنا المعصومين عليهم السلام، ولكن هم من بدأ الحرب وأجج نار الفتنة في مجتمعنا.

### ركنية الأراضي المقدسة

١٠٥. الدّين من الأمور ذات المراتب: فهناك مرتبة العقائد وهي أعلى مراتب الدّين، ثم تأتي مرتبة الأخلاق، ثم مرتبة فروع الدّين، كما بينها

(١) المصدر نفسه: ج ٤٥، ص ٧٠.

(٢) المفيد، محمد بن محمد، المزار: ص ١٢١. المشهدي، محمد بن جعفر، المزار: ص ٣٩١.

(٣) الأنفال: آية ٦٠.

الحديث النبوي الذي هو من جوامع الكلم، فعن النبي ﷺ: «العلم ثلاثة: آية محكمة، أو فريضة عادلة، أو سنة قائمة»<sup>(١)</sup>. ومن الواضح أن هذه المراتب رُتبت من حيث الأهمية؛ وبالتالي يكون الواجب في كل مرتبة أوجب من الواجب في المرتبة الأخرى، فمثلاً الصلاة ركن من أهم أركان فروع الدين، لكن لا تُقاس بواجب ركني اعتقادي رغم ركنيتها، فضلاً عن أن تُقاس بأصل من أصول الاعتقاد، كالولاية.

١٠٦. لا قيمة للصلاة بلا ولاية: قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مَكَاءً وَتَصَدِيَةً فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾<sup>(٢)</sup>، فالصلاة رغم عظمتها حالها بدون ولاية الله ورسوله وأولي الأمر حركات ضووائية كالصفيق والصفير، وهذه الصلاة مكاء وتصدية حتى لو كانت بزعم ولاية الله؛ ولذلك رغم أنهم يؤمنون بالله، أي: يقرّون بالشهادة الأولى، ولكن لعدم إقرارهم بالشهادة الثانية للرسول ﷺ يعد ويعتبر الله سبحانه وتعالى طوافهم وحجهم وعبادتهم وتقربهم إليه بعداً عنه ونجاسة ينبغي إزالتها وإبعادها عن المسجد الحرام، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ﴾<sup>(٣)</sup>.

١٠٧. الزيارة أعظم: ومن العجيب أن بعضاً من أوساطنا الشيعية يُقايِس حجاب المرأة - مثلاً - بالزيارة لأنها مستحبة.

(١) المجلسي، محمد تقي، روضة المتقين: ج ١٢، ص ١٥٨. ابن قدامة، عبد الله بن أحمد،

المغني: ج ٧، ص ٢.

(٢) الأنفال: آية ٣٥.

(٣) التوبة: آية ٢٨.

وَهَذَا خَلَطٌ وَخَبَطٌ وَعَدَمٌ تَمْيِيزٌ وَمَعْرِفَةٌ بِمَرَاتِبِ الدِّينِ، فَأَيُّهُمَا هُوَ الْمُسْتَحَبُّ؟ وَأَيُّهُمَا هُوَ الْوَاجِبُ؟ فَالزِّيَارَةُ تَتَضَمَّنُ عِدَّةَ وَاجِبَاتٍ كِفَائِيَّةٍ وَأُخْرَى عَيْنِيَّةً، مِنْهَا: تَرْوِجُ الدِّينَ وَإِرْشَادُ وَتَعَاهُدُ الْمُؤْمِنَ لَوْلَايَةِ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وَعِمَارَةُ الْمُقَدَّسَاتِ وَغَيْرَهَا مِنْ الْعَنَاوِينِ الْوَاجِبَةِ الْمُنْطَبِقَةِ.

١٠٨. لتركبن سنن من قبلكم: كذلك عن حريز، عن بعض أصحابه، عن أبي جعفر عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: والذي نفسي بيده، لتركبن سنن من قبلكم حذوا النعل بالنعل والقذة بالقذة حتى لا تخطئون طريقهم ولا يخطئكم سنة بني إسرائيل، ثم قال أبو جعفر عليه السلام: قال: موسى لقومه: ﴿يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾، فردوا عليه وكانوا ستمائة ألف ﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنَنُودُكَ بِمَنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ﴾ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ﴿أَحَدُهُمَا يَوْشَعَ بْنِ نُونٍ وَالْآخَرُ كَالِبُ بْنُ يَافَنَاءَ، قَالَ: وَهُمَا ابْنَا عَمِّهِ، فَقَالَا: ﴿ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ﴾. إِلَى قَوْلِهِ: ﴿إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾. قَالَ: فَعَصَى أَرْبَعُونَ أَلْفًا وَسَلِمُ هَارُونَ وَابْنَاهُ وَيَوْشَعُ بْنُ نُونٍ وَكَالِبُ بْنُ يَافَنَاءَ فَسَمَّاهُمُ اللَّهُ فَاسِقِينَ، فَقَالَ: لَا تَأْسُ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ، فَتَاهُوا أَرْبَعِينَ سَنَةً؛ لِأَنَّهُمْ عَصَوْا فَكَانَ حَذْوُ النَعْلِ بِالنَعْلِ، إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله لَمَّا قُبِضَ لَمْ يَكُنْ عَلَى أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا عَلَى الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ وَسَلْمَانَ وَالْمُقَدَّادَ وَأَبُو ذَرٍّ، فَمَكَثُوا أَرْبَعِينَ حَتَّى قَامَ عَلِيُّ عليه السلام فَقَاتَلَ مَنْ خَالَفَهُ»<sup>(١)</sup>.

١٠٩. أدخلوا الأرض المقدسة: الإشارات القرآنية والروائية واضحة بضرورة دخول المؤمنين الأرض المقدسة، وبالتالي ضرورة إخراج الكفار

(١) العياشي، محمد بن مسعود، تفسير العياشي: ج ١، ص ٣٠٣.

وَالْفُسَّاقِ وَالْمُنْحَرِفِينَ مِنْهَا وَإِلَّا سَيَكُونُ الْمُؤْمِنُ الَّذِي كَتَبَ اللَّهُ لَهُ أَنْ يَدْخُلَ  
 الْأَرْضَ هُوَ الْفَاسِقُ؛ إِذَا امْتَنَعَ عَنِ الدَّخُولِ، وَسَيَشْمَلُهُ عِنْوَانُ الْفُسُوقِ، فَهُوَ  
 تَعَالَى: ﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾، وَهُوَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ  
 مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾، فَإِنَّ الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ كَمَا يَقُولُ الْإِمَامُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي  
 الرَّوَايَةِ الْأَخِيرَةِ عَنْ مَسْعُودَةَ بِنِ مَسْعُودَةَ: «كُتِبَ لِلَّهِ لَهُمْ ثُمَّ مُحَاها عَنْهُمْ، ثُمَّ كُتِبَ  
 لِلْأَبْنَاءِ فَدَخَلُوهَا». وَالرَّوَايَةُ تُخْبِرُ أَنَّ الْأُمَّةَ ابْتَلِيَتْ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِنَصْرَةِ  
 الْبَيْتِ الْمُقَدَّسَةِ، فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا فَتَاهُوا أَرْبَعِينَ سَنَةً، وَسُنِّبَتْ بِمِثْلِهَا إِنْ تَخَاذَلْنَا.  
 ١١٠. التَّيَّةُ فِي أُمَّةٍ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: دَخُولُ الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ فَرَضٌ عَيْنٌ عَلَى كُلِّ  
 الْمُؤْمِنِينَ، وَلَيْسَتْ الْقَضِيَّةُ مَخْتَصَّةً بِزَمَنِ النَّبِيِّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَهَذَا مَا أَرَادَ الْإِمَامُ  
 الْإِشَارَةَ إِلَيْهِ حَيْثُ أورد حَدِيثَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَتَرْكُبَنَّ سُنُنٌ مَنْ قَبْلَكُمْ حَذَوْا  
 النَّعْلَ بِالنَّعْلِ وَالْقِدَّةَ بِالْقِدَّةِ»، وَطَبَقَهُ عَلَى قَوْلِ الْقُرْآنِ: ﴿ادْخُلُوا الْأَرْضَ  
 الْمُقَدَّسَةَ﴾، وَأَكَّدَ أَنَّ الْأُمَّةَ تَتَخَاذَلُ عَنْ عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَلَا تَنْصُرُهُ فَيَصِيبُهَا اللَّهُ التَّيَّةُ  
 أَرْبَعِينَ سَنَةً، وَمَا دَامَتْ سَنَةٌ إلهِيَّةٌ فِي كُلِّ الْأُمَّةِ السَّابِقَةِ، فَيَنْبَغِي بِنَا أَنْ نَعِي  
 خَطُورَةَ مَا يَجْرِي وَعَظْمَ الْمَسْئُولِيَّةِ الْمُلَقَاةَ عَلَى عَوَاتِقِنَا، وَإِلَّا فَسُوفَ نُبْتَلِي  
 بِالتَّيَّةِ أَرْبَعِينَ عَامًا، وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤَخَّرِينَ لِلظُّهُورِ وَلَيْسَ الْمُعْجَلِينَ.

### باب حطة

\* قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا  
 وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةً نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾ قَبَدَلِ  
 الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا  
 يَفْسُقُونَ<sup>(١)</sup>.

\* وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا

(١) البقرة: آية ٥٨-٥٩.

حِطَّةً وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ \* قَبَدَلِ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ ﴿١﴾ .

١١١ . قد وردَ مُستفيضاً لدى الفريقين أنَّ باب حِطَّة في هذه الأُمَّة - كما قَالَ النَّبِيُّ ﷺ - هُمُ أَهْلُ الْبَيْتِ ﷺ بَلْ إِنَّ بَابَ حِطَّةٍ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَ لِأَنَّ أَسْمَاءَ النَّبِيِّ وَأَهْلَ بَيْتِهِ مَكْتُوبَةٌ عَلَيْهِ اسْتِشْفَاعاً بِهِمْ، كَمَا وَرَدَ فِي الرَّوَايَةِ الْمُتَقَدِّمَةِ، وَتَفِيدُ الْآيَتَيْنِ حِينَئِذٍ:

(أ) افتراض دخول باب حِطَّة افتراض سُكْنَى الْقَرْيَةِ الْمُقَدَّسَةِ عِمَارَةً وَإِحْيَاءَ لَهَا.

(ب) افتراض التوسُّل والاستشفاع لغفران الذُّنُوبِ بِبَابِ حِطَّةٍ فِي الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ وَهُمْ أَهْلُ الْبَيْتِ ﷺ .

(ج) لزوم الخضوع والسجود لله تعالى فيها، والعبادة له بالتوجه بها إليه تعالى.

(د) إنَّ الإعراض عَنِ التَّوَجُّهِ وَالتَّوَسُّلِ بِبَابِ حِطَّةٍ عَقُوبَتُهُ دُنُوبٌ عَاجِلَةٌ قَبْلَ الْأُخْرَوِيَّةِ، وَبَنْزُولِ الرَّجْزِ مِنَ السَّمَاءِ عَلَى الْعِصَاةِ لِذَلِكَ.

### كَيْفَ نُقَدِّسُهُمْ

١١٢ . حفظ الأمن في البقاع المُقَدَّسَةِ وتأمينها واجب، كذلك تأمين الطريق للوصول إليها؛ لأنَّ (مقدِّمة الواجب واجبة)، كذلك ينبغي تسهيل أداء العبادة فيها وإقامة الصَّلَاةِ وَكَافَةِ الْمَهَارِسَاتِ الدِّينِيَّةِ كَالشَّعَائِرِ وَغَيْرِهَا.

(١) الأعراف: آية ١٦١-١٦٢ .

١١٣ . عمارة البيوت المقدّسة: بما أنّ عمارة البيت الحرام متولّدة من وجوب زيارته، فإنّ تعاهد المساجد المكرّمة والمشاهد المشرفة تتولّد منه ضرورة عمارتها، بل إنّ على الوالي إجبارهم إذا تركوا الحجّ، ففي صحيح الفضلاء، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «... ولو تركوا زيارة النبيّ لكان على الوالي أن يجبرهم على ذلك، أو على المقام عنده، فإن لم يكن لهم أموال أنفقت عليهم من بيت مال المسلمين»<sup>(١)</sup>.

١١٤ . التشعير والتقديس: قوله تعالى: ﴿فِي بُيُوتٍ أُذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾<sup>(٢)</sup>.

إنّ هذه البيوت رفعها الله وأوجب بذلك على المؤمنين رفعها، وأن يذكر فيها اسمه، فهذا تشعير لها لجعلها مشاعر مقدّسة، ثمّ قال بعد ذلك: يسبّح له فيها، أي: التسبيح جاء بعد مفروغيّة رفعها (تشعيرها وتقديسها)، وأن لا يرفعها وتعظيمها القنوت والإخبارات والضعّة والتواضع فيها.

١١٥ . الزيارة والجوار جهاد: كما في رواية عن الحسن بن العباس بن الجريش، عن أبي جعفر الثاني عليه السلام في حديث طويل في شأن ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ﴾، قال عليه السلام: «ولا أعلم في هذا الزمان جهاداً إلاّ الحجّ والعمرة والجوار»<sup>(٣)</sup>، ومفادها تنزيل الجوار للمشاهد المشرفة منزل الجهاد.

ولكن بنظرة أخرى وبفهم أعمق؛ ولما قرّر في العلوم الروحيّة وعلوم

(١) الحر العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج ١١، ص ٢٤.

(٢) النور: آية ٣٦.

(٣) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ١، ص ٢٥١. الحر العاملي، محمد بن الحسن،

وسائل الشيعة: ج ١٥، ص ٤٧.

النفس والاجتماع من وجود الطاقات الغيبية التي تكون كأموج روحية مرسله، وهي بحسب من أرسلت منه، فإن كان صالحاً كانت، وبالعكس إن كان طالحاً، كما أن هناك إشارة أخرى تشير إلى المعاناة التي يعانها المجاور لهم والزائر من قبل الظالمين على مرّ العصور، كما أن الزائر حين الزيارة يستلهم معاني الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بل وكلّ العقائد الحقّة.

١١٦. الجهاد عمارة للمقدّسات: قال تعالى: ﴿أَجْعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ﴾<sup>(١)</sup>.

في الآية الكريمة إشارة إلى أن عمارة بيت الله الحرام سقاية (خدمة) زوّار بيت الله شيء عظيم، كذلك سقاية (خدمة) زوّار البيوت التي أذن الله أن تُرفع ويُذكر فيها اسمه وعمارته شيء عظيم، ولكن الجهاد أعظم من سقاية وخدمة الحجاج والزوّار، وكذلك أعظم من العمارة، فيكون الجهاد في الدّفاع عن المقدّسات عظيماً وأعظم؛ لأنّه يجمع بين عنوان الجهاد وعنوان العمارة والسقاية، لأنّه مقدّمة لبقائها وعمارته وخدمته الزائرين بها.

١١٧. أسس على التقوى: قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِداً ضُرَّاراً وَكُفْراً وَتَفْرِيقاً بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَاداً لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ \* لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَداً لِمَسْجِدٍ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ﴾<sup>(٢)</sup>.

في قصّة معروفة حاول فيها المنافقون احتواء الناس واحتواء القيادة

(١) التوبة: آية ١٩.

(٢) التوبة: آية ١٠٧-١٠٨.



الدينيّة؛ وذلك ببناء مسجد (ضرار) الذي وصفه القرآن الكريم أنّه كفر ورصد ضد المؤمنين، فالقرآن يأمر بعدم الصّلاة فيه أبداً ويطلب القيام في مسجد له صفتان أنّه أُسس على التقوى، وأنّه فيه رجال يحبّون أن يتطهروا.

١١٨. معدن التقوى أعظم: فإذا كان القرآن يشيد بالتأسيس لذلك المسجد؛ لأنّه أُسس على التقوى، سواء أسسه النبي أو أسسه المسلمون بأمر النبي ﷺ، فكيف بك بيوت هي أعظم من المساجد؛ لأنّ المؤسس لها هو الله، لأنّه رفعها وعظّمها، وإذا كان المسجد عظيماً لأنّه أُسس على التقوى، فكيف بنفس التقوى ومعدن التقوى!

١١٩. مشهور فقهاء الإماميّة أنّ المسافر يُخَيَّر بين القصر والتمام في أربعة أماكن: المسجد الحرام ومسجد النبي ﷺ والحائر الحسيني ومسجد الكوفة. وذهب الكثير إلى أنّ التخيير المذكور هو في مدن تلك المقدّسات على سعتها، وبعضهم قال بالتخيير في كلّ مرقد المعصومين عليهم السلام، وكان الشريعة حين شعرت هذه الأماكن جعلتها بمثابة وطن عالمي لكلّ الناس.

### أخيراً هذا الكتاب

نحن لسنا في صدد قدح أو مدح الكتاب، ولا في صدد نقد أو تقييم الكتاب، فهذا أمر متروك للقارئ اللبيب وللباحث النيقّد، وإنّما نحن في صدد وصف للكتاب زيادة في تنوير القارئ الكريم إلى بعض ميزات هذا الكتاب حتى يسهل عليه خارطة السير في قراءة وفهم الكتاب.

فمن حيث الصفات الفنيّة والصياغيّة:

أولاً: الميل غالباً إلى صياغة الموضوعات على شكل نقاط، فبدل أن يتمّ سرد الموضوع بالشكل المتعارف يسرد بشكل نقاط.

ثانياً: الميل غالباً إلى ذكر أكثر من عنوان للموضوع الواحد وذلك لأسباب منها:

- أ) إفهام القارئ أنّ للموضوع زوايا عديدة يمكن أن يُقرأ من خلالها.
- ب) إنّ كثرة العناوين ليست كثرة ترفيّة وبلا فائدة، بل لها جُلّ الفائدة في وضع القارئ الكريم بالصورة المرجوة من البحث.
- ج) أنّ كثرة العناوين أحياناً تكون بسبب تعدد القراءات للعنوان الواحد، وكلّها تعبر عن نفس العنوان، وليست تُعبّر عن جانب من العنوان وزاوية منه.

ثالثاً: أحياناً يُذكر العنوان وتُذكر تحته كتابة بأسطر قليلة قد تصل إلى خمسة أسطر وبشكل أنصاف سطور، تكون بمثابة مقدّمة تنويريّة كإضاءة

لعناوين الفصل إن كانت لعنوانه أو للموضوع كذلك.

رابعاً: إن العناوين المتعددة هي قراءة علمية عملية تجعل القارئ يقرأ الموضوع من خلال العنوان الأول، فيطبقه في حياته اليومية حينما يكون ظرفه مناسباً ومتناسباً مع هذا العنوان، ويُقرأ الموضوع من خلال العنوان الثاني - كقراءة ثانية - ليطبقه في حياته اليومية حينما يكون الظرف مناسباً ومتناسباً مع القراءة الثانية للموضوع، وهكذا لو كان هناك عنوان ثالث أو رابع.

وأما من حيث المادة العلمية:

إن قراءة المشهد الحسيني كقراءة توحيدية من خلال البدء الذي ما عظم وما عبد الله بمثله - كما في الروايات - ليس هو محضاً في القراءة العقديّة الفكرية التي قد تكون في أكثر أحيانها ترفيّة أو عمليّة ونافعة، ولكن لفئة محدودة من المثقفين أو الباحثين، ويبقى بالنسبة لعامة المؤمنين أمراً مطلسماً ومرمّزاً؛ ولذلك أشرنا بين شارحتين تحت العنوان أنّها مباحث في العقيدة الفقهية، إشارة إلى الجانب العلمي والعملي في حياة الأفراد كافة؛ لأنّ العقيدة تمثّل تصحيح الجانب الفكريّ العقديّ، والفقه يصحح المسار العمليّ في الوظيفة العملية في الحياة اليومية.

فإذن؛ نقرأ المشهد الحسيني لنصح مشهدنا الحياتي، لأنّ مشهد الطفّ لم يقتصر على بُعد واحد، بل شمل كلّ أبعاد الحياة: سياسياً واجتماعياً واقتصادياً وعسكرياً، وهكذا.

ولذلك يرى القارئ الكريم في طيات بحث التوحيد كلاماً عن حياة رسول الله ﷺ، أو كلاماً عن حياة أمير المؤمنين عليّ عليه السلام أو عن حياة الإمام الصادق عليه السلام، وهكذا بقيّة المعصومين عليهم السلام؛ وذلك إشارة إلى:

إنَّ المعصومين عليهم السلام نور واحد، فكُلُّهم: (مهدي، وصادق، وباقر، ورضا، وكاظم، وجواد... وهكذا).

\* إنَّ الوقائع الجزئية الحياتية للمعصومين عليهم السلام يمكن من خلالها أن نقرأ الطفَّ، ويمكن من خلال الطفَّ أن نقرأها، فأحدها يحكي الآخر، فمرة نسير بطريق (الإن) - حكايةً - من خلال المفردات الجزئية الحياتية، التي تكون كمعلولات تشير إلى علَّة واحدة، وتُقرأ جزئيةً فاردة، وأخرى بالعكس نقرأ المعصومين عليهم السلام من خلال المشهد الحسيني، أي: بطريق (اللم) من العلة إلى المعلول؛ وبالتالي تكون هكذا رؤية متبادلة متكاملة، لأنَّه ليس كلُّ رؤية متبادلة هي متكاملة.

\* إنَّ الكثير من المثقفين - بل المختصين في البحوث الفقهية أو العقائدية - يرون أنَّ من غير الصحيح عند البحث عن الإمام الحسين عليه السلام - مثلاً - في أيِّ جانب من جوانب حياته المباركة جرجرة البحث للكلام عن موضوع آخر، ولو كان هو الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله أو أحد المعصومين عليهم السلام؛ لأنَّ ذلك يُبعد القارئ عن بوصلة البحث الأساسية ويشتت ذهنه. لكن نحن نقول: إنَّ الأمر على العكس، فهو لا يُبعد، بل يفصل، ولا يشتت بل يوسِّع؛ لأنَّ البحوث الدقية المعمَّقة من الضروري أن ترى النور بآليات عديدة موسَّعة ومفصَّلة، ومن الضروري أن تكون تلك القراءة بآليات مناسبة، كأن يُقرأ الحسين عليه السلام من خلال سيرة النبي صلى الله عليه وآله وصفاته، أو سيرة أحد المعصومين عليهم السلام.

\* وهذا الأسلوب وهذه الطريقة - المفصَّلة الموسَّعة بالآليات المناسبة - قد يُلاحظ كطريقة من طرق القرآن الكريم، بل ومن طرق أهل البيت عليهم السلام، وهذا واضح لمن قرأ خطب أمير المؤمنين عليه السلام، فالقرآن عندما يتحدَّث في

مبحث عقائدي أو عن مبحث أخلاقي؛ فإنه يأتي بمصداق للصدق، كقوله تعالى: ﴿وَأذْكَرُ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾<sup>(١)</sup> ومن جهة أخرى، نرى الآيات القرآنية تتحدث في موضوع معين، ثم تنتقل فجأة وبلا سابق إلى موضوع آخر كأنه لا صلة له بالآيات السابقة، وأمّا الشواهد في كلام المعصومين عليهم السلام وأمير المؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة فكثيرة لا حاجة لاستعراضها.

\* تمّ استعراض وظائف أخرى عقائدية لم تُبسط في أبحاث العقيدة الفقهية، كالجزر والاختيار وغيرهما.

\* إنّ هذا الكتاب يحتوي على أكثر من سبعة قواعد منهجية، وهذه القواعد السبعة هي: في النشاط الديني الفقهي السياسي والاجتماعي، وهذا ما يعطي القاعدة الواحدة مرونة في الاستعمال في أكثر من مكان واحد.

\* تمّ في هذا الكتاب بحث بعض الوظائف والواجبات التي قلّ البحث عنها في الكتب التخصصية، أو بُحثت بشكل مقتضب وبسيط، فمثلاً التقيّة وظيفية فقهية لها مستويات بحسب الأحكام الفقهية الخمسة - وقد بُحثت بشكل مفصّل - ولكنها لم تتناول إلا الجانب الفردي، أمّا بعدها الاجتماعي فلعله يندر البحث عنه، وأمّا في هذا الكتاب، فإنّ سماحة الأستاذ (دام ظلّه) تناول البعد الفردي والاجتماعي والسياسي أيضاً، بل والاستراتيجي، وبمعالجة موضوعية ميدانية من خلال ذكر مصاديق جليّة وواضحة، مارسها الأنبياء والأئمّة ومارسها أصحابهم أيضاً، هذا مضافاً إلى تصحيح المسار الفكري الخاطيء في فهم التقيّة؛ حيث كان يُفهم منها مجرد

(١) مريم: آية ٥٤.

الإحجام والاحتياط والحذر بلا أن تكون برنامج عمل مختلف الأبعاد والمستويات. ونفس السير الفكري الخاطيء ارتكب في فهم الحُلس، فإنّ الحُلس كما هو الظاهر أشدّ إيهاماً من التقية؛ لأنّه ظاهر في ضرورة السكون ومسك الأرض وعدم الحركة، والذي بدا لنا بعد التحقيق هو العكس تماماً. \* قد يصعب على الفهم أنّ المؤمن هل يمكن أن يناور؟ وأنه كيف يمكن المحافظة على المبادئ ورعاية الثوابت؟ وأنه أساساً: هل يجوز للمؤمن ذلك؟ وكيف يمكن تصوّره للمعصوم عليه السلام؟ قاعدة المرونة والمناورة في المسير والمسار تجيب على ذلك بإجابة بسيطة، ولكنها عميقة ودقيقة بفكرة جعل المرونة في الآليات والقشور مع الحفاظ على اللب الثابت، وتبيّن كيف أنّ الإمام الحسن عليه السلام استطاع في ذلك الظرف العصيب الجمع بين البراغمية والمبدئية كما تبيّن بعض ما مارسه المعصومون عليهم السلام.

\* كذلك هناك تكاليف خاصّة في أوقات معيّنة من زوايا معيّنة، ولكن خصوصيتها لا تعني فرديتها، وهذا أمر بالغ الأهمية، فإنّ الكثير يتصور أنّ الخصوصية تعني الفردية، والبعد الفردي والتكليف على مستوى خاص وفرديّ، وهذه قراءة مغلوطة؛ لأنّ البعد الفردي جانب متدنّ من المسؤولية. ومن تلك الأمور الخاصّة بمسؤوليات العصر الراهن - والتي كما بيّنا لا تقتصر مسؤوليتها على البعد الفرديّ، بل على المستوى الاجتماعي والسياسي والاقتصادي والعسكري وغيرها - هو تكليف المؤمنين في عصر الغيبة، ومنها التكليف في مواجهة حركات الانحراف، وخصوصاً حركة السفيناني، وأمّا كيفية المواجهة فنرى أنّها المواجهة التي تنعكس من سلوك الحسين عليه السلام يوم الطفّ، فرغم ذلك الوعد الإلهي الجازم بشهادة الحسين عليه السلام فقد كان يقوم

بواجبه قيام الواثق بالنصر والنجاة بنظرٍ إلى البداء الأعظم والبداء الإلهي .  
 فهل ينعكس ذلك على مواجعتنا لحركة السفيناني؟ التي قد وردت فيها  
 روايات تشير بالصرحة أو بالمضمون إلى إمكان حصول البداء. فإذا لم تكُ  
 لدينا تلك القراءة للمشهد الحسيني، لم ينعكس على سلوكنا في مواجهة  
 السفيناني أمل ملؤه الرجاء بالنصر المتوَلَّد من معرفتنا بالبداء.

والبداء الذي نريده ليس البداء التكويني، فنحن لا نريد أن نبين البداء  
 من الوجهة العقائدية المحضة، أو قل: لا نريد بيان البداء من جهة الربّ. بل  
 نريد - وهو المهم - أن نبين كيف مارس الحسين عليه السلام البداء كحقيقة عقائدية  
 وفكرية في سلوكه في ساحة الطفّ، بل كيف مارس المعصومون عليهم السلام ذلك في  
 ساحات طفوفهم، سواء مع الأبعاد أو الأقارب، وكذلك نريد - وهو  
 الأهم - أن نبين كيف ينعكس ذلك كلّ على خارطة مسؤوليات المؤمنين في  
 العصر الراهن كعقيدة فقهية.

فإنّ الحسين عليه السلام كان موعوداً بالشهادة، ومع ذلك كان ينظّم معسكره، بل  
 ويقاوم قتال من لا يقين له بالشهادة - رغم يقينه بالشهادة - ومقابل ذلك الإمام  
 صاحب العصر عليه السلام مهذب خائف، رغم كونه موعوداً بالنصر، ورغم يقينه  
 بالنصر، وهو خوف يوازن شدة الرجاء التي يعيشها عليه السلام، كما أنّ تفاعل رسول  
 الله صلى الله عليه وآله وتفاعل باقي أهل البيت عليهم السلام سواء في تجاربهم الحياتية أو ما تعكسه  
 سلوكيات الآخرين بالنسبة إليهم هو ترجمة للأمل الذي يقابل الحذر - الذي  
 هو ترجمة للخوف الموازن للرجاء - فقد كان صلى الله عليه وآله أحذر الناس من الناس، فلم  
 يأخذ التفاوض إلى الإفراط، ولم يجرّه الحذر إلى الأحجام عن العطاء والدعوة  
 إلى الخير، فلا إفراط تفاؤلي ولا تفريط حذري، ولكن أمر بين أمرين.

\* كذلك في الفصل الثالث من القسم الثاني ثمانية أقسام من أقسام الجهاد، وهذه الأقسام تبين وظيفة المؤمن في النشاط العسكري ووظيفة تقديس المقدّسات، ولم يخالف سماحة الشيخ (دام ظلّه) مشهور فقهاء الإمامية في مسألة الجهاد، ولكنّه فصل ما لم يفصله الآخرون بما لا يخرج عن ظهور عموم الآيات والروايات في ذلك.

فإن الجهاد الدفاعي كما هو مقرّر يكون ردعاً للعدوان، ولكن آية الجهاد الدفاعي لتحقيق ذلك الردع تختلف شدة وضعفاً بشكل متناسب مع حجم وشدة العدوان.

فالجهاد الدفاعي الوقائي يكون من باب الوقاية خير من العلاج، والجهاد الدفاعي العلاجي يكون من العلاج بعد وقوع الاعتداء وبقدر العدوان، فإنّ قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ﴾<sup>(١)</sup>، إشارة إلى أنّ القصاص لا يقتصر على البعد الفرديّ، أو البعد الاجتماعي، بل في البعد السياسي والعسكري لأجل حياة الأمة وسعادة أمة الإيمان والإسلام، كما أنّ الجهاد دفاعاً عن المقدّسات هو الآخر قسم برأسه، بل أقسام عديدة تدور حول تقديس من قدّسهم الله تعالى، فإنّ الدفاع عن بلدٍ فيه مقدّسات أنبل وأشرف من الدفاع عن الأراضي التي لا مقدّسات فيها.

وبما أنّ هذه الأراضي وبحسب الآيات والروايات قدّست لوجود المعصومين عليهم السلام فيها؛ فيكون الدفاع عن ذات المعصوم عليه السلام - نفسه - أعلى وأقدس وأشرف من الدفاع عن الأراضي المقدّسة، وبذلك يتنقح لنا القسم السابع من أقسام الجهاد، وهو الجهاد تعصباً لذات المعصوم عليه السلام المقدّسة،

(١) البقرة: آية ١٧٩.



والذي يتفرّع عليه جهاد آخر - ولكنّه قسم مستقلّ برأسه - وهو الجهاد المواصاتي، والذي يكون فقط من أجل مواساة المعصوم عليه السلام.

\* كما وتمّ في هذا الكتاب تصحيح بعض المسارات الخاطئة في فهم كثير من الألفاظ التي وردت في الروايات، والتي لعلّه بُنيت عليها مناهج ومدارس معرفيّة، ومنها:

معنى (الحلّس) الذي فهم لدى الكثيرين بشكل خاطئ ومخالف تماماً لما هو المراد في الروايات، وكذلك معنى التقيّة وأبعادها وأقسامها المختلفة وأنّ معنى التقيّة المعروف جزء من المعنى الصحيح - الواسع - الذي جعل ديناً ومنهاجاً حياتياً، كما في الحديث الشريف: «التقيّة من ديني ودين آبائي، ولا دين لمن لا تقيّة له»<sup>(١)</sup>، كذلك اللين والرفق والمرونة واللطف له الأهميّة العظمى، ولكن في أبوابه الصحيحة، بل الوفاء الذي هو أشرف وأنبل من هذه المعاني له مواطن، ولا يصح في كلّ المواطن، فإنّ الوفاء مع أهل الغدر غدر عند الله، كما يقول أمير المؤمنين عليه السلام كما وقد بيّن الكتاب نظريّة تخادم العلوم التي تبين أهميّة العلاقة بين العلوم المختلفة، أهم جانب في تطور وتكامل العلوم هو ذلك.

\* والشيء الأهمّ والحيويّ الأساسي - المنهجي - في هذا الكتاب، هو وضع ضوابط ومناهج لدراسة روايات زمن الغيبة ورايات وأشخاص هذه الفترة الحساسة والمهمّة في حياة المؤمنين، وأنّ الدراسات الكثيرة في هذا الزمن - مع شديد الأسف - تُجعل محاورها الأساسية شخصيات وشخوص زمن الغيبة وتحاول معالجة الروايات على أساس ذلك المحور، وهذا مسار مغلوّط يحرف

(١) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ٢، ص ٢٢٤.

٤٦٦ ..... التوحيد في المشهد الحسيني

النظرة المجموعيّة التي ترمي إليها تلك الروايات، وهذا التأسيس - بحسب نظري  
القاصر - فتح عظم وتشديد لمنهج جديد في قراءة روايات زمن الغيبة وسنة  
الظهور.

\* وبعد ذلك كله ذكرنا مقاطع مختارة - مهمّة - من الكتاب لأجل أن

تبقى في الذاكرة.

## فهرس الكتاب

٧	.....	مقدمة المركز
٩	.....	مقدمّة المقرر
١٥	.....	تمهيد

### القسم الأول

#### التوحيد في المشهد الحسيني (مباحث في العقيدة)

##### وفيه ثلاثة فصول:

٢١	.....	القضاء والقدر في المشهد الحسيني
٢١	.....	المدخل

### الفصل الأول

#### البداء الأعظم

٢٧	.....	البداء الأعظم
٣١	.....	نتائج مهمة في الجبر والاختيار
٣٣	.....	جدلية العلاقة بين الإبرام والبداء
٣٥	.....	قوم يونس

### الفصل الثاني

#### حتمية القضاء والقدر في مفهوم النهضة الحسينية

٤١	.....	حتمية القضاء والقدر في مفهوم النهضة الحسينية
----	-------	--

٤٢	.....	حتمية البداء
٤٣	.....	البداء وليلة القدر
٤٦	.....	صور البداء في القضية الحسينية
٤٩	.....	إحسان التقدير وإحكام التدبير
٤٩	.....	أديب الله
٥٠	.....	أدبني ربّي
٥١	.....	سعة البداء في سلوك النبي ﷺ
٥٣	.....	الحسينُ أُمَّةٌ
٥٣	.....	مطمئنةٌ بقدرك
٥٥	.....	إنّما شقشقة
٥٩	.....	ضابطةٌ جعفريةٌ في القضاء والقدر
٦١	.....	حربٌ باردةٌ لا تُنافي حتمية القضاء
٦٢	.....	عبرٌ ودروسٌ من حياة الإمام الصادق عليه السلام
٦٩	.....	تناسب التقدير بين الإنسان الصغير والكبير
٧١	.....	مُهدَّبٌ خائفٌ رغم حتمية النصر
٧١	.....	المُهدَّبُ الخائفُ
٧٤	.....	شجاعةٌ التدبير لا تُنافي الحذر
٧٦	.....	خفاء التدبير بلا خفاء للمدبّر
٧٩	.....	كمال التدبير اليقظة والحذر
٧٩	.....	أحلاس البيوت

### الفصل الثالث

#### لا حَسَمَ سابق ولا حَتَمَ في التدايعيات بدون إمكانية البءاء

- ٨٣ ..... لا حَسَمَ سابق ولا حَتَمَ في التدايعيات بدون إمكانية البءاء
- ٨٥ ..... التفاؤل في ميزان القضاء والقءر
- ٨٥ ..... تفاءلوا بالخير
- ٨٦ ..... تءبير الخير لمستقبل الأمة
- ٩٠ ..... قمة النشاط مع حتمية الشهادة
- ٩٠ ..... تفاؤل الحسين عليه السلام
- ٩٢ ..... التفاؤل المعاكس (المذموم)
- ٩٤ ..... معالم أخرى للأمل في تءبيره عليه السلام
- ٩٤ ..... الإغراق في لطافة وإتقان التءبير
- ٩٧ ..... تءبيره عليه السلام الخير لأُمَّته
- ٩٨ ..... المبالغة في المداراة مع قمة الحذر واليقظة
- ٩٨ ..... لِنْتَ لَهُمْ
- ١٠٠ ..... الانفتاح التفاعلي مع المجتمع مع الحفاظ على سرية الحقائق الخطيرة
- ١٠٠ ..... أعداء ما جهلوا
- ١٠٢ ..... تبدل الهزيمة إلى نصر
- ١٠٦ ..... تءبير عظيم في ظرف عسير
- ١٠٦ ..... المضائق
- ١٠٨ ..... مضائق عسيرة ومواطن خطيرة
- ١١١ ..... يوم حنين

٤٧٠	التوحيد في المشهد الحسيني
١١٣	المَعْلَمُ الجبري مِنْ جديد
١١٣	غُلَّتْ أيديهم
١١٦	المسلك الجبريِّ أنواعٌ وأنماط
١١٦	الجبريَّة الصُّوفيَّة
١١٧	المنطق الحُسَينِيُّ يُحاكِمُ الجبريَّة
١١٨	مراتب النجاح في الابتلاء الإلهي
١٢١	النشاط والحركة الحُسَينِيَّة
١٢٣	النشاط والحركة اليونسِيَّة
١٢٥	شجاعةُ إدارةِ الأزماتِ وإمامةِ الأُمَّة
١٢٥	شجاعةُ التدبير
١٢٦	الغصَّةُ والفرصة
١٢٩	حتميَّةُ عدمِ النصرِ لا تنافي إمكانيةِ الفتح
١٢٩	شهادةُ الفتح
١٣١	فتحُ الحسينِ أم حسينُ الفتح

## القسم الثاني

### خارطة مسؤوليات العصر الراهن

وفيه ثلاثة فصول:

#### الفصل الأول

##### خارطة المسؤوليات في النشاط الوظيفي الديني والسياسي والاجتماعي

١٣٩	سبع قواعد منهجيَّة وخاتمة
١٤١	مقدمة

٤٧١	فهرس الكتاب
١٤٢	القاعدة الأولى: (كُنْ حِلْسًا) والأحلاس في البيوت
١٤٢	(كُنْ حِلْسًا مِنْ أَحْلَاسِ بَيْتِكَ)
١٤٤	المعاني اللغوية للحِلس
١٤٦	نتائج مُهمّة مِنْ معنى الحِلس
١٤٧	ما هُوَ معنى (البيت) الذي وَرَدَ فِي الرواية:
١٥٣	موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ حِلْسَ البيوت
١٥٥	فهم جديد لمعنى (حين) التي وردت في الزيارة
١٥٥	القضية الحِينِيَّة
١٥٥	الوسطية في ميزان العمل
١٥٥	الدور المنقذ لتوازن سفينة المؤمنين والمسلمين عن الغرق المتطرف
١٥٦	الوسطية في قوام العمل حين عَجَزَ الأُمَّة
١٥٦	المُعَادِلُ الموضوعي
١٥٦	العامل المشترك الأكبر
١٥٦	الوسطية بمعنى (بيضة القبان)
١٥٧	أَيُّهَا الْمُؤْمِنُ
١٥٧	الصَّبْرُ والتَصَبُّرُ
١٥٩	القاعدة الثانية: إعداد القوّة
١٥٩	وأعدّوا
١٦٥	القاعدة الثالثة: طَلَبُ العِلْمِ ونَشْرُهُ
١٦٦	القاعدة الرابعة: (كُلُّكُمْ رَاعٍ)
١٦٨	القاعدة الخامسة: التقيّة الذكيّة وترقية تنامي الحسّ الأمني

١٦٨.....	مقدمة
١٦٩.....	الإعداد الأمني
١٧٠.....	التقية والكتمان حارس الإعداد
١٧٤.....	تقية الكتمان مراتب ودرجات
١٧٦.....	التقية من الجهلاء أشد من الأعداء
١٧٨.....	المذيع جاحد
١٨٠.....	الكتمان والإذاعة... المذيع سرنا كقاتلنا عمداً
١٨٣.....	الجندي الخفي (المجهول)
١٨٣.....	يكتُم إيمانه
١٨٥.....	أصحاب الكهف
١٨٧.....	قاعدة أخرى (تقية الاصطناع) ملازمة لقاعدة (التقية الذكّية)
١٨٨.....	الخضر <small>عليه السلام</small> والتقية الذكّية
١٨٩.....	المنهج أهم وأولى
١٩٠.....	خفاء أم اختفاء
١٩١.....	التقية الذكّية عند الإمام الصادق <small>عليه السلام</small>
١٩٢.....	التقية الذكّية في سلوك إبراهيم <small>عليه السلام</small>
١٩٣.....	القرآن يكشف عن أربع مهام سرّية لأهل الكهف <small>عليهم السلام</small>
١٩٤.....	أسرار (التقية التدبيرية) في سورة الكهف
١٩٧.....	برنامج أمني للإمام الصادق <small>عليه السلام</small>
١٩٧.....	كيف يتعامل الإمام مع من يكشف الأسرار
٢٠١.....	دور المؤمن في الحكومة الخفية أعظم



فهرس الكتاب	٤٧٣
أطروحة جديدة في معنى الظهور بعد الغيبة	٢٠١
دولة الخفاء وخفاء الدولة	٢٠١
دولة الغيبة وغيبة الدولة	٢٠١
القاعدة السادسة: المرونة والمناورة في المسير والمسار	٢٠٨
سعة الحكمة في صيرفة تدبير وإدارة الأمور	٢١٠
جدلية العلاقة بين البراهماتية والمبدئية	٢١٥
جدلية الثابت والمتغير	٢١٥
تغير الواقع بين الإفراط والتفريط	٢١٥
جدلية حفظ النظام الثابت والإصلاح المتغير	٢١٥
المناورة بين الواقعية الراهنة والقيم الشعارية	٢١٥
الثابت النظامي والمتغير الإصلاحي	٢١٦
لبيت ربِّ يحميه	٢١٧
دروس في مناورة عبد المطلب <small>عليه السلام</small>	٢١٨
مناورة حُسينية في قوالب زينية	٢٢٠
مناورة ومران الخيارات والأساليب في النهضة الحسينية في موكب السَّبي ...	٢٢٠
همزة الوصل	٢٢٣
هل الوسيلة ثابتة أم متغيرة	٢٢٣
تصريف الكلام	٢٢٥
ويتنصر علي <small>عليه السلام</small>	٢٢٥
متانة الدين وسماحة الشريعة	٢٢٦
الصُّلح خير	٢٢٧

٤٧٤ ..... التوحيد في المشهد الحسيني

٢٢٨ ..... تعدد الخيارات

٢٢٨ ..... تعدد السيناريو

٢٢٩ ..... تصريف الكلام

٢٢٩ ..... تغْيُرُ اللفظ لا يعني تبدُّل المعنى

٢٣٢ ..... الغاية لا تُبرِّر الوسيلة

٢٣٢ ..... الوسيلة لا تُصحِّح الغاية

٢٣٤ ..... المحجَّة الصحيحة مراتب

٢٣٥ ..... للوفاء مَوَاطن

٢٣٧ ..... هل الحقيقة مُطلقة أم نسبيّة؟

٢٣٩ ..... القاعدة السابعة

٢٣٩ ..... ضرورة توازن القوى مع العدو

٢٤١ ..... خاتمة نفيسة في تخادم العلوم

٢٤١ ..... نظرية ترابط وتعاون وتخادم العلوم

## الفصل الثاني

### خارطة المسؤوليات في النشاط الوظيفي الديني للمؤمنين تجاه حركات

#### الانحراف الديني

٢٤٧ ..... مقدّمة

٢٤٧ ..... السفياي بين الحتم والبداء

٢٤٩ ..... أهمية الموضوع

٢٥٢ ..... قبل البدء: قاعدة علوية بصياغة رضويّة

٢٥٢ ..... قاعدة منهجيّة في المنهج

٤٧٥	فهرس الكتاب
٢٥٤	مسالك الانتظار
٢٥٧	الشجرة الملعونة
٢٥٩	خطورة المنهج
٢٥٩	النقطة الأولى: (الشجرة الخبيثة)
٢٥٩	النقطة الثانية: (لا يذكرون الله)
٢٥٩	النقطة الثالثة: (بنو أمية نهج وسلوك)
٢٦٠	النقطة الرابعة: (سعد الخير)
٢٦٠	النقطة الخامسة: (اللعن للمؤسسين أشد)
٢٦٢	النقطة السادسة: (أخطر المناهج)
٢٦٢	النقطة السابعة: (إسلام وأصنام)
٢٦٢	النقطة الثامنة: (بنو العباس)
٢٦٤	من هو السُفياني؟
٢٦٨	حادثة مُثيرة
٢٧٢	معالم مشروع السُفياني
٢٧٥	السُفياني ويأجوج ومأجوج
٢٨٢	الرجعة قُبيل الظهور
٢٨٢	هي محور أدوار مسرح أحداث الظهور
٢٨٧	السُفياني بين المحتوم والموقوف
٢٩٠	دروس تربوية في البداء
٢٩٣	البداء وإخفاق مشروع السُفياني
٢٩٣	روايات البداء بلسان البشارة

٤٧٦	التوحيد في المشهد الحسيني
٢٩٥	رجفة الشام
٢٩٦	روايات (البداء) بلسان أن السُّفْياني نقمة للمؤمنين
٢٩٧	الإعلام المزيّف للسُّفْياني
٣٠٠	الخسف عنوان للبداء في حركة السُّفْياني
٣٠٣	الوظيفة الأولى للمؤمنين هي المقاومة
٣١٣	البداء في خاتمة السُّفْياني
٣١٥	أمرهم <small>عليهم السلام</small> بالوجوب العيني والتعيني
٣١٥	لتصدي شيعة العراق بالخصوص للسُّفْياني بقوة وحزم
٣١٧	الشُّعوب كلّها ضدّ السُّفْياني
٣٢٠	الرايات المناهضة لمشروع السُّفْياني
٣٢٠	القيام بالمسؤولية
٣٢٢	الرايات الممهّدة للسُّفْياني
٣٢٣	الشيصباني
٣٢٣	حكومة بني العباس
٣٢٥	شخصيّات في مسرح الظهور
٣٢٥	نفاق الإيمان (البتريّة)
٣٢٦	على طرفي نقيض
٣٣٠	الغاية من استعراض روايات سنة الظهور
٣٣٣	دور المؤمن في عصر الفتن وخصوصاً فتنة السُّفْياني
٣٣٧	مقاطع مختارة
٣٣٨	خلاصة الفصل الثاني

### الفصل الثالث

#### خارطة المسؤوليات في النشاط الوظيفي الديني العسكري للمؤمنين ووظيفة

#### تقديس وحماية المقدسات

- قواعد أساسية في مراتب الجهاد الدفاعي ..... ٣٤٥
- وظيفة تقديس المقدسات ..... ٣٤٥
- مُقدّمة ..... ٣٤٧
- الجهاد الدفاعي ..... ٣٤٨
- قواعد أساسية في مراتب الجهاد الدفاعي ..... ٣٤٨
- القسم الأوّل: الدفاع الوقائي الرادع عن عدوان المعتدي ..... ٣٤٨
- القسم الثاني: الدفاع العلاجي ..... ٣٤٨
- القسم الثالث: الدفاع الاقتصاصي ..... ٣٤٩
- القسم الرابع: الجهاد الدفاعي الاستباقي ..... ٣٥٢
- قواعد لا محيص عنها في الدفاع عن المقدّسات ..... ٣٥٤
- نظام تعدد مراتب الدفاع طويلاً متعاكساً مع قاعدة الفرق المرن ..... ٣٥٤
- القسم الخامس: الجهاد الاقتصاصي في الدفاع عن المقدّسات ..... ٣٥٥
- القسم السادس: الجهاد الدفاعي الاستباقي عن المقدّسات ..... ٣٥٦
- القسم السابع: الجهاد الاقتصاصي تعصباً لأهل البيت عليه السلام ..... ٣٥٦
- أهميّة ذات المعصوم كركن من أركان الدين ..... ٣٥٧
- بيت المقدس قُدّس لوجود الأنبياء فيه ..... ٣٦١
- المعصوم عليه السلام من مُقدّسات الدّين ..... ٣٦٤
- سب المعصوم عليه السلام ارتداد عن الدين كما عن جماعة من الأصحاب ..... ٣٦٦

- ٣٦٧..... تعطيل الحدود يُؤثر في التكوين والتشريع
- ٣٧٠..... موقف زينب العقيلة عليها السلام مِنْ وجوب أخذ الثأر
- ٣٧١..... استمرار برنامج الثأر والثورة
- ٣٧٢..... ما ورد في الإذن والحث على الأخذ بثأر الحسين عليه السلام
- ٣٧٤..... طلب الثأر لآل مُحَمَّد صلى الله عليه وآله
- ٣٧٥..... القسم الثامن: الجهاد الموساتي
- ٣٧٧..... أَوَّلًا: التغيرات الثبوتية (الماهوية)
- ٣٧٧..... ثانيًا: التغيرات الإثباتية
- ٣٨٠..... أعظم الموساة موساة أبي الفضل عليه السلام
- ٣٨٢..... المُقدَّسات ركن الدين
- ٣٨٢..... جهاد بلا دم
- ٣٨٣..... سلاح السلام لا الاستسلام
- ٣٨٥..... الدفاع عَنِ المُقدَّسات واجب مِنْ أصول الاعتقاد
- ٣٨٥..... وليس مِنْ مستحبات الشريعة
- ٣٨٨..... بَشَارَةٌ وَنَذَارَةٌ
- ٣٩٠..... ركنية الأراضي المُقدَّسة
- ٣٩٠..... الأرض المُقدَّسة
- ٣٩٣..... نتائج مهمة من الآيات المُتقدِّمة
- ٣٩٥..... الدفاع عَنِ المُقدَّسات بتعظيم باب حطّة
- ٣٩٧..... منهجية تربوية يرسمها رسول الله صلى الله عليه وآله
- ٣٩٩..... كيف نُقدِّسهم

٤٧٩	فهرس الكتاب
٤٠٩	العناصر الكليّة لخارطة مسؤوليات العصر الراهن
٤٠٩	قاعدة: إعداد القوة
٤١٠	قاعدة: (كلّكم راعٍ) وعموم المسؤولية على الجميع
٤١٠	قاعدة: الصبر لا يعني الجمود
٤١٠	قاعدة: للوفاء مواطن
٤١١	قاعدة: ضرورة توازن القوى مع العدو
٤١١	المعصوم لنا قدوة

### مقاطع مختارة

٤١٧	عقيدة البداء أهم مقومات النشاط الديني والسياسي والاجتماعي للأئمة
٤٢٠	الإيمان بالبداء في النتائج والتداعيات المترتبة على الحدث
٤٢١	التفاؤل رجاءٌ بسعة البداء
٤٢٢	الفتح الحسيني
٤٢٤	في معنى المجلس
٤٢٦	قاعدة إعداد القوة
٤٢٦	برنامج التقيّة الأمنيّة والإعداد الخفيّ (الذكي)
٤٢٧	الحذر أنواع ومراتب
٤٢٨	جدليّة حفظ النظام الثابت والإصلاح المتغيّر
٤٣٠	الوسطية في المسير والمسار
٤٣٠	معنى نسبيّة الحقيقة
٤٣١	الوفاء مع أهل الغدرِ غدرٌ عند الله
٤٣١	نظرية تحادم القواعد

٤٨٠	التوحيد في المشهد الحسيني .....
٤٣٢	المعنى الصحيح لمفهوم الانتظار .....
٤٣٦	إرهاصات الظهور .....
٤٣٦	الرايات المناهضة لمشروع السفّياني .....
٤٣٦	(القيام بالمسؤولية) .....
٤٣٧	الرايات المُمهّدة للسّفّياني .....
٤٣٧	الشيصباني .....
٤٣٧	حكومة بني العباس .....
٤٣٨	السّفّياني وداعش وأجوج ومأجوج وجوه لعملة واحدة .....
٤٤٠	شخصيات في مسرح الظهور نفاق الإيمان (البتريّة) .....
٤٤٠	علّى طرفي نقيض .....
٤٤٢	صور عديدة للبداء في مشروع السفّياني .....
٤٤٥	الجهاد الدفاعي .....
٤٥٠	ركنية الأراضي المقدّسة .....
٤٥٣	باب حطّة .....
٤٥٤	كيف نُقدّسهم .....
٤٥٨	أخيراً هذا الكتاب .....
٤٦٧	فهرس الكتاب .....